المكتبة القبطية على الانترنت

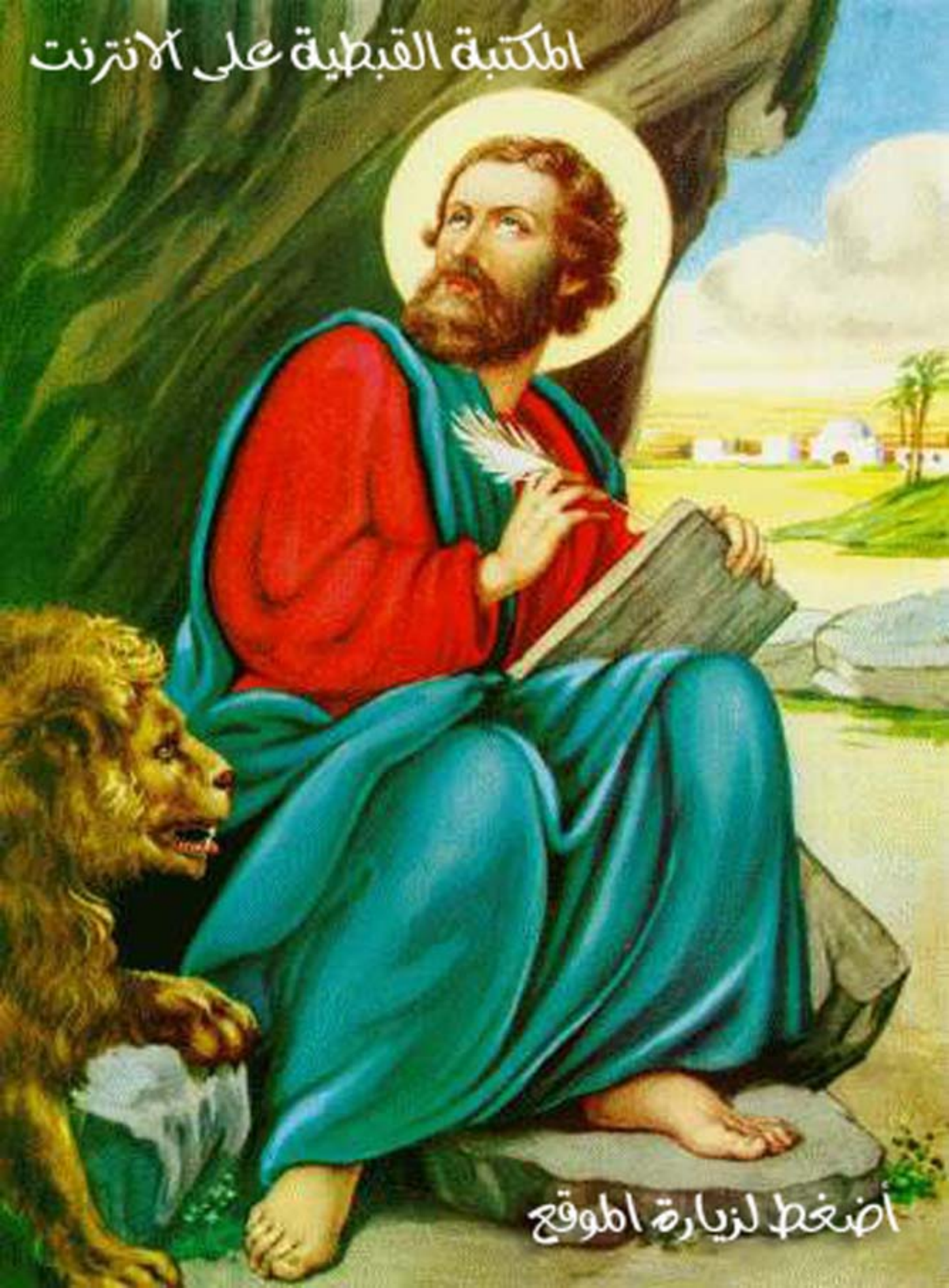

اضغط لزيارة الموقع

صغير صغير

اعداد القمص تادرس يعقوب ملطي

١

اعداد القمص تادرس يعقوب ملطي

مكتبة للمقتيان

قصص قصيرة

مع مجموعة من القصص الطويلة

الجزء الأول

إعداد

القمص تادرس يعقوب ملطي

للقصة جاذبيتها!

للقصة بصماتها على شخصية كل إنسان، ويبقى للقصة أثرها على حياة الإنسان منذ طفولته المبكرة حتى اللحظات الأخيرة من حياته.

بدأت كتابة القصص منذ الستينات لكنني في السنوات الأربع الأخيرة ركزت على القصص القصيرة، قمت بنشرها في كتيبات صغيرة منذ ١٩٩٥، كان لها فاعليتها في أعماقي.

أقدم تجميعًا لهذه الكتيبات في هذه المجلدات راجيًا أن يعمل روح الله القدوس في كل إنسان.

إني مدين لكثيرين في جمع هذه القصص، قمت بإعادة كتابتها.

وأيضًا لا أنسى فضل بعض الآباء الأحباء في المهجر، مثل أبونا مينا بني وأبونا داود بباوي وأبونا إبرآم سليمان وأبونا يعقوب غالي لتشجيعهم لي.

تحتوي هذه القصص على:

- قصص واقعية معاصرة ومن العصور السابقة.
- قصص من سير القديسين.
- قصص رمزية... كثير منها سجّلها أكثر من كاتب، كلٌ بأسلوبه الخاص وهدفه المختلف.
- قصص سجّلتها من خلال فكرة إنجيلية أو آبائية.

أخيرًا فإنني استحسنت أن أقدم القصص بنفس الترتيب كما سبق نشرها في الكتيبات بعد مراجعتها.

أرجو أن تتحول حياتك إلى قصة حيّة تشهد لعمل الله فيك، فتكون بالحق سفيرًا للسماء وشاهدًا عمليًا للإيمان الحيّ.

مكتبة الفتيان

قصص قصيرة

١-١٥

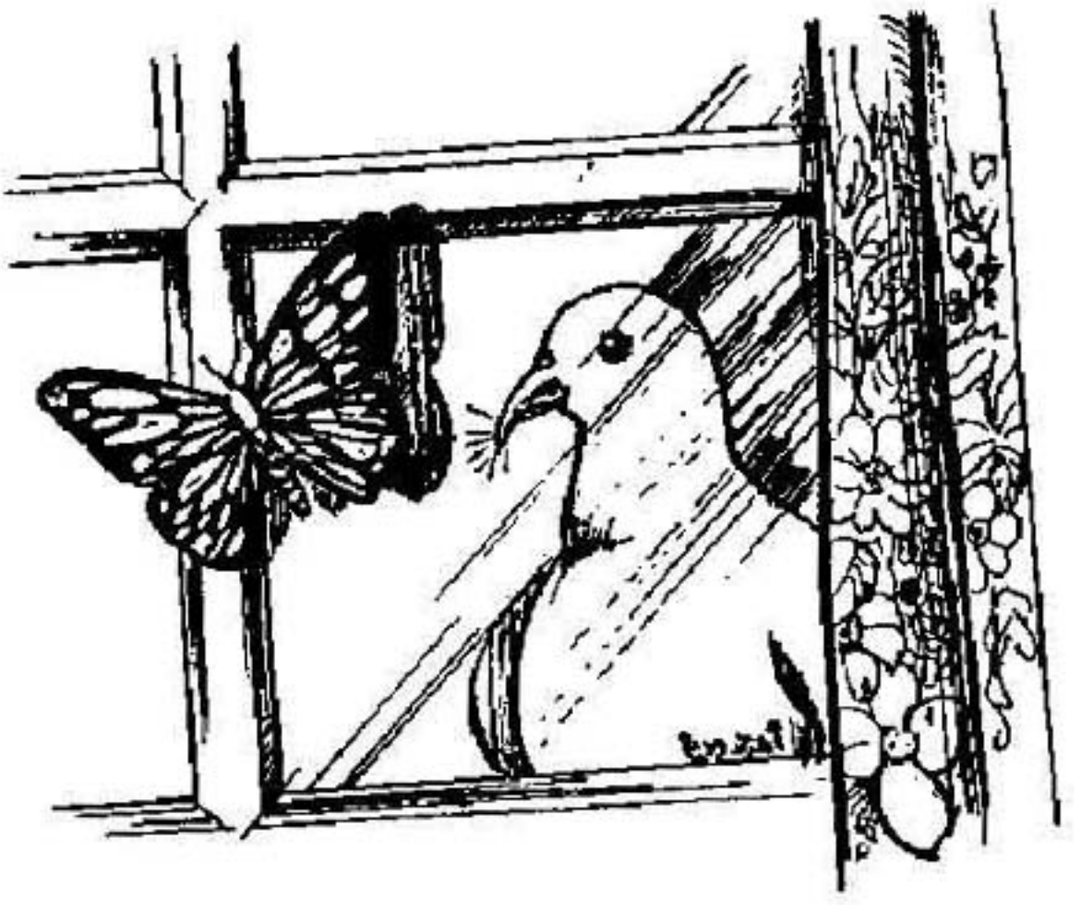

احتفظي بصورة،
وإلقي بالأخرى!

في الأحد التالي لعيد نياحة أبينا بيشوي كامل (٢٦ مارس ١٩٩٥) جاءتني سيدة تعترف بكنيسة القديس مارمرقس بجرسي سيتي، وقد ظهرت عليها علامات التوبة الصادقة.

قالت لي:

[أحببت إنسانًا منذ سنوات، وشئت أن أقطع هذه العلاقة الخاطئة فلم أستطع أن أغلب عواطفي. لقد احتفظت بصورته في "المحفظة".

منذ أيام في عيد أبينا بيشوي (٢١ مارس) قدمت لي صورته، فوضعتها في ذات "المحفظة" لأنال بركة صلواته، كما يفعل الكثيرون.

في المساء ظهر لي في حلم إنسان يوبخني قائلاً:

"كيف تضعي صورة أبينا بيشوي مع صورة (فلان)؟!

لكِ الخيار أن تحتفظي بصورة، وتلقي بالأخرى".

قمت في الحال، في منتصف الليل، وأخرجت صورة هذا الشخص ومزقتها.

قررت أن أعيش في حياة التوبة!

الآن بعد ثلاث سنوات أتيت لأول مرة أعترف في توبة صادقة!

قررت أن أعيش كما عاش أبونا،

وأسلك بروح الطهارة،

ولا تكون لي بعد شركة مع الخطية!]

حقًا لقد عَرف أبونا المحبوب بحبه الشديد للتوبة، عاش مشتاقًا أن يبذل كل حياته ليرى كل نفسٍ تلتصق بالمخلص القدوس، وتنعم بشركة المجد. هذا الروح الناري الذي لمسناه فيه لم يكن العالم بكل أحداثه وأفراحه ومتاعبه قادرًا أن يطفئه فيه. أقول حتى بعد رقاده وعبوره عن هذا العالم لم ينتزع عنه روح الكرازة! إنه يشتاق إلى توبة الكثيرين... يصلي لأجل طهارة الكل في المسيح القدوس.

كثيرًا ما كرز أبونا بالمبدأ الإنجيلي: "لأنه أية خلطة للبر والإثم؟! وأية شركة للنور مع الظلمة؟!" (٢كو٦: ١٤).

كثيرًا ما ردد: "المسيحية لا تتعرف بأنصاف الحلول!"

✠ هب لي يا مخلصي أن احتفظ بصورتك فيّ،
هذه التي نقشتها بدمك في قلبي!
هذه التي يشكلها روحك القدوس فيّ!
حتى تصير نفسي أيقونتك، وأتهيأ للعرس الأبدي!
إذ تصير عروسًا لك، تحمل أيقونتك أيها العريس السماوي!

✠ لتنتزع من قلبي كل صورة للفساد، وكل فكرٍ ترابي،
حتى أهيم في سموك.

✠ لم تقبل أن تُحفظ صور أولادك مع صورٍ تمثل الفساد!
لا تسمح للشركة بين نور برك وظلمة النجاسة!
فكيف أتجاسر واسمح لذهني أن يحمل الصورتين معًا:
صورة القدوس السماوي مع صورة التراب الزائل؟!
لتتحطم كل صورةٍ وتمثالٍ ترابي في أعماقي،
وليحمل روحك القدوس روحي إليك،
يقيمها أيقونة حية لجلالك!

هب لي قطعة رنجة!

قيل[1] إنه بعد معركة عارمة وجهدٍ شاقٍ انتهى الأمر بنصرة الإمبراطور نابليون بونابرت. أراد الإمبراطور مكافأة بعض الرجال من جنسيات مختلفة، قاموا بأدوار بطولية في ذلك اليوم. صرخ الإمبراطور قائلاً: "قولوا لي يا أبطالي المعلوين شهامةً ما هي رغبتكم وأنا أحققها لكم!"

قال البطل البولندي: "أن ترد لبولندا استقلالها". أجابه الإمبراطور: "ليكن هذا".

وقال الفقير التشيكوسلوفاكي: "إلهي فلاح، هب لي قطعة أرض أزرعها".

أجاب الإمبراطور: "ليكن لك قطعة أرض يا رفيقي".

وقال الألماني: "هب لي بارًا (متجر خمور) لأشرب بيرة".

أجاب الإمبراطور: "أعطوه بارًا".

جاء الدور على جندي يهودي، فتطلع إليه الإمبراطور مبتسمًا: "ما هي رغبتك يا رفيقي؟!" في حياءٍ شديدٍ وتردد قال اليهودي: "إن حسن في عينيك يا سيدي هب لي قطعة رنجة حسنة!" دُهش الإمبراطور الذي هزّ كتفيه استهجانًا، قائلاً: "أعطوا هذا الرجل قطعة رنجة!"

إذ تركهم الإمبراطور التف الأبطال حول اليهودي يوبخونه: "يا لك من غبي! أتتخيل إنسانًا يطلب من الإمبراطور رنجة؟! أهكذا تعامل الإمبراطور؟!" أجابهم الرجل على الفور: "سترون من هو الغبي! تطلبون استقلال بولندا وحقلاً وبارًا، الأمور التي لن يقدمها الإمبراطور. أما أنا فواقعي، أطلب قطعة رنجة لعله يعطيني إياها!"

---

[1] بتصرف من كتاب: "كنز الفلكلور اليهودي"، أعده نالان أوسوبل.

♦ ♦ ♦

هب لي يا رب أن أكون واقعيًا!

✞ من الترابيين ربما أطلب ترابًا،
أما من السماوي فأسأله السماء!
لأسأل كل كائن حسب إمكانياته!

✞ قد يهب البشر شيئًا لكنهم غالبًا ما يقدمون معه منة!
أما السماوي فيشتهي بالحب أن يعطي بسرورٍ حتى ذاته!

✞ ملعون من يتكل على ذراعٍ بشري،
تخرج أرواح للبشر ويعودون إلى ترابهم!
أما من يتكل عليك فيلتصق بك،
يرتفع بروحك القدوس ليحيا معك إلى الأبد!
ماذا أطلب منك؟!
وهبت لي ذاتك!
أشبعتني بك يا خبز الحياة!
أرويتني يا ينبوع المياه الحية!
قدتني أيها الطريق الملوكي!
أنرت أعماقي بمعرفتك أيها الحق الأبدي!
نزعت عني كل شعور بالعزلة،
صرت لي الأخ البكر، والعريس السماوي، والصديق الإلهي، والرفيق الحامل أتعابي!
فيك كل كفايتي!
قدمت لي ذاتك يا صانع الخيرات، فماذا أطلب بعد!
هب لي يا رب أن أكون واقعيًا!

الزجاج الشفاف

جلس غني مع نفسه يتساءل: "ماذا انتفع بكل هذا الغنى وأنا أشعر بفراغ شديد في أعماقي؟ ماذا ينقصني؟ ماذا تطلب نفسي لتستريح؟"

ذهب الغني إلى رجل حكيم يشكو له مشاعره الداخلية طالبًا مشورة حكيمة.

أخذه الحكيم نحو النافذة، وتطلع كلاهما من الزجاج نحو السماء. سأل الحكيم الغني: ماذا ترى؟

- أرى السماء بزرقتها الجميلة.
- انظر إلى الشارع، ماذا ترى؟
- أرى أناسًا كثيرين.

قدم الحكيم للغني مرآة ثمينة، وسأله: "ماذا ترى فيها؟"

أجاب: "أرى صورتي".

عندئذ قال الحكيم:

"خلال الزجاج الشفاف الرخيص ترى السماء بجمالها والناس اخوتك؛ أما خلال المرآة الثمينة فلا ترى سوى صورتك، لأن لمعان الفضة يحجب عنك رؤية السماء ببهائها والتطلع إلى الناس، لتنشغل بصورتك وحدك، وتنحصر في سجن الأنا ego القاتل للنفس.

هذا ما تفعله محبة الفضة اللامعة!"

هب لي بساطتك،
ولتنزع عني محبة الفضة اللامعة!

✞ هب لي يا مخلصي عينيك البسيطتين،
إنهما كالزجاج الشفاف الذي يبدو رخيصًا!
لافتني عينيك،
خلالهما أرى بهاء السماء في داخلي!
أراك مع أبيك الصالح والروح القدس!
لتنتهي الشركة معك،
وعمل الروح القدس فيّ،
لأجد موضعًا في حضن أبيك!

✞ نعم يا رب انزع عني محبة الفضة اللامعة!
التي تبدو ثمينة في أعين الكثيرين.
يسعون ويتعبون لاقتنائها،
فإذا بها تقتنيهم، وتملك عليهم، وتستعبدهم!
تحرمهم من رؤية السموات،
فتصير الأبدية في أعينهم خيالاً،
والمجد السماوي خداعًا!
وشركة الملائكة مرضًا نفسيًا وخروجًا عن الواقع!
نعم إنها تحرمهم حتى من رؤية اخوتهم،
يطلبون ما لذواتهم لا ما للغير!
تحبسهم في سجن الأنا! تفقدهم مجد حرية أولاد الله!

✞ هب لي يا مخلصي بساطة عينيك،
وانزع عني محبة الفضة اللامعة!

قصة للفتيان ٤

والدك مريض بالمستشفى، احضر بعد الامتحانات!

في إحدى الأمسيات في بداية الستّينات إذ كنت أفقد إحدى بيوت الطلبة أيام الامتحانات، وجدت الطلبة في حالة ارتباك شديد.

– لماذا أنتم مرتبكون؟

– زميلنا يعاني من فكرٍ قد يحطم مستقبله.

– ما هو هذا الفكر؟

– يتخيل أن والده بالصعيد قد توفي اليوم مع أنه غير مريض، إنه مُصرّ أن يترك امتحاناته ويسافر إلى الصعيد. إنه في إعدادي طب، إذا جاءت بالنتيجة "ضعيف جدًا" نتيجة سفره وغيابه يفقد التحاقه بالكلية.

قال لي الطالب: "أنا متأكد إن والدي توفي اليوم! لا أستطيع أن أكمل الامتحانات؛ لابد أن أسافر اليوم!"

تدخل أحد زملائه: "كلنا عانينا من الـ homesickness في السنة الأولى من تغرّبنا، وتخيّلنا أن لنا أقرباء قد ماتوا أو أصيبوا بمرض أو بحادث الخ.

أجاب الطالب: "أنا متأكد... والدي توفي اليوم!"

إذ حاولت تهدئة نفسيته قلت له: "لترسل تلغرافًا لوالدك تسأل عن صحته، وتنتظر الرد". استصوب الفكرة، وبالفعل كتب التلغراف وجلس يراجع مواد الامتحان. وفي اليوم التالي جاءه الرد: "والدك مريض بالمستشفى، احضر بعد الامتحانات".

أكمل الطالب امتحاناته وسافر ليجد أنه في اللحظات التي فيها صرخ: "والدي توفي" قد رقد بالفعل.

هذا ما يدعوه علماء النفس بالحاسة السادسة، بها يشعر الإنسان بأمور غير

منظورة كأنها منظورة وأكيدة.

✞ ✞ ✞

هذه قصة واقعية لمستها بنفسي... إن كنتَ وأنت بعد في الجسد يمكنك بالحاسة السادسة أن تشارك أحباءك مشاعرهم أينما وُجدوا كم بالأكثر أولئك الذين تركوا الجسد وانطلقت نفوسهم إلى الفردوس يعيشون مع الله، الحب كله، يشعرون بك ويطلبون لأجلك كي تشاركهم مجدهم. قلوبهم اتسعت بالأكثر وامتلأت بالحب نحوك.

ليكن لك أصدقاء من الفردوس يشاركونك مشاعركن ويعملون لحسابك، فلا تعش في عزلة قاتلة!

عاش أبونا بيشوي ببيتنا صديقًا لرئيس الملائكة ميخائيل ولكثير من القديسين والقديسات؛ هذا أعطاه قوة وملأ حياته بالرجاء ووهبه بشاشته المعهودة!

كثيرون ممن عاشوا بيننا حملوا هذا الروح، وعلى رأسهم المتنيح القديس البابا كيرلس السادس... الذي عُرف بصداقته الشديدة مع مارمينا، وقيل إنه كثيرًا ما كان يراه كملازم له... الآن ها هو معه ويسند الكثيرين!

✞ ✞ ✞

أنا لست وحدي!

✞ كثيرًا ما أعاني من العزلة، كأن أبي وأمي قد تركاني،
حتى أصدق الأصدقاء لا يشاركونني مشاعري!

✞ لتسكن أنت يا ربي في قلبي، لتُشبع حياتي، ولتهبني قوة ونصرة!
أناجيك وتناجيني يا شهوة قلبي!

✞ بك أتصدق بملائكتك، وأصادق قديسيك وأهيم حبًا،
ولا أعاني بعد من العزلة!

كلهم دنسون!
كلهم أطهار!

في نهاية اجتماع للشبان بكنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج جاءني شاب حضر الاجتماع لأول مرة، قائلاً في شيء من الجدّية: "هذه هي المرة الأولى في كل حياتي أشتاق فيها أن أعترف!"

إذ رحبت به، قال لي:

– أريد أن أعيش طاهرًا، لكنني لست أظن أنه يمكنني ذلك!

– لماذا؟

– لأنه استحالة أن تجد شابًا بلا علاقة خاطئة مع الجنس الآخر!

– كيف؟ كثيرون أطهار!

– لو أنك لا ترتدي هذه الثياب السوداء، لوجدت كل هؤلاء الشبان في النوادي الليلية يمارسون الشر! كلهم دنسون!

– كلهم!

– أقول كلهم، لأنه لا يمكن لإنسانٍ ما أن يعيش دون العلاقة الجنسية!

بدأت أتحدث معه عن إمكانية الله في حياة الإنسان ليعيش طاهرًا، مقدمًا له أمثلة وآيات من الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة والشباب المعاصر.

– أتظن أنني أستطيع أن أعيش طاهرًا؟

– هذا هو عمل المسيح بروحه القدوس فيك!

– ماذا افعل... إني أحب الخطية!

– مع كل صباح وفي كل مساء قل للسيد المسيح:

"هل الحياة معك أعذب من حياة الخطية؟!

أريد أن أعيش بك طاهرًا!"

بعد أسابيع قليلة جاءني الشاب بنفس الجثة، يقول:

- أتذكرني؟

- نعم أتذكرك!

- أريد أن أقول لك: كل هؤلاء الشبان أطهار! لست أظن بينهم إنسان دنس!

- كيف هذا؟ ألم تقل منذ أسابيع قليلة إنهم جميعًا دنسون!

- حين كان قلبي دنسًا ظننت أنه لا يمكن لشابٍ أن يعيش طاهرًا، والآن إذ اختبرت الطهارة في المسيح يسوع لا أصدق أن إنسانًا يقدر أن يعيش في وحل الدنس! أرى الكل يستعذبون العفة والطهارة ولا يطيقون الفساد!

هذه قصة واقعية أقدمها لكل مؤمنٍ كي يختبر بنفسه غنى نعمة مسيحنا الذي يهبنا بره، فنستعذبه!

✞ ✞ ✞

من ينقذني من جسد هذا الموت؟

✞ أعمالي تشكو لك نفسها!

جسدي يئن وكل حواسي ومشاعري تصرخ!

لقد حلّ بي الفساد، هل من طهارة؟!

✞ الخطية حلوة، تحمل سم الموت خلال عذوبتها القاتلة!

مررها يا رب في فمي!

✞ هوذا جسدي بين يديك، قدسه!

قدّس عينيّ وأذنيّ وكل حواسي ومشاعري!

بك أرى كل ما هو حولي مقدسًا!

فأحيا في عربون السماء

حتى أثناء المعركة مع الخطية!

الرفيق الأبدي[٢]

قيل إن معلمًا عظيمًا نشأ منذ طفولته في حياة التقوى، كرس كل مواهبه وطاقاته ووقته للعبادة ودراسة الكتاب المقدس والتعليم، وقد تتلمذ على يديه ثمانون تلميذًا استنارو بتعاليمه. رفع هذا المعلم عينيه نحو السماء مشتهيًا أن يرى ما أعده الله له، فسمع في حلمٍ صوتًا يناديه: "تهلل يا يشوع، فإنك أنت ونينس Nenes تجلسان معًا في الفردوس وتنالان مكافأة متساوية".

استيقظ يشوع من نومه مذعورًا، وكان يصرخ في داخله، قائلاً: "ويحي! لقد كرّست حياتي للرب منذ طفولتي، وقدمت كل إمكانياتي لخدمته، فاستنار بي ثمانون تلميذًا روحيًا، وأخيرًا صار لي ذات المكافأة التي لهذا الجزار الذي كرّس طاقاته لعمل زمني ولخدمة أسرته! ألعلي لم أبلغ وسط كل هذا الجهاد الشاق إلا ما بلغه هذا "العلماني؟!"

جمع يشوع تلاميذه الثمانين، وقال لهم: "حيّ هو اسم الرب، إنني لن أدخل بعد بيت الدراسة معكم، ولا أناقش معكم أو مع غيركم أمرًا في الدين حتى التقي بالجزار نينس!"

جال يشوع مع تلاميذه في كل البلاد يسألون عن هذا الجزار، وبعد مشقة عرفوا أنه يوجد جزار فقير جدًا بهذا الاسم في قرية بعيدة. أسرع يشوع إلى أقرب مدينة لها، حيث خرج الكثيرون يحيونه، منتظرين أن يسمعوا منه كلمة منفعة... أما هو فطلب أن تقوم إرسالية تستدعي الجزار. قال له الشعب الملتف حوله: "لماذا تطلب هذا الرجل، وهو إنسان جاهل ونكرة؟!"

---

[٢] مقتبسة عن "الشذاة" بتصرف مع عرض قصصي يناسب الفتى المسيحي.

ذهبت الإرسالية إلى الجزار تخبره: "يشوع كوكب إسرائيل الذي أضاء عقولنا بتعاليمه في مدينتنا يطلب أن تلتقي به". في دهشة مع نوع من السخرية قال لهم: "لقد أخطأتم الشخص. من أنا حتى يطلب هذا المعلم العظيم اللقاء بي؟!" ورفض الرجل أن يذهب معهم.

عاد الرسل إلى يشوع يقولون له: "أيها المعلم العظيم أنت هو النور الذي يضيء عقولنا، والتاج الذي يكلل رؤوسنا... ألم نقل لك إنه رجل ساذج؟! لقد رفض أن يأتي معنا".

قال يشوع: "حيّ هو اسم الرب لن أفارق هذه المنطقة حتى التقي به، سأذهب بنفسي إليه"، ثم قام بسرعة يتحرك نحو القرية الفقيرة. وإذ اقترب من بيت الجزار رآه الرجل فخاف جدًا، وأسرع إليه يقول: "لماذا تريد أن تراني يا إكليل إسرائيل".

أخذه يشوع إلى جواره وقال له: "جئت أسألك أمرًا واحدًا اخبرني أي صلاح فعلته في حياتك؟" أجابه الرجل: "أنا إنسان فقير لا أفعل شيئًا غير عادي". وإذ أصر يشوع أن يعرف بعض التفاصيل عن حياته، قال له :"إني أمارس حياتي اليومية ككل البشر، والدي ووالدتي عجوزان ومريضان، أقوم بغسل أرجلهما وأيديهما، وألبسهما ثيابهما، وأجد لذتي في خدمتهما وتقديم كل ما يحتاجان إليهما". إذ سمع يشوع ذلك انحنى أمامه وقبّل جبهته، وهو يقول له: "مبارك أنت يا ابني، ومباركة هي أعمالك وحياتك. كم أنا سعيد أن أكون في رفقتك في الفردوس!"

✞ ✞ ✞

قصة بسيطة تصور لنا موازين السماء التي تختلف تمامًا عن الحسابات البشرية... فالله يريد فينا الحب العملي الذي نقتنيه باتحادنا معه "الحب الحقيقي" الذي بذل كلمته المتجسد عن البشرية. ليس رتبة الإنسان أو مركزه الديني وراء إكليله الأبدي وإنما أمانته وحبه!

رصيدنا في السماء حبنا العملي وطاعتنا خاصة للوالدين والمرشدين في ربنا يسوع، واتساع قلبنا لكل إنسان بروح التمييز!

بقي وحده معي!

جلس الرجل بجوار أبينا بيشوي كامل الذي فرح به، قائلاً له:

– لعل كل المشاكل قد انتهت، فإني أراك متهللاً!

– لا يا أبي، كل الأمور كما هي؟

– فلماذا إذن أنت متهلل؟

– لقد أدركت أن مسيحي وحده يبقى معي في مشاكلي حتى النهاية. سأروي لك حلمًا بل رؤيا سحبت كل قلبي، وملأتني فرحًا.

نمت وأنا منكسر النفس جدًا، يحيط بي اليأس من كل جانب، حتى فكرت جديًا في الانتحار. رأيت نفسي في الحلم حزينًا للغاية، وقد وضعت في قلبي أن أتخلص من هذه الحياة المرة.

كنت أجري نحو قمة جبلٍ مصممًا أن ألقي بنفسي إلى سفحه فأموت! التقى بي أصدقائي، واحد وراء آخر، كل منهم يقدم لي كلمة تعزية، لكنني شعرت مع محبتهم لي أنهم لا يستطيعون مشاركتي آلامي. إنها مجرد كلمات أو حتى مشاعر! لكن أين هو الحل؟ صممت أن أكمل الطريق، فالتقى بي كاهن صار يتحدث معي، وكانت كلماته عذبة، ولكن إذ كنت محصورًا في آلامي لم استجب لنداته بالرجوع عن طريق الانتحار! كان يؤكد لي مواعيد الله الصادقة التي تسندنا في وادي الدموع، لكنني في مرارة لم استجب لكلمة الله.

في الطريق جاء ملاك يرافقني، وصار يتحدث معي عن الحياة السماوية وعذوبتها، وكيف ينتظر السمائيون المؤمنين المجاهدين بفرحٍ لينعموا بالشركة معهم في حياة التسبيح الأبدية. تحدث معي عن الحياة الزمنية بكل آلامها بكونها لحظات عابرة، ولكن لغباوتي لم أنصت إليه كثيرًا. بذل الملاك كل الجهد ليمنعني من السير،

لكنني أصررت على الانتحار!

سرت حتى بلغت قمة الجبل لألقي بنفسي إلى السفح. كان الكل يصرخ: أصدقائي والكاهن والملاك، وأنا لا أبالي، وكلما اقتربت إلى نقطة الخطر كان الصراخ يدوي بقوة. أدركت أنهم بالحق يحبونني، لكنهم عاجزون عن حل مشاكلي! أخيرا ألقيت بنفسي من القمة، وارتطم جسدي على صخرة أسفل الجبل وتدفقت الدماء من جراحاتي، وقبلما أفكر في شيء سمعت صوت ارتطام شديد! تطلعت حولي فرأيت مسيحي قد ألقي بنفسه وراءي ليخلصني من الموت المحقق!

لقد فعل الأصدقاء والكهنة والملائكة كل ما في طاقاتهم؛ لكنهم في لحظات وقفوا مكتوفي الأيدي؛ أما يسوع فهو وحده نزل معي إلى الموت ليهبني حياته!

بقي وحده معي! يشفي جراحاتي التي لا تبرأ إلا بجراحاته الفائقة!

وحده يقدر أن يدخل معي كما إلى القبر ليهبني القيامة من الأموات! وحده يحول ظلمتي إلى نوره، ومرارتي إلى عذوبته!

لا أعود أخاف! لا أعود أيأس! إنه معي!

هب لي يا سيدي أن تختفي كل الأيدي البشرية لأرى يديك مبسوطتين لتحتضناني... نعم أراك في أعماقي عندما أجلس مع نفسي ويرفع روحك القدوس قلبي إليك، أسمع صوتك خلال الأحداث المحيطة بي، كما خلال أسرتي وأب اعترافي وأحبائي في الرب. أراك تتجلى أمامي، وتتدخل معي في حوار حب خلال إنجيلك المفرح وفي كنيستك المقدسة!

حملت معه صليبه!

اعتاد أحد الشبان أن يأتي إلى أبينا القمص بيشوي كامل يشكي له همومه؛ فقد عانى كثيرًا من البطالة، وأخيرًا استأجره صاحب مصنع كان يستغله بمرارة، إذ كان يعطيه كميات ضخمة من الورق يقوم بتوصيلها على دراجة.

في أحد الأيام جاءه الشاب فرحًا، يقول له: "يا أبي لقد حملت معه صليبه!"

سأله أبونا: كيف؟

لقد حملت الورق الثقيل على الدراجة؛ وفي نهاية شارع بورسعيد؛ إذ كان الطريق مرتفعًا (عند منطقة كليوباترة الحمامات) شعرت بثقل الحمل وعجزي عن السير بالدراجة. حاولت بكل الطرق، لكن بدون جدوى. فجأة وجدت نفسي ساقطًا تحت الدراجة والأوراق بثقلها تنهار عليّ!

لم يتحرك أحد في الطريق لمساندتي، فصرخت في مرارة طالبًا العون الإلهي!

تلفتُ عن اليمين وأنا ملقى تحت أكوام الورق؛ وإذا بي أجد سيدي المسيح ساقطًا تحت صليبه، والعرق يتصبب منه. أدركت أنني أشاركه آلامه؛ ففرحت جدًا، وحسبت ذلك كرامة لا أستحقها!

في فرح ناجيت سيدي شاكرًا إياه: "آه يا سيدي! هل لي أن أحمل معك صليبك؟! إنني سعيد بآلام المسيح فيّ! لقد حملت معه صليبه! لا بل حملني صليبه!

✠ إلهي حينما تقسو كل الأذرع البشرية،
أجد يديك مبسوطتين بالحب لي!
حينما يضيق الطريق بي،
أجدك رفيقي في الطريق الضيق،
بل أصير رفيقك في طريق صليبك،

✠ تتحول مرارة الضيق إلى عذوبة الراحة فيك!
نعم! إنه مجد وشرف لي لا استحقه أن أرافقك!
لأصلب معك فأشاركك واختبر قوة قيامتك!

✠ نعم! من يقدر أن يحمل الصليب؟
لكنني إذ انحني لأحمله أجده يحملني،
في عذوبة فائقة أدرك كلمات مخلصي:
"نيري هين (عذب) وحملي خفيف!"
لأحمل صليبك، فيحملني إلى أحضان أبيك!

✠ انحني أمام الصليب، فتلتصق نفسي بالتراب إلى حين،
تتحول حياتي الترابية إلى حياة سماوية!
صليبك عجيب، يرفعني إليك،
يدخل بي إلى حضرة أبيك القدوس،
يحولني كما إلى كائن سماوي!

أنا (زعلان) من ربنا!

زار أبونا بيشوي كامل مريضًا يعاني من آلام شديدة في ظهره؛ وإذ كان أبونا يعزيه بكلمة الرب، في مرارة قال الرجل:

- أنا لا أطلب الشفاء التام! كل ما أطلبه أن يعطيني قوة لكي أقف للصلاة، ولأن ينزع عني الصداع الشديد لكي أركز في الصلاة' وسط آلامي لا أقدر أن أركز حتى لأتلو الصلاة الربانية.
- لا تخف فإن كنت عاجزًا عن الحضور إلى الكنيسة، أو الوقوف للصلاة، أو التركيز حتى لتلاوة الصلاة الربية، لكنك تشارك السيد المسيح الساقط تحت الصليب. أشكره لأنك تشاركه آلامه؛ فقد كان السيد يئن من آلام ظهره بسبب ثقل الصليب لأجلك.

بعد أيام جاءه الرجل في الكنيسة، وقد استقبله أبونا بابتسامته المعهودة وبشاشته المعروفة .

قال الرجل: "أنا (زعلان) من ربنا. حينما استعذبت الألم؛ وحسبت نفسي غير أهل لمشاركة مسيحي آلام ظهره رفع الألم عن ظهري وشفاني!"

لقد حسب أبونا بيشوي مشاركة السيد آلامه عبادة فائقة، حتى إن حرم الألم الإنسان من الدخول إلى بيت الرب والوقوف للصلاة، إذ يتحول المؤمن المتألم إلى هيكل للمصلوب، وتصير حياته نفسها صلاة دائمة!

أنكر أنه كان لي زميل في خدمة التربية الكنسية، وكان يشتهي الحياة الرهبانية وكان أب اعترافه راهبًا يطلب إليه ألا يتعجل الذهاب إلى الدير.

جاءه يومًا في مرارة يشتكي:

أشعر أن وقتي ضائع! أريد أن أتفرغ للعبادة. هذا مع متاعب كثيرة وضيقات في العمل!"

أجابه الأب في حكمة:

"سيأتي اليوم الذي فيه تتفرغ للعبادة، لكن انتظر واصبر، فإنك تتعلم الآن حياة الصبر وطول الأناة. الضيق الذي أنت فيه هو فرصة ثمينة لمشاركة السيد المسيح آلامه وصلبه بفرح!

لا تحرم نفسك من التمتع بإكليل الشركة مع صليب مسيحك!

من السهل جدًا أن تُسبح الرب وتصلي بالمزامير وتدخل في تأملات وهي أمور ضرورية... لكن بدون الألم كيف تشارك المصلوب حبه الباذل؟!

✞ ✞ ✞

أيها الطويل الأناة هب لي طول أناتك!

هب لي أن أتهلل في طريق صليبك!

لتمتزج عبادتي بشركة آلامك،

فتتهلل أعماقي بك على الدوام!

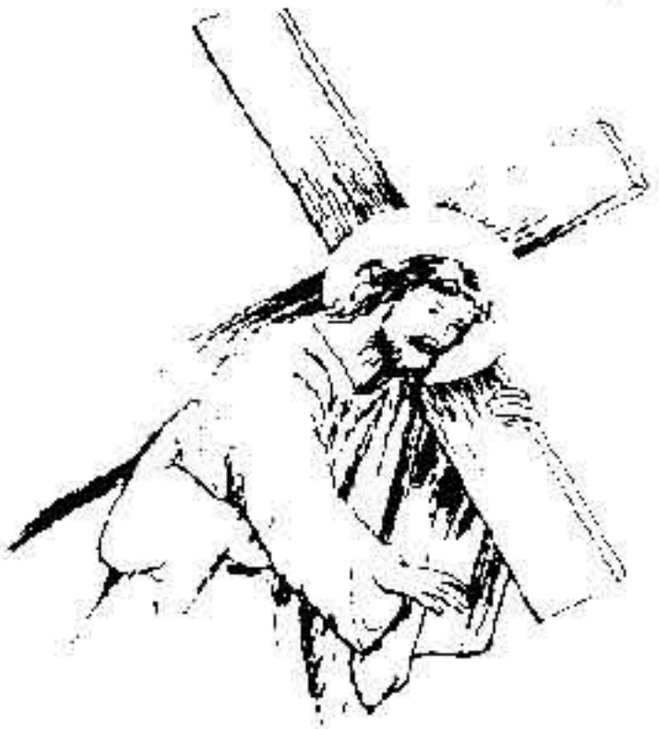

قنبلة ذرية!

بعد أن هدأت الحرب الأهلية في لبنان قيل[٣] إن مدرسة في مدرسة ابتدائية سألت الأطفال أن يرسموا ما يخطر ببالهم...

مرت المدرسة على الأطفال فوجدت طفلاً يرسم دبّابة، وآخر يرسم مدفعًا، وثالث طفلاً قتيلاً، ورابع طفلاً يبكي على فقد والده، وآخر منازل مهدمة...

بدأت المدرسة تتألم جدًا في داخلها إذ عبَّر الأطفال عمَّا تحمله نفوسهم من تكريات مُرة عن الحرب... وكأن المجتمع قد حطَّم هذه البراعم، وأفسد رجاءها وفرحها ونظرتها المتهللة، فجاء رسمهم يعبر عمَّا في قلوبهم من بؤس...

أخيرًا وجدت المدرسة طفلة صغيرة ترسم تفاحة! فرحت المدرسة، وإذ كانت مملوءة دهشة وتساؤلاً في داخلها: لماذا اختلفت هذه الطفلة في اتجاهها عن زملائها، سألت الطفلة: لماذا ترسمين تفاحة؟

بكت الطفلة وهي تتطلع إلى وجه مدرستها، قائلة: "إنها ليست تفاحة بل قنبلة ذرية!"

يصعب عليَّ أن أعبِّر عن مشاعر المدرسة التي أدركت خطورة تأثير البيئة على حياة الطفل.

عزيزي الفتى المحبوب... لا تندهش أن هذه الطفلة قد أرادت أن ترسم قنبلة

---

[٣] رواها جناب المطران جورج خضر أثناء مؤتمر الإيمان والوحدة بقبرص (يونيو ١٩٩٥)، وقمت بصياغتها بأسلوب قصصي وبلسان الفتيان.

ذرية لا تفاحة! لقد حطمت الحرب الأهلية نفسية الأطفال كما الفتيان والكثير من الشعب!

إنني أخشى أن يكون العالم بكل قيمه وإغراءاته، كما بكل مخاوفه تسلل إلى قلبك فترتسم في أعماقك قنبلة ذرية تحطم طاقاتك ومواهبك وأحاسيسك ومشاعرك عوض تقديم تفاحة داخلية تستطعمها وتغذيك!

تسألني: ماذا أفعل؟ هل أهرب من الجو المحيط بي؟ ألا أعيش في هذا العالم الذي وُجدت فيه وليس لي يد فيه؟

نعم لقد خلق الله هذا العالم لتعيش فيه وتتمتع به كعطية إلهية مفرحة... لكن احذر لئلا تسيء استخدامه، فتحوله إلى وادي فساد وساحة قتال خفية!

لتستخدم العالم، ولتشكر خالقه!
لتفتح قلبك بالحب للجميع، وليكن السيد المسيح رفيقًا لك، فتتحول حياتك إلى عرس لا ينقطع!

بك تتهلل أعماقي يا واهب الغلبة!

- إليك أصرخ أيها المجيب في حبك!
  العالم حولي تحول إلى بؤرة فساد!
  جسدي بشهواته يقاتل فكري وروحي!
  أصدقائي من حولي يدفعوني إلى الخطية!
  من ينقذني من الجو المحيط بي؟
- نعم أنت وحدك القدوس المملوء حبًا!
  اربطني بك فأتخلص من كل خطية!

يتحول العالم الفاسد إلى جسرٍ مفرح يعبر بي إليك!
وعوض شهوات الجسد، ينحني جسدي بكل طاقاته ليسند روحي!
لا أعود أدين اخوتي وأصدقائي بل التزم باصطيادهم لحساب ملكوتك!

- بك لا أحمل روح الفشل،
بل روح القوة والنصح والمحبة!
بك تتهلل أعماقي يا واهب الغلبة!

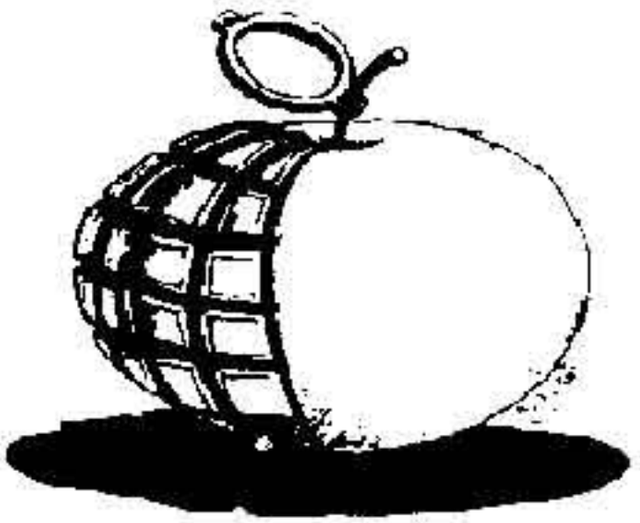

صديقٌ من السماء!

قرع الراهب الشاب باب قلاية الراهب الشيخ المفتوح في هدوء، قائلاً: "أغابي (محبة)"، فلم يجب الشيخ. كرر مرة ثانية فثالثة، دون إجابة. اضطر الراهب أن يدخل إذ يعلم أن الشيخ مريضٌ جدًا. دُهش الراهب إذ رأى الشيخ جالسًا وبجواره رجل وقور جدًا.

قال الراهب الشيخ للشاب: "كيف دخلت دون أن يُسمح لك بذلك؟" فتدخل الضيف قائلاً: "دعه، فإن الله يريده أن ينال بركة!"

استأذن الضيف وسلَّم على الراهبين، عندئذ سأل الشاب الشيخ: "من هو هذا الضيف الغريب؟" أجابه الشيخ: "إن آداب الرهبنة تقتضي ألاَ تسأل في أمرٍ لا يخصك!" أصرَّ الشاب على التعرف على الضيف الفريد الذي عندما سلَّم عليه شعر بقوة تملأه، وأخيرًا قال له الشيخ:

إسأخبرك بشرط ألاَ تخبر أحدًا عنه حتى يوم رحيلي...

لقد عانيت من الآم شديدة وأحسست أني غير قادر على القيام لفتح باب القلاية، لذلك تركت الباب مفتوحًا حتى تستطيع الدخول.

إذ اشتدت بي الآلام جدًا أمسكت بالكتاب المقدس مصدر تعزيتي، وقد عرفته ليس كتابًا للقراءة بل للقاء مع الله الكلمة وملائكته وقديسيه من العهدين القديم والجديد. تعودت أن أمزج القراءة بالصلاة، وأدخل مع إلهي في حوارٍ ممتعٍ... فهو مصدر فرحي وسلامي وتعزيتي.

أمسكت بالكتاب المقدس، وإذ اشتدت بي الآلام جدًا أحسست بالحاجة إلى صديق يعزيني. إني محتاج أن أتحدث مع إرميا النبي الباكي. فتحت مراثي إرميا، ثم

رفعت عيني إلى الله صارخًا: "أرسل لي إرميا النبي يعزيني!" وإذ بدأت أقرأ في سفر مراثي إرميا ظهر لي إرميا النبي، ودخلنا معًا في حوارٍ معزٍ. وها أنت قد دخلت القلاية لتجده يتحدث معي، وكان لك نصيب اللقاء معه!]

عزيزي المحبوب... بلا شك أنك محتاج مثلي إلى أصدقاء يلازمونك ويسندوك. ليس صديق أعظم من الله الكلمة، تلتقي معه حين تقرأ الكتاب المقدس، أو الإعلان الإلهي المكتوب. خلاله تدخل في حوارٍ مع صديقك الإلهي بكونه الكلمة واهب الحياة، معطي اللذة، ومشبع النفس، فتقول مع المرتل:

"بكلامك أتلذذ"

"بكلامك أحيا"

"وجدت كلامك حلو فأكلته" مز ١١٩.

خلال الإعلان السماوي المكتوب يرفع الروح القدس قلبك وفكرك وكل أعماقك إلى السماء، فتسمع الصوت السماوي: "أنت سماء وإلى سماءٍ تعود!" لا تعود تسمع الصوت: "أنت تراب(أرض) وإلى ترابٍ تعود!".

لا تجعل قراءة الكتاب المقدس لك روتينًا تلتزم بتنفيذه ولا تهدئة لضميرك، وإنما خلاله تلتقي بالسمائيين مع القديسين تجد الكل معك يحبونك ويسندونك!

غني في الفردوس

رفع أحد المعلمين الأتقياء عينيه نحو السماء يسأل الله أن يكشف له عن مكانته في الحياة الأخرى، وكانت المفاجأة أنه سمع صوتًا يقول له إنه سيكون في الفردوس مع أحد الأغنياء.

تعجب ذلك المعلم التقي كيف بعد جهادٍ روحي منذ طفولته وتكريس كل طاقاته للدراسة والتعليم مع حبه واهتمامه برعاية الشعب يبلغ ما يناله رجل غني يعيش في حياة مترفة.

التقى المعلم بالغني وبدأ يسأله عن حياته الروحية وسلوكه، فأجابه الغني أنه يمارس حياته اليومية العادية مثله مثل بقية أصدقائه الأغنياء... وإذ حاول المعلم أن يعرف عنه أكثر أجابه أنه يعطي من ماله نصيبًا للفقراء باستمرار.

قال المعلم في نفسه إنه لا يمكن مجرد العطاء للفقراء يهبه نصيبًا في الفردوس مثله تمامًا، فسأله أن يروى له عن بعض أعمال محبته.

روى الغني أنه اعتاد أن يلتقي بأحد القباطنة الذي يقدم له من حين إلى آخر بعض المجوهرات أو الأشياء الثمينة التي يحضرها إليه من عبر البحار ليشتريها. في إحدى المرات التقى به فسأل القبطان إن كان قد أحضر معه شيئًا ثمينًا، فقال له القبطان إنه لم يحضر شيئًا سوى ٢٠٠ عبدًا يريد أن يبيعهم بعشرة آلاف قطعة ذهبية. شعر الغني أن المبلغ ليس بقليلٍ، لكن تحرير مائتي عبدًا من بني جنسه أثمن بكثير من الذهب، وبدون تردد قدم الذهب واستلم العبيد. قدم لهم كل احتياجاتهم من مسكنٍ ومأكلٍ ومشربٍ، بل وقام بتزويج بعض الشبان منهم بالشابات... وتحولت المدينة كما إلى عيدٍ عظيمٍ.

لاحظ الغني بين الذين حررهم فتاة تتسم بالرقة واللطف مع جمالٍ فائقٍ،

فسأل ابنه إن كان يتزوجها، فوافق الابن، كما سأل الفتاة فقبلت الزواج منه.

أقيم حفل عظيم لخطبة ابن الغني وكانت المدينة كلها متهللة، خاصة العبيد الذين تحرروا.

في اليوم التالي لاحظ الغني أحد الشبان المتحررين في حزن. لاطفه الغني وبدأ يسأله عن السبب فلم يجب، وإذ ألح عليه قال له إنه يشكره لأنه حرره مع كل إخوته وزملائه، وأنه قدم له كل احتياجاتهم لكن أمرًا واحدًا قد ضايقه قليلاً، وهو زواج ابنه بالفتاة الجميلة، فقد سبق أن اتفقا على الزواج قبل تحريرهما. صمت الرجل قليلاً، وبمحبة سأل الشاب: لماذا لم تخبرني بذلك قبل زواج ابني؟ أجابه الشاب: لقد خجلت فإن أفضالك عليّ وعلى زملائي لا تقدر!

عندئذ سأله الرجل: "الآن ماذا أقدم لك عوض ما أسلبك من ضرر؟

• أجابه الشاب: "لست أظن أن ذهبًا أو فضة يمكن أن يعوضني عن الفتاة".

صمت الرجل قليلاً ثم ذهب إلى ابنه يروى له ما حدث، فأعلن الشاب رغبته في ترك الفتاة، فإنه لن يسعد على حساب سعادة غيره.

أقيمت حفل خطبة الشاب وتهلل الغني وابنه وكل من حولهما من أجل فرح الشابين اللذين كانا عبدين وتحررا وتزوجا.

إذ سمع المعلم القصة قبل الغني وأدرك أنه باتساع قلبه بالحب صار له هذا المركز العظيم في عيني الله.

طفل صاحب شخصية قوية

جاءتني سيدة تشتكي لي طفلها الذي ألحقته بالحضانة، قالت لي:

[منذ أيام قليلة ارتكب طفلي الصغير خطأ، وإذ انتهرته بهدوء، قائلة له: "لا تفعل كذا!" أجابني الطفل: "لا... سأفعل!".

قلت له بشيء من اللطف: "هذا خطأ يا حبيبي!"

أجاب بإصرار: "أنا سأفعل كذا... وسأفعله."

دهشت جدًا، فإنني أعرفه طفلاً رقيقًا للغاية، ويحبني... وأنا لطيفة جدًا معه. فلكي لا يعتاد أن يكون عنيفًا معي أو مع غيري تجاهلت الموقف، وتركت المكان وأنا أتصنع الابتسامة.

في اليوم التالي إذ كنت ألاطفه سألته: "ما رأيك فيما فعلت بالأمس؟"

أجابني الصغير: "ماما... أنا أعلم أن ما فعلته خطأ..."

قلت له: "إذن لماذا صممت أن تفعله، وأنت تعرف أنه خطأ؟"

أجاب للفور: "كان لابد أن أفعل ذلك، وإلا أصبحت شخصيتي ضعيفة! ما أريد أن أفعله سأفعله حتى إن كان خطأ!"

دهشت جدًا لإجابته، فهو طفل لم يبلغ بعد السادسة من عمره، كيف يحسب أن الاستماع لنصيحتي وأنا أمه المحبوبة لديه أنه ضعف شخصية. ماذا أفعل لكي أصحح مفاهيمه دون أن أخسره؟]

إذ وجدت السيدة في حيرة قلت لها:

"أنصحك أن تتعمدي أن تصنعي شيئًا خاطئًا قدامه، فإذا ما قال لك: هذا خطأ؟، قولي له: "إنك على حق"، وصححي الخطأ... وبعد يوم أو يومين اسأليه: ما هو رأيك في سماعي لكلامك؟ هل تظن إنني بهذا ضعيفة الشخصية؟!

✞ ✞ ✞

عزيزي الفتى أو الفتاة

كثيرًا ما تحمل ذات سلوك هذا الطفل الصغير فتظن أن قوة الشخصية هو في الإصرار على الرأي دون الإنصات إلى مشورة الغير، خاصة المحبوبين لنا مثل الوالدين الخ.

الشخصية القوية هي التي لا تحمل تشبث الأطفال المغلق دون انتفاع بخبرة الناضجين! قيل عن السيد المسيح إنه كان "خاضعًا لهما"، أي للقديسة مريم والقديس يوسف، وهو خالقهما، بل هو حكمة الله نفسه!

لتلتصق بالرب فتحمل روح التواضع الذي يعزز قوة إرادتك فيه ويهبك شخصية سوية، تعرف كيف تتعامل مع الجميع، وتنتفع بخبرة الكثيرين!

✞ ✞ ✞

✞ ما أصعب على نفسي أن أخضع؛
أريد أن أحمل سلطانًا ولا أكون مأمورًا!
أظن بهذا إني أحمل شخصية سوية وقوية.

✞ أتوبَ إلى عالمنا،
صرت فتى مثلي،
خضعت لأمك كما للقديس يوسف،
أنت هو الخالق تخضع للمخلوق بالطاعة الممتزجة بالحب!
يا من تخضع لك السماء والأرض!

✞ خضوعك لم يُفقدك سلطانك،
بل قدّس الطاعة فيّ!
نعم، أربطني بك فلا أخجل من الطاعة!
أطيع، فأشعر إني شريك معك في طاعتك!
ما أمر الطاعة فإنها في نظري انهيارًا،
لكن بك أجدها عذبة للغاية!

✞ علمني، دربني، هب لي خبرة طاعتك،
فأراك عاملاً فيّ أيها المطيع الحق!
بل أتوبَ طائعًا تائبًا عنا تمارس الفضيلة.

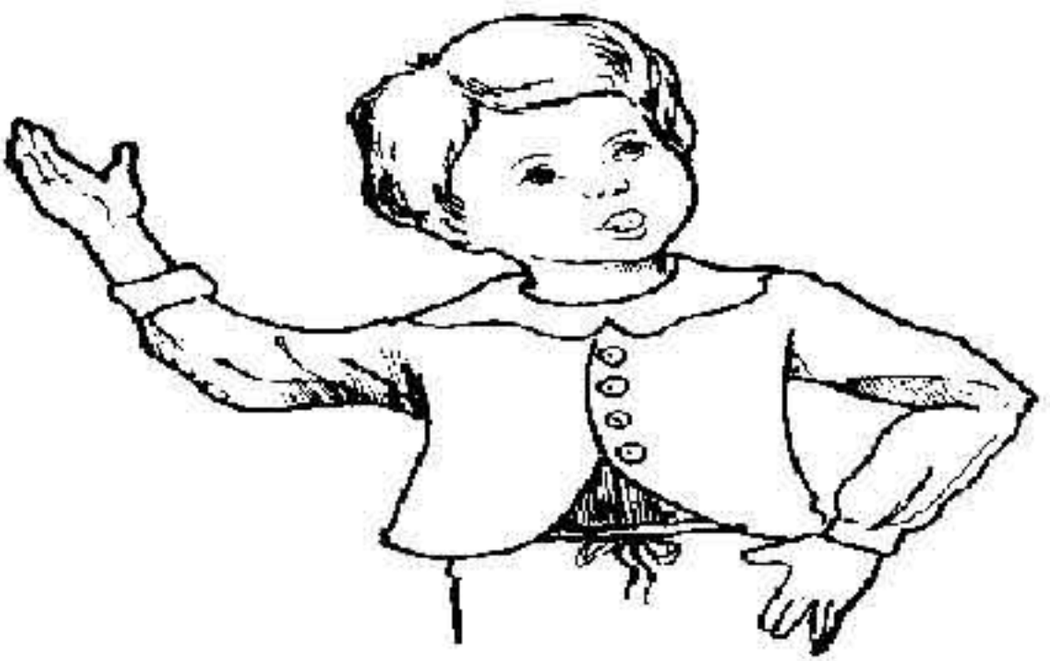

على كتفي مطران

في إحدى جلسات مجلس كنائس الشرق الأوسط سمعت قصة رواها أحد المطارنة عن الأدب القبطي النسكي هزت أعماقي، ولا تزال تشغل كل كياني.

التحق شاب بدير فسلمه رئيس الدير إلى شيخ تقي وقور ليتلمذه. بدأ الشيخ يهتم بالشاب من جهة حياته الروحية موجهًا نظره إلى الالتصاق بالله كمخلص وصديق يلهب القلب بالحب.

يبدو أن الشاب كان متراخيًا إلى حد كبير، وكان الشيخ يحثه على الجهاد، ويدفعه نحو طريق الحب العميق لا الاتكال على شكليات وتداريب بدون روح.

فجأة مات الشاب، فحزن عليه الشيخ جدًا، إذ يعرف ما له من رخاوة في جهاده، وإذ كان يبكيه وتئن نفسه من جهته رآه يومًا ما في حلم. كان واقفًا ونيران الجحيم قد بلغت قدميه.

إذ رأى الشيخ المنظر بكى بمرارة على هذا الابن، أما الابن فتطلع إلى الشيخ وهو يقول: "لا تبكي يا أبي عليّ، فإني واقف على كتفي مطران!"

قام الشيخ من نومه منهارًا... وجلس مع نفسه أيامًا يتأمل أعماقه، متسائلاً: إن كان هذا هو حال مطرانٍ متهاونٍ، فماذا يكون حالي؟ إن ثوب الرهبنة لا يشفع في المتراخين!

ربما كانت هذه القصة رمزية يرويها الأدب القبطي النسكي لحث المؤمنين على التركيز على أعماق النفس الداخلية لا التوقف عند ممارسة التداريب الروحية بدون روح!

- لك اشتكي نفسي يا مخلصي!
أقرأ الكتاب المقدس بانتظام،
لكنني في غباوة لا أراك خلف الحروف!
أصلي كل صباح ومساء،
لكنني لا أعرف كيف أتحدث معك في علاقة شخصية!
أمارس الكثير من العبادة، لكن أعماقي متحجرة!

- علمني كيف أدخل إلى العمق،
التقي بك خلال كلمتك المكتوبة،
وأتحاجج معك في صلواتي،
وأري صليبك مشرقًا عليّ في توبتي،
وأتمتع بالثبوت فيك عند تناولي من أسرارك،
أدخل كما إلى السماء وأنا في كنيستك!

- لتمسك يمينك نفسي،
ولتدخل بها إلى حجالك المفرح،
فأتهلل بك يا شهوة قلبي!
أمتلئ رجاءً لا يقدر أن يحطمه الموت!
وأنعم بملكوتك الذي لا تقوى عليه أبواب الجحيم!
نعم لست أتكل على برِ ذاتي، ولا على مركزِ كنسي،
وإنما على فيض غنى نعمتك!

خائفٌ على نفسي!

بعد حوالي عشرين عامًا التقيت مع أحد الأحباء في كاليفورنيا، طلب مني أن أزوره في بيته الفخم جدًا. وإذ جلسنا معًا قال لي: "لعلك تتذكر منذ حوالي عشرين سنة حين بدأت حياتي هنا في كاليفورنيا كنت أكافح بكل طاقتي، والآن أعطاني الله أكثر مما أسأل وفوق ما أطلب."

قلت له: "إنها عطية الله نشكره عليها، هو يهتم بنا!"

قال: "أتعرف كيف قاض عليَّ بهذا الغنى الشديد! منذ عدة سنوات قلت في نفسي ، ماذا أنتفع إن نجحت هنا ولا أتمتع بميراث السماء. ركعت أمام إلهي ووضعت عهدًا ألا أمد يدي إلى العشور مهما كانت ظروفي، فإنها أموال الخزانة الرب! قلت له: سأقدم أيضًا للمحتاجين سواء في مصر أو في أمريكا من التسعة أعشار، فإنني لا أملك شيئًا! إنها عطيتك لي يا إلهي!

بدأت أعطي بسخاء وإذا أبواب السماء تنفتح أمامي. أعطاني فوق احتياجاتي. كنت أركع وأصرخ: كفى! كفى! إني خائف على نفسي لئلا تأسر كثرة الخيرات نفسي وتحطمها. وكلما كنت أصرخ هكذا كان يفتح بالأكثر أبوابه ويعطيني..."

هكذا عبر هذا الأخ عن معاملات الله معنا حينما نفتح لا مخازننا بل قلوبنا أولاً ونفوسنا لاخوتنا الأصاغر فإنه يفتح أبواب سماواته أمامنا، ويعطينا بفيض فوق ما نتصور .

حينما تحدث السيد المسيح عن قطيعه الصغير موضع سرور الآب قال: "لا تخف أيها القطيع الصغير، فإن أباكم قد سُر أن يعطيكم ملكوت السماوات. بيعوا أمتعتكم وأعطوا صدقة" لو١٢:٣٢،٣٣. يتلوه المؤمن في الخدمة الثالثة من تسبحة نصف الليل... وكأنه في اللحظات الأخيرة من منتصف الليل حيث نترقب مجيء السيد

المسيح نشتهي أن نكون من القطيع الصغير الذي يفرح به الآب، يفتح له أحضانه الإلهية الأبوية ليستقر فيها. أما طريق للعضوية المجانية في هذا القطيع فهو أن نفتح أبواب قلوبنا للصغار فنبيع أمتعتنا ونعطي صدقة. حينما ينفتح القلب بالحب ويفرح للصغار الجائعين والعطشى والعرايا والمطرودين والمسجونين وكل المحتاجين نجد قلب الله مفتوح لنا للمصير قطيعًا مقدسًا للرب.

إني أهمس في أذنك: أتريد أن تكون عضوًا في هذا القطيع الصغير المقدس، غالبًا شهوات الجسد والأفكار الدنسة؟! أعطِ حبًا للصغار، افتح قلبك للجميع أيضًا خاصة والديك... سترى كيف تهبك نعمة الله روح القداسة كسمة لك بانضمامك العملي لقطيع المسيح المحبوب لدى الآب.

✞ ✞ ✞

احسبني من قطيعك الصغير

إني أئن من خطاياي وشهوات جسدي،
لماذا لا أعيش في قداسة قطيعك الصغير؟!
هب لي بروحك القدوس أن ينفتح قلبي بالحب للصغار،
للفقراء والمحتاجين، والعاجزين، والمتضايقين.
لينفتح قلبي أيضًا لوالديّ بالطاعة المملوءة فرحًا.
فتنفتح أبواب سمواتك أمامي.
تضمني إلى قطيعك الصغير،
فأتقدس لك وأحيا في أحضان أبيك السماوي.

فتى تائب

متى تنطلق حياتي لأسابيح بالصلاة الربانية؟!

اعترف لك إنني كثيرًا ما أكتب حين أتلو الصلاة الربانية بفمي لا بحياتي:

- هب لي ألا أحيا لأجل نفسي وحدها، فتصرخ أعماقي بروح الجماعة: "أبانا..."
- لست أحمل أيقونة ابنك بعد، فكيف أدعوك كابنٍ قائلاً "أبانا؟"
- لم أنقل بعد كنوزي إلى السماء، فلماذا أقول: "الذي في السموات؟"
- لتصرخ أعماقي في داخلي: "نعم تعال أيها الرب يسوع..." "ليأت ملكوتك".
- هب لي أن أنصت إلى الكلمة الإلهية، متممًا إرادتك بالحق: "لتكن إرادتك".
- مرّر كل ترف في أعماقي، فأطلبك أيها الخبز السماوي... "خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم".
- ويحي فإني أحمل فكر بغضه، فلماذا أكتب قائلاً: "كما نغفر نحن للمذنبين إلينا؟"
- كثيرًا ما لا أبالي بخلاصي، فكيف أصرخ: "لا تدخلنا في تجربة؟"
- لأقتني سلاح الله الكامل، فأقول بحق: "نجنا من الشرير".
- لتملك على نفسي، فتشتهل بك مشرعة.
- فنزع عني كل مجدٍ بشري، فأتغنى: "لك المجد".
- خلصني من تراب الزمنيات، فأسبحك: "إلى الأبد. آمين".

مكتبة للفتيان

قصص قصيرة

١٦ — ٢٨

غباوة سجين

سمع أخنوخ عن الإمبراطور وعظمته وجبروته وأيضًا عن غناه وجماله فأحبه جدًا، وكثيرًا ما كان يقتني صورته ليضعها أمامه ويخاطب صاحبها في إجلال وإكبار.

ارتكب أخنوخ جريمة ما دفعت به إلى السجن، ليعيش في زنزانته يعاني من العزلة والضيق في مرارة. لكنه بقي موالِيًا للإمبراطور لا حديث له مع السجّان أو المسجونين أو الزائرين إلاّ عنه!

إذ كان الإمبراطور يحب السجين جدًا، اشتاق أن يُسجن عوضًا عنه. فتخفي الإمبراطور مرتديًا زي سجين عِوض الثوب الملوكي والتاج، طالبًا تنفيذ الحكم الصادر ضد أخنوخ فيه.

دخل الإمبراطور الزنزانة بثياب رثة، ليأكل خبز الضيق ويشرب ماء المرارة، يعيش بين جدران السجن وسط المساجين الأشقياء، بينما انطلق أخنوخ في حرية يخلع الثياب الرخيصة المهينة، ويرتدي ثيابًا فاخرة، يشارك أسرته وأصدقاءه الحرية والحياة.

كم كانت دهشة الكثيرين حين شاهدوا هذا السجين – الذي أحبه الإمبراطور، وسُجن عِوضًا عنه – يخجل من الإمبراطور ويستهين به، محتقرًا إياه لأنه ارتدى ثياب السجن، ودخل إلى زنزانته نيابة عنه. لقد كرّمه جدًا في غيابه وبُعده عنه كجبّارٍ عظيمٍ حيث كان محاطًا بالعظمة الملوكية، والآن يستخف بحبه!

هذا ما حيّر القديس يوحنا الذهبي الفم الذي روى لنا قصة الجحود هذه إذ رأى اليهود واليونانيين يحتقرون المصلوب من أجلهم، متنكرًا كلمات الرسول بولس: "ونحن نكرز بالمسيح مصلوبًا لليهود عثرة ولليونانيين جهالة" (١كو ١: ٢٣).

لم يكونوا قادرين على قبول حب الله الكلمة وتنازله ليدخل إلى زنزانة حياتهم، رافعًا إياهم إلى حرية مجد أولاد الله.

يبقى الصليب سرّ العشق الإلهي، يختبره من عرف الحب الإلهي العملي الباذل، فيرى الله ليس في معزلٍ عنه وإنما يبادره بالحب.

ليصمت فم ذلك الفيلسوف الفرنسي، سجين القرن العشرين، القائل: "أبانا الذي في السماوات؛ لتبقَ أنت في سماواتك ولتبقى نحن في أرضنا...!"

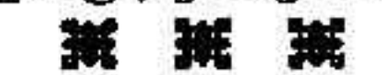

جراحات مجد وقوة!

✝ كثيرًا ما يخفي الإنسان آثار جراحاته.

فتبنّى الطب الحديث علم التجميل،

ليخفي كل أثرٍ للجراحات،

حاسبًا إياها تشويهًا!

✝ أما أنت يا مخلصي فقمت من الأموات،

تحمل في جسدك الممجد آثار جراحات الصليب!

إنها ليست تشويهًا تحتاج إلى تجميل!

بل هي جراحات الحب الفائق!

جراحات مجد وقوة!

تبقى سر جمال فائق أبدي!

✝ صليبك وجراحاتك هي قوة الله للخلاص،

ليست عثرة، بل موضوع عشقٍ لنفسي،

ليست جهالة، بل كشف عن الحكمة الإلهية!

✝ صليبك بجراحاته فتح أبواب السماء،

وضمني إلى مصاف السمائيين!

أنعم بالحياة السماوية،

وأشارك المسائيين تسابيحهم وتهليلاتهم!

✝ على الصليب بسطت يديك المجروحتين،

لتضم الشعب مع الشعوب،

وتقيم من كل الأجناس أعضاء جسدك الواحد!

✝ صليبك مزق الصك المكتوب ضدي،

فديتني من بدوة إبليس لأصير لنا لله،

عوض العبودية المرة وهبتني حرية مجد أولاد الله!

✝ صليبك شهّر برئيس هذا العالم،

حطّم سلطانه ونزع عنه مملكته!

صرتُ حرًا، نقيم فيّ مملكة النور!

قدمت لي برك، فلا تحطمني الخطية!

وهبتني سلطانًا، فلا أخاف قط!

✝ صليبك العجيب كشف لي عن شخصك الحبيب!

أنت حبي، يا شهوة قلبي!

أنت حياتي وقيامتي، يا غالب الموت!

أنت نوري وتسبحتي، يا مصدر الفرح!

أنت خبز السماء وينبوع المياه الحية!

أنت قائد نفسي وطريق الحق، تحميني من الشباك!

نعم! لأصرخ قائلاً مع الرسول:

"لما أنا فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربنا يسوع"

"قد رُسم بينكم يسوع وإياه مصلوبًا!

لدغة عقرب!

قصة واقعية حدثت مع شاب في صعيد مصر. جلست وأنا فتى مع راهبٍ روى لي القصة التالية:

"عشت في بداية حياتي إنسانًا متدينًا،

أحب الصلاة الشخصية والحياة الكنسية.

كانت الكنيسة بالنسبة لي بيتي الذي فيه استريح.

حقًا كانت تهاجمني أفكار الشهوة، لكنني كنت أقاومها، مشتاقًا أن أحيا في الطهارة، واختبر العفة.

في شبابي التقيت بفتاةٍ، اتسمت بالعفة مع الوداعة واللطف. وتكوّن بيننا نوعًا من الصداقة البريئة، إذ نعيش جميعًا في البلد كعائلة واحدة.

كنت أرى فيها كل ما هو طاهرٍ وعفيف، لكن مع مرور الزمن تعلقت نفسي بها، وأحسست بأنها احتلت مكانًا في قلبي هو ليس بمكانها. وكانت هذه أول تجربة لي في هذا المجال.

كنت أصرخ ليلاً ونهارًا لإلهي، خشية أن أكون في طريق منحرف يهدم حياتي الروحية... لكن تعلقي بالفتاة كان قويًا.

اتصلتْ بي فجأة وأخبرتني أنه لا يوجد أحد بالمنزل، وطلبت مني أن أزورها.

في البداية ترددت كثيرًا؛ إنها أول مرة التقي فيها مع فتاة وحدها بغير معرفة أسرتها، لكن تعلقي بها سحب كياني كله نحو بيتها... كنت أسير كمن بغير إرادته. وفي نفس الوقت كنت أصرخ طالبًا الإرشاد من مخلصي.

كنت أتقدم برجلٍ وأتراجع بالأخرى... كنت في صراعٍ مرٍ!

سرتُ حتى بلغت البيت، وإذ أمسكت "بـسقّاطة" الباب لأطرقه إذا بعقربٍ كانت مختفية لسعتني!

صرخت في أعماق قلبي قائلاً:

"أشكرك يا إلهي، فقد بلغتني رسالتك.

أشكرك يا مخلصي، فإنك تقود حياتي!

ماذا تريد يا رب مني؟!"

أسرعت بالعودة إلى بيتي للعلاج من لدغة العقرب، بل بالأحرى لأراجع حسابات قلبي الخفية.

جلست مع نفسي ساعات طويلة أتساءل: ماذا تريد يا رب مني؟ وكان قراري بلا تردد... انطلقت إلى الدير لأكرّس كل طاقاتي لمن أحبني!

لقد غيرت لدغة العقرب مسيرة حياتي كلها!

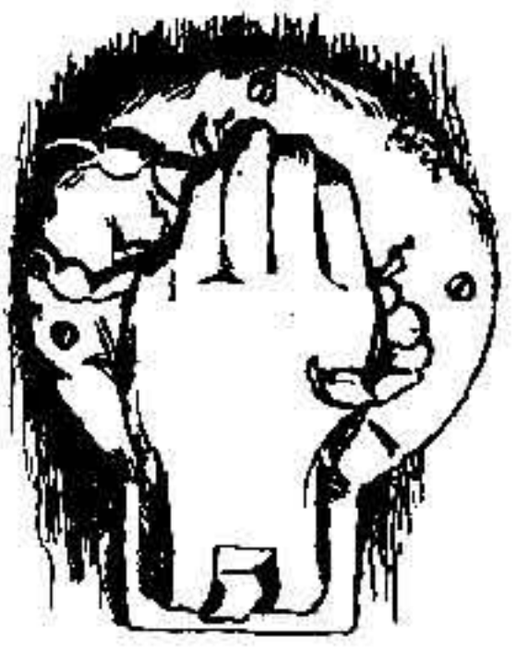

لتتحدث يا ربي معي ولو بلدغات عقرب!

لتعلن اهتمامك بي!

ها أنا بين يديك،

ماذا تريد يا رب مني؟!

لست أسأل أن أكون راهبًا أو متزوجًا،

بل أن تكرّس قلبي بالكمال لحساب ملكوتك،

وتتجلى أيها القدوس في أعماقي!

وتكرز بإنجيلك خلال سلوكي الحي!

حوار مع نملة!!!

إذ أحب سليمان الحكيم الطبيعة انطلق من وقت إلى آخر إلى حدائقه وأحيانًا إلى شواطئ النهر كما إلى الجبال والبراري، وكان يراقب بشيء من الاهتمام الحيوانات والطيور والأسماك حتى الحشرات، حيث يرى في تصرفاتها اهتمام الله بها وما وهبها من حكمة خلال الغرائز الطبيعية.

لفت نظره نملة صغيرة تحمل جزءَ من حبة قمح أثقل منها، تبذل كل الجهد لتنقلها إلى جحرٍ صغيرٍ كمخزنٍ تقتات بها.

فكر سليمان في نفسه قائلاً: "لماذا لا أسعد هذه النملة التي تبذل كل هذا الجهد لتحمل جزءًا من قمحة؟ لقد وهبني الله غنى كثيرًا لأسعد شعبي، وأيضًا الحيوانات والطيور والحشرات!"

أمسك سليمان بالنملة ووضعها في علبة ذهبية مبطنة بقماشٍ حريريٍ ناعمٍ وجميلٍ، ووضع حبة قمح... وبابتسامة لطيفة قال لها: "لا تتعبي أيتها النملة، فإنني سأقدم لكِ كل يوم حبة قمح لتأكليها دون أن تتعبي... مخازني تَشبع الملايين من البشر والحيوانات والطيور والحشرات". شكرته النملة على اهتمامه بها، وحرصه على راحتها.

وضع لها سليمان حبة القمح، وفي اليوم التالي جاء بحبة أخرى ففوجئ أنها أكلت نصف الحبة وتركت النصف الآخر. وضع الحبة وجاء في اليوم التالي ليجدها أكلت حبة كاملة واحتجزت نصف حبة، وهكذا تكرر الأمر يومًا بعد يوم...

سألها سليمان الحكيم: "لماذا تحتجزين باستمرار نصف حبة قمح؟" أجابته النملة: "إنني دائمًا احتجز نصف الحبة لليوم التالي كاحتياطي. أنا أعلم اهتمامك بي،

إذ وضعتني في علبة ذهبية، وقدمت لي حريرًا ناعمًا أسير عليه، ومخازنك تشبع البلايين من النمل، لكنك إنسان... وسط مشاغلك الكثيرة قد تنساني يومًا فأجوع، لهذا احتفظ بنصف حبة احتياطيًا. الله الذي يتركني أعمل وأجاهد لأحمل أثقال لا ينساني، أما أنت قد تنساني!"

عندئذ أطلق سليمان النملة لتمارس حياتها الطبيعية، مدركًا أن ما وهبه الله لها لن يهبه إنسان!

✞ ✞ ✞

أنت لا تنساني

✞ قد تنسى الأم حتى رضيعها،
أما أنت يا رب فلا تنساني!
قد تسمح لي بالحياة المملوءة آلامًا،
لكن شعرة واحدة من رأسي لا تسقط بدون إذنك!

✞ رعايتك فائقة وعجيبة لكل خليقتك،
لكنني لن أدرك كمالها إلا يوم مجدي،
أراك تحملني إلى حضن أبيك،
وتهبني شركة المجد الأبدي!
فأدرك أن لحظات المرّ التي عشتها كانت طريق خلاصي،
اكتشف حكمتك الفائقة وأبوتك الفريدة.
حقًا إنك لا تنساني!

✞ في مشاغلي الكثيرة قد أنسى حتى احتياجات جسدي،
وأهمل حتى نفسي الوحيدة!
أما أنت فترى نفسي أثمن من العالم كله!
نزلت إلى أرضنا لافتدائي،
وقدمت دمك الثمين لخلاصي!

ووهبتني روحك القدوس ليجدد أعماقي!
نعم إني أنسى نفسي، أما أنت فلا تنساني!

لنعشْ كسائرِ البشر!

كان أسدٌ يتمشى في وسط الغابة، وإذ به يرى كل الحيوانات تهرب من أمامه وتخشاه، إذ هو ملك الحيوانات. زأر بقوة فدوّى صوته في كل الغابة، وخرج عشرات الأسود واللبوات والأشبال بسرعة إليه.

رأوه واقفًا في صمت، فقال أحدهم: "سمعنا زئيرك فأتينا جميعًا، كل أسدٍ ومعه لبوته وأشباله؛ جئنا لكي نعمل معك، أو ننقذك إن كنت في خطر!"

قال الأسد " أشكركم، إني لست في خطرٍ... إني ملك، تخشاني كل الحيوانات البرية، وتهرب من أمامي، لكن خطر بي فكرة أردت أن أعرضها عليكم."

- ما هي؟

- لنعش كسائر البشر.

- ماذا ينقصنا لكي تشتهي أن تكون كالبشر؟

إننا من جهة الجسم أقوى،

من جهة الحرية نتمشى في الغابات بحرية...

- ينقصنا أن نتشاجر معًا، ويأكل بعضنا لحم بعض، فهذا من سمات البشر!

- كيف يكون هذا، ونحن دائمًا نعمل معًا... إن افترسنا حيوانًا نقتسمه جميعًا، ونعطي للشيوخ والمرضى والأشبال نصيبها حتى وإن لم نتعب معنا؟

- تعالوا نختلف معًا في الرأي ونتقسم إلى جماعات مختلفة، نحارب بعضنا البعض، ونأكل بعضنا بعضًا!

- يستحيل، فإنه إن أكلنا بعضنا بعضًا فإننا، لأن أجسامنا ليست هزيلة كغالبية البشر، وأسناننا ليست في ضعف أسنانهم!

- لنحاول، فنحمل خيرة البشر...

- كيف نختلف معًا، ونحن بالطبيعة نعمل معًا؟!

✞ ✞ ✞

هذه القصة الخيالية على ألسنة الأسود من وحي ما كتبه القديس يوحنا ذهبي الفم، إذ يقول إن الإنسان قد انحط إلى مستوى أقل من الحيوانات والحشرات، فيطالبنا الكتاب المقدس أن نتعلم الجهاد وعدم الكسل من النملة، والعمل الجماعي حتى من الحيوانات المفترسة كالأسود... فإنها وإن كانت مفترسة لكنها لا تأكل بعضها البعض بل تعمل معًا، أما الإنسان فيختلف حتى مع من هو قريب إليه.

أذكر أنني دُعيت للتدخل في مشكلة في أمريكا الشمالية بين أب وابنه قاما بمشروع معًا كشريكين ونجح المشروع، فرفع الأب على ابنه قضية يطالب فيها أن المشروع ملكًا له، تاركًا شركة ابنه معه، هذا الذي من لحمه ودمه!! يا لبشاعة الخطية! ما لا تفعله الحيوانات المفترسة يرتكبه الإنسان بغير حياء!

✞ ✞ ✞

صرت عندك كبهيمة!

✞ تطلع الذبي إلى ما فعلته به الخطية فصرخ:

"صرت عندك كبهيمة!"

لا تتعجب أيها الحبيب،

فإن الحيوانات تلتزم بقوانين الطبيعة،

وتسلك أفضل من كثير من البشر!

✞ وهبتني يا ربي عقلاً،

وأعطيتني نعمة الإرادة الحرة،

لعلي بنعمتك ارتفع إلى سماواتك

وأتشبه بملائكتك!

أتعرف عليك وأتمتع بأسرارك،
وأحيا في مجدٍ فائق!
✠ لغباوتي حطمتني الخطية،
أذلتني وانحدرت بي إلى الهاوية!
لكنك في حبك نزلت إليّ،
لتحملني على منكبيك،
وأحيا بالحق ابنًا مباركًا ومقدسًا!
لا أعود أتعلم من الحيوانات،
بل من السماء عينها!
أرى الخليقة كلها تخدمني،
من أجل حبك الفائق لي!

خطية تافهة!

منذ سنوات طويلة جاءتني سيدة غنية وسخية في عطائها للفقراء، وفي خجل قالت لي:

– لي ثلاث شهور أصارع لكي آتي إليك وأعترف!

– لماذا؟!

– لأني سقطت في خطية تافهة، وأنا في خجل من أن أذكرها أمامك.

– كلنا تحت الضعف، حتى فيما نظنّه خطايا تافهة!

– أنت تعلم إني لم ارتكب ثلاث خطايا كل أيام حياتي:

- فالكل يعرف أنني جريئة جدًا، لن أكذب، مهما تكن الظروف.
- عشت في شبابي دون أية خبرة في العلاقات الخاطئة، لم أدخل في علاقة عاطفية قط حتى تزوجت.
- وهبني الله الكثير، أحب العطاء أكثر من الأخذ؛ لن أمد يدي إلى مال غيري.

ثلاث خطايا لم ارتكبها: الكذب، الزنا، والسرقة!

– هذه نعمة من الله وليست فضلاً منك!

– هذا ما اكتشفته أخيرًا.

– إنني في خجل أقول لك:

بينما كنت في "ماركت" أخذت شيئًا ثمنه جنيهًا واحدًا... هذا مبلغ تافه للغاية، ووضعت هذا الشيء في حقيبتي وخرجت دون أن أدفع الثمن.

خرجت وإذا بنارٍ ملتهبةٍ في قلبي.

عدت ووضعت الشيء مكانه.

ومع هذا فإنني لازلت أبكي بمرارة... لن أغفر لنفسي ما قد فعلته... لماذا

فعلت هذا؟ هل كنت في وعيي أم لا؟

أنا لست محتاجة...

أعطي الكثيرين بسخاء!

ثم انهارت السيدة في البكاء...

- هل تبكين لأجل خطيتك؟ أم لأجل كرامتك التي أهينت ولو أمام نفسك؟

- الحق، إني حزينة على نفسي، لم أكن أتوقع إني أسقط في خطية تافهة كهذه.

- هذا درس لنا جميعًا... فالخطية خاطئة جدًا، ونحن ضعفاء للغاية؛ إن كنا نهزمها فمن أجل غنى نعمة الله الفائقة!

أقدم لك هذه القصة الواقعية التي لم تعد صاحبتها بيننا، لكن قصتها لا تفارق ذهني... إنها درس حيّ لي ولك، ليس من هو عظيم ولا من هو طاهر أو مقدس بذاته، ومهما كانت خبراته الماضية أو قدراته. إنها نعمة الله وحدها التي تسند الفتى كما الرجل أو السيدة، والطفل كما الشيخ، لتقيم منهم قديسين على صورة ربنا يسوع القدوس.

لا تخف الخطية فإن الذي معك أعظم من الذي عليك!

ولا تستهين بالخطية فإن فارقتك نعمة الله تسقط فيما لا تتوقع قط!

اسندني فأخلص!

✞ اعترف لك بغنى حبك الفائق،

وعمل روحك القدوس فيّ.

وبه أنعم ببرك!

✞ اعترف لك بخطاياي،

فبدون نعمتك أسقط حتى في التفاهات.

لاحتقر نفسي الضعيفة للغاية،
وأشعر بضعف إرادتي...
من يهبني قوة الإرادة إلا أنت؟!
من يقدس حواسي ومشاعري غيرك؟!
من يحملني إلى سمواتك إلا روحك القدوس؟!

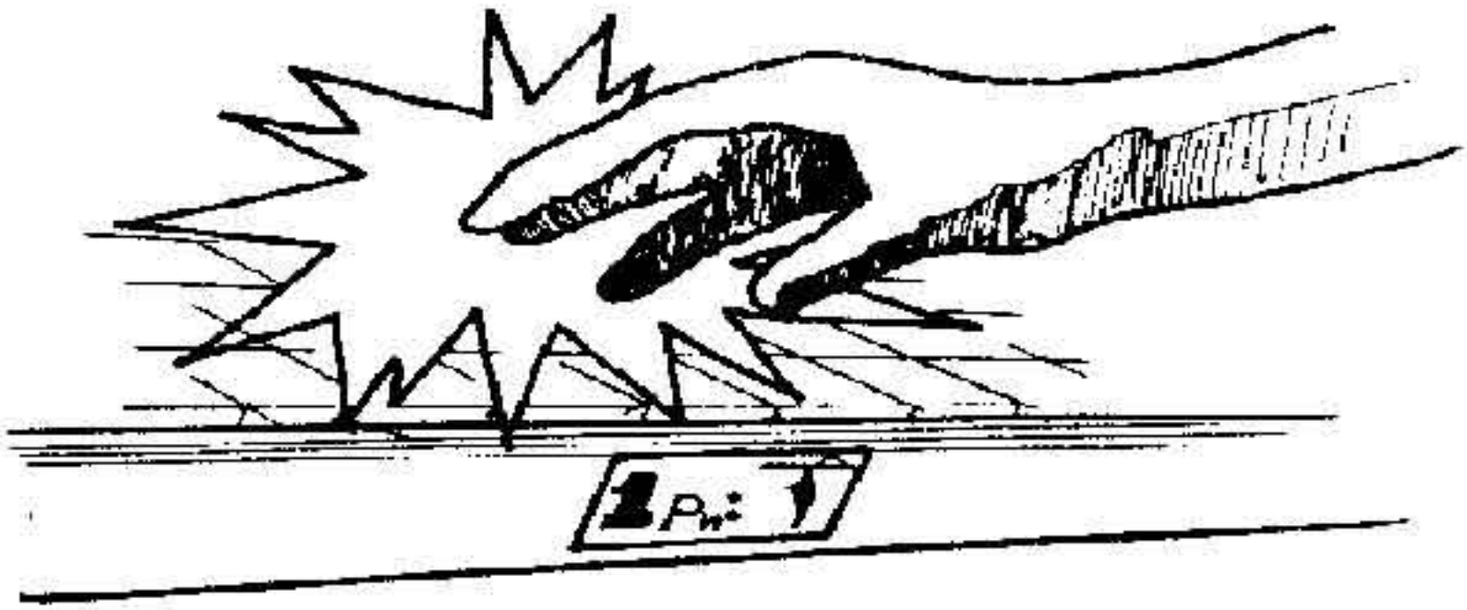

درسٌ من شيخٍ ساقطٍ

في بدء خدمتي في الكهنوت جاءني رجل شيخ لا أعرفه وطلب مني أن يعترف. وفي خجلٍ شديدٍ همس قائلاً: "إني لأول مرة أسقط في خطية الزنا".

في بساطة ظننته أنه يشكو من نظرةٍ خاطئةٍ هذه التي نحسبها أيضًا زنا... فقال لي إني لست اقصد النظرة. تحدثت معه على أنها لمسة خاطئة، لكنه عاد ليؤكد أنه ارتكب الخطية فعلاً...

لم أكن في ذلك الوقت أتصوّر إنسانًا ما يرتكب هذه الخطية...

في مرارة ذهبت إلى أبينا المتنيح القمص إبراهيم ميخائيل وأنا منكسر النفس جدًا... رويت له ما حدث دون ذكر للاسم، خاصة وأن أبانا من القاهرة لا من الإسكندرية.

إذ رآني مرتبكًا للغاية هدأ من روعي قائلاً:

– أتعرف لماذا أرسل لك الله هذا الشيخ الساقط؟

– لست أعلم!

– يريد أن يعطيك في بدء خدمتك الكهنوتية عدة دروس، منها:

الدرس الأول: لا تأتمن جسدك حتى إن بلغت الشيخوخة أو كنت كاهنًا! كن حريصًا وحذرًا!

الدرس الثاني: لا تقسو على شابٍ ساقطٍ، فإن الخطية خاطئة جدًا، وقتلاها أقوياء حتى من الشيوخ... ترفّق بهم لكي تسندهم ضد الخطية.

لست أقول تتهاون مع خطاياهم، لكن لا تُحطم حتى الساقطين، أقمهم بالرجاء الحيّ.

نعمتك سند لي!

✝ ما أحوجني إلى نعمتك كسند لي،
هي تسندني إن كنت قائمًا فلا أسقط!
لا أتكل على خيراتي الماضية،
ولا طهارة سبق أن عشتها،
ولا على مركز لي في الكنيسة،
لكن نعمتك وحدها تمرّر حولي وتحصني!

✝ كثيرون أقوياء وعظماء وشيوخ سقطوا!!
اسندني لأكمل أيام غربتي بسلام!

✝ لفتح قلبي بالحب فأترفق بكل فتى!
اسند الكل و أشجع الجميع!
لا أدين أحدًا مهما تكن سقطاته،
فأنا شريك معه في الضعف البشري!

✠ ✠ ✠

شيخ فتى يبني الكنيسة!

بدأت المفاوضات الخاصة بشراء مبنى كنيسة القديس يوحنا - بوسط كوفينا، كاليفورنيا - تتعثر، إذ ظهرت مشاكل في الشراء.

قلق البعض، وبدأ الكثيرون يبحثون عن حلول، فالأرض متسعة جدًا، والشعب يتزايد، ولم يعد نشاط الكنيسة يحتمل تأجيل الشراء!

لقد أنهك المرض قُوى الشماس الشيخ الفريد حنا، لكن بقي قلبه الملتهب بنار روح الله القدوس شابًا لا يعرف الشيخوخة أو الضعف. كان يردد مع مسيحه: "أما الجسد فضعيف وأما الروح فنشيط".

ماذا يفعل هذا الشماس المنهك القُوى بجسده المريض، والغني بروحه وإنسانه الداخلي؟! لقد شعر بالمسئولية كعضوٍ في الكنيسة... إنه ليس بكاهنٍ ولا عضوٍ في مجلس الشمامسة، لكنه عضو في جسد المسيح، كنيسة الله، لهذا صمم على شراء المبنى.

امتص موضوع شراء المبنى كل تفكيره، وشغل أحلام يقظته... لكن ماذا في يديه؟! انطلق في الصباح المبكر جدًا إلى الأرض الجديدة المُختارة للشراء، ودخل إلى حديقتها المتسعة ووجّه أنظاره نحو مبنى الكنيسة. بسط يديه للصلاة يطلب عونًا إلهيًا.

إنها كنيسة المسيح، إله كل المستحيلات! انحني ليركع على العشب مؤمنًا أن الركب المنحنية تحرك قلب خالق السماء والأرض... ثم قام منتصبًا. وعاد يكرر السجدات، واحدة تلو الأخرى، طالبًا مراحم الله، صانعًا سجداته ٤٠٠ مرة بالرغم من مرضه!

عاد إلى بيته والفرح يملأ قلبه، كأن أبواب السماء قد انفتحت لتستجيب

صلاته وسجداته (مطانياته)... وشعر أنه كسب الكثير!

استعذب هذا العمل الخفي، فصار يكرره يومًا فيومًا دون توقف، ليبدأ صباحه بالمطانيات الأربعمائة على العشب... وهكذا نظر الله إلى حبه وتواضعه وغيرته وسمع له!

اشتري مبني الكنيسة، وكان المساهم الأول هو هذا الشماس النقي الذي قدم قلبه وحبه وأسلوبه الروحي قبل أي تبرع مادي!

عرفت هذا فخجلت من نفسي... كم مرة استخدمت الطرق البشرية لحل مشاكل الكنيسة، بينما يترقب مسيح الكنيسة قلوبًا شابة تعرف كيف تفتح أبواب السماء ليبحني الله ويسمع همسات الحب الخارجة بروح التواضع؟!

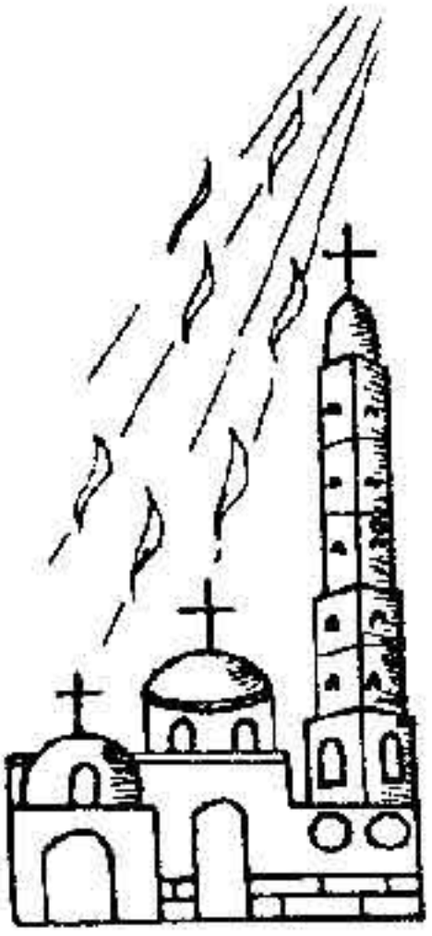

كنيسة جديدة!

وقلب جديد!

يتهلل قلبنا مع إنشاء كنيسة جديدة، مقدمًا الشكر لله الذي يقبل أن يقيم له بيتًا، يعلن عن سكني الله وسط شعبه، فيتطلع بروح الرب إلى الأعماق مشتاقًا أن يتجدد كل يوم، بكونه هيكل الله وروح الله يسكن فيه (١كو٣:١٦).

أين يُبنى بيت الرب؟

قيل إن أخًا تطلع إلى وفرة حصاده فشكر الله على عطاياه، ثم قال في نفسه: "إن أخي المتزوج هو أكثر احتياجًا مني إلى هذا الحصاد، أحمل إليه مما وهبني إلهي... أعطيه مما ليس هو ملكي!" وبالفعل حمل بعضًا مما لديه وذهب إلى حيث حصاد أخيه ووضعه هناك.

شعر الأخ بفرح شديد وسعادة داخلية، فقرر أن يكرر الأمر في الليلة التالية، وبالفعل عاد متهللاً كأنه في السماء! كرر الأمر للمرة الرابعة والخامسة... وكان حصاده لا ينقص بل يزيد!

في إحدى الليالي إذ كان يحمل مما لديه منطلقًا إلى حيث مخزن أخيه وهو يسبح الله فرحًا رأى شبحًا وسط الظلام: رأى إنسانًا يحمل أيضًا محصولاً... يقترب منه. إنه أخوه!

ألقى الاثنان ما يحملانهما وتعانقا... لقد اكتشفا أن كل منهما كان يحمل مما لديه لأخيه، حاسبًا أنه أكثر احتياجًا منه!

هنا التقى القلبان الملتهبان حبًا، الشاكران لله والمسبحان له...

في هذا الموقع بُني هيكل سليمان كما جاء في التقليد اليهود!

أتريد أن تساهم في بيت الرب؟

أتريد أن تبني بيت الرب؟

قدم حبًا لأخيك، احمل إليه حياتك مبذولة لأجله، فيقبل الله عبادتك، وتسابيحك، وتشكراتك، ويقيم ملكوته في داخلك (لو١٧: ٢١)، ويعلن سموه فيك، وتحمل شركة الطبيعة الإلهية (٢بط١: ٤)، أي شركة سمة حب الله الفائق للبشرية، وتتمتع بشركة السمائيين الذين لغتهم الحب والفرح والتسبيح غير المنقطع!

حيث يوجد الحب الأخوي الصادق يقيم الرب بيته الخفي، ويعلن مجده، وتصير للرب المسكونة كلها!

✠ ✠ ✠

في زيارتي لأحد المرضى بالمستشفى الجامعي بالإسكندرية تعرفت على أستاذ جامعي غير مسيحي، قال لي إنه صديق البابا كيرلس السادس، تعرف عليه هو وأسرته وأصدقاؤه حين كان طفلاً. قال لي:

"كنا نحبه جدًا وهو راهب بمصر القديمة...

نخشاه، لكن نجري إليه كأب لنا،

فنتمتع ببشاشته وملاطفته.

أتعرف ماذا كان والدي وأصدقاؤهما يقولون عنه؟

إنه ليس من هذا العالم!

هكذا يُبني بيت الرب فينا فنشهد للعالم أننا بيت سماوي!

✠ ✠ ✠

دفعا الكثير!!

قبل أن إمبراطورًا قرر أن يبني كنيسة ضخمة لا يشترك أحدٌ غيره في نفقاتها. وكان الإمبراطور ينفق بسخاء عليها حتى تم البناء... وإذ وضعوا لوحة تذكارية عند المدخل جاء فيها اسم الإمبراطور قُبيل تدشينها وافتتاحها، لاحظ المسئولون أن اسم الإمبراطور قد اختفي ونُقش اسمان بدلاً منه. تعجب المسئولون لذلك، فانتزعوا الحجر، وجاءوا بغيره نُقش عليه اسم الإمبراطور، وتكرر الأمر ثانية ثم ثالث...

سمع الإمبراطور بذلك فلبس المسوح، وصلى إلى الله أن يكشف له الأمر. ظهر له ملاك الرب وأخبره أن طفلين يستحقان ذكر اسمهما أكثر منه، لأنهما دفعا الكثير.

تساءل الإمبراطور: كيف دفع الطفلان الكثير، وقد قام هو بدفع كل النفقات؟

قال له ملاك الرب إن الطفلين محبان لله جدًا، اشتاقا أن يقدما لبناء بيت الرب تبرعًا، لكنهما لا يملكان مالاً، إنما يحملان قلبين غنيين بالحب. لقد قرر الطفلان أن يحملا وعاءً يملأنه ماءً، يضعانه في طريق الجمال الحاملة الحجارة التي يُبني بها بيت الرب... كانا يتعبان طول النهار، ليقدما حبهما وجهدهما، فاستحقا هذه الكرامة!

هذان هما العاملان مع الله ولحسابه خفية!

حقًا يحتاج بيت الرب إلى جنود خفيين، سواء كانوا أطفالاً أم شيوخًا أم شبانًا أم رجالاً أم نساءً... إمكانياتهم الحب الخالص الكثير الثمن!

بيت الرب لا يبنيه الكاهن وحده ولا الشمامسة، بل كل عضو حيّ! حينما استصغر إرميا النبي نفسه سمع الصوت الإلهي:

"لا تقل إني ولد...

أنا أكون معك" (إر ١).

لا تقل إني أصغر من أن أساهم في بيت الرب، فالله يعمل بالكثير كما بالقليل ليخلص على كل حالٍ قومًا. لا تنشغل بكثرة إمكانياتك أو عدمها... فالله الذي خلق اللسان تكلم خلال فم موسى الذي اعتذر بثقل لسانه (خر٣).

أذكر في الستينات جاءتني سيدة من بني سويف وكان زوجها زميلاً لي في العمل قبل الكهنوت... قالت لي: أريد أن ابني كنيسة في الإسكندرية باسم الملاك ميخائيل، ثم قدمت لي مبلغ ١٢٠ جنيها، قائلة: خذ هذا المبلغ لتبني به الكنيسة... أخبرت أبانا بيشوي كامل بالأمر فدهش هو أيضًا وأخذ المبلغ وحفظه... ولم تمضِ إلا شهور قليلة وبطريقة غير طبيعية بُنيت كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بمالها!

أتريد أن تبني كنيسة المخلص؟ استمع إلى كلمات القديس يوحنا الذهبي الفم إذ يقول: "علموا الذين في الخارج أنكم كنتم في حضرة الله، كنتم مع الشاروبيم والسيرافيم وكل السمائيين". يطالب القديس كل رجل أن يبني بيتًا للرب في قلب زوجته، وكل زوجة في قلب رجلها، وكل عبد في قلب سيده... بالحياة الإنجيلية المملوءة حبًا وفرحًا وتهليلاً ينضم إلى الرب كل يوم الذين يخلصون.

بالحب الصادق الناضج المملوء اتضاعًا نقيم بيتًا للرب في قلوب كثيرة، ولا يقف السن عائقًا، ولا المركز أو الإمكانيات أو المواهب!

ماذا نقدم في بيت الرب؟

اكتفي هنا بكلمات العلامة أوريجينوس التي اقتبستها في كتاب: "الكنيسة بيت الله":

[أهلني يا ربي يسوع المسيح أن أساهم في بناء بيتك...

مسكن الرب الذي يريدنا أن نقيمه هو القداسة... بهذا يستطيع كل إنسانٍ أن يقيم لله خيمة داخل قلبه...

في الخيمة يشير القرمز والإسمانجوني والكتان النقي... إلى تنوع الأعمال الصالحة.

يشير الذهب إلى الإيمان،

والفضة إلى الكرازة (مز ١٢: ٦)،

والنحاس إلى الصبر.

والأخشاب التي لا تسوس إلى المعرفة التي يتمتع بها المؤمن في خلوة البرية، والحفة الدائمة التي لا تشيخ.

يشير الكتان إلى البتولية،

والأرجوان إلى محبة الاستشهاد،

والقرمز إلى ضياء المحبة،

والإسمانجوني إلى رجاء ملكوت السماوات.

بهذه المواد تُقام الخيمة.]

[ليكن للنفس مذبح في وسط القلب،

عليه تُقام ذبائح الصلاة ومحرقات الرحمة،

فتذبح فوقه نيران الكبرياء بسكين الوداعة،

وتُقتل عليه كباش الغضب وماعز التنعم والشهوات...

لتعرف النفس كيف تقيم داخل قدس أقداس قلبها منارة تضيء بغير انقطاع.]

أبونا بيشوى! أبونا بيشوى!

اعتادت إحدى الفتيات في أمريكا الشمالية أن تتصل بأبينا بيشوي كامل أثناء علاجه بلندن تسأل عن صحته.

بعد رحيله تعرضت في إحدى شوارع نيوجيرسي لاثنتي عشر طعنة من شاب، نُقلت على أثرها إلى المستشفي في حالة خطيرة ميؤوس منها.

إذ كانت فاقدة النطق في غير وعيها كانت تتمتم: "أبونا بيشوي! أبونا بيشوي! (ماتسبنيش!)".

إذ كانت تخدم مع أبينا بيشوي ديمتري بليست برانزويك تصل البعض به قائلين: "إنها تطلبك... تعال صلِّ لأجلها"، وبالفعل جاء يسأل عنها، وصلى لأجلها، ورشمها بالزيت المقدس!

إذ عادت إلى وعيها قالت:

"أشكر إلهي الذي لم يتركني،

فقد أرسل لي السيدة العذراء والبابا كيرلس وأبانا بيشوي كامل، صلوا من أجلي.

وإذ تركتني السيدة العذراء وأيضًا البابا كيرلس سألت أبانا بيشوي ألاَّ يتركني...

كنت أناديه: "أبونا بيشوي (ماتسبنيش)".

بالفعل بقي معي كل الوقت حتى النهاية!

قال أحد الجراحين الأمريكان:

"لقد قمت بمعالجة الجراحات غير القاضية،

أما الجراحات القاضية الميؤوس منها فلم يكن ممكنًا أن أفعل شيئًا.

شعرت بيدٍ خفية كانت تعمل أثناء العملية!"

✠ ✠ ✠

صداقات من العالم الآخر!

✠ نزلت أيها العجيب لتخلصني،
وتدخل معي في صداقة فريدة!
صرت قريبًا إليّ عميقًا في نفسي،
أعمق من نفسي!
أراك، وأسمعك، وألمس حبك!
✠ وهبتني صداقات من العالم الآخر!
فتحت لي أبواب السماء فأصادق ملائكتك،
وأحسب السمائيين أحباءً مخلصين.
فتحت لي باب الفردوس،
فأدرك أن الموت لم يحطم حب اخوتي،
يصلون عني ويطلبون من أجلي،
يشتهون خلاصي،
وينتظرون عودي إليهم.
نعم! عجيبة هي أعمالك معنا!

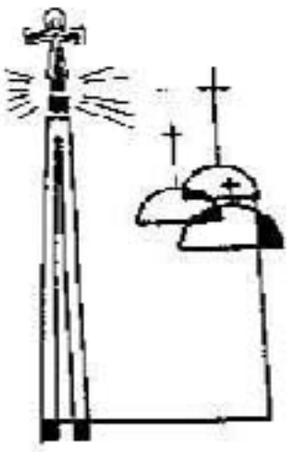

صفعني بالقلم!

بعد نياحة أبينا المحبوب جاءت فتاة تعترف قائلة:

[لقد أحببت شابًا غير مسيحي... عشت معه، وكدت أن أفقد إيماني بسببه.

كان أبونا المحبوب بكل حبٍ ولطفٍ يسندني حتى تركت هذه العلاقة ورفضتها من كل قلبي.

بعد نياحته بدأت أحن للخطية، وعدت إلى علاقتي بالشاب.

في المساء ظهر لي أبونا وكان غاضبًا؛ لأول مرة أجده يصفعني على خدي قائلاً:

ألم أقل لك أتركي هذا الشاب، ولا تعيشي في الخطية؟!

قمت من نومي نادمة وقررت أنني بنعمة إلهي لن أعود ثانية إلى الخطية!

✠ ✠ ✠

أبي الحبيب

قلبك الناري لن ينطفئ!

حبك المتسع لكل نفسٍ يحتضن الكل!

عملك بالرب لن يتوقف قط!

تحطمت سيارتي وملأني الفرح!

بدأت الزيارة حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل حيث انطلقت مع بعض الأصدقاء والكهنة إلى منزل أحد العاملين في بلدٍ أوربي، وكان معنا شاب أعزب يتسم بالبساطة؟

روى لنا الشاب قصة عاشها بنفسه، فقال:

كان لديّ سيارة جديدة، تحطّمت تمامًا في حادثة، واشتريت السيارة التي استخدمها الآن.

كنت سعيدًا جدًا حينما شاهدتها قد تحطّمت، لأنني أشعر أني استحق هذا!"

استطرد الشاب البسيط حديثه، قائلاً:

جئت إلى هذه المدينة، وقد وضعت في قلبي ألاّ أتنفس.

بدأت مثل كثير من الشباب القادمين من مصر أعمل في مطعمٍ، لكي أشق طريق حياتي في بلدٍ غريب.

فوجئت برئيستي في العمل تحبني جدًا. حاولت الالتصاق بي بكل وسيلة. صارحتني أنها تفكر في الطلاق من زوجها، وطلبت مني أن أتزوجها، فرفضت تمامًا، وأوضحت لها أنني لا أقبل هذه العلاقة مطلقًا.

استغلت ظروف غربتي، فكانت تطلب من مدير المطعم أن تأخذني معها لإتمام بعض التزامات خاصة بالمطعم، ظنًا منها أن لقاءنا معًا بمفردنا في السيارة قد يؤثر عليّ.

حاولت بكل الطرق أن تنفرد بي، لكنني كنت جادًا معها في أعماقي الخفية كما في سلوكي.

حاولت أن تقبلني فكنت أرفض.

وضعت في قلبي ألاّ أخطئ مهما كلفني الأمر. لكن تحت الضغط الشديد وفي ظرف معين استسلمت مرة واحدة إلى لحظات، غير أنني سرعان ما تداركت الأمر، وظهر الحزن عليّ دون أن أمارس الشر بصورته الكاملة. لم أحتمل التهاون من جانبي، وشعرت أنني فقدت الكثير... ووقفت هي أمامي تتعجب لما يحدث، كأني إنسان شاذ لا مشاعر له.

صارت خطيتي أمامي، وأدركت أنني استحق تأديبًا إلهيًا حتى تتحرر الخطية في حياتي، هذه التي استسلمت لها إلى لحظات.

قدّمتُ توبة أمام الله، وأحسست بالندم لا يفارقني.

اعترفت بخطيتي أمام أب اعترافي، ووعدت الله في حضرته ألاّ أبقى في هذا العمل مهما كانت الظروف.

* * *

لم تمض أيام كثيرة حتى كنت مع صديق لي نتجه بسيارتي إلى مكان معيّن، وكنّا نستمع إلى بعض أغاني مثيرة عوض الاستفادة بوقتنا.

في الحال مددت يدي وأخرجت "الكاسيت" ووضعت بدلاً منه "كاسيت" للقداس الإلهي.

كنت أستمع إلى تسجيل القداس الإلهي وأنا متهلل جدًا بالله، حتى جاء القول: "مستحق وعادل؛ مستحق وعادل..." وإذا برجلٍ مخمورٍ يقفز قفزة نحو العربة، وكان الوقت ليلاً، ونحن في طريق زراعي. حاولت تفاديه فقدت سيطرتي على عجلة القيادة، وانحرفت السيارة عن الطريق، وسقطت، وانقلبت بنا خمس مرات.

وجدت نفسي مع صديقي خارج السيارة؛ كيف؟ لا أعلم، خاصة وأنني كنت أستخدم حزام السيارة. تطلّعت إلى صديقي وقلت له وأنا أتأمل السيارة: "أني مسرور

للغاية".

تطلّع إليّ صديقي إذ حسبني أتحدث في غير وعي نتيجة الصدمة.

أكملت حديثي: "أنا أعلم لماذا سمح الله لي بتحطيم السيارة. أشكره لأجل محبته لي واهتمامه بي".

كانت علامات الفرح واضحة عليّ.

جاء رجل الشرطة لمعاينة الحادث، فسألني: "من بداخل السيارة؟" فقد توقّع أن من بداخلها حتمًا قد مات.

قلت له: "لا أحد؛ فقد خرجت أنا وصديقي كما ترانا، ليس بنا (خدش) ولحد!"

قال رجل الشرطة في دهشة: "مستحيل! كيف خرجتما من السيارة وقد تحطمت تمامًا؟!" ثم استطرد حديثه قائلاً: "في الأسبوع الماضي، وفي نفس الموقع انحرفت سيارة، وانقلبت بنفس الكيفية، ومات من كان يقودها!؟"

عدت إلى منزلي وحسبت نفسي قد ربحت الكثير... لا أدري ما هو هذا الربح، إنما كان قلبي متهللاً، وأعماقي مملوءة فرحًا، مع أنه لم يكن لديّ المبلغ الكافي لشراء سيارة أخرى، ولم يكن التأمين يغطيني.

أكمل الشاب قصته فروى لنا أنه عاد إلى عمله بعد أن قرر أن يُسرع في تركه، ليس خوفًا من أن تحلّ به عقوبة ما – أي تأديب إلهي، أو خسارة مادية تلحق به – وإنما شوقًا نحو خلاص نفسه.

روى لنا كيف لمس يدّ الله تدفعه للترك. فقد جاءته رئيسته التي شعرت بأن كل وسائل اللطف قد فشلت في جذبه إليها، فأرادت أن تستخدم وسائل الضغط والعنف. صارت توبخه وتتهمه علانية أمام زملائه أنه بطيء في عمله. وكان الكل يعلم أن ما تقوله كذب، إذ يشهدون له بنشاطه في العمل، وأنه يمارس عملاً يحتاج للقيام به ثلاثة أشخاص.

لم يعرف زملاؤه سرّ تحوّلها ضده، إذ كانوا يعتقدون أنها كانت تلتصق به لأجل اهتمامه بعمله ونشاطه وقدرته.

قال لها: "إن كنتُ بطيئًا في عملي، فأنا أقوم بدور ثلاثة أشخاص، ومحتاج

إلى شخصٍ يعمل معي".

أجابت في غضب شديد وبلهجة عنيفة: "إمّا أن تُسرع في عملك أو تستقيل".

هنا شعر كأن صوت الله يحدثه خلالها. في الحال وبغير تردد قال لها أمام الحاضرين: "الآن أنا مستقيل".

ألقى بما في يده وانطلق ليخرج، فأدركت أنه جادّ في قراره. حاولت أن تثنيه عن عزمه هي ومن معها. صارت تلاطفه لعلّه يعدل عن قراره، لكنه أصرّ وخرج، ليس من أجل كرامته، وإنما لأجل أبديته.

لم يمض أسبوع حتى وجد عملاً لم يكن يظن أن يحصل عليه، ولا وجه للمقارنة بينه وبين عمله الأول، من جهة نوع العمل والدخل. لقد شعر أن يدّ الله قد كافأته لأنه اهتم بخلاص نفسه وهو في بلدٍ غريبٍ وتحت ظروفٍ قاسيةٍ، وعلى حساب احتياجاته الضروريّة.

كن الأكبر!

جاءني فتى في الإعدادي يعترف، لكنه عوض أن يعترف عن خطاياه اعترف عن خطايا والده، قائلاً:

"إنني إنسان غضوب بسبب والدي؛

والدي إنسان عصبي وغضوب،

بسببه صار بيتنا جحيمًا لا يُطاق.

هذا ليس رأيي أنا وحدي بل رأى والدتي أيضًا،

فإنه لا يعرف التفاهم معها،

إنما يتصرف بغضبٍ شديدٍ وعنفٍ.

والدتي تذوق المرّ بسببه،

وأختي أيضًا تعاني الكثير بسبب والدي،

حتى أصدقائي يعرفون عن والدي عصبيته الشديدة...

لم يعد أنا من يزورنا بسببه...

فماذا أفعل؟!"

أحسست في داخلي بأن الفتى مسكين، بل والعائلة كلها تحتاج إلى رعاية.

بابتسامة قلت للفتى: ترى من المخطئ والدك أم أنت؟

- والدي طبعًا، فالكل يشهد بذلك!

- هل قمت بمسئوليتك نحو والدك؟

- وما هي مسئوليتي؟

- ألا تؤمن أن الله قادر أن يغير طبيعة والدك؟

- أؤمن!

- هل تصلي من أجل والدك؟ هل تصنع كل يوم مطانيات لكي يغفر الله طيشة والدك؟

- لا!

- إذن أنت مقصر في حق والدك!

بمحبة تطلعت إلى الفتى وقلت له: "كن الأكبر... صلِ من أجل والدك، واصنع مطانيات كل صباحٍ من أجله... وعندما تراه في غضبٍ قلِّل غضبه ببشاشة، واخدمه بمحبة!"

هزَّ الفتى رأسه وابتسامة وقال: "سأكون أنا الكبير وأنفذ هذه الأمور!"

بعد عدة أسابيع جاءني الفتى وهو متهلل، فسألته عن حياته، أجابني أنه يلمس نعمة الله الفائقة في حياته وفي حياة الأسرة كلها! قال لي:

"كل شيء قد تغير،

والدي صار لطيفًا للغاية،

ليس فقط معي، وإنما أيضًا مع والدتي وأختي وأصدقائنا!

لقد عرفت كيف أكون أنا الكبير وأمتص غضبه بمحبة وبشاشة!"

عزيزي الفتى... هذه قصة واقعية تكشف كيف يمكن للفتى أن يكون الأكبر حين يعطي حبًا حتى للوالدين. كما نحتاج نحن إلى حب الوالدين هم في حاجة إلى حبنا! كما هم مسئولون أن يصلوا لأجلنا، ويصنعون مطانيات من أجلنا، نحن أيضًا نحبهم ونصلي لأجلهم ونصنع مطانيات لأجلهم.

سنلتقي يومًا في السماء ويصير الكل أخوة، وتقدر حياة الإنسان ليس حسب عمره الذي عاشه على الأرض، إنما حسب اتساع قلبه، فكثير من الأبناء سيكونون أعظم من والديهم في عيني الله وملائكته وقديسيه، ويُحسبون الأكبر بل والأعظم!

لأسمع يا مخلصي صوتك:

لا تقل إني ولد!

✞ كثيرًا ما استهنت بنفسي،

وحسبت نفسي ولدًا صغيرًا، لا أحمل مسئولية قط!

✞ كثيرون أطفال بالجسد لكنهم رجال بالروح!

وكثيرون شيوخ حسب العمر وبلا خبرة في الروح!

✞ لتسكن يا مخلصي في قلبي،

ولتهبه بروحك القدوس الناري الحب.

لن يستريح حتى يرى العالم كله في راحة حقة، مستقرًا فيك!

✞ هب لي قوة فأسجد أمامك كل يوم،

طالبًا تقديسَ نفسي الضعيفة،

وتقديس نفوس كل أفراد عائلتي،

بل تقديس كل البشرية أسرتي الحقة!

لأمت وليحيا الكل! لأتألم وتستريح كل نفس!

لأحمل العار ويتمجد الجميع!

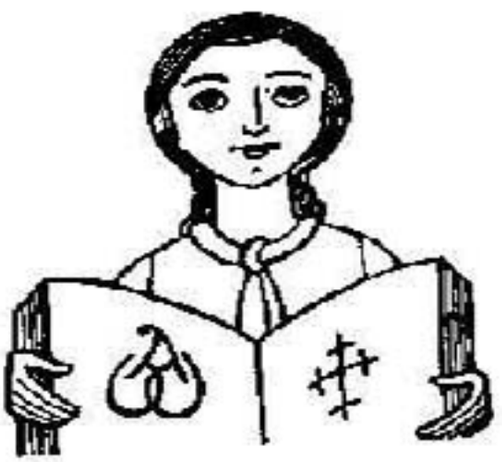

لميلاد السيد المسيح!

مع تزايد الشعور في العالم بأننا في اللحظات الأخيرة حيث يتحقق مجيء السيد المسيح الأخير بعد فترة الارتداد القادمة، يقترب جدًا اليوبيل الثاني لميلاد السيد المسيح...

✞ لنسأله كل يوم: ماذا تريد مني في عيد ميلادك يا شهوة قلبي؟!

✞ كان يُحتفل باليوبيل كعيد للحرية، حيث يتحرر العبيد، وتُرَدّ الأرض لأصحابها... فهل يأتي العيد ليجد قلبك متحررًا، وقام بتحرير نفوس كثيرة من عبودية الخطية بعمل النعمة الإلهية؟!

✞ تذكر أن يدي السيد المسيح تقطر على البشرية دمًا عبر الألفين سنة منذ ميلاده، فهل تحمل سمات هذا الدم في حياتك؟

✞ قدم اقتراحاتك بخصوص الاحتفال بهذا العيد الذي يفرح قلوب البشرية!

✞ تقوم الكنيسة معرضًا للفنانين وللشباب والفتيان يعبرون فيه عن هذا العيد المفرح! اشترك في هذا المعرض.

✞ تُقام عدة مسابقات...

أفضل بحث عن:

*** عمل السيد المسيح عبر الألفين عامًا في العالم.**

*** ماذا يريد مسيحنا في اليوبيل الألفي الثاني لعيد ميلاده؟**

مسابقة في أجمل رسم تعبيري يُستخدم في هذه المناسبة.

قصص قصيرة

٢٩-٤٥

طفلة تنقذ والديها

بدأت عينيّ الطفلة تدمعان شيئًا فشيئًا ثم صارت الدموع تنهمر بغزارة، وأخيرًا ارتفع صوت الطفلة بالبكاء وهي تقول لمدرسها بالتربية الكنسية:

"ماذا تعني؟

هل بابا وماما يذهبان إلى النار (جهنم) لأنهما يشربان خمرًا؟!

هل سأذهب معهما إلى النار؟"

شعر المدرس أنه في مأزق، لا يعرف بماذا يجيب، فقد قال للأطفال: "من يشرب خمرًا يذهب إلى النار".

بدأ كل الأطفال ينشغلون بالطفلة الباكية، واضطر المدرس أن يأخذ الطفلة معه إلى مقصورة التناول التي بجوار الهيكل ويترك الفصل للمدرس زميله.

عبثًا حاول المدرس أن يهدئ من روع الطفلة... أخيرًا قال لها: "لا تخافي، فإن الله يستطيع أن يمنع بابا وماما من شرب الخمر".

- كيف؟

- بالصلاة؟

- إن صلينا، تعتقد متى يمنع الله بابا وماما عن شرب الخمر؟

- بعد شهر تقريبًا!

- لو كانت الصلاة أطول، ألا يستطيع أن يمنعهما في خلال أسبوع؟

- الله يستطيع كل شيء.

- لو كانت الصلاة أقوى، ألا يستطيع أن يمنعهما الليلة؟

لأم إيمان الطفلة أجاب المدرس بالإيجاب.

قال المدرس للطفلة: "إذا ما أحضر بابا أو ماما خمرًا لدخلي حجرة النوم

واسألي ربنا لكي يمنع عنهما الخمر".

بإيمان رجعت الطفلة بيتها وهي متأكدة أن الله يمنع والديها عن شرب الخمر. وفي المساء إذ رأت الطفلة والدها يمسك بزجاجة الخمر انطلقت إلى حجرة النوم وركعت، وبدأت تبكي وهي تصرخ: "يا يسوع لمنع بابا وماما عن شرب الخمر".

فأعدت الأم المائدة، ووضع الوالد الزجاجة فتدحرجت وانكسرت. وذهب بسرعة إلى محل واشترى زجاجة أخرى. وكانت المفاجأة انها للمرة الثانية تتكسر زجاجة الخمر. وتكرر الأمر للمرة الثالثة فأقسم ألاّ يشرب خمراً!!

إذ جلس الوالد مع زوجته للعشاء لم يجدا الطفلة معهما على المائدة، فقام ليرى سبب تأخيرها، فوجدها راكعة تبكي.

أنصت إلى كلماتها فسمعها تصرخ: "يا يسوع حبيبي لمنع بابا وماما عن شرب الخمر، لأني مشتاقة أن يكون لهما نصيب معك في المجد الأبدي".

احتضن الوالد طفلته وسألها عن سبب ما تفعله، فروت له ما حدث في فصل التربية الكنسية.

بكى الأب في مرارة وشاركته زوجته وانطلقا بالليل ومعهما الطفلة إلى مطران الأقصر، وأمامه اعترف الوالدان بخطاياهما لأول مرة، وصار البيت كنيسة صغيرة مقدسة!

هذه قصة واقعية سمعتها وأنا طالب، تمّت أحداثها في مدينة الأقصر. إن كان المدرس لم يقدم درسه بطريقة مناسبة، وإن كان الوالد لم يمارس الحياة المسيحية اللائقة في الرب، فإن الطفلة الصغيرة غلبت بإيمانها الاثنين. ارتفع إيمانها فوق إيمان مدرسها المرتبك، وغيّرت حياة والديها ككل! هكذا يستطيع طفل أو فتى أو شاب أن يعمل الكثير بإيمانه في حياة أسرته كما في حياة الكنيسة.

علمني أن اهتم بوالديّ

✞ إن كان والديّ يهتمان بكل احتياجاتي،
فأنا أيضًا لي ما أقدمه لهما!
هب لي أن أكون صورة حية لك أمامهما،
أشهد لحبك وطاعتك يا مخلصي!

✞ علمني كيف أصلي وأنا فتى صغير من أجل أسرتي،
بل ومن أجل كل البشرية!

✞ علمني أن أصنع مطانيات (سجدات) لأجل عائلتي،
ولأجل أصدقائي، ومن أجل كل إنسان!

■ ■ ■

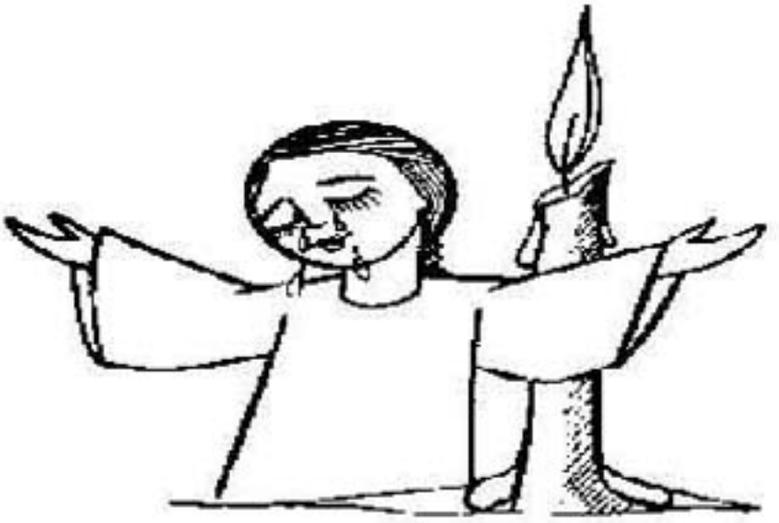

صدقوني: إني أحبه!

منذ سنوات إذ كنت في طريقي إلى القاهرة لتدريس مادة الباترولوجي (أقوال الآباء وكتاباتهم) تعرفت على شخص جلس بجواري في الديزل. روى لي هذا الإنسان الذي يقترب من الستينات هذه القصة:

"أنا أعمل مدير في...، وعلاقتي بكل زملائي والمرؤوسين ممتازة، فنحن نعيش كما في جوّ عائلي.

بدأ رئيسي يضايقني بلا سبب. كان عنيفًا جدًا معي، وكان حتى المرؤوسين لي متضايقين بسببي، إذ تربطني بهم علاقة حب.

بدأ يضغط أكثر فأكثر حتى أحسست أنه لا مفر لي سوى الخروج "على المعاش المبكر" خشية أن أصاب بأزمة قلبية أو أي مرض خطير بسبب الضغط العصبي.

بدأت الفكرة تسيطر عليّ، لكنني قررت أن أذهب إلى أبي قير في شقة خاصة بي لأقضي أسبوعين خلوة مع إلهي قبل أخذ القرار النهائي. وبالفعل طلبت أجازة أسبوعين وذهبت بمفردي إلى أبي قير.

كرست هذين الأسبوعين للصلاة، خاصة بالمزامير، وكنت أتمتع بالكتاب المقدس في جو هادئ ممتع. نسيت كل مشاكلي ومتاعبي وطلبت مشورة إلهي، وجاء قراري في العمل مهما فعل! سأحتمله بفرح!

نسيت كل ما فعله بي رئيسي، وانطلقت في أول يوم بعد الأجازة مشتاقًا أن أراه، فقد اتسع قلبي بحبه جدًا.

التقيت بزملائي والمرؤوسين الذين استقبلوني بحرارة كأحد أفراد الأسرة، ثم قالوا لي: "أخبرنا ماذا فعلت برئيسك؟" قلت: "لماذا تسألوني هكذا؟" قالوا: "اليوم

جنازته!" بكيت، وشعر الكل إني صادق في حبي له! قلت لهم: "صدقوني: إني أحبه!"

دهش الجميع كيف أحب من يستخدم كل وسيلة لمضايقتي، ولم يدركوا أن الصلاة تهب الإنسان قلبًا متسعًا بالحب، فلا يضـ[illegible] بأية مشكلة!

■ ■ ■

عزيزي القارئ...

يبدو أن كل إنسان في العالم يجتاز ضيقًا، ليس لأن الحياة مؤلمة لكن لأن قلوبنا ضيقة لا تحتمل متاعب الحياة. الحاجة لا إلى أن تزول الضيقات بل أن تتسع قلوبنا جدًا فلا تعاني من ضيق مهما اشتد.

الالتقاء مع الله، الحب كله، يعطي قلبك اتساعًا، فتتهلل نفسك حتى إن مررت بضيقة.

لسنا ننكر واقعية الحياة بآلامها وأتعابها، لكن الصلاة سند لك لتتحول دموعك إلى تعزيات سماوية. "عند كثرة همومي في داخلي، تعزياتك تلذذ نفسي".

■ ■ ■

هل يضيق قلبي بالهموم؟!

✞ هل يضيق قلبي بالهموم، وأنت ساكن فيّ؟!

سكناك يحول قلبي إلى سماء،

فلا تستطيع آلام الحياة أن تأسرني،

ولا شرور الناس أن تؤذيني!

✞ التقي بك وأتحدث معك، فيتسع قلبي بحبك.

أحب بالحق حتى مضايقيّ،

واشتهي بالحق خلاصهم وسلامهم،

فألتذ بحياتي مهما اكتنفتها الآلام!

✞ علمني كيف أتحدث معك،

هب لي أن أقتنيك، فأحمل حبًا صادقًا لكل إنسان!

أبونا مينا مات!

وسط حديث المرحوم نظمي بطرس الوديّ معي قال لي: "أتعرف كيف نشأت صداقتي مع قداسة البابا كيرلس السادس؟" قلت له: "لا أعرف!"

قال لي:

"لم أكن أعرفه جيدًا، بل سمعت عنه أقوالاً متضاربة. وإذ رُشح للبطريركية هاجمته بعنف على صفحات جريدة. أُختير للبطريركية، وصار بطريركًا، فذهبت لأهنئه بالبطريركية.

بعد أن هنأته، وقد لاحظت على ملامحه البشاشة، ظننت انه لا يعرف شيئًا عما كتبته عنه في الجريدة. في وسط حديثه اللطيف قال لي وهو مبتسم: (بيقولوا عليّ كذا) ذاكرًا اتهامي له.

شعرت بالخجل الشديد منه، فقلت له: 'حاللني يا سيدنا، فإنني لم أكن أعرفك!"

ابتسم قداسة البابا وقال: "أنت لم تهاجمني، أنت هاجمت أبانا مينا المتوحد. أبونا مينا مات! أنا كيرلس أب للكل!"

شعرت بقلبه الكبير المتسع؛ ومنذ هذه اللحظة صرنا أصدقاء، وصارت بيننا محبة كبيرة.

هذه قصة قلب كبير، يعرف كيف يكسب الآخرين بحبه، ويُحول حتى المقاومين إلى أحباء. يعرف أن عظمة الإنسان ليست في مركزه ولا بشعبيته، وإنما باهتمامه بكل أحدٍ ليجعل منه صديقًا شخصيًا له.

لا تقل: إنه بابا وبطريرك، هذا عمله أن يكسب الكل، يقدر أن يسامح! فالقلب الكبير لا يرتبط برتبة كنسية ولا بالسن وإنما باتساعه ليقبل الله فيه.

ليمت قلبي الصغير!

✞ ليمت قلبي الصغير،
ولأحمل قلبك الكبير!

✞ صار قلبي مقبرة ضيقة للغاية
لا يحتمل مضايقات الناس،
بل وكثيرًا ما يسيء فهمهم!

✞ عوض المقبرة الضيقة هب لي مقدسًا متسعًا،
فتتفتح أبواب الفردوس في داخلي،
وتتحول أعماقي إلى جنتك،
تدخلها وتدخل معك خليقتك.
تستريح فيَّ،
وتستريح خليقتك بعملك فيَّ!

✞ تتشغل نفسي بثمر روحك القدوس،
فتأكل وتشبع، وتفيض بالفرح!
لا تبالي بكلمات الغير ولا مضايقاتهم،
بل تدعوهم ليفرحوا معها ويتهللوا بك!

محتاج إلى ثلاث ساعات

في عام ١٩٨٧ بعد الانتهاء من صلاة العشية ودراسة الكتاب المقدس بِوِسْت كوفينا، كاليفورنيا، التقى بي إنسان بشوقٍ شديدٍ وهو يقول: "ألا تعرفني؟!... أنا (فلان) من كنيسة مارجرجس باسبورتنج".

إذ رحبت به قال لي: "سأروي لك أول لقاء لي مع أبينا بيشوي كامل". ثم استدرج الحديث قائلاً:

"التقيت به في الكنيسة وتأثرت جدًا".

قلت له: "أنا محتاج أن أعترف".

رحّب بي قائلاً: "ليكن الآن".

قلت: "أنا محتاج إلى ثلاث ساعات أجلسها معك لأعطيك فكرة عن حياتي، بهذا استعد لكي أعترف، بعد ذلك أفكر في التناول، حينما تشعر أن لديك ثلاث ساعات اخبرني".

قال: "ليكن الآن".

جلست بجواره وبدأت أتحدث معه عن ضعفاتي وأخطائي، وبوجهه المملوء بشاشة شعرت قد رُفعت عني أحمالي. كانت تعليقاته المختصرة تملأ قلبي رجاءً في المسيح مخلصي.

بعد حوالي خمس دقائق لم أجد ما أقوله، إنما أحسست بشوقٍ شديدٍ للتناول، فقلت له: "هل يمكنني أن أتناول؟"

أجاب: "وما المانع!"

تركته وأنا متهلل، فقد كنت أظن أن الاعتراف حمل ثقيل، ويحتاج إلى ساعات طويلة... الآن عرفت محبة مسيحي لي وغنى نعمته الفائقة. لقد فتح لي أبونا بيشوي

أبواب الرجاء في المسيح... وهكذا تغيّرت حياتي.

✠ ✠ ✠

رأيتك فأحببتك

✠ رأيتك يا مخلصي على الصليب،
عرفتك يا غافر الخطايا،
يا فاتح أبواب الرجاء أمامي!

✠ لا أعود أخاف الخطية،
بك أنعم بالنصرة!
أعترف لك بخطاياي،
وبروحك القدوس أدخل إلى برك!

لأستمع إلى الطرفين!

رأيته يجلس في آخر صف في الكنيسة وقد ظهرت عليه علامات الألم الشديد والمرارة، فناديته لأسأله عن سبب ألمه. أجابني: "إني مُر النفس، سأنتظرك حتى تنتهي من مقابلاتك مع كل الحاضرين لأجلس معك". وبالفعل إذ انتهيت من كل المقابلات جلست معه، فصار يروي لي ما حدث له:

"اليوم، الجمعة، كنت مضطرًا إلى الذهاب إلى العمل لأجل بعض الأمور المتأخرة. قلت لزوجتي سآخذ ابننا معي في العمل وسنعود في الظهر.

إذ بدأت أعمل تذكرت إنني قد نسيت ورقة معينة بالمنزل، فعدت ومعي ابني. فتحت باب الشقة، ودخلت إلى حجرة النوم، ففوجئت بمنظرٍ غير لائق. لم احتمل منظر زوجتي وهي تخونني على سرير الزوجية.

لم أعرف ماذا أفعل سوى أنني رجعت بظهري وجئت إلى هنا أسأل: ماذا أفعل؟"

قلت له: "لقد سمعت منك، لكنني اعتدت أن استمع إلى الطرفين، ولا أحكم في أمرٍ بسماعي إلى طرفٍ واحدٍ مهما بدا الأمر واضحًا". قال: "لا مانع! لقد كنت أثق في زوجتي، فهي في نظري لن تكذب، وكنت أظنها طاهرة ومخلصة، لن تخونني حتى رأيت بعيني ما لا أصدقه!" صلينا معًا ثم ذهبت معه إلى بيته، وإذ قرع الباب ثم فتحه، وجدت زوجته تبكي بمرارة! قلت لها: "أريد أن أسمع منك فيما يقوله عنك". فقد ظننت أنها تبكي بسبب اتهامه إياها بالزنا وفضحه إياها.

بروح التوبة الصادقة قالت: "كل ما قاله لك حقيقي، فإنه لا يوجد شاهد! لكن ما يشغلني ليس كرامتي أمام الناس، ولا حتى استمرار حياتي الأسرية، وإنما أبديتي التي فقدتها بسبب خطاياي! لا أريد أن أقدم أعذارًا، فإنني في كل الأحوال مخطئة! لا

أخشى الطلاق، فأنا مستعدة أن أنطق بالحق أمام المحكمة والكنيسة. إن أراد الطلاق لن أدافع عن نفسي، بل أساعده على ذلك. إن أراد الزواج فمن حقه ذلك، أما أنا فسأقضي بقية حياتي في دموعي لكي يغفر لي إلهي!"

انهارت السيدة الشابة وهي تبكي بمرارة، ولم يحتمل زوجها منظر توبتها، وقد تأكد من صدق كلماتها فبكى. قال: "لقد ستر الله عليّ في شبابي، ولا يزال يستر عليّ من جهة أفكاري وأحلامي الدنسة، ومن جهة نظراتي الخفية وربما لمساتي، الآن أستر أنا أيضًا عليكِ". قبّلها الزوج؛ قائلاً لها: "لنبدأ معًا بدأ حسنًا! وليكن مسيحنا في وسطنا، يقدسنا بروحه القدوس".

عاش الزوجان إلى سنوات في حياة مقدسة ملتهبة، ولم يجرح أحدهما مشاعر الآخر! هكذا نجح الشاب المتزوج في اقتناء زوجته بالحب الغافر، فعاش معها في التوبة، وملأ الرب حياتهما سلامًا.

لا تتسرع أيها الفتى في الحكم على الآخرين، ولا تغلق باب التوبة أمام أحد، فيفتح الله أبواب مراحمه أمامك! كن صريحًا مع نفسك كهذه الزوجة الشابة، إن سقطت فلا تستر على خطاياك بغلاف الرياء والخداع بل بدم السيد المسيح العامل في حياة الصادقين في توبتهم! سلّم حياتك في يديّ الروح القدس الذي يبكت على خطية ويرفعك إلى حضن الآب القدوس.

* * *

ستَرت عليّ ولا تزال تستر،
هب لي أن أستر على اخوتي!

✠ بحبك كشفت جراحات اخوتي أمامي،
هب لي أن أضمّدها، لا أن أشهّر بها!
تستر على أفكاري الخفيّة وأحلام يقظتي وضعفاتي،
هب لي أن أستر على ضعفات اخوتي وسقطاتهم.

هل هو صوتها؟!

روى لنا أبونا ميخائيل إبراهيم، نيّح الله نفسه، هذه القصة التي حدثت معه.

جاءه الزوج الشاب يشتكي زوجته، قائلاً: "إنها تسبّني بألفاظ صعبة وقاسية بلا سبب"، ثم بدأ الزوج ينطق ببعض كلمات السبّ، وأبونا يسمع إليه حتى انتهى الزوج من حديثه دون تعليق من جهة أبينا.

سأله الأب الكاهن: "هل متأكد أن هذه الكلمات صدرت عن زوجتك؟"

– نعم، فأنا لا أكذب.

– هل هو صوتها؟

– إنه صوتها!

– هل أنت متأكد؟

إنها زوجتي، عشت معها كل هذه السنوات، وهي التي تسبّني.

ابتسم أبونا ميخائيل وهو يقول:

"إنها ليست زوجتك،

عدو الخير يتكلم على فمها لكي يحطم بيتكما.

هي صالحة،

لكن الشيطان يريد أن يهلكها ويهلكك.

ارجع إلى زوجتك ولاطفها".

عاد الزوج إلى بيته وصار يُصلي لأجل زوجته ولأجل نفسه، وصار يلاطفها بحبٍ صادقٍ فتحوّل البيت إلى كنيسة مقدسة مملوءة سلامًا!

ليتك أيها الفتى لا تُعطي لعدو الخير مجالاً للعمل في أسرتك أو في حياة أصدقائك. إن ثار أحد عليك أو ضايقك انتهر عدو الخير وترفق بالإنسان أخيك فتربح نفسك ونفسه.

الشخص القوى الحي الذي يعالج الأمور من جذورها، فلا يثور على الثائرين، ولا يواجه النار بالنار، بل يطفئها بمياه اللطف الحقيقي.

هب لي شخصية قوية وحكيمة،
فيتسع قلبي بالحب حتى للمقاومين!
وأدرك أن لدينا عدو واحد مشترك: إبليس وجنوده!
لنحب كل إنسانٍ، ولنسند الكل، فنحيا جميعًا بروحٍ واحدٍ!

فقيرة غنية!

أذكر وأنا فتى صغير أن سيدة عجوز عاشت تعمل في بيت بمدينة إسنا بصعيد مصر، وقد ناهزت الخمسة والسبعين عامًا من عمرها. لها ابن مُصاب بالفالج (شلل) عاجز عن العمل، متزوج وله عشرة أولاد وبنات.

كثيرون كانوا يشفقون على هذه العجوز من أجل ابنها المريض وأحفادها الذين بلا عائل، فكانوا يقدمون لها بعض العطايا العينية والمالية.

اعتادت أن تسافر أسبوعيًا إلى ابنها بالأقصر لتقدم له احتياجاته واحتياجات أبنائه لتعود غالبًا في نفس اليوم إلى إسنا.

لم أرها قط تطلب إحسانًا من إنسان، لا تغيب عن أي قداس، سواء في يومي الأحد والجمعة أو في وسط الأسبوع. تذهب لتصلي لا لتطلب من الكنيسة معونة.

رقدت هذه السيدة في الرب، وأُقيمت الصلوات الجنائزية في كنيسة السيدة العذراء، التي مع اتساعها كانت مزدحمة بشعب المدينة، خاصة الفقراء والمساكين.

كان الفقراء يبكونها كأم لهم... وإذ تحدث الكاهن مع بعضهم كانت المفاجأة أنه سمعهم يقولون:

"إنها أمنا، تقدم لنا مرتبًا شهريًا، وتعطينا من العطايا العينية المقدمة لها ولابنها!"

صورة حية للإنسان الغني جدًا باتساع قلبه للفقراء والمحتاجين!

لم تتذب حالها من أجل ابنها العاجز عن الحركة وأحفادها العشرة... لكن باهتمامها بالغير كانت أبواب السماء مفتوحة أمامها، لتأخذ وتعطى بسخاء اخوتها الفقراء!

✠ ✠ ✠

مثل هذه السيدة المملوءة حبًا ستدينا على انغلاق قلوبنا أمام اخوتنا، وعدم مشاركتنا لهم في احتياجاتهم، كما تدينا على قلقنا واضطرابنا بالنسبة للغد بلا سبب حقيقي!

وأنت أيها الفتى، هل لك القلب المتسع بالحب؟ أذكر أن حب العطاء يهبك الشخصية القوية، يفتح أمامك أبواب السماء كما تتفتح أبواب قلوب الكل لك!

حين تمد يدك للعطاء قدم نفسك بالذلة، فترى يدّ السيد المسيح ممتدة لتتقبل العطية ذبيحة حب مقبولة ومرضية أمامه.

✠ ✠ ✠

إذ تمتد يدي بالحب للعطاء،
أرى يدك الإلهية تُبسط لتحمل تقدمتي!
تعطيني سكناك أيها الحب الحقيقي،
يا من تسكن في القلوب المُحبة.
تعطيني فرحًا وسلامًا فائقًا!
تهبني مائة ضعف في هذا العالم،
ونصيبًا في الأحضان الإلهية الأبدية.

✠ ✠ ✠

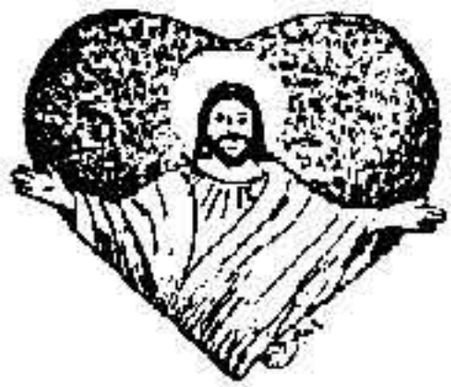

تحت المطر الغزير!

في حوالي السادسة والنصف بعد الظهر قلت لأبي الأسقف: هيا بنا إلى العربة لنذهب إلى دار رئيس الأساقفة الكاثوليكي لأن موعدنا معه هو الساعة السابعة مساءً، والمطر شديد للغاية، فسنضطر إلى السير بالعربة ببطء.

حاول أبي الأسقف أن يتأخر قائلاً: "ماذا يحدث لو تأخرنا ربع ساعة أو نصف ساعة؟"

قلت له: "لم أعتد على ذلك، فإن كنت غير مستعد فإني أذهب واعتذر له".

أخيرًا ركب معي السيارة وفي تمام الساعة السابعة كنا عند مدخل دار رئيس الأساقفة وإذ فتح الأسقف باب السيارة وجد رئيس الأساقفة واقفًا أمامه وسط المطر الغزير، فقد ترك قصره وسار في الحديقة ووقف عند مدخلها ينتظرنا!

دُهش الأسقف وقال: "لك حق، كيف كان يمكننا أن نتأخر ورئيس الأساقفة الشيخ واقفًا هكذا تحت المطر الغزير؟"

ليتنا نتعلم أن نحترم اخوتنا فلا نتأخر دقيقة واحدة عن موعدٍ لأحدهم، فإن التأخير هو احتقار لوقت اخوتنا!

كن مثلاً حيًا في دقة المواعيد، فهي علامة للنضوج وتقدير قيمة الزمن، واحترام الغير!

يذكرني هذا بقصة رواها لي أحد الآباء بأمريكا: [ذهبت مع اثنى عشر شخصًا إلى أحد الأثرياء بأمريكا تبلغ مساحته حوالي ١٠٠٠ فدانًا، مُستغل منه ٢٥٠ فدانًا فقط.

أدهشني مع اتساع الدير وملحقاته دقة المواعيد فرئيس الدير مع جميع الرهبان يجتمعون سبع مرات كل يوم من الساعة ٤,٣٠ صباحا حتى الساعة ٨,١٥ مساءً للصلوات، بالمزاسير يحضر الجميع بدون استثناء ولا يتأخر أحد منهم دقيقة واحدة.

يلتزم رئيس الدير مثله مثل راهب مبتدئ بتنظيف المائدة وخدمة الضيوف في دوره.

تأخرت أنا ومن معي ثلاث دقائق عن موعد الطعام، دُهشنا إذ وجدنا رئيس الدير مع كل الرهبان واقفين حول المائدة ينتظروننا لكي يبدأوا الصلاة... خجلنا من أنفسنا.

لقد تعلمت أن أكون متواجدا قبل الموعد بدقائق احتراما لنفسي ولهم!

تركت بركة لبناتي!

مع منتصف الليل إذ كنت مع أبينا ميخائيل إبراهيم وأبينا بيشوي كامل في منزل المتنيح القمص مرقس باسيليوس نعزيه في زوجته، وكان أغلب المعزين قد انصرفوا، سأل أبونا مرقس أبانا ميخائيل: "هل تظن أن الراقدين يشعرون بنا؟" وهو يقصد زوجته التي رحلت عنه.

روى لنا أبونا ميخائيل بعض القصص المعاصرة التي عايشها بنفسه، أذكر منها القصة التالية:

في قرية (...) انتقل جواهرجي بسيط له سبع بنات وكانت زوجته مرّة النفس، لا تعرف كيف تدير شئون رجلها فكانت تبكي بلا انقطاع. بعد أيام قليلة من الوفاة، إذ كانت في حجرتها بمفردها ودموعها تنهمر من عينيها رأت رجلها أمامها يسألها: "لماذا تبكين؟" أجابت الزوجة: "كيف لا أبكي وقد تركتني وحدي، ومعي سبع بنات، من يهتم بهن؟ وكيف أقوم بتزويجهن؟"

قال لها الزوج: "لا تخافي، افتحي درج الدولاب فتجدين خلفه درجًا مسحورًا خفيًا، تركت فيه بركة لبناتي للإنفاق على زواجهن".

اختفي الزوج ولم تصدق الزوجة نفسها إذ ظنت ذلك نوعًا من الخيالات، لكنها ذهبت إلى الدولاب وفتحت الدرج فوجدت الدرج السري وبداخله "صرّة". نادت السيدة بنتها الكبرى، وقالت لها: "اذهبي إلى عمك واسأليه أن يحضر فورًا".

جاء العم في الحال يستوضح الأمر. أخبرته السيدة بما حدث، ثم قدمت له "الصرّة" وهي تقول له: "هذه هي (الصرّة)... لم أرد أن أفتحها حتى تأتي، لأنه حسب القانون المصري لك نصيب في هذا الميراث، لأن ليس لي بنين ذكور! افتحها أنت وخذ نصيبك!"

بدأت الدموع تتساقط من عيني الرجل وهو يقول لأرملة أخيه: كيف أمد يدي على البركة التي تركها أخي لبناته؟ إني أساهم في الإنفاق على بنات أخي ولا أغتصب شيئاً من البركة التي تركها والدهن لهن!"

حاولت السيدة بكل طاقاتها أن تدفع بالصرّة في يدي الرجل، وتحت الإلحاح فتحها فوجد بها بعض الحليّ الذهبية.

اتفق الاثنان أن يستخدم ثمن الذهب لحساب بنات أخيه، وبالفعل انفق عليهن حتى تزوج الكل!

هذه القصة رواها لنا أبونا ميخائيل إبراهيم الذي عاصرها وكان يعرف أشخاصها، وهي تكشف عن حب الوالدين لنا، كما تكشف عن أمانة الأرملة للخضوع للقانون وعدم الهروب منه تحت أي عذر!

✠ ✠ ✠

وأنا لست وحدي!

✠ كثيرًا ما أعاني من الشعور بالعزلة!

أظن إني وحدي،

ليس من يشعر بي، ولا من يشاركني آلامي!

لست أدري، حتى الذين سبقوني يحبونني!

يصلون عني ويهتمون بي!

وأنا أيضًا أحب، وسأحب!

لن يستطيع الموت أن ينزع حبي عن إخوتي!

أحبهم حتى مع لقائي مع سيدي أحبهم!

أنا لست وحدي حتى إن دخلت في القبر!

✠ ✠ ✠

باركني يا ابني!

كان أبونا ميخائيل إبراهيم في زيارة أحد العائلات وفجأة قام ليصلي لكي ينصرف. تعجب أهل البيت من تصرفه هذا، فقالوا له:

– لماذا أنت مستعجل يا أبانا؟

– ابني إبراهيم (روّح)!

– وليكن، فهو ذاهب إلى بيته.

– ذهب إلى الفردوس.

بالفعل عرفوا بعد ذلك أنه في هذه اللحظات أسلم ابنه الدكتور إبراهيم الروح وانتقل من هذا العالم.

أذكر ذلك عن الدكتور إبراهيم الذي تحدث عنه والده في جلستنا معًا في منزل المتنيح القمص مرقس باسيليوس، فقد روى لنا هذه القصة.

إذ كنت جالسًا في حجرة الاستقبال بالمنزل وأنا مستيقظ كنت أفكر في مشكلة معينة لا يعرف حقيقتها إلا ابني إبراهيم.

رفعت عينيّ وأنا جالس على الكرسي وقلت: "أليس ممكنًا أن ترسل لي يارب ابني إبراهيم لكي يخبرني بالأمر؟" فجأة وجدت إبراهيم واقفًا أمامي بثوب أبيض جميل. قال لي: "ماذا تريد يا أبي"

تطلعت إليه وفرحت جدًا، وقلت له: "أنت لبست الثوب الأبيض يا ابني! لا أريد أن أوسخه لك بالاهتمامات الزمنية... ما أريده هو أن تصلي من أجلي وتباركني".

ختم أبونا حديثه بقوله: "فباركني ابني إبراهيم وانصرف". ربما أخفى بعض أحاديث الحب الروحي والمباركة المتبادلة بينهما!

في السماء يكون الكل اخوة أحباء، يلتقي الآباء والأجداد مع الأبناء والأحفاد بلا فوارق في السن ولا رباطات قرابة جسدية أو دموية، لكن رباط حب أعظم، أعضاء لبعضهم البعض في جسد الكنيسة الواحدة السماوية!

هناك يمتاز نجم عن نجمٍ في المجد، لكن بلا روح غيرةٍ أو حسدٍ، إذ يرى كل واحدٍ مجد الآخرين كأنه مجده هو، يفرح ويتهلل بخلاص الجميع.

أذكر دائمًا استشهاد أريانا والي أنصنا الذي قتل مدنًا بأسرها مثل إسنا وإخميم، وعذَّب أمراءً وأساقفةً وكهنةً ورهبانًا مع أطفال ونساء ورجال وشيوخ. تُرى كيف استقبلته هذه الجماهير غير المحصية في يوم استشهاده حين انطلق إلى الفردوس؟! لقد زفته بالفرح، وحسبت مجده مجدها وخلاصه خلاصها. يا لعظمة الحب الحقيقي!

دموع راهبٍ شيخٍ

في الستينات اعتاد أحد الرهبان الشيوخ أن يزور كنيسة الشهيد مارجرجس باسبورتنج، وكان يدخل الهيكل ليجلس القرفصاء يكاد كل القداس وذلك بسبب شيخوخته وعجزه عن الوقوف أو الركوع. كان يخفي وجهه بيديه وكانت دموعه تنساب بلا توقف.

لاحظه أحد الشبان فاقتاده يومًا إلى بيت أقاربه وهناك أصرَّ أن يعرف ماذا وراء هذه الدموع الغزيرة.

قال له الراهب الشيخ:

"لم أذكر منذ صبوتي أنني كوّنت أية علاقات خاطئة مع فتاة أو سيدة، ولا استسلمت قط لفكرٍ شهواني... أحببت العفة وتمتعت بالطهارة، وكنت فرحًا متهللاً. التحقت بالدير وعشت في فرحٍ حقيقي، وإذ أصابني مرض ألزموني بالذهاب إلى المستشفى.

هناك اهتمت بي ممرضة، بكوني أبًا لها، وإذ ازداد اهتمامها بي مرت بي أفكار غير طاهرة، خشيت على نفسي من أفكاري بالرغم مما اتسمت به هذه الممرضة من أدب وطهارة.

أصررت على ترك المستشفى وبقيت منذ ذلك الحين أبكي ضعفي بلا انقطاع. وضعت خطيتي أمامي في كل حين حتى لا أسقط!"

قال له الشاب: "إنها مجرد أفكار منذ سنوات طويلة، فلماذا كل هذه الدموع؟!"

- أفكاري جرحت ذاك الذي أحبني ويحبني، فكيف لا أبكي؟

أبديتي ثمينة! أخشى أن أفقد مجدي في الرب.

- هل دموعك تحطم سلامك؟

- دموعي تملأني فرحًا وسلامًا، وتثبت رجائي في مخلصي الذي هيأ لي موضعًا في حضن أبيه!

-

✠ ✠ ✠

فرّح قلبي بدموع التوبة!

هب لي يا رب دموعًا نقية،
تمتزج دموع التوبة بدموع الفرح،
أذكر خطاياي وضعفاتي في كل حين،
وأذكر حبك العجيب بلا انقطاع.
روحك القدوس يبكتني على خطاياي،
روحك القدوس يهبني ثمر الفرح والسلام.
فرح قلبي بدموع التوبة الصادقة!

✠ ✠ ✠

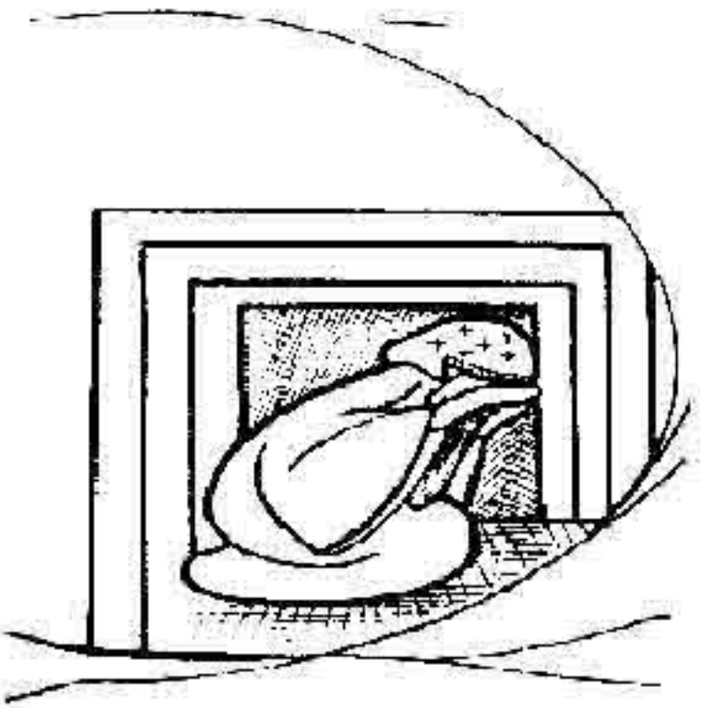

شماس يقرأ بقلبه

اغتاظ الوالي الوثني إذ رأى شماسًا شابًا يسند كثير من المعترفين على احتمال الآلام من أجل إيمانهم بالسيد المسيح. أراد الوالي أن ينكل به، وإذ عرف أن الشماس محب للقراءة في الكتاب المقدس والكتب الكنسية أصدر أمره بفقء عينيه. وقام الجند بذلك في قسوة وبتشفٍ، ظانين أنه حتمًا ستتحطم نفسية الشماس.

بعد قليل التقى الوالي بالشماس فوجده متهللاً بالروح، فتعجب جدًا. وإذ دخل معه في حوار قال له الشماس:

"إنني لست أعرف كيف أشكرك!

كنت أقرأ بعينيّ لعلّي أتعرّف بالأكثر عن أسرار إلهي، وها أنت فقأت عينيّ فوهبني إلهي بصيرة داخلية.

الآن أقرأ الكثير بعينيّ قلبي!

عوض العينان الجسديتان أتمتع الآن بعينين روحيّتين!

لقد عرفت الكثير وتمتعت بأمورٍ سماوية لم يكن ممكنًا للكتب أن تكشفها لي!"

دُهش الوالي، وصار يتساءل: ماذا أفعل بهذا الشماس؟

فقأت عينيه فرأى بقلبه الأمور التي لا تُرى!

دخلت به إلى الحبس فحوّله إلى سماء مملوءة فرحًا وبهجة وتسبيحًا.

إن عذبته يفرح لأنه يشارك مسيحه آلامه.

إن قتلته يُسر بالأكثر لأنه مشتاق أن يرى إلهه... تُرى ماذا أفعل؟"

✠ ✠ ✠

يذكرني هذا بلقاء القديس أنبا أنطونيوس الكبير مع القديس ديديموس الضرير الذي فقد بصره في الرابعة من عمره. إذ سأله القديس أنطونيوس: "هل تحزن يا ديديموس على فقدانك بصرك؟" صمت القديس ديديموس، فكرر الأنبا أنطونيوس السؤال للمرة الثانية وأيضًا للثالثة، وإذ لم يُجب الأنبا ديديموس، قال له أنبا أنطونيوس:

"أتحزن يا ديديموس لأنك فقدت بصرك الذي يشترك فيه الإنسان مع الحيوانات وحتى مع الحشرات، ولا تفرح أن الله وهبك بصيرة داخلية تشترك فيها مع الملائكة والسمائيين؟!"

* * *

فرّح قلبي بك

إذ أقتنيك اقتني الفرح الحق، ليس من يستطيع أن ينزعه مني.

بك تتهلل نفسي يا شهوة قلبي!

ماذا يستطيع العالم أن يفعل بي؟

في مرضي أرى يدك الشافية لنفسي،

وفي آلامي أدخل في حوار معك أيها المتألم!

إن حُرمت حتى من بصيرة الجسد، تهبني بصيرة الروح فأراك!

إن اقترب إليّ الموت تتفتح أمامي أبواب الفردوس!

إن حرمني العالم من خيراته،

أقتنيك يا غنى نفسي!

بك يكمل فرحي.

أتطلع إلى الماضي فأراك تحوّل أخطائي لخيري،

وأنظر إلى الحاضر فأجدك في أحضاني،

وأترقب المستقبل بتهليل إذ أنت قادم إليّ حتمًا!

ابتسامة عريضة في الهيكل

روى لي الأستاذ (ح) هذه القصة، وهو صديق شخصي للبابا كيراس منذ بدء كهنوته (أبونا مينا المتوحد)،وكان يحضر معه كشماس في كنيسة مارمينا بمصر القديمة ليصلي كل يوم القداس الإلهي. قال لي:

ذهبت مع قداسة البابا إلى دير مارمينا بمريوط وحضرت معه العشية حيث لم يكن بها سوى قداسة البابا وراهب يقوم بدور المعلم والشعب وأنا كشماس.

أثناء الذكصولوجيات حيث كان الراهب يتلوها وقف قداسة البابا في الهيكل صامتًا، وفجأة ابتسم ابتسامة عريضة كادت تكون ضحكة خفيفة.

ذُهلت للمنظر فقد عشت معه كل هذه السنوات أراه دائمًا حازمًا مع نفسه ومع غيره داخل الهيكل.

بعد صلاة العشية ذهبت إليه وقلت له بدالة البنوة: "قل لي يا سيدنا لماذا ضحكت وأنت في العشية، إنني لم أرك قط تضحك في الكنيسة منذ عرفتك؟"

حاول أن يهرب من الإجابة بكل طريقة لكنني صممت أن أعرف السبب. أخيرًا قال لي:

سأخبرك بالأمر بشرط أن تخفيه إلى يوم رحيلي من هذا العالم.

لقد دخلت الهيكل وكانت نفسيتي مرة بسبب مشكلة تخص الأقباط.

فجأة ظهر لي مارمينا وقال لي: "لماذا أنت حزين؟" قلت له عن السبب، فقال : "هل تظن أنك وحدك؛ كلنا معك نسندك" ثم مدّ يده (وزقني) بلطف فضحكت!

* * *

صداقة مع القديسين

كثيرًا ما أعاني من الوحدة القاسية!
ولكنت في داخلي عميقًا أعمق من نفسي!
أنت تملأ أعماقي،
ولكنا في غباوتي أظن إني بلا معين!
قديسوك يسندونني،
يشاركونني مشاعري، ويصلون عني!
إنهم سحابة شهود تحيط بي!
افتح عن عينيّ فأراك يا قدوس القديسين!

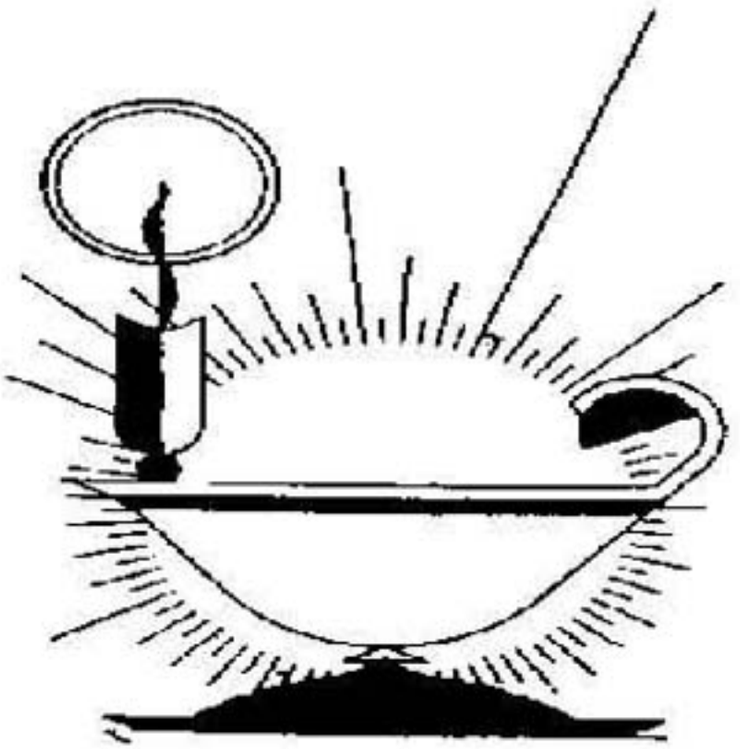

شاب يكذب يا بابا!

في أول يوم لدخولها الجامعة عادت الفتاة من كليتها وكانت تبكي بغير انقطاع. حاول والدها واخوتها أن يعرفوا سبب بكائها فلم يستطيعوا. بقي الأب يحاور معها بكل طريقة ليعرف سبب بكائها المستمر، خاصة وأنه كان هذا أول يوم تدخل فيه الجامعة. أخيراً بعد مجهودٍ شاقٍ في حوالي الساعة الحادية عشر مساءً قالت له:

– تخيّل يا بابا!

– ماذا حدث؟

– تخيّل لقد لاحظت زميلاً لي في الكلية كذب!

وقف الأب مندهشاً لعدم خبرة ابنته التي التحقت بالجامعة وتظن أنه لن يوجد إنسان ما يكذب. نادى الأب أولاده وقال لهم: "اخبروني ماذا أفعل؟ فإن فوزية تبكي طول النهار لأنها اكتشفت أنه يُوجد شاب يكذب! كيف يمكنها أن تعيش في وسط المجتمع؟"

لقد عاشت هذه الفتاة وتزوجت، ونجحت في عملها كمدرسة، كما في حياتها الزوجية، بل وكان لها أثرها الحيّ على كثيرين سواء في مدرستها أو وسط أصدقائها وأحبائها.

أذكر حين كنت أفتقدها وهي تعاني من آلام السرطان القاسية مع شلل نصفي كانت تقول لي:

"لماذا تفتقدني... أنا بخير! أرجوك افتقاد الشباب فهم أحوج مني إلى الافتقاد!" بهذه الروح عاشت فوزية البسيطة القلب والمهتمة بخلاص الكثيرين.

■ ■ ■

قلبًا نقيًا لخلقه فيّ يا الله

هب لي يا رب قلبًا نقيًا،
فأرى الكل أنقياء!
لا أتخيَّل إنسانًا فاسدًا أو كاذبًا،
بل أرى الكل فيك،
وأحب خلاص الجميع!
هب لي دموعًا فأبكي على ضعفاتنا البشرية،
واتساع قلب فلا أطلب تعزية لي،
بل خلاصنا وبنيانًا لكل نفسٍ!

■ ■ ■

تعزيات مقدمًا!

في وسط آلامها الشديدة قالت لي السيدة فوزية:

– أنا متهللة لأن الله يقدم لي التعزيات مقدمًا!

– ماذا تقصدين بالتعزيات المعطاة لكِ مقدمًا؟

– بالليل يقدم لي إلهي تعزيات عجيبة ليسندني مقدمًا، وكلما كثرت التعزيات أعلم أنني بالنهار سأعاني من آلام مبرحة! أشكره لأنه يسندني مقدمًا.

لم أسمعها قط تئن وسط آلام السرطان القاسية مع شللٍ نصفي، فقد كان الرب نفسه معزيها.

كنت افتقدها في أول يوم في صوم الرسل فقالت لي:

– هل تعلم ماذا حدث بالأمس؟

– لا!

– جاءني أخي كمال، ولم يكن قد زارني منذ أسبوعين إذ كان خارج الإسكندرية.

كنت مشتاقة إليه لكنني سألته: أيّ الأيام هذا اليوم؟

– الأحد.

– أيّ أحد.

– أحد العنصرة.

– كيف تأتيني الآن وتترك صلوات السجدة.

أصررت أن يأخذ زوجي وأبنائي ويذهبوا إلى كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بمصطفي كامل (تبعد خطوات من المنزل).

حاولوا بكل الجهد أن يتركوا أحد أولادي لعلّي أحتاج إلى شئ أو بأني ضيف لكنني لصررت أن يشتركوا في صلوات السجدة.

ما أن خرجوا وأغلقوا الباب، حتى فتح لي إلهي أبواب السماء.

تمتعت بأمورٍ لا ينطق بها، حتى إذ وضعوا مفتاح الباب ليفتحوا عدت إلى ما كنت عليه.

حاولت أن أتحدث معها عمّا رأته فكانت تغير الحديث باستمرار!

■ ■ ■

السماء المفتوحة

حين تُغلقّ أبواب الأرض أرى السماء مفتوحة!

حين أرفض الاتكاء على صدر بشر،

أجد صدرَ الرب متسعًا بالحب لي!

افتح يا رب عن عينيّ،

فأرى مع القديس يوحنا بابًا في السماء مفتوحًا.

أدخل إلى أسرارك الإلهية،

وأتمتع بالشركة مع السمائيين

أتهلل وسط آلامي،

وأنتظر بفرح لقائي معك أبديًا!

■ ■ ■

قرأته عشرين مرّة!

في زيارة بإحدى المدن الأمريكية إذ كنت أفتقد أسرة قلت لأحد الأحباء: "في أي الأسفار المقدسة تقرأ؟" أجابني: "لست أقرأ في الكتاب المقدس، فقد قرأت العهد القديم حوالي عشرين مرة، أما العهد الجديد فبلا عدد. إني أعرف كل الوصايا الواردة في الكتاب المقدس وأيضًا القصص الخ."

صمتُّ قليلاً ثم قلت له: "لقد قرأ إنسان عبارة واحدة، وبقي يقرأها أكثر من ٨٥ سنة ولم يتمكن من قراءتها!"

- من هو هذا الإنسان؟

- أبا أنطونيوس.

- أية عبارة؟

- دخل الكنيسة وهو شاب صغير لم يبلغ الثمانية عشرة من عمره وسمع قول الرب: "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك ووزعه على الفقراء وتعال اتبعني". سمع القول وأدرك أنها رسالة شخصية موجهة إليه. بقي يقرأ العبارة ويحاول أن يتممها طول عمره، فإذا بالوصية واسعة جدًا، وكأنه يردد قول المرتل: "لكل كمالٍ رأيت حدًا أما وصاياك فواسعة جدًا".

كتابنا لا يُقرأ لكي يحفظ عن ظهر قلب، ولا لمجرد التعرف على الوصايا والقصص الدينية، إنما يُقرأ لكي يلتقي المؤمن بكلمة الله المخلص والصديق، يدخل معه في حوار حب، ويتمتع بالحياة معه.

نقرأ الوصية لنمارسها لا كعملٍ أخلاقي بحت، وإنما لكي نصير أيقونة المسيح، نصير على صورته، ونتحلى بسماته، تتزين نفوسنا بغنى نعمته فتتهيأ كعروسٍ لعريسها السماوي.

ليكن كتابك مفتوحًا أمام عينيّ،
أقرأه بقلبي لأعيش به،
أراك مختفيًا وراء الحروف،
التقي بك وأتعرف عليك.
أعرفك فأحبك،
أحبك فاتحد بك!
روحك القدوس ينير عينيّ قلبي،
ويجتذبني إليك فأجري نحوك.
أشهد لك ليتمتع الكل بك!

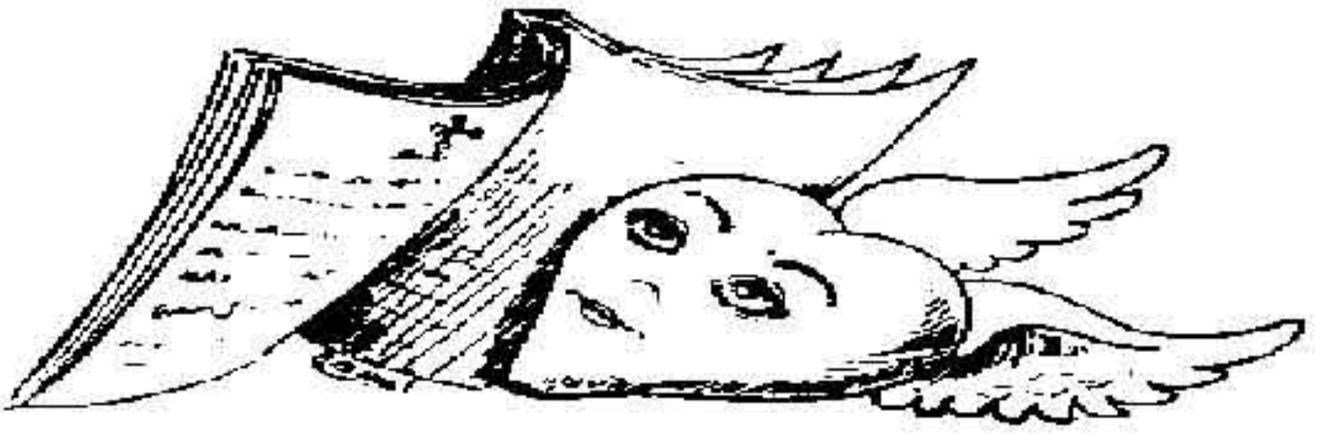

طفلتان تقدسان صومًا!

أثناء افتقادي للعائلات بمنطقة هوليوود Holywood بكاليفورنيا عام ١٩٧١ قالت لي سيدة تقية لها ـــ في ذلك الحين ـــ طفلتان صغيرتان: "ما رأيك يا أبي في الاستحمام في حوض السباحة الخاص بالمنزل أثناء الصوم؟"

لماذا تسألينني؟

– طفلتيّ رفضتا اليوم أن تمارسا السباحة في حوض السباحة، ولما سألتهما قالتا لي: "كيف نمارس السباحة ونحن صائمتان؟"

قلت لهما: "الصوم لا يمنع ممارسة السباحة".

أجابتا: "كيف نمارس السباحة ونحن صائمتان؟ إسألِ أباناا!"

يكشف هذا الحوار بين الأم وطفلتيها الصغيرتين عن نظرة بسيطة تقوية لطفلتين في "الحضانة" مع لمسة روحية تمس كيانهما الداخلي.

لست أود الدخول في الحوار بخصوص إمكانية ممارسة رياضة السباحة في حوض سباحة خاص في أيام الصوم، لكن ما يشدني بحق تقوى طفلتين تعيشان في أمريكا بهذا الروح بينما أرى كثيرين يأتون في فترة الصيف يتساءلون: "إننا سنذهب إلى المصيف، هل يمكننا أن نستحم بعد التناول؟ بعد كم ساعة من التناول يمكننا ذلك؟"

إن الأمر لا يحتاج إلى قوانين جافة تضبط مثل هذه الأمور، ولا إلى حلٍّ يمكن أن تحصل عليه من كاهنٍ، لكنه يحتاج إلى قلبٍ تقويٍ وفكرٍ سماويٍ وإلى نفسٍ جادةٍ تطلب ما هو لبنيانها الروحي المستمر.

■ ■ ■

هب لي يا رب قلبًا تقيًا،

فلا أطلب الطريق الواسع بل الضيق.

فلا أطلب الطريق الواسع بل الضيق.
تتهلل نفسي جدًا إذ ترافقك طريقك.
لا أبحث عن وسيلة للترف والتدليل،
بل أكون حازمًا مع نفسي وجادًا،
بفرح وتهليل أعيش مقدسًا لك!

■ ■ ■

مكتبة الفتيان

قصص قصيرة

٤٦ – ٦٤

هدية أم إهانة

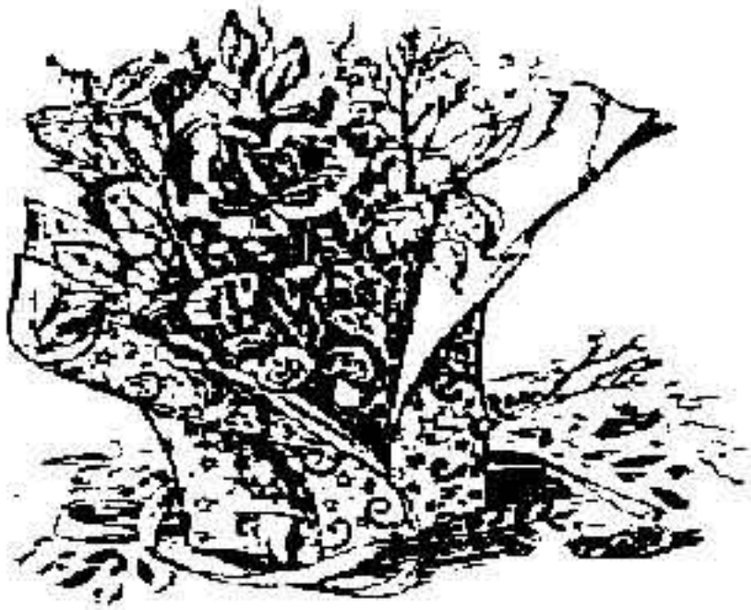

دخلت سميرة بيت صديقتها لوسي وهي تقول لها:

– هل تاسوني مرثا، خادمة اجتماع الشابات عندك؟

– لا، لماذا تسألين؟

– عربتها المرسيدس تقف عند الباب.

– ربما تشتري شيئًا؟

– هل تشتري هذه المليونيرة من محلات فقيرة مثلنا؟

بينما كانت الشابتان تتحدثان إذا بقرع على الباب. وإذ فتحت لوسي الباب وجدت سائق (شوفير) مرثا يقف على الباب ويقدم لها علبة جميلة، وهو يقول لها: "السيدة مرثا أرسلت لكِ هذه العلبة وهي تسأل عنك". شكرته لوسي وطلبت منه أن يدخل، فاستأذن قائلاً بأن السيدة مرثا تنتظره، لأنه سيقوم بتوصيلها إلى مكانٍ معين.

طلبت لوسي منه أن يشكر السيدة مرثا، وقالت له: "قل لها إنني سأذهب اجتماع الشابات غدًا وأشكرها بنفسي".

نادت لوسي والدتها واخوتها وهي متهللة جدًا.

قالت: "انظروا، مرثا تهتم بي، أرسلت لي هدية!"

سألت الأم: "وما هي مناسبة الهدية؟"

أجابت: "اهتمامها الشديد بي، إنها مملوءة حبًا".

سرعان ما فتحت العلبة، وقد ظهرت عليها علامات التعجب. لقد وجدت زهورًا ذابلة تمامًا، كادت أن تتساقط، وقد جفت الأوراق...

"ما هذا؟"، قالت سميرة وهي في غضبٍ شديد.

قالت الأم: "لا تتضايقي يا لوسي. لعلها أخطأت في وضع الهدية، فوضعت هذه الزهور الذابلة عوض الهدية".

وعلقت سميرة: "أنا أعرف مرثا سيدة محبة وسخية، رقيقة المشاعر جدًا. لعلها أعطت هذه الهدية للسائق منذ أسبوع، وهو أهمل وتكاسل فقدمها اليوم!"

قالت الأم: "على كلٍ غدًا اجتماع الشابات، اذهبي واشكريها، واسأليها متى أرسلت هذه الهدية".

في اليوم التالي ذهبت لوسي الاجتماع وإذ التقت بمرثا دار بينهما الحديث التالي.

- أشكرك على اهتمامك بي وإرسالك الهدية.
- عفوًا، فإنها هدية بسيطة جدًا.
- لقد وصلتني هديتك. هل أرسلتيها بالأمس؟
- لماذا تسألين؟... لقد أرسلتها بالأمس... ألاكِ مندهشة!
- نعم، فقد وصلتني زهورًا ذابلة تمامًا!
- أنا أعلم أنها ذابلة. فقد أُعجبت بها حين كنت أتمشى في الحديقة منذ حوالي أسبوع، فقطفتها لنفسي، ووضعتها على مائدة الأكل. كانت زهور جميلة ورائحتها زكيه. وإذ ذبلت فكرت أن ألقيها في سلة المهملات، لكنني فكرت فيكِ، وقلت في داخلي: "أرسلها إلى لوسي صديقتي المحبوبة بدلاً من إلقائها في سلة المهملات؟
- هل تحسبيننى صديقة محبوبة حين تهديني زهورًا ذابلة لا يليق إلا بإلقائها في سلة المهملات؟ أم تظنين إنني فقيرة للغاية فتهينيني بإرسال هذه الزهور؟
- لا تغضبي يا صديقتي فإني أحبك وأفكر فيك.
- هل هذا حب أم إهانة؟
- أتظنين في هذا إهانة؟
- نعم... إنني لن أحضر بعد هذا الاجتماع، ولن التقي بعد معكِ.

ابتسمت مرثا وربتت بيدها على كتفيّ لوسي، وقالت لها:

- لا تتضايقي يا لوسي...
- كيف لا أتضايق؟ هل تحسبيننى بلا مشاعر؟ أو بلا كرامة؟
- إني أحبك، وأعلم أنكِ مرهفة المشاعر جدًا ورقيقة للغاية... لكنني أردت أن أكشف لكِ عن أمرٍ خطيرٍ يمس حياتك.
- ماذا تقصدين؟
- إن كنتِ قد حسبتي هديتي هذه إهانة، فأنتِ إذن تهينين الله كل يوم.
- كيف؟

- تقضين أفضل أوقاتك في الدراسة ومع الأصدقاء وفي راحة الجسد ومشاهدة المسلسلات التليفزيونية والإنترنت، وأخيرًا قبل أن تنامي وأنتِ مرهقة جدًا تقدمين من فضلات وقتك دقائق للصلاة وقراءة الكتاب المقدس. إنك تهينين الله، كأنه لا يستحق إلاّ الفضلات من وقتك واهتماماتك. هذه هي هديتك لله الذي يحبك ويعتز بك كابنة له، ويطلب نفسك كعروس سماوية.

- ماذا أفعل الآن؟

- اذكري أن الآب قدّم لكِ ابنه البكر فدية عنك، فهل تبخلين عليه ببكور وقتك واهتماماتك. والكلمة الإلهي نفسه "أخلى نفسه آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في٢: ٧).

✞ ✞ ✞

✞ قدّمت لي يا سيدي ذاتك هدية،
فماذا أقدم لك؟
تسألني أن أقتنيك لكي تقتنيني.
لكنني في غباوتي أقدم لك فضلات حياتي،
أبخل عليك ببكور وقتي، وإضرام مواهبي لحسابك.

✞ قدّمت لي سمواتك مسكنًا لي،
وجعلت خليقتك السماوية أصدقاء لي وأحباء.
فأهلني لتسكن أنت فيّ،
وتقيم ملكوتك السماوي في داخلي.

✞ أحببتني أولاً،
هب لي أن أحبك فوق الكل!
هب لي أن أسلمك قلبي وفكري وأحاسيسي!

قصة قصيرة ٤٧

لا تسحب صداقتك عني![1]

قيل إن شاه عبيس Shah Abbis ملك إيران كان محبًا جدًا لشعبه. في إحدى الليالي خطرت على باله فكرة أن يخلع ثياب الملك ويرتدي ثوبًا رخيصًا ومهلهلاً وينزل بالليل يلتقي بالفقراء الذين في الشوارع، يتحدث معهم ويكوّن معهم صداقات. في الحال تمم الفكرة ونزل إلى الشوارع يلتقي بنفسه ببعض الفقراء ويتعرف عليهم؛ يعرف أفكارهم وأحوالهم.

تسلل الملك من باب خلفي خفي من القصر حتى لا يتعرف عليه أحد.

التقى الملك المتخفي بصياد سمك فقير يرتدي ثوبًا مهلهلاً ويجلس في الظلام وقد أوقد نارًا في بعض عيدان حطب جمعها ليشوي عليها سمكات قليلة صغيرة يتعشى بها.

بابتسامة مملوءة حنانًا حيّاه الملك وجلس بجواره، وصار يتحدث معه. استراح الصياد لحديثه... وإذ طال الحديث إلى فترة طويلة من الليل سأل الصياد إن كان يأكل معه الملك المتخفي من السمك. أظهر الملك امتنانه للصياد وقبل الدعوة، فصارا يتسامران وهما يأكلان السمك الصغير.

كان الصياد يتحدث معه عن صيد السمك وكان الملك يصغي إليه باهتمام شديد. روى الصياد قصصًا من واقع حياته وحياة أصدقائه، وتارة كان يتحدث عن اقتصاد البلد وأخرى عن السياسة الخارجية، والملك ينصت إليه ويعلق بكلمات قليلة وبأسلوب بسيط جذب قلب الصياد وفكره وصحح له الكثير من مفاهيمه.

في نهاية الجلسة قال الصياد للملك:

"إني معجب بك يا صديقي العزيز.

---

[1] *See M.P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, 1992, P. 48-49.*

كنت أود أن أقضي الليل كله معك، لكني ملتزم بالعودة إلى أسرتي، ولأظن أنك أيضًا تود العودة إلى أسرتك.

لقد سعدت بصداقتك، وتمتعت بحبك، وتعلمت الكثير من حكمتك.

إني أكون سعيدًا إن كنت تجد وقتًا لنلتقي هنا ونتسامر معًا."

شكره الملك قائلاً:

"إني أشكرك أيها الأخ العزيز، فإنني سعدت أنا بالأكثر باللقاء معك والتعرف عليك.

لقد صار لي أنا صديق مملوء لطفًا وحكمة مع كرم ضيافته واتساع فكره وانفتاح قلبه.

إني اشتاق أن أراك كل ليلة وأتمتع بحديثك".

عاد الملك إلى قصره متهللاً، وكرر الأمر عدة مرات حتى تأصلت روابط الحب بينه وبين الصياد.

في إحدى الليالي إذ كان الملك في طريقه إلى الصياد قال في نفسه:

لقد حان الوقت لأعلن عن شخصيتي للصياد لعله يكون في حاجة إلى خدمة معينة أو إلى مالٍ فأساعده هو وأهل بيته وأصدقاءه.

إنها بلاشك ستكون ليلة سعيدة لهذا الصديق لينال الكثير مما لم يكن يحلم به، وستكون ليلة سعيدة لي إذ أسعد هذا الرجل ومن حوله!"

كشف الملك عن شخصيته للصياد، فذُهل الصياد وارتبك... لكن الملك تحدث معه ببشاشته المعهودة وسأله أن يطلب ما يحتاج إليه هو ومعارفه.

تطلع إليه الصياد بنظرة إعجاب وقال له:

"لقد سمعت عنك الكثير يا جلالة الملك.

سمعت عن محبتك لشعبك وسخائك.

لكن لم أكن أتصور أنك تنزل إليَّ لتعيش معي كل هذه الفترات السعيدة.

لقد قدمت خدمات وهدايا كثيرة لكثيرين، أما أنا فكنت أكثرهم حظًا، إذ قدمت لي نفسك لأقتنيك صديقًا وأخًا.

مطلبي إليك هي ألا تسحب صداقتك عني!"

دُهش الملك لأن الصياد الفقير لم يطلب شيئًا من كل غنى الملك، بل يطلب الملك نفسه صديقًا له.

هذا ما صنعه معنا ربنا يسوع المسيح، ملك الملوك الذى ترك مجده، وقصره السماوي، ونزل إلينا... ولد كطفلٍ في مزود لكي نجتمع حوله ونتحدث معه، ونصغي إليه!

✠ ✠ ✠

يا يسوع حبيبي،
أشكرك لأنك نزلت إلى أرضي،
صرت طفلاً تتحدث مع الأطفال،
عشت معهم في عالمهم يا خالق الكون كله.
نزلت من سمائك لكي تأخذنا معك إليها.
اننا لا نطلب شيئًا!
نريدك أنت أيها السماوي!
نريدك أنت أيها الصديق العجيب.
لا تسحب صداقتك عنّا.

الرحمة
لمن لا يستحق الرحمة

قيل إن سيدة وقفت أمام نابليون بونابرت تشفع بدموعها في ابنها الذي ارتكب جرمًا عظيمًا يستحق عقوبة قاسية.

– إني أعلم أنك إنسان رحوم، فأرجو أن تعفو عنه هذه المرة.

– إني أحب الرحمة، وقد صفحت عنه في المرة السابقة.

– اصفح عنه أيضًا في هذه المرة.

– إنه لا يستحق الرحمة، فقد استهان برحمتي السابقة.

– أنا أعلم أنه لا يستحق الرحمة، لكنك أنت رحوم.

– كيف أقدم الرحمة لمن لا يستحقها؟

– إن قُدِّمت الرحمة لمن يستحقها لا تُحسب رحمة، لكن الرحمة الحقّة هي التي تُقدم لمن لا يستحقها.

صمت نابليون قليلاً ثم قال لها: **"لقد أدركت الآن ما هي الرحمة، لذا قررت العفو عنه!"**

هذه هي احساسات الرسول بولس وهو يقول: "ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو ٥: ١٠)، فقد تحققت مراحم الله بالعفو عنّا ومصالحتنا مع الله ونحن أعداء ومقاومون له! أعطيناه القفا فأعطانا وجهه، قاومناه بكل طاقاتنا فبذل حياته لأجلنا... أحبنا أولاً حتى نذوق مراحمه المجانية فنتقبله فينا، عندئذ نفتح قلوبنا

بالمراحم والحب له، بل ولكل البشرية، فنرحم من نحسبه لا يستحق الرحمة، ونحب من نظنه لا يستحق حبنا!

أشكرك يا رب لأنك بالحق رحوم!
رحمتني أنا غير المستحق الرحمة.
فتحت أبواب أحضانك أمامي أنا الهارب من وجهك،
جذبتني بالحب إلى أحشائك الملتهبة بنار الحب!

تصهر طبيعتي القاسية وتُجددها،
أحمل شركة الطبيعة الإلهية،
فتفيض المراحم من أعماقي لمن لا يستحق المراحم!
ويشرق الحب من داخلي على من يبدو غير مستحقٍ لحبي!

تُحول أعماقي إلى مراحم لا تعرف الحدود،
ويتحول كياني إلى نار حبٍ لا تستطيع كل مياه العالم أن تطفئها!
أنت الحب كله... اجعلني بالحق محبًا ورحومًا!

أين هو أثاث بيتك؟

قيل أن سائح أمريكي في زيارته لبعض مدن أوربا التقي بعابد لا يملك إلا بعض الكتب وحصيرة... جلس السائح مع العابد يتحدثان معًا... قال الأمريكي للعابد: "أين أثاث بيتك؟" أجابه العابد بسؤال: "وأنت أين أثاث بيتك؟" قال الأمريكي: "أنا سائح غريب، لا أحمل أثاثات بيتي معي، إنما هي في وطني، أي في الولايات المتحدة الأمريكية". عندئذ قال العابد: "وأنا أيضًا مثلك!"

مسكين الإنسان الذي وهو سائح غريب في هذه الحياة، يشغل قلبه وفكره ويقضي أغلب وقته منهمكًا في أثاثات العالم!

لتعش في هذا العالم بروح الحرية، تنطلق سريعًا كسائح غريب متفرج حتى تعبر إلى أورشليم العليا وطنك لتجد أحضان الآب بكل الأمجاد الفائقة مُعدَّة لتستقر وتستريح فيها.

من يدرك غربته لا يحمل همًا بل فرحًا، ولا يرتبك بأثقال الحياة بل يطير كما بجناحي الروح، صاعدًا من مجدٍ إلى مجدٍ بهتاف لا ينقطع!

أن أتبعك،

هذا ما لست مُقتنعًا به!

دخل مؤمن إلى موضع مدافن بالهند، وكان يتمشى يتأمل في حياة الذين ماتوا وعبروا هذا العالم. وبينما هو غارق في أفكاره وجد مقبرة قديمة يبلغ عمرها حوالي ١٠٠ عامًا وقد كتب الراقد فيها قبل موته هذه العبارات:

"أنكر أيها الغريب يا من تعبر بي،

كما أنت الآن هكذا كُنتُ أنا يومًا ما.

وكما أنا الآن فستكون أنت أيضًا يومًا ما.

استعد للموت، وتعال اتبعني!"

بينما كان المؤمن يتأمل فيما نُقش على المقبرة، إذ به يجد نقشًا آخر على ذات المقبرة صنعه أحد العابرين، جاء فيه:

"أن أتبعك هذا ما لست مقتنعًا به،

حتى أعرف أيّ طريق أنت سلكت فيه".

حقًا ما أصعب أن يقتنع أحد بأن يتبع ميتًا حتى القبر ما لم يُدرك أنه قادر على العبور من القبر إلى حياة جديدة. واحد لم يقدر القبر أن يحبسه هو السيد المسيح، القائل: "أنا هو القيامة"، "أنا هو الطريق".

لنتبعه حتى ندخل معه إلى القبر ونتطلق معه إلى حضن أبيه مترنمين:

"أين شوكتك يا موت؟!

أين غلبتك يا هاوية؟!"

عود كبريت!

في إحدى قرى الصعيد فكر بعض خدام التربية الكنسية في مشروع لخدمة أطفال القرية، وإذ لم يكن لديهم إمكانيات فكروا في الالتجاء إلى بعض أغنياء القرية.

قال أحدهم: "(فلان) إنسان غني ويستطيع أن يساهم بكل نفقة المشروع، لكن... لا أريد أن أبين أحدًا!

- لكن، ماذا؟

- أنت تعرف ماذا أريد أن أقول.

- نقصد ما هو معروف عنه... إنه بخيل!

- كلنا نسمع عنه هذا!

- على أي الأحوال، لنذهب كأبناء له ونقدم له المشروع، لعل يد الله تتدخل وتعمل في قلبه.

ذهب الخدام معًا، فاستقبلهم الغني ببشاشة وجه مرحبًا بهم. وإذ أراد ابنه أن يوقد المصابيح، أوقد المصباح الأول، وحاول أن يشعل المصباح الثاني بإيقاد عود كبريت ثانٍ، فانتهره والده، قائلاً له: "لماذا تستخدم عوديّ كبريت؟ استخدم العود الأول بأن تشعله من المصباح الأول لتوقد المصباح الثاني... أليس في تصرفك هذا خسارة؟!"

خجل الابن جدًا لأن والده ينتهره بسبب عود كبريت لا قيمة له. وكان الخدام ينظرون لبعضهم البعض، وكأنهم كانوا يقولون فيما بينهم: "الذي ينتهر ابنه على عود كبريت، هل سيساهم في مشروع لأطفال القرية؟!"

كان الغني يترقب نظرات الخدام دون أن ينطق بكلمة، بل كان ببشاشة يرحب بهم.

تملك أحد الخدام نفسه وبدأ يعرض المشروع على الغني الذي كان يتابع

كلماته باهتمام شديد، وأخيرًا سأل الغني الخدام: "ما هي تكلفة المشروع؟" فأخبروه بالتكلفة.

في لحظات جاء الغني بالمبلغ كله وهو يقول لهم:

"هذه بركة لي أن أساهم في هذا المشروع لنفع أبنائي أطفال القرية.

إني أشكركم لأنكم سمحتم لي بالاشتراك معكم في هذا العمل.

إني أقدم القليل مما أعطاني الله وأما أنتم فالجنود العاملون بقلوبكم ومجهودكم لخدمة الأطفال.

أرجو ألا تحرمونني من الشركة معكم في أي عمل لحساب أولادنا!"

تعجب الخدام من تصرف الغني، وكانوا يتطلعون إلى بعضهم البعض غير مصدقين ما يحدث معهم. وإذ لاحظ الغني ذلك، قال لهم:

"لماذا اندهشتم عندما ويّخت ابني لتبديد عود كبريت؟ وأيضًا عندما قدمت لكم نفقة المشروع؟ فإنه بمثل هذا العود من الكبريت جمعت لكم ما أقدمه لله عطية لخدمته! إني حريص على كل شيء لا لأكنزه وإنما لأستخدمه أنا وأسرتي وأيضًا لخدمة الآخرين".

خرج الكل فرحون وهم يلومون أنفسهم لأنهم كانوا يدينونه بالبخل ظلمًا، وتعلموا منه ألا يبددوا شيئًا حتى يستطيعوا المساهمة في خدمة الآخرين.

■ ■ ■

هب لي الأمانة في القليل،

لأعطي للغير الكثير!

✞ باركت يا سيدي السمكتين والخمس خبزات،

فأشبعت الألوف،

لكنك طلبت أن تجمع الكسر!

إنه عمل هام قام به تلاميذك بأنفسهم.

✞ علمني أن أكون أمينًا حتى في جمع الكسر،
فإن كثيرين يحتاجون إليها!

✞ علمني ألاَ أبدد الموارد التي قدمتها للبشرية،
بل أكون أمينًا في القليل،
فتأتمني على الكثير.

✞ ✞ ✞

الطيور المغردة

في الصباح الباكر انطلق الطفل مارك إلى أبيه الذي حول وجهه من ناحية النافذة إليه كعادته، واحتضنه وقبّله.

- لماذا أراك تتطلع كثيرًا من النافذة في الصباح المبكر يا أبي؟

- إني معجب بالطيور المغردة التي تقف معًا على سلك التليفونات، تُغرد معًا ثم تطير، وكأنها تبدأ صباحها بالتسبيح والفرح لتنطلق للعمل معًا بروح الجماعة.

- ماذا يعجبك أيضًا في هذه الطيور؟ صوتها المنسجم العذب؟!

- أتطلع إليها وهي تغني معًا، كأنه ليس في الكائنات على الأرض أسعد منها.

- وما هو سرّ ذلك؟

- إنها تقف على أسلاك التليفونات لتتثبّت بمخالبها الصغيرة وقفتها.

بلاشك تحمل هذه الأسلاك أحاديث تليفونية كثيرة تعبر من بيت إلى بيت، أو من قرية إلى قرية. تحوي هذه الأحاديث أخبارًا مفرحة أو حزينة... لكن تمر الأخبار تحت أقدام الطيور، ولا تفقد الطيور سلامها الداخلي. إنها تضع قلوبها في يدي الله، وتثبت أقدامها في طريقه... تتهلل برعايته متطلعة نحو السماء.

عزيزي، ليتك تكون كأحد هذه الطيور تضع أخبار العالم تحت قدميك، تجتاز كما في أسلاك التليفونات، لن تحطم قلبك، ولا تشغل فكرك عن السماء! لتبدأ حياتك بالفرح وتعمل بروح الجماعة فتقضي أيامك كما في السماويات.

هب لي يا رب أن أستقر على كفك،

أراك بقلبي، وانشغل بالمناجاة معك،

لا أنشغل بأحاديث العالم، ولا ارتبك باهتماماته.

تغني نفسي لك يا شهوة قلبي!

قصة قصيرة ٥٣

لن أفلت من بين أصابعه!

في عام ١٩٩٤ جاءتني سيدة شابة تبكي بمرارة وتطلب الصلاة من أجلها، تروي لي قصتها:

بينما كانت تمسك برضيعها الوحيد أفلت من بين يديها وسقط فانكسرت بعض عظامه، ذهبت به إلى المستشفى، فقام الأطباء بعلاجه، لكن المستشفى اتصلت بهيئة "*Child Abuse*" لتأتي إحدى المسئولات وتصير مسؤولة عن الرضيع. قدمت الأم إلى المحاكمة لأنها أهملت في حق رضيعها، وطلبت الهيئة استلام الطفل والقيام بتربيته مع حرمان الأم من أمومتها ورعايتها له!!

لقد أفلت الطفل من بين يديها فلا تستحق أن تمارس الأمومة. تفقد حقها في التمتع به في بيتها، أو تربيته! بل ربما تتعرض لمحاكمة قاسية من أجل إهمالها.

حقًا قد نفلت نحن من بين أيدي أمهاتنا، لكن لا نفلت من يد مخلصنا القائل: "لن يفلت من يدي"... كيف نفلت من بين أصابعه ونحن أنفسنا صرنا كأصابع له أو أحد أعضاء جسده؟

احفظني عضوًا في جسدك أيها الرأس الحبيب،
تحملني على كتفيك،
تدخل بي إلى قلبك لأستقر فيه،
هناك لن أفلت من بين يديك،
لن أسقط من بين أصابعك،
بل أبقى محفوظًا ، محاطًا بحبك الفائق!

أعطه مفاتيحك،

فيعطيك قلبه![٢]

قبل إن مُؤمنًا التقى بزوجته وكانت نفسه متهللة جدًا، ووجهه باشًا، وكل ملامحه تنطق بالبهجة.

– لماذا أنتَ متهلل؟

– ثقة ابني فينا تملأ كل كياني بالفرح.

– ماذا تعني؟

– أعطاني قبل ذهابه إلى الخدمة العسكرية كل مفاتيح حجراته التي في الدور العلوي، ومفاتيح دولابه الخاص، وطلب مني أن أسجل له ملخصًا لكل مكالمات تليفونه!

– إنه ابن صالح، لا يُخفي عنّا شيئًا، ليس لديه أسرار.

– حقًا، لقد قدّم لنا كل مفاتيحه، وسمح لنا أن ندير كل شئونه في غيبته... لكنه أخذ المفتاح الخارجي للفيلا.

– لماذا؟

– قال لي: لن أخطركم بموعد حضوري، فأجعل ذلك مفاجأة سارة لكم Surprise .

ليحمل هذا المفتاح، فإنه مفتاح بيت والديه، لقد فتح لنا قلبه، ونحن نفتح له بيتنا ونفوسنا، ونعطيه كل حياتنا!

---

[٢] *See Donald Grey Barnhouse: Let Me Illustrate. 1995. p. 16.*

استلم يا رب كل مفاتيح قلبي وفكري ومشاعري وعملي اليومي،

لتَدِر أنت كل شئوني اليومية.

لن أخفي عنك شيئًا.

أعطيك مفاتيحي، فتهبني ذاتك، وتُقدم لي أحضانك!

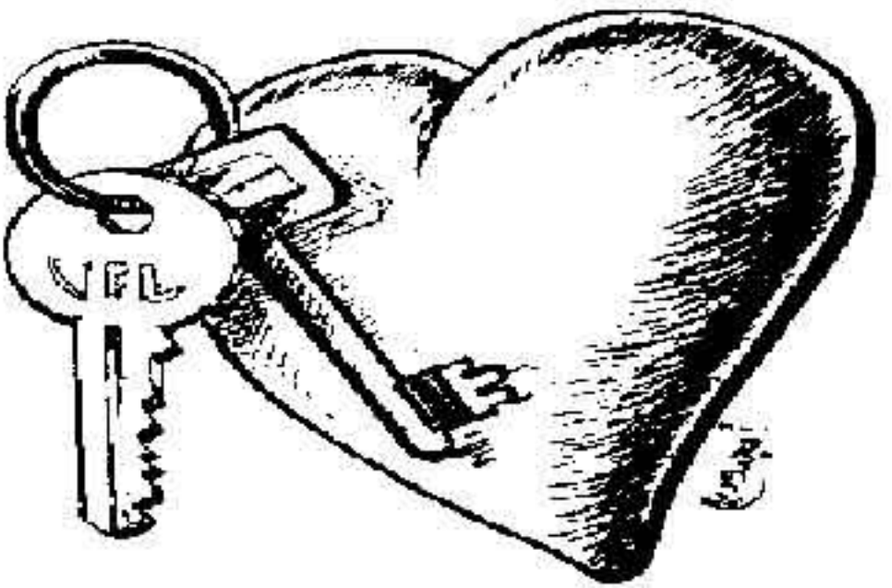

هبة الألم [3]

لاحظت الأم على ابنتها الصغيرة بفرلي سميث المولودة بأكرون Akron بولاية أوهايو أنها لا تبكي قط إلا إذا كانت جائعة أو في غضب. كانت الأم تعجب بابنتها التي تقضي اليوم كله غالبًا بلا صراخ ولا بكاء ولا أنين! فجأة سقطت الصغيرة على الأرض ولم تبكِ، مرة أخرى كانت تخبط برأسها على الحائط دون أن تظهر عليها علامات الألم، بل وضعت يدها في النار ولم تتألم!

هنا بدأت الأم تتحرك، فذهبت بها إلى الطبيب، فاكتشف أنها تعاني من اضطراب في جهازها العصبي المركزي، الأمر الذي لم يُعرف له علاج. بسبب هذا لا تشعر الصغيرة بالألم.

طلب الأطباء أن ترافق الأم طفلتها على الدوام وأن تراقبها بشدة، فقد تكسر الطفلة عظمة من عظامها، وقد تجرح نفسها بسكين، أو تُلقي بيدها في النار دون أن تصرخ أو تئن.

الحياة بلا شعور خطيرة، تدفع بالإنسان إلى الهلاك. هكذا أيضًا في الحياة الروحية. فالألم – كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم – مدرسة الفلسفة أو الحكمة. يقول الرسول بولس: "لأن من يحبه الرب يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله" (عب١٢:٦)... ليهبنا الله الإحساس بالألم لوجود الخطية فينا فنصرخ إلى مخلصنا!

نفسي تشكرك يا محب البشر،
أعطيتني كل بركة روحية في السماويات،
وقدمت لي عطايا أرضية بلا حصر،

---

[3] *See Barnhouse, p. 21.*

لكنني لا أنسى أن أشكرك على عطية الإحساس بالألم،
وهبتني أن أتألم حين أجوع فأكل أو أعطش فأشرب،
أعطيتني أن أتألم بسبب جراحات الخطية،
فألجأ إليك يا طبيب النفوس!
نفسي تتألم لأنها جائعة، ظمآنة!
من يشبعها أو يرويها إلا أنت!
أنت الخبز الحيّ النازل من السماء!
أنت ينبوع المياه الحية الذي لا ينضب!

الفنان الحزين[4]

دخل فنان مع صديق له إلى متحف يحوي قطعتين فنيتين له، إحداهما لوحة فنية قام برسمها في شبابه المبكر والثانية بعد عشرات السنين.

تطلع الفنان إلى القطعتين وقد ظهرت على ملامحه علامات الحزن، عندئذ سأله صديقه: "لماذا أنت حزين؟" هزّ الفنان رأسه ولم ينطق بكلمة. عندئذ قال له صديقه: "كان يجب أن تفرح فإنه شتّان ما بين عملك القديم وما بلَغْته من تقدم هائل الآن".

بابتسامة تحمل شيئًا من الحزن قال الفنان: "لستُ حزينًا على ما كنتُ عليه في شبابي المبكر، لكنني تذكرت ما كنتُ قد وعدت به نفسي في شبابي، ولم أحقق إلاّ القليل جدًا من التقدم مما كنتُ أشتهيه".

لنفرح ونسر من أجل عمل نعمة الله الغنية فينا، التي تشكلنا على الدوام لنحمل فينا صورة خالقنا، لكن مع حزنٍ على عدم تجاوبنا الكامل مع هذه النعمة، لذا لم نقدم بعد صورة مسيحنا فينا كما ينبغي... إننا نشتهي أن نبلغ إلى "قياس قامة ملء المسيح" أف٤: ١٣.

[4] *See Barnhouse, p. 36.*

تكلفة النضوج!

إذ ينمو الشبل قليلاً يخرج الأسد إلى الغابة أو الصحراء لا ليأتي بفريسة إلى شبله بل ليقتنص غزالاً صغيرًا يأتي به حيًا إلى شبله. يتركه أمام الشبل ليدخل الاثنان في صراع معًا، ويقف الأسد متحفزًا، فإذا رأى الغزال يضرب الشبل ضربة خطيرة يتدخل بضربة قاضية. بهذا الصراع يتعلم الشبل الافتراس، ويعرف كيف يخرج مع والده مرة ومرات حتى إذا ما نضج يتركه يخرج وحده يمارس حياته الناضجة.

هذه هي تكلفة النضوج! لا يُترك الشبل في عرينه يلهو ويمرح على الدوام، بل يدخل في صراع حتى يبلغ إلى النضوج.

وبنفس الفكرة يُعلم النسر صغاره الطيران، إذ يحمل النسر صغيره بمنقاره ويطير به إلى ارتفاع مئات الأقدام في الهواء، وإذ يتركه يبدأ الصغير في السقوط لكن يسرع النسر بالطيران تحت صغيره ليحمله على جناحيه المفرودين ثم يلتقطه بمنقاره، ويكرر الأمر مرة ومرات حتى يتعلم الطيران، عندئذ يتركه النسر يطير بمفرده ليمارس حياته الناضجة.

يمكننا القول بأن الله في أبوته الحانية يريد لنا النضج، فيقول لنا:

"هذا هو طريق حبي ورعايتي المستمرة لك.

إنني أحملك إلى حين لكنني أبسط جناحي تحتك والتقطك حتى لا تنحدر إلى الهاوية.

أريدك أن تتعلم الطيران... ارتفع بك ولا أتركك وحدك!

لا تستكن للطفولة غير الناضجة،

لا تبقى طفلاً على الدوام!"

هذه هي خبرة المرتل القائل: "لا تتركني إلى الغاية (النهاية)"، إذ يشعر أن الله يحمله إلى الأعالي ويتركه لكن إلى لُحيظة ليحمله من جديد، حتى يتعلم الطيران.

إلهي... كثيرًا ما اشتاق إلى طرق الطفولة غير الناضجة،
أريد أن استريح وألهو على الدوام.
وأنت بأبوتك تدخل بي إلى المعركة ضد إبليس،
أيها الأسد الخارج من سبط يهوذا،
تُريدني ألا أبقى شبلاً صغيرًا بل أسدًا قويًا.
لتحملني إلى الأعالي، علمني بروحك القدوس كيف أطير.
هب لي ألاّ استكين في العش بل أحلق في السماويات.

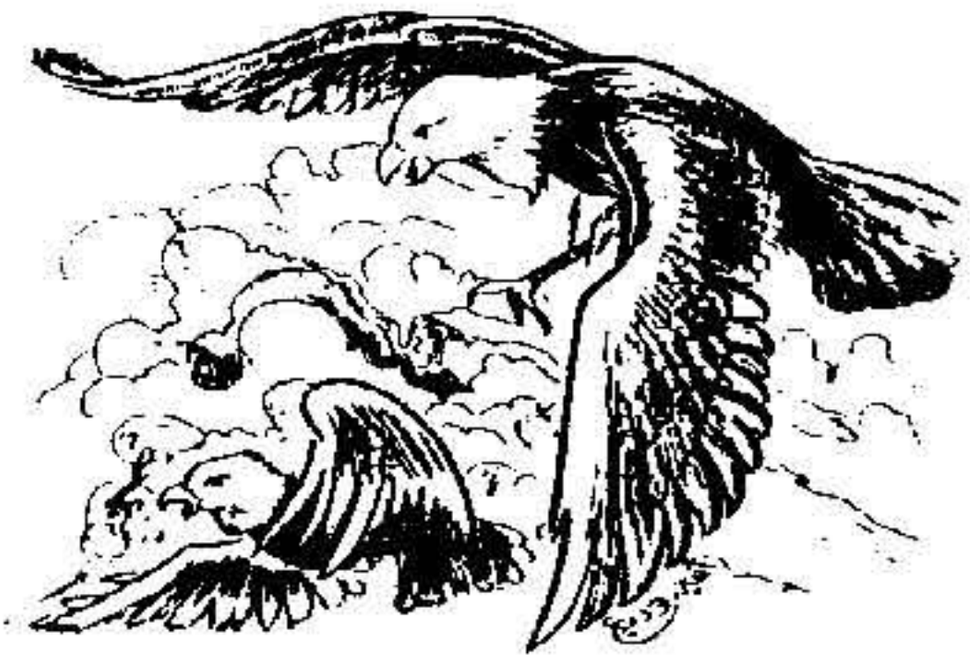

سباق في الحب٥

قيل إن أحد أبطال سباق سرعة السيارات، أرجنتيني الجنسية، نال بطولة العالم وكان يقدر أن يسير بسرعة تبلغ ١٥٠ ميلاً في الساعة، وقد ربح كل جوائز السباقات العالمية في طرق أوربا في ذلك الحين.

امتاز هذا البطل بحذره الشديد وحبه للغير... فكان إذا ما سار في الطرق السريعة *highways* يخرج أحيانًا بعض الشباب يندفعون بسياراتهم بجواره لعلهم يلحقون به وهم في غيظ شديد. وكان في مقدوره أن يُسرع حتى يُحسبون كمن هم واقفين في أماكنهم، أما هو فلم يكن يستخدم مهارته الفائقة في السباق معهم، بل كثيرًا ما إذا رأى بعضهم يريدون أن يسبقونه يهدئ من سرعته ويتركهم يعبرون. لم يكن يشبع كبرياءه بل يقدم نفسه مثلاً للحب وحسن استخدام الحرية.

كأنه يقول لهؤلاء الشبان:

إنكم تتسابقون ببطء.

إنكم لا تستطيعون أن تسرعوا مثلي،

فإني أستطيع أن أغيّر مسير العربة في عُشر ثانية دون أن يصيبني أذى.

لكنكم إن أردتم أن تتمثلوا بي تقتلون أنفسكم.

إني أترفق بكم ولا أدخل معكم في سباق يهلككم!"

هذه هي الحرية التي يليق بالمؤمن أن يمارسها، إنه لا يستخدمها لإشباع الأنا *ego*، إنما يهتم بما لاخوته. إنه يمارس سباقًا لا في إبراز تفوقه ومهارته بل في حبه العظيم نحو لخوته.

---

[5] *See Barnhouse, p. 39..*

صيادون ماهرون!

يروي لنا دونالد بارنهاوس *Barnhouse*[6] أنه شاهد في اليابان عندما ذهب إلى *Cifu* منظرًا رائعًا.

إذ حلّ المساء وساد الظلام زحفت قوارب الصيد في ذلك النهر، وقد أشعلت النيران في أقفاص حديدية مثبتة في مقدمة كل قارب. جذبت النيران السمك إلى السطح، وفي الحال أطلق كل صياد حوالي دستة من الطيور النهمة المائية "الغاق"، وقد ثبّت كل صيادٍ حلقةً حول رقبة كل طائرٍ وأمسك الحلقة بحبل في يده. انسحبت الطيور إلى قواربهم بالحبال لتلقي بالأسماك الكبيرة التي في مناقيرها في القوارب، لأنها لا تقدر أن تعبر من الحلقة إلى بطونها، بينما تعبر الأسماك الصغيرة من الحلقات لتأكلها الطيور. هكذا تأكل الطيور الأسماك الصغيرة، ويتمتع الصيادون بالسمك الكبير.

ما أدهش الكاتب هو مهارة كل صياد بعدم تشابك الحبال معًا، وقدرتهم على جذب كل طيرٍ في اللحظة الحاسمة وهو ممسك بمنقاره السمكة الكبيرة، خاصة وأنه أحيانًا ينقض طائران على سمكة واحدة.

حياتنا صيد مستمر، لكن من أين تنال المهارة فلا تتشابك الحبال معًا، وتجتنب الطير في الوقت المناسب؟! إنه عمل السيد المسيح الذي يقودنا في موكب نصرته. هو ضابط الكل يعرف أن يحرك كل شئ بإرادته الإلهية الفائقة، واهب أعضاء جسده الشركة في هذه المهارة، يعرفون كيف يوازنون بين حياتهم الروحية والجسدية والاجتماعية والعلمية والعقلية والعاطفية دون تشابك بين الحبال... يهبهم بروحه القدوس التمييز والفطنة.

---

[6] *See Barnhouse, p. 43*

عرض بلا رائحة ولا جمال

في لوس أنجلوس تحدث بولس المهاجر حديثًا إلى الولايات المتحدة الأمريكية مع صديقه القادم من مصر عن جمال عرض الزهور الذي يشدّ انتباه الكثيرين. وفي اليوم التالي إذ فتح التليفزيون "أبيض - أسود" ليتمتعا بالعرض... لاحظ بولس على صديقه شيئًا من الملل.

- ما رأيك في هذا الموكب؟

- إني أدهش أن كل هذه الآلاف تزحم الطرق لترى الموكب؟

- إنه عرض رائع وجميل؟

- لا أشتم فيه رائحة الزهور، ولا أرى جمالها!

- صمت بولس قليلاً وأدرك خطأه أنه لم يأخذ صديقه إلى الطريق فيشاهد الموكب على الطبيعة، فيرى جمالها بألوانها الرائعة وتنسيقها الجميل.

للحال طلب من صديقه أن يرافقه في سيارته وذهب به إلى موضع بالقرب من إحدى الطرق التي يسير فيها الموكب، ثم نزلا ليدخلا بين الجماهير ويتمتعا بالموكب!

حقًا كثيرًا ما نحمل اسم السيد المسيح دون سكناه، فلا نحمل رائحته الذكية ولا جمال حضرته الفائق. لنكن شركاء حقيقيين في هذا الموكب الصاعد إلى السماء لنستقر في حضن الآب، ولا نقدم عرضًا كما من خلال تليفزيون بلا رائحة ولا حضرة إلهية حقيقية!

✠ ✠ ✠

كيف تنشأ الحروب؟[٧]

سأل فتى والده: "قل لي يا أبي، كيف تنشأ الحروب؟"

أجابه الوالد: "أقدم لك الحرب العالمية الأولى كمثال، فقد بدأت الحرب عندما هاجمت ألمانيا بلجيكا..." هنا قاطعته الأم، وقالت بحدّة: "قل لابنك الحق. لقد بدأت الحرب عندما قُتِل بعض الأشخاص..." لم يحتمل الأب تدخل الأم بهذه الطريقة، وتطلّع إلى الأم ليُسكتها قائلاً: "إنه لم يسألكِ أنتِ بل سألني أنا، فلماذا تُجيبين عليه، وتقاطعيني في الكلام؟"

ثارت الأم جدًا، وقامت مسرعة من الحجرة وأغلقت الباب بعنفٍ شديدٍ، فاهتز رف على الحائط، وسقطت بعض القطع الفنية الثمينة وانكسر بعضها.

حدث صمت، قطعه الابن قائلاً:

"الآن عرفتُ يا أبي ولمي كيف تبدأ الحروب.

إني لست في حاجة إلى الإجابة!"

[7] *See M.P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, 1992, P. 19*

لتكتسح النباتات الزوان!

طلب بطرس من ابنه الشاب أن ينزلا معًا إلى الحديقة ليبذرا بعض بذور الزهور، ويغرسا بعض "الشتلات" في حديقة منزلهما الجديد.

قال الابن لأبيه: "لازال يوجد بعض الأعشاب في الأرض بالرغم من أننا حرثناها وقمنا بتنقيتها من كل عشب وزوان! وأنا أخشى أن نُضيّع جُهدنا هباءً في البذر والغرس".

– لقد قمنا باقتلاع العشب والزوان قدر المستطاع.

– لننتظر حتى يظهر الزوان مرة أخرى ثم نقتلعه فنضمن أنه لا يظهر بعد.

– هذا مستحيل، فإنه مادامت الأرض بلا زراعة حتمًا سيظهر الزوان مرة ومرات.

– وما الحل؟

– إذ نزرع الأرض تظهر النباتات والشجيرات ويظهر معها بعض الزوان، ونحاول اقتلاعه، ومع الزمن تكتسح النباتات الزوان حتى يكاد لا يوجد.

هكذا في حياتنا الروحية إن ركزنا على السلبيات وحدها، بمحاولة اقتلاع الشر، حتمًا لن يُنتزع تمامًا... لكن لنبدأ بروح الرب في الإيجابيات بعمل الخير وممارسة الحياة الفاضلة في الرب. فيبدد النور الظلام، ويملك مسيحنا في القلب فلا يكون للخطية موضع.

يركز كثير من الشباب على السلبيات، مما يحطم نفسيتهم، ويشعروا بالعجز التام عن التمتع بالنقاوة... لكن عوض البكاء المستمر على رائحة الخطية النتنة فلنقترب من رائحة المسيح الذكية هذه القادرة أن ترفعنا إلى السماويات عوض انطراحنا في وحل العالم!

✞ ✞ ✞

يكفيها نظرة من أبيها![8]

لاحظ الأب على ابنته الصغيرة شيري علامات القلق الشديد، عندما أمسك الطبيب بحقنة ليحقن بها هذه الطفلة البالغة الرابعة من عمرها.

هذه هي المرة الأولى التي فيها تُدرك الطفلة أنها ستُحقن. لقد ظنت أن هذه الإبرة كفيلة بأن تقتل فيلاً لا طفلة مثلها.

أمسك الأب بيد ابنته وتطلع إليها بنظرة حب مملوءة حناناً. لم تسمع منه كلمة واحدة لكن كان يكفيها أن تشعر بحضرته وتنعم بنظرة منه فتسلم نفسها للطبيب يفعل ما يشاء!

ما أحوجنا أن نشعر بالحضرة الإلهية وقت ضيقنا لنرى عينيّ مخلصنا تتطلعان إلينا!

✠ ✠ ✠

---

[8] *See M.P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, 1992, P. 21.*

على درب أبيه

حرص أرساني أن يكون قُدوة لابنه الصغير مينا في كل تصرفاته، فكان يصلي كل صباح ومساء، وقبل الأكل وبعده. كان حريصًا أن يكون دائم البشاشة، مرحًا، يقدم كل محبة لزوجته وابنه حتى يشعر مينا بالدفء العائلي. وفي عيد الميلاد المجيد انطلق الأب المحب يزين بيته بل والشارع بزينات الكريسماس، وإذ انطلق إلى حديقة بيته يزينها، وكان قد أهمل تنظيف ممراتها من الثلج، بدأ يسير بحذر يحمل الزينات. فجأة سمع صوت ابنه مينا وراءه يناديه "بابا، سأساعدك في وضع الزينات". اضطرب الأب جدًا إذ تطلع إلى خلفه ليرى ابنه يسير وراءه فرحًا.

إذ لاحظ مينا علامات اضطراب والده ابتسم قائلاً: "بابا، إنني أسير في طريق آمن، إني أسير على إثر خطواتك تمامًا". عندئذ أمسك أرساني بيد ابنه وشعر بالمسئولية أنه كان يجب أن ينظف الممرات من الثلج، لأن ابنه حتمًا يسير في طريق أبيه.

قد يكون آباؤنا الجسديون أو الروحيون أمثلة حيَّة لكن ليس في كل شيء، أما مسيحنا فهو "الطريق والحق والحياة". هو وحده المثال الكامل لنا، لنتطلع إليه ولنسر على أثر خطواته بلا خوف، إنه يحملنا فيه، ويعبر بنا في آمان إلى حضن أبيه!

مكتبة للفتيان

قصص قصيرة

٦٥-٨٢

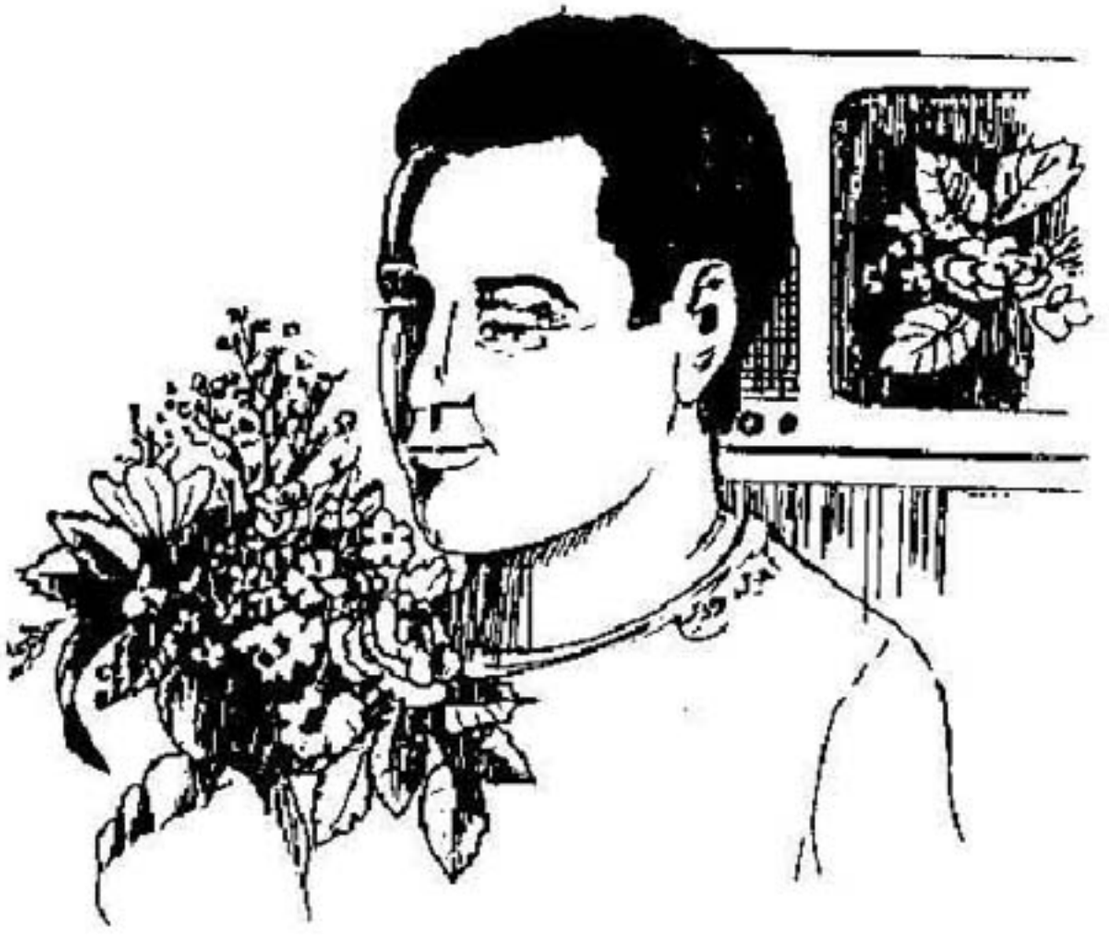

المليونيرة الفقيرة

يروي لنا دونالد بارنهاوس[1] أنه منذ سنوات طويلة إذ كان يعظ في إحدى الكنائس في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية، وقف على المنبر في صباح الأحد وإذا براعي الكنيسة يهمس في أذنيه قائلاً له: "لاحظ هذه السيدة التي تجلس في مقدمة الصفوف وقد ارتدت ثيابًا بالية وحذاءً ممزقًا".

شاهد بارنهاوس السيدة البائسة، وكان منظرها يستدر كل عطف. كانت ربما في أواخر الستينات من عمرها، وقد مدت إحدى قدميها ليظهر ثقب كبير في نعل حذائها بينما تمزقت الأطراف وخرج الجلد عن النعل. كانت ثيابها بالية مملوءة رقعًا، وقبعتها تشبه قطعة بالية من البرميل تضعها على رأسها.

تحنن الواعظ عليها وفكر في تقديم قليل من الدولارات لإنقاذها من حالة البؤس التي تنتابها.

قال له راعي الكنيسة:

كان لهذه السيدة وزوجها كميات ضخمة من الأراضي البور التي ترعى فيها القطعان، وكانا يعيشان في عربة قديمة يسحبونها.

اكتشف في أراضيهما بترول؛ وتعاقدت شركة بترول مع رجلها لضخ البترول، وقد أقامت الشركة المضخات.

فجأة مات الرجل قبل توقيع العقد، فطلبت الشركة من الزوجة أن توقع عليه، لكنها تخشى توقيع العقد.

يبلغ رصيدها الآن الملايين من الدولارات، ولازال الضخ مستمرًا، لكنها ترفض التوقيع وبالكاد تبحث عن سنتات لتعيش بها.

---

[1] *See Donald Grey Ramhouse: Let Me Illustrate, 1995, p. 51-52.*

إنها لا تزال تسحب العربة القديمة لتعيش فيها وتحيا في بؤس".

هذا هو حال الكثير من المؤمنين، فمع كونهم وارثين مع المسيح وشركاء معه في المجد، ماله صار لهم، لينالوا كل بركة روحية في السماويات (أف١: ٢)؛ يقدم لهم الله الآب كل غنى بلا حدود ليتمتعوا به، لكنهم لا يمدوا أيديهم لينالوا، لا يطلبوا حتى القليل مما يشتهي الله أن يقدمه لهم.

✠ ✠ ✠

اكشف لي عن مخازن حبك فيّ!

كثيرًا ما استدر عطف الغير،

اشتهي كلمة مديح تفرح قلبي،

أو عاطفة تملأ جوانب نفسي،

أو كلمة تشجيع تسندني،

أعيش في مذلة،

أتوسل الحب والمديح من الغير،

وأنت هو الحب كله!

أنت هو السند الحقيقي وحده!

اكشف لي عن مخازن حبك في داخلي!

ليقدني روحك القدوس إلى كنزك المخفي فيّ!

فأدرك غناي بك وفيك،

واشتهي العطاء بسخاء عوض الاستجداء!

قصة قصيرة ٦٦

أفضل مني ومنك[٢]

كثيرًا ما كان الطبيب الثري يثور على أخيه الشاب الصغير مينا، فقد اعتاد أن يأتي إلى عيادته بثياب رخيصة غير لائقة بكرامة أخيه. كان الطبيب يقدم لأخيه ثيابًا ثمينة حتى لا يجد عذرًا، لكن مينا في بساطة يحمل هذه الهدايا إلى الفقراء ويبقي ببدلته الوحيدة الرخيصة.

كان لهذا الشاب محبة خاصة وتقدير لدى البابا كيرلس الخامس، فقد قال لتلميذه: "في أية لحظة يأتي مينا إلى دار البطريركية يدخل إلى حجرتي دون استئذان، وإن كنت نائمًا تيقظني..."

من محبة هذا البابا لهذا الشاب كان يطلب من حين إلى آخر أن يذهب إلى بيته ويأكل هناك، حيث كان الشاب يغسل قدمي البابا ويقوم بخدمته أثناء تناوله الطعام.

في إحدى المرات بعد أن انتهى من تناول الطعام وبدأ ينصرف عاد إلى والدة الشاب ليقول لها: "ربنا معكِ، ويسندك".

فكرت السيدة في نفسها قائلة: "لم يمت لي أحد، لماذا يقول أبونا البطريرك هكذا؟! ألعله يرى شيئًا خفيًا يحدث لنا؟!" وخجلت أن تسأله عن سبب قوله هذا.

بعد ثلاثة أيام إذ كان البابا في دار البطريركية قال للذين حوله: "أعدوا الكنيسة لصلاة الجنازة... أنا ذاهب لأعزي أم مينا". وخرج البابا إلى بيت الشاب ليجد والدة مينا تصرخ بمرارة. وإذ رأت أبانا البطريرك قالت له: "لماذا لم تقل لي بصراحة إن مينا يموت!" أجاب أبونا البطريرك: "**مينا أفضل مني ومنك**". وتعزت الأم إذ أدركت مرتبة ابنها في عيني الله نفسه.

تكشف هذه القصة البسيطة عن معايير هذا الأب التي تتفق مع المعايير

---

[٢] رواها القمص أثناسيوس يوحنا نقلاً عن والده الذي عرف الكثير عن حياة البابا كيرلس الخامس الشخصية والخفية من خلال صداقة الحميمة مع التلميذ الأثيوبي للبابا.

السماوية.

كان حازمًا مع بطرس باشا غالي والباشاوات ومع أسقف صنبو الذي قبل أن يدير البطريركية بعد نفي البابا كيرلس الخامس... وإن كان وديعًا رغم حزمه فبعودته أول عمل قدمه هو العفو الكامل عن كل المحرومين وترقية أسقف صنبو الخائن مطرانًا... هذا الرجل الحازم مع أصحاب المراكز والسلاطين يحمل صداقة روحية حميمة مع شاب طاهر ناسك تقي، ويكن له تقديرًا خاصًا. لا ينشغل البابا بمجاملة أصحاب السلاطين لكنه يعتز بمن تهتز السماء بصلواتهم!

- هب لي يا رب معايير السماء،
  فلا أجامل ولا أداهن،
  بل أحب الجميع.
- أحب الإنسان الروحي التقي لألتقي معه في مجدك.
  يسندني بصلواته ولو كان طفلاً صغيرًا أو شابًا.
  وأترفق بأصحاب المراكز لأجل خلاصهم.
  يتسع قلبي بالحب للجميع!

عفو لا سلطة[٣]

في وسط النزاع المرّ بسبب تشكيل المجلس الملي العام في بدء قيامه أصر البابا كيرلس الخامس على تغيير اللائحة التي تسلبه حقوقه في تدبير أمور الكنيسة حتى الراعوية، بينما أبى بطرس باشا غالي التغيير.

تمت إجراءات الانتخابات في دار البطريركية التي قصدها بطرس باشا، مستخدمًا رجال الشرطة، حيث منعوا الدخول إلى البطريركية وطردوا العاملين فيها، وصرفوا تلاميذ المدرسة الكبرى وأساتذتها.

أعلن البابا رفضه التام لكل ما حدث واحتج أمام الحكومة التي أصرت على بقاء اللائحة كما هي عليه... وانعقد المجلس لينتخب من يكون وكيلاً للبطريركية يدير شئون الأقباط مع سلب الأب البطريرك حقوقه وأيضًا انتخاب رئيسًا للمجلس...

رفض الأساقفة جميعًا الوكالة، لكن الأنبا أثناسيوس أسقف صنبو وافق أن يحتل هذا المركز. وإذ كان أسقف صنبو قادمًا إلى القاهرة، خرج أسقف بني سويف والأراخنة والشعب على محطة القطار ببني سويف. فتح الأنبا أثناسيوس شباك القطار ليحييهم، فما كان من أسقف بني سويف إلا أن يعلن حرمانه من فم الثالوث القدوس وفم البابا إن لم يرجع في القطار التالي إلى بلده.

أُستقبل أسقف صنبو رسميًا في القاهرة، وإذ بلغ دار البطريركية ومعه مرافقوه وجدوا أبوابها مغلقة، وكانت الجماهير تصرخ: "يا محرومون! يا محرمون!"

في الإسكندرية أصدر الأساقفة المجتمعون مع الكهنة قطع الأنبا أثناسيوس... لكن قوى الشر صاحبة السلطان الزمني نجحت في إصدار قرار بنفي البابا في دير البراموس ومطران الإسكندرية في دير أنبا بولا.

---

[٣] رواها أيضًا القمص أطوديوس يوحنا، ووردت في تاريخ الكنيسة القبطية للشماس (القمص) متى يوحنا، ١٩٨٢، ص ٦٣٤ الخ.

انطلق البابا إلى الدير دون مقاومة، وسلم كل ممتلكات البطريركية وأرصدتها، كما قام بتوزيع حتى ثيابه، وعاش في الدير يعمل في مزرعته الصغيرة بفرح وبهجة قلب.

فُتحت أبواب البطريركية بالقاهرة ودخلها أسقف صنبو والقمص فيلوثاوس. وفي الأحد ٤ سبتمبر ١٨٩٢، في أول قداس يقيمه الأسقف هناك قرأ خطأ الإنجيل الخاص بخيانة يهوذا، وحينما نبهه القمص فيلوثاؤس كاهن الكاتدرائية الكبرى ارتعد الأسقف وجزع وصار كمن في غير وعيه وأكمل فصل الخيانة. في نفس القداس إذ كان القمص فيلوثاؤس يرفع القرابين المقدسة سقطت الصينية من يديه، وفي نفس اليوم سقط الكأس من يد الكاهن الذى كان في الإسكندرية، وفي الأسبوع التالي سقطت المجمرة في كنيسة الإسكندرية واحترق جزءًا من سجاد الهيكل... فارتعب الشعب لما يحدث.

أعلن الشعب كله استنكارهم للموقف وامتنعوا عن ممارسة الأسرار والخدمات من قداسات إلهية وعماد وزواج وجنازات ملتجئين إلى كنيسة الروم التى رحبت بهم وقدمت لهم العبادة باللّغة العربية.

أدرك المسئولون خطورة الموقف وصدر أمر الخديوى في ٢٠ يناير ١٨٩٣ بعودة البابا والمطران.

ذهش محافظ القاهرة لاستقبال الشعب لأبيهم البطريرك حيث كانت الجماهير كالبحر الزاخر، وقد حملوا سعف النخيل وهم يرنمون ويسبحون اللّه، وكانت النساء يزغردن ببهجة قلب.

أول عملٍ قام به البابا صاحب القلب المتسع أنه أعلن لشعبه حبه للجميع، وانه قد رفع الحرمان عن كل مقاوميه، وأنه يرقى أسقف صنبو مطرانًا. ازداد البابا تقديرًا في أعين شعبه، بل وفي عينيّ اللّه محب البشر!

✠ هب لي يارب قلبًا لا يخاف الناس،

ولا يرهب كل قوى الشر!

✠ هب لي ألاّ أتكل على ذراع بشري،

بل أطلب مساندة السماء!

✿ هب لي يارب الحب لا السلطة،

فلا استغل الغير بل أحبهم،

انحني بالحب لغسل أقدامهم،

وأحملهم إلى الصفوف الأولى،

كي أرجع إلى الصف الأخير، فأجدك هناك تنتظرني!

■ ■ ■

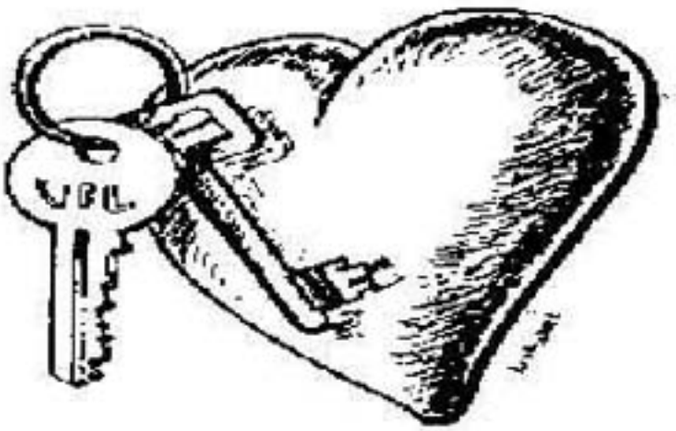

قصة قصيرة ٦٨

زهرة جميلة بين العشب

كم كانت فرحة يوحنا وأسرته بالفيلا التي اشتروها، ونقلوا أمتعتهم إليها، وكانت الفيلا خالية من السكان لسنوات طويلة.

في الصباح الباكر وقفوا في الشرفة يتطلعون من هنا وهناك ويبدون ملاحظاتهم عن موقع الفيلا وإمكانياتها.

قال يوحنا لابنه الشاب سيمون:

"ماذا نفعل بالعشب، فالحديقة مهملة من سنوات طويلة، والعشب ارتفع جدًا؟ سأبذل كل الجهد لتهيئة الحديقة حتى تنسقها بالزهور الجميلة.

أتريد أن تشترك معي؟...

أنظر ياسيمون، ها هي زهرة بيضاء جميلة وسط العشب!"

– أين؟

– من الجانب الأيمن على بعد حوالي متر من السور الفاصل بيننا وبين جيراننا.

حقا إنه يصعب رؤيتها وسط كل هذا العشب، لكنها جميلة، سأذهب واقطفها، إنها وحيدة!

نزل سيمون إلى الحديقة واتجه نحو الجانب الأيمن لكنه لم يستطع أن يراها، إذ كان العشب عاليًا جدًا. بدأ والده يوجهه نحوها وهو يتطلع إليها من الشرفة. أخيرًا إذ بلغ سيمون مكانها قطفها وهو يتأمل كيف توجد زهرة جميلة وسط الأعشاب. تتبع الساق فوجد أنه ممتد إلى السور، وقد تسلل من شجرة جنورها في حديقة الجار التي يهتم بها جدًا.

حمل سيمون الزهرة إلى والديه، وهو يقول: "ما أعجب أن نجد زهرة هكذا جميلة وسط الأعشاب".

قالت الأم:

لماذا تعجب يا سيمون؟

فإنه توجد في برية هذا العالم زهور جميلة وسط كميات بلا حصر من العشب.

هذه هي نفوس المؤمنين التي تمتد جذورهم إلى حديقة السماء التي يهتم الله برعايتها. وكما يقول الرسول بولس: "سيرتنا نحن هي في السموات" في ٣: ٢٠.

المسيحي الحقيقي تتأصل جذوره في السماء، وتمتد ساقه إلى العالم لكي يقدم زهرة جميلة تحمل حضرة السيد المسيح ورائحته الذكية. "لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون" (٢كو ٢: ١٥).

✞ أنا أعلم إن بدا العالم كله كعشب،

لكنه حتماً توجد زهور جميلة وسط العشب،

في كل جيلٍ يوجد شهود أمناء لك.

✞ هب لي يا رب أن أكون زهرة وسط العشب الكثير!

لأسمع صوتك العذب قائلاً:

كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات.

كلك جميل يا حبيبتي،

ليس فيك عيبة!

طريق وسط الثلوج

في مدينة أتوا بكندا إذ يحل فصل سقوط الثلج يفرح الأطفال جدًا، حيث يجدوا فرصتهم للعب معًا في الثلج، فيقيمون تماثيل من الثلج في الحدائق ويتركونها طوال فترة الشتاء، حتى متى حل الدفء تذوب.

مع سقوط الثلج في بداية فصل الشتاء صارت الحديقة كلها بيضاء، وخرج ثلاثة أصدقاء يلعبون معًا. قال أحدهم، هلم ندخل في سباقٍ، فنصنع طرقًا بين الثلج بأحذيتنا، كل منا يسير على الثلج باستقامةٍ حتى السور، لنرى من الذي يصنع طريقه مستقيمًا تمامًا.

ابتعد الثلاثة عن بعضهم البعض، ثم بدأوا يسيرون ويضغطون بأحذيتهم على الثلج.

فجأة وجد الأول نفسه قد انحرف تمامًا عن السور.

والثاني ظن أنه قد صنع طريقًا مستقيمًا لكنه بعد أن بلغ السور تطلع إلى الطريق الذى صنعه بحذائه فوجد نفسه قد انحرف من هنا ومن هناك يمينًا ويسارًا.

وأما الثالث فصنع الطريق مستقيمًا تمامًا.

تساءلوا فيما بينهم لماذا لم ينجح الأول والثاني في إنشاء طريقٍ مستقيمٍ إذ صنع الأول طريقًا منحرفًا والثاني متعرجًا، بينما نجح الثالث في ذلك. وكانت إجابة الصديق الثالث:

لقد كنتما تتطلعان إلى أسفل وأعينكما على قدميكما لذا انحرفتما في الطريق، أما أنا فقد صوبت نظري إلى الشجرة التي أمامي على حافة السور ولم أمل بنظري يمينًا أو يسارًا، ولا إلى أسفل لذلك جاء الطريق مستقيمًا.

حياتنا هي سباق بين البشر، فمن يسلك فى الطريق الملوكي يبلغ إلى السماء

بلا انحراف ولا تعريج وسط ثلج هذا العالم.

كثير من الشباب يشتهون السلوك المستقيم لكنهم يشعرون بالعجز، ويعللون ذلك بأنهم بشر ضعفاء، عاطفيون، وأن العالم جذّاب، أو الحياة قاسية. لكن سبب الانحراف أو التعرج هو عدم تركيز عينيْ القلب على شجرة الحياة، ربنا يسوع المسيح.

جيد أن نعترف بضعفاتنا، ونحذر إغراءات العالم وحيل عدو الخير، لكن يلزمنا أولاً وقبل كل شئ تركيز أنظارنا على مسيحنا. هذا هو الجانب الإيجابي الذي يسندنا في النمو الروحي عوض الانشغال بالسلبيات.

إن أردنا أن نسلك باستقامة يلزمنا ألا نتطلع إلي تراب هذا العالم والوحل، كما لا نلهو بمباهجه وإغراءاته، لأنها تنحرف بنا عن الطريق الملوكي، وأيضا لا نتطلع إلى ذواتنا، بل نرفع أعيننا إلى فوق ونتطلع إلى مسيحنا فيحملنا فيه، الطريق الإلهي الملوكي الذي لا يحمل انحرافًا! يقول الرسول بولس "لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع" عب ١٢: ١، ١.

✞ ✞ ✞

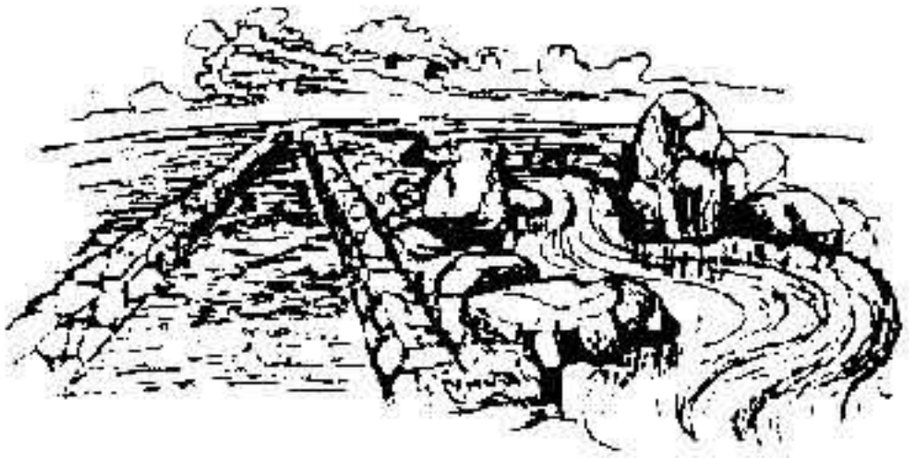

قصة قصيرة ٧٠

نم مستريحًا!

بينما كان الكل يئنون في الداخل وقد تسللت الدموع من أعين البعض رشم أثناسيوس نفسه بعلامة الصليب وقد امتلأت ملامحه بالبهجة، ثم أغمض عينيه لينام مستريحا بين يدي الله.

تمالك أخوه نفسه وربت بيده على كتف أثناسيوس وهو يقول له:

" كنت أعجب يا أخي أنك قضيت كل أيام حياتك لا تفارقك بشاشتك العذبة... لكنني الآن أعجب بالأكثر أنك تستقبل الموت كمن ينام مستريحا... قل لي: ما هو سرّ ذلك؟"

بالكاد فتحَ أثناسيوس عينيه، وفي بشاشة وجهه مع سلام قلبه الداخلي قال بصوت هادئ:

"لا تعجب يا أخي الحبيب، إني عشت مملوء فرحا وسلامًا، وأرحل من هذا العالم ترافقني بهجة قلبي وتهليل نفسي، فإن وراء هذا كله هو أنني اعتدت أن أتكئ برأسي على ثلاث وسائد:

وسادة أبوة الله الحانية،

ووسادة قدرته العظيمة،

ووسادة حكمته الفريدة.

تعودت أن أنام كل يوم وأنا مستريح، واستيقظ كل صباح متهلل النفس... كان إلهي يرعاني حتى في أحلامي، وها أنا ذاهب إليه لكي أتكئ في أحضانه الإلهية، أراه وجهًا لوجه، وأتمتع بكمال أسراره الفائقة!"

امتلأت نفوس الحاضرين فرحًا، وكانت قلوبهم تتغنى قائلة: نم مستريحًا على الوسائد الإلهية المريحة!"

✠ بأبوتك الإلهية مع قدرتك وحكمتك لمتلئ فرحًا.
أراك مبادرًا بالحب، عاملاً لحسابي!
أدرك أن لي موضعًا خاصًا على صدرك يا حنان!
لي نصيب خاص في أحضان الآب.
لي حق التمتع بسكنى روحك القدوس فيّ!
من يقدر أن ينزع سلامك عني؟!

✠ ✠ ✠

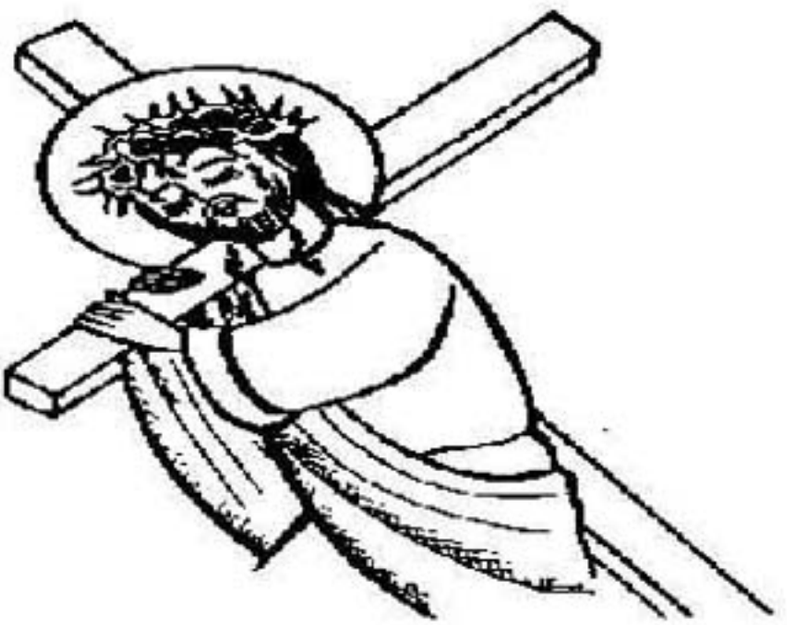

فن تسلق الجبال

وقف الشاب متّى أمام جبال الألب مندهشًا إذ رأي كثيرين يتسلقون الجبال، وقد ربط الشباب أنفسهم بحبال ليسند أحدهم الآخر، وبلغ بعضهم إلى قممها العالية.

فكر متى في تسلق الجبال لكن والده طلب إليه ألا يفعل ذلك قائلاً:

"لقد أتينا إلى سويسرا للسياحة ونريد أن نرجع إلى بلدنا سالمين".

– ولماذا لا أتمتع بهذه الرياضة الجميلة؟

– ليس لنا خبرة في تسلق الجبال !

– لا أترك سويسرا دون التمتع بذلك، سأسأل بعض أصدقائي السويسريين عن كيفية التسلق !

– لا يا بني، إنها رياضة خطرة.

التقى متى مع أحد أصدقائه السويسريين وبدأ يسأله عن هذه الرياضة فقال له الصديق:

"لك يدان، كما لك رجلان، أي لك أربعة أطراف.

دائمًا كن متأكدًا أن ثلاثة من الأربعة أطراف ثابتة تمامًا على الصخرة.

هذا هو قانون الأمان الرئيسي في تسلق الجبال.

أما القانون الثاني فهو: لا تتسلق الجبل بمفردك، بل إربط وسطك بحبل يربط آخرون أجسامهم به، حتى إذا ما انزلقت يسندك الغير".

هذه النصيحة للأمان تنطبق أيضًا على تسلق الجبال الروحية لكي تصعد النفس كما إلى قمة جبل تابور، فترى مسيحها المتجلي، كما تدرك أسرار الكنيسة الممتدة في العهدين القديم والجديد، فتدخل في حوار مع موسى وإيليا وبطرس ويعقوب ويوحنا.

أولاً: لتثبت النفس يديها وقدميها في المسيح صخر الدهور وتتحرك بحركات هادئة بقيادة الروح القدس. تثبت في تدريبٍ روحي لفترة ما ثم تتحرك صاعدة وهي ملتصقة بالرب يسوع قائدها ومعينها فترتفع في أمانٍ.

ثانيًا: في صعودنا روحيًا لا نتحرك وحدنا بفكرٍ فردي منعزل، بل نتحرك مع إخوتنا بفكرٍ جماعي كنسي، فإن سقط أحد يقيمه آخرون.

✠ ✠ ✠

هب لي يا رب أن أرتفع معك إلى قمة تابور،

لمسك بيميني وقدني لأرى مجدك!

ليس لي من يرتفع بي سواك أيها السماوي!

ليحملني روحك القدوس مع قديسيك،

فأتنعم ببهاء مجدك.

هناك أصرخ قائلاً:

"جيد يا رب أن نكون ههنا!"

لأرسم ملامح وجه سيدي![٤]

قيل أن الفنان ليوناردو دا فينسي Leanardo da Vinci كان يرسم صورة العشاء السري في مرسمه وبينما هو منسجم في الرسم دخل شخص اختلف معه في أمرٍ ما فغضب الفنان وثار جدًا حتى قذف الرجل بألفاظ قاسية.

خرج الرجل وأمسك الفنان فرشاته ليكمل صورة وجه السيد المسيح، لكنه إذ كان مضطربًا لم يقدر أن يمد الفرشاة على اللوحة...

شعر الفنان بارتباك شديد، فألقى بالأدوات وخرج وراء الرجل يعتذر له. وإذ قبل الرجل اعتذاره، وتصالحا معًا، عاد الفنان يملأ السلام كيانه، وبدأ يرسم ملامح السيد المسيح التي تشع فرحًا!

حياتنا أشبه بفرشاة نستخدمها لتلوين أيقونة السيد المسيح على قلوبنا. لا يمكننا أن نستخدمها مادام الغضب يسيطر على مشاعرنا.

من يقدر أن يقدم أيقونة السيد المسيح صانع المصالحة مع الله ومع بعضنا البعض وهو يحمل روح الكراهية أو البغضة أو حتى الغضب؟!

✠ ✠ ✠

ليمسك روحك القدوس فرشاته!

ليرسم الفنان الأعظم فيّ أيقونة حية لمحياك أيها القدوس.

ليغسلني بالتوبة من كل غضب،

ويهبني حبك ووداعتك،

وليجدد طبيعتي وأفكاري،

فأصير أيقونة حية لمسيحي القدوس!

---

[٤] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 20.*

ما أصعب أن يغضب الإنسان!

يستطيع كل أحدٍ أن يغضب بسهولة؛

أما أن يغضب لسبب حقيقي،

وبقدر مضبوط،

وفي الوقت المناسب،

وبطريقة لائقة،

فهذا ليس بالأمر السهل.

ما أصعب أن يغضب الإنسان كما ينبغي!

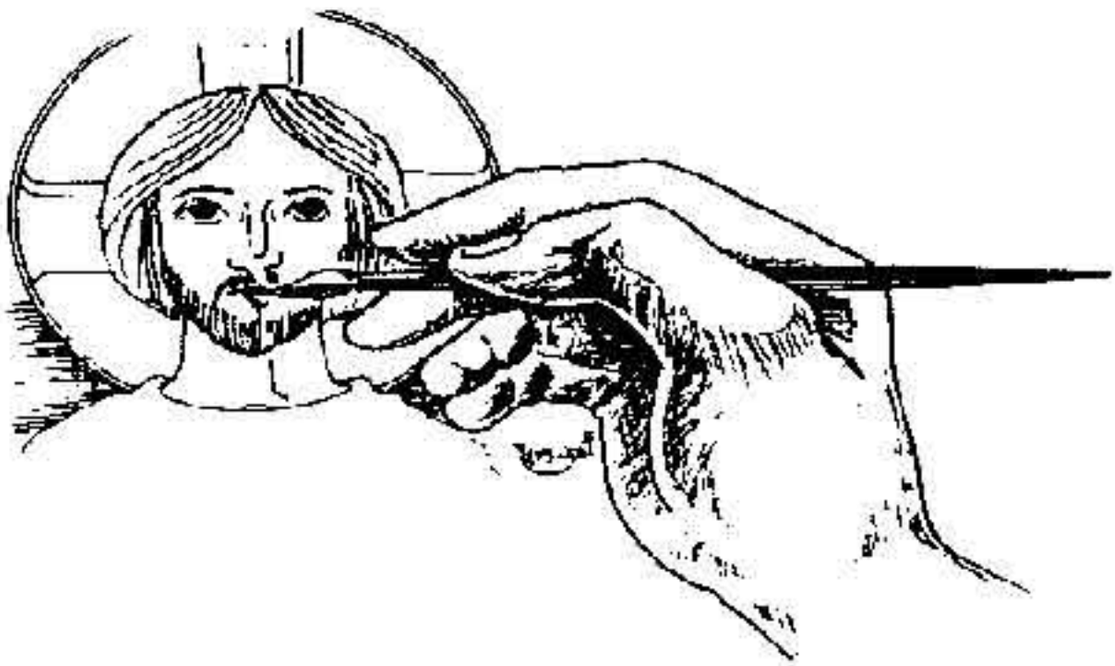

جراحات الغضب*

وُلد إسكندر الأكبر عام ٣٥٦ ق.م. في مدينة بِلاّ Pella عاصمة مقدون، أي مقدونية القديمة. لقد أحب منذ صباه المبكر "الإلياذة" للشاعر هومر، ودرس الأخلاقيات والسياسة والجغرافيا والطب الخ... لكن كان اهتمامه الأكبر في الجانب العسكري.

فقد انتصر غالبًا على كل العالم المعاصر له وغيَّر مجرى التاريخ لذلك دُعي بالأكبر، مع أنه مات قبل أن يبلغ الثلاثة والثلاثين من عمره.

عُرف عن اسكندر الأكبر شجاعته وشهامته وذكاءه الحاد. بصفة عامة لم يكن غضوبًا، وفي مواقف كثيرة كان يضبط نفسه ولا ينتقم لنفسه. لكن حدث مرة أن أحد أصدقائه من الطفولة، وكان عزيزًا جدًا لديه سكِرَ حتى فقد وعيه فأساء إلى الإمبراطور أمام رجال الدولة. وإذ أصيب الإمبراطور بعمى الغضب، أسرع كالبرق وسحب حربة من يد جندي وضرب بها صديقه الذي سقط في الحال ميتًا.

شعر الإمبراطور بندمٍ شديدٍ، فلم يحتمل نفسه، حتى أمسك بالحربة ليضرب بها نفسه لكن رجاله منعوه من ذلك. أصيب في الحال بمرض بسبب شدة حزنه، وكان ينادي صديقه بصوتٍ عالٍ ويلقب نفسه مجرمًا أمام كثيرين.لقد فتح إسكندر الأكبر مدنًا كثيرة وهزم ممالك لكنه سقط في ضعف ومرارة إذ لم يقدر أن يغلب غضبه!

مادام الغضب يعيش، يبقى أمًا ولودًا تنجب أبناءً بؤساء.

القديس يوحنا كليماكوس

---

* *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 20.*

لا ترى عقلك!

إذ قامت الثورة الروسية تنكر وجود الله وتهاجم الإيمان به، ففي أحد فصول الابتدائي قال المدرس:

– ما هذه؟

– نظارة!

– هل ترون النظارة؟

– نعم، نحن نراها!

– أنتم ترون النظارة، فالنظارة موجودة! لكن هل ترون الله؟

– لا.

– أنتم لا ترون الله، فالله غير موجود!

عندئذ قال له طفل: "إننا لا نرى عقلك، إذن عقلك غير موجود!"

الشكر والإلحاد

الملحد لا يقدر أن يشكر، لأنه إذ تغمره العطايا ويريد أن يشكر لا يجد من يشكره!

قيل إن أفضل إجابة على الملحد هي أن تقدم له وجبة شهية، ثم تسأله: هل تؤمن أنه يوجد طباخ قام بطهي هذا الطعام؟

فإن كان لابد من طباخ يطهي الأكل، فهل يمكن للعالم بكل قوانينه العجيبة قد وُجد مصادفة؟!

نزاع الحمام

نشأ المعلم إبراهيم الجوهري في أسرة فقيرة، لكن بجهاده ولمائته مع تقواه وهبه الله الكثير حتى صار رئيس كتبة القطر المصري في عهد المماليك، وهي وظيفة يمكن تشبيهها الآن برئاسة مجلس الوزراء.

دخل يومًا إلى كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة ليصلي، وكان ملتزمًا في ذلك اليوم أن يذهب إلى ديوانه مبكرًا. أرسل إلى كاهن الكنيسة القمص إبراهيم عصفوري يقول له: "المعلم يقول لك أن تسرع قليلاً وتبكر في الصلاة ليتمكن من اللحاق بالديوان".

إذ سمع الكاهن وهو يعرف تقوى المعلم وسخاءه في العطاء على المساكين وخدماته الكثيرة للجميع من بينهم الأقباط وصداقته الحميمة لأبينا البطريرك، أجابه:

"المعلم واحد في السماء،

والكنيسة لله وليست لأحد،

فإن لم يعجبه فليبنِ كنيسة أخرى".

بلغت الرسالة المعلم إبراهيم الذي لم يثر ولا غضب من الكاهن. لم يشتكه لأبينا البابا ولا اعتزل كنيسته المحبوبة لديه، بل حسب كلمات الكاهن كما من الله. فبنى كنيسة الشهيد العظيم أبي سيفين شمال كنيسة السيدة العذراء.

ولما تم البناء ذهب إليه القمص إبراهيم عصفوري يشكره قائلاً: "حمدًا لله الذي جعل استياءك سببًا في بناء كنيسة أخرى، فزاد ميراثك وكثرت حسناتك!"

بهذه الروح يتعامل المؤمنون معًا في الرب. فإنهم وإن اختلفوا إنما يتنازعون كالحمام الذي ينقر كُل أخاه لكن سرعان ما يجتمع الكل معًا للأكل

---

[٤] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 25.*

ويطيرون معًا. لهذا يقول السيد المسيح: "كونوا... بسطاء كالحمام". ويقول القديس أغسطينوس: "ليتنا نتنازع مثل الحمام ولا نحب كالذئاب!" نزاع الحمام يحمل حنانًا بينما صداقة الذئاب تحمل افتراسًا.

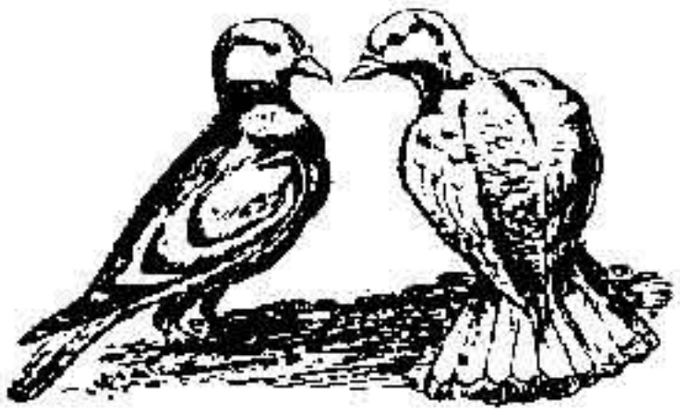

لم تترقبي مجيئي![٧]

خرجت رحلة صيد لمدة خمسة أيام، وفي طريق العودة إذ كادت أن تقترب السفينة نحو الشاطئ وقف الطاقم يتطلعون بشغف نحو الميناء حيث توقعوا أن ينتظرهم أحباؤهم. أمسك الربان بنظارته وتطلع قائلاً:

"إني أرى مجموعة سيدات واقفات يتطلعن نحو السفينة...

مريم نبيل (ناسيًا كل سيدة إلى رجلها)،

وناسي بطرس،

ومرجريت أندرو،

ولوسي شنوده.

لم يذكر اسم زوجة الخامس، الذي اضطرب جدًا لعدم وجود زوجته بين النساء المترقبات السفينة. وإذ بلغوا الشاطئ قفز سريعًا وانطلق نحو كوخه فرأى نورًا يشع من النافذة. اطمأن قلبه من نحوها، وإذ فتح الباب وجد زوجته تجري نحوه وهي تقول: "إنني انتظرك!"

في عتاب لطيف قال لها: "إنك تنتظري مجيئي لكنك لا تترقبينه، أما زوجات زملائي فإنهن يترقبن مجيئهم!"

مسيحنا قادم لا على سفينة صيد مع أصدقائه، بل على السحاب مع ملائكته إنه مشتاق إليك، بذل حياته ليلتقي بك ويدخل بك إلى شركة أمجاده. إنه يود أن يرى فيك الاشتياق إلى مجيئه، تسهر مترقبًا بتهليل قلب حضوره فتلتقي به وجهًا لوجه.

---

[٧] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 50.*

كثيرون ينتظرون wait مجيء السيد المسيح بالفكر فقط دون التحرك من داخلهم نحوه، أما الروحيون فيترقبون watch مجيئه منطلقين نحوه ليلتقوا به.

كما خرج هو من عند الآب ليلتقي بنا، هكذا في سهر نخرج نحن لنلتقي به على السحاب. لذا يقول السيد المسيح: "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم سامرين" لو ١٢:٣٧.

وداعًا أيها المجهر*

(الميكروسكوب)

منذ سنوات طويلة إذ زار أحد الأثرياء لندن بدأ يشتري بعض المجوهرات والحجارة الكريمة. وإذ أراد البائع أن يغري الثري وضع بعض المجوهرات والحجارة الكريمة تحت المجهر (الميكروسكوب) وطلب من الثري أن يراها به. فأعجب الثري جدًا وقرر شراء مجهر مع المجوهرات لكي يتمتع أهل بيته والمستأجرون برؤية هذه المجوهرات الثمينة.

إذ عاد إلى بيته كان يقدم لكل الضيوف المجهر ويسألهم أن يروا ما اشتراه...

انشغل الغني بهذا المجهر جدًا حتى تحول ذلك إلى شبه حالة مرضية.

فجأة سأله ابنه الشاب أن ينظر من عدسة المجهر، وإذ نظر الغني في المجهر دُهش إذ رأى كائنات حية تتحرك.

- ما هذا؟

- لقد وضعت جزءًا صغيرًا جدًا من الطعام!

- ما هذه الكائنات التي تسبح فيه؟

- إنها في داخل الطعام، تأكلها جميعًا دون أن تراها.

لم يستطع الأب أن يأكل الطعام، وإذ قُدم له طعام آخر وضع عينة منه تحت

---

* *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 29-30.*

المجهر فرأى أيضًا حيوانات حية لا يراها الإنسان بعينيه.

توقف الأب عن الطعام يومًا ويومين، وأخيرًا إذ شعر بالجوع الشديد أمسك بالمجهر وألقاه بكل قوة على الأرض فانكسر إلى أجزاء!

حقًا قد تقول إنه تصرف غبي، فقد ظهر غضبه حتى على المجهر الذي يكشف له حقائق علمية!

كثيرون يفعلون نفس الأمر بكلمة الله ويريدون التخلص منها لأنها تكشف عن ضعفاتهم وفساد طبيعتهم.

كلمة الله - المجهر الإلهي - الذي بروح الله القدوس تكتشف النفس ضعفاتها وخطاياها، وفي نفس الوقت تكتشف ملكوت الله الخفي الذي يقيمه مسيحنا في داخلنا. إنه مجهر يفضح ويسند في نفس الوقت.

✠ ✠ ✠

قناة مستقيمة أم نهر متعرج؟[٩]

سأل طالب مدرسه: لماذا أغلب القنوات مستقيمة، بينما أغلب الأنهار متعرجة؟

أجاب المدرس: يبذل الناس كل الجهد لحفر القنوات حتى بين الصخور حتى لا تتبدد المياه أثناء التعرجات. أما الأنهار فغالبًا ما تنحرف مياهها نحو الطريق السهل وتلتف حول العقبات دون أن تواجهها، لذلك غالبًا ما تجرى المياه حول التلال والجبال دون أن تخترقها.

كثيرون مثل الأنهار يعيشون في استرخاء بلا نضوج، ويهربون من العقبات والمتاعب، دون أن يبذلوا جهدًا في السير مع الله. يرون مشاهدة برامج التليفزيون أو قراءة الجرائد اليومية أو الاتصال بالأصدقاء تليفونيًا أسهل من الوقوف للصلاة والحديث مع الله والتمتع بكلمة الإنجيل.

✠ ✠ ✠

[٩] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 30-31.*

تعلم واشبع![10]

قيل إنه في قرية صغيرة تعتمد على صيد السمك كانت بعض الطيور تعيش على البواقي التي يتركها الصيادون. فجأة إذ صار صيد السمك في القرية غير مجزٍ رحل الصيادون إلى منطقة بعيدة يتوفر فيها السمك. لم تجد الطيور طعامًا إذ اعتمدت تعلمًا على الصيادين ولم تتعلم كيف تطعم نفسها، فضعفت الطيور وماتت.

كثيرًا ما يكون حالنا كحال هذه الطيور، نعيش على الفضلات التي يقدمها لنا الآخرون، فلا تكون لنا خبرات يومية مع الكتاب المقدس، ومعاملات مستمرة مع الله، بل نعتمد على خبرة الآخرين وحدهم. بهذا نحكم على أنفسنا بالموت المحتم مثل هذه الطيور الغبية التي لم تتعلم شيئًا.

هب لنا أن نسير على خطى آبائنا القديسين،

محمولين بروحك القدوس العامل فينا،

فننعم كل يوم بخبرات شخصية معك يا إلهنا،

وندرك عملك في الكنيسة عبر كل الأجيال.

لا تدعهم يأخذون يونان منك![11]

قرر شاب أمريكي أن يذهب إلى أوربا في بعض الدراسات ليتهيأ للخدمة، وإذ كان والده الذي كرّس وقته للخدمة يخشى أن يفقد ابنه إيمانه البسيط خلال دراسته على أيدي أساتذة ملحدين قدم له هذه النصيحة: "احذر يا ابني لئلا يأخذوا يونان منك". لقد عنى بهذا أنه يلزم أن يعيش في حياة التوبة التي نادى بها يونان، أو أنه لا يتشكك فيما ورد في الكتاب المقدس حيث يهاجم بعض الفلاسفة قصة يونان، حاسبين إياها قصة خيالية.

إذ عاد الابن بعد عامين من دراسته قال الأب: "هل لازال يونان في كتابك المقدس؟"

ابتسم الابن وقال له: "يونان! هذه القصة ليست في كتابك المقدس!"

قال الأب: "إنها موجودة، ماذا تعني بكلماتك هذه؟"

في جدية قال الابن لأبيه: "يا أبي لا توجد قصة يونان في كتابك المقدس. أرني كتابك ولأظهر لي القصة!"

ارتبك الأب جدًا وصار يقلب بين صفحات كتابه المقدس ليظهر لابنه سفر يونان، وبالفعل لم يجد السفر. أخيرًا راجع قائمة المحتويات ليعرف الصفحة، وإذ بلغ الصفحة وجد السفر منزوعًا من الكتاب المقدس بدقة شديدة.

---

[11] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 33.*

قال الأب: "من نزع هذا السفر من كتابي؟"

أجاب الابن: "أنا يا أبي، لقد نزعته منذ عامين حين قررت الذهاب إلى أوربا لأقراه باستمرار. لكنني أسألك ما الفرق بين أن ينزع هذا السفر من كتابي المقدس بسبب دراستي على أيدي أساتذة ملحدين وبين حرمانك منه خلال إهمالك، إذ لم تفكر في قراءته منذ عامين ولا بحثت عنه؟!"

يحاول الفلاسفة الملحدين وبعض النقاد تشويه الكتاب المقدس بكل طريقة، لكنه يبقى كلمة الله الثابتة إلى الأبد. لقد هوجم الكتاب منذ قرون، ومات المهاجمون وتبددت أفكارهم بينما بقي الكتاب حيًا في حياة المؤمنين.

أما ما يشوه الكتاب فهو العثرة في حياة بعض المسيحيين الذين يتمسكون بالكتاب ويحتفظون به ويزينونه وقد يكرزون به ويفسرونه، لكنهم ينكرونه بحياتهم وفي سلوكهم.

المسيحي الفاسد في حياته أخطر من الملحد المقاوم للكلمة!

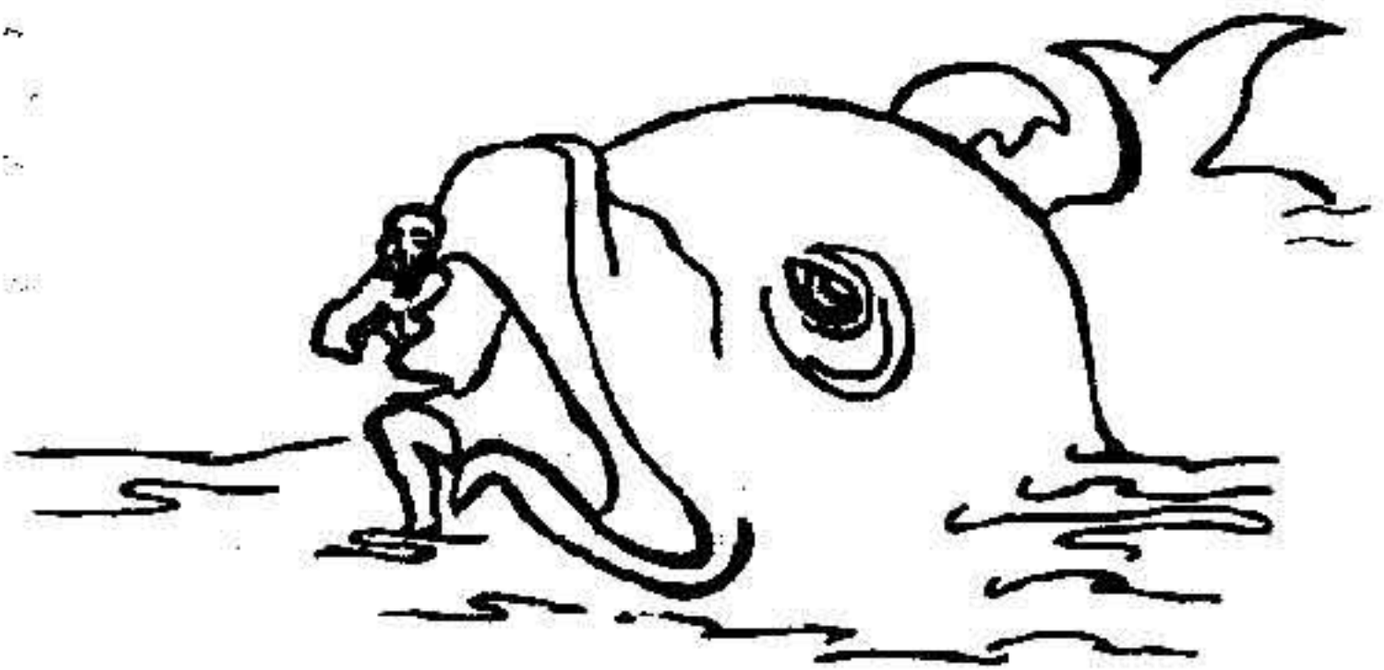

ترجمة أبي[١٢]

وقف أربعة خدام للكلمة أمريكون يتشاورون: أية ترجمة للكتاب المقدس يفضلونها؟

قال أحدهم: إني أفضل ترجمة King James لأن للغة الإنجليزية القديمة طابعها الجميل وهي تقدم صورة وقورة للكتاب المقدس.

قال آخر: إني أفضل ترجمة New American Standard Bible، فإنني أشعر أنها أقربة جدًا للنصين اليوناني والعبري.

قال ثالث: إني أفضل Living Bible لأني أخدم بين الشباب، وهم يحبونها لأنها عملية.

انتظر الثلاثة خدام زميلهم الرابع ليبدي رأيه لكنه وقف صامتًا، وأخيرًا قال لهم:

"إذ نتحدث عن الترجمات فإنني أحب ترجمة والدي.

لقد وضع كلمة الله عملًا في حياته، فترجم الكتاب في كل تصرفاته.

وإني مقتنع بهذه الترجمة التي لمستها بنفسي فيه.

حقًا ما أحوجنا إلى ترجمة آبائنا الذين ترجموا كلمة الله في عبادتهم العامة والخاصة وسلوكهم الخارجي ومشاعرهم الداخلية.

لنعد إلى كتابات الآباء ولنتلامس مع تاريخ حياتهم، فنقرأ إنجيلاً مفتوحًا يمس كياننا ويلهب قلوبنا بالحب!

✠ ✠ ✠

---

[12] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 34.*

افتح يارب عن عينيّ فأتمم بكلمتك.
هب لي أن أقرأ إنجيلك في حياة آبائي القديسين،
هب لي أن أترجمه أيضًا في حياتي،
فيبقى إنجيلك معلنًا عبر كل الأجيال!

كلمة الله حية تشتاق إليّ وتتحدث معي،
لها قدمان تجري إليّ وتسير معي،
لها يدان تمسكان بي وتحتضنني.

إمبراطورية فريدة[١٣]

كان النصر يصاحب نابليون بونابرت من يوم إلى آخر، فاتسعت إمبراطوريته، وامتد سلطانه، والتف حوله القواد والعظماء... الكل يجلونه بكلمات الإطراء.

قيل إنه دخل يومًا إلى حجرته، ورفع عينيْ قلبه إلى أعماق نفسه لعمل تقدير واقعي لحياته، فسجل العبارات التالية (المنسوبة إليه):

[إني أعجب أنه بينما أحلامي الطموحة، وأحلام قيصر واسكندر الأكبر تذهب هباءً في الهواء، إذًا بفلاح يهودي يستطيع أن يبسط يديه بين مصائر الناس والأمم...

إني أخبركم أن يسوع المسيح ليس بعد إنسانًا مجردًا.

لا يمكن للغة أن تعبر عن وجه للمقارنة بينه وبين أي شخص آخر.

لقد أوجد اسكندر وقيصر وشارلمان وأنا نفسي إمبراطوريات، ولكن على أي أساس تعتمد هذه التي خلقناها بذكائنا الخارق؟ على القوة!

يسوع وحده أوجد إمبراطوريته على الحب، وإلى يومنا هذا يريد الملايين أن يموتوا من أجله.]

✞ كم مرة أقمت لنفسي إمبراطورية،

أعيش في أحلامها بغباوة.

ظننت إنني حكيم وقوي.

لكن سرعان ما اكتشفت ضعفي وجهالاتي.

---

[13] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p.47.*

✞ هب لي أن أختفي فيك يا ملك الملوك.
أقم إمبراطوريتك في داخلي،
هب لي سلطانًا فأدوس على الحيات وكل قوة العدو.
أحطم بك مملكة إبليس،
وأحمل إشراقات مجدك في أعماقي،
فأعيش بالحق ملكًا عاليًا ومنتصرًا!!
✞ بك تقوم إمبراطوريتك في قلبي،
تعتبرها إمبراطوريتي الخاصة.
إني أفرح بكل إمبراطورية تقيمها في حياة البشر.
نعم! الأرض وملؤها للرب ولمسيحه!

✞ ✞ ✞

مكتبة الفتيان

قصص قصيرة

٨٣-٩٩

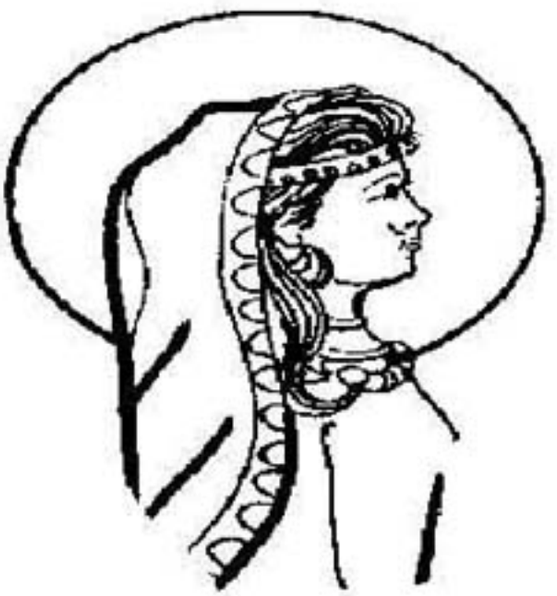

قصص واقعية

في الأجزاء الثلاثة الأولى قدمت لك بعض القصص من واقع الحياة الشرقية، ومن التراث الشرقي بوجه عام، وقد آثرت أن أقدم لك في الأجزاء التالية أيضا بعض القصص من التراث الغربي كما من الشرقي.

إذ أنكر مرجع القصة لا التزم بكل تفاصيلها بل أقدمها بتصرف مع تعليقات روحية خفيفة وشيء من الحوار القصصي.

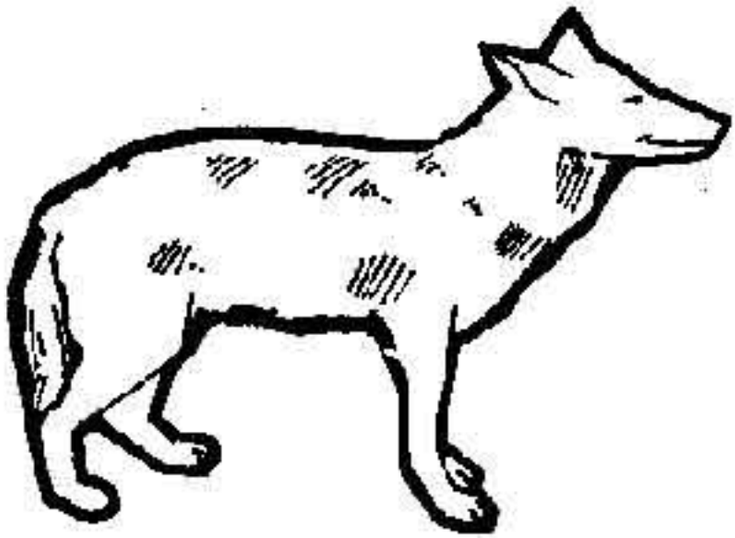

قصة قصيرة ٨٣

أنا خائف من الكلاب

روى لي أحد الآباء الأساقفة هذه القصة المعاصرة، ذكرها بالأسماء التي ضاعت من ذاكرتي:

في مدينة نجع حمادي اعتاد أحد الشيوخ الأتقياء أن يعبر نهر النيل في فجر كل ١٢ من الشهر القبطي ليشترك في التسبحة والقداس الإلهي.

إذ كانت الليلة قمرية والجو حار جدًا نام الشيخ في الهواء الطلق. استيقظ في نصف الليل، وكان نور القمر قويًا، فظن أن الفجر قد لاح وأنه قد تأخر عن الذهاب إلى الدير في البر الآخر للاشتراك في التسبحة. أمسك الشيخ بعكازه وتحرك نحو شاطئ النيل، واتجه نحو البرّ الآخر مشيًا على الأقدام. وإذ اقترب من البر نادى أحد "المراكبية" باسمه، فاستيقظ كثيرون من أصحاب السفن الشراعية والعاملون معهم على صوت هذا الشيخ وكانوا يتطلعون في دهشة إلى الشيخ الواقف على المياه متجهًا نحو البر.

قال الشيخ لأحدهم: "أرجوك أرسل معي (فلان) الصبي ليذهب معي إلى الدير، لأني خائف من الكلاب". أجابه صاحب السفينة: "كيف تخاف يا عم (فلان) من كلاب الدير وأنت تسير على المياه؟"

تعجب الشيخ مما يسمعه، فصار يضرب بالعكاز على المياه وهو يقول: "أية مياه يا ابني؟ إنها أرض!" هكذا كان الشيخ يرى مياه النيل أرضًا يسير عليها وهو لا يدري وإذ ألحَّ الشيخ في طلب الصبي من صاحب السفينة كي يسير معه حتى الدير خوفًا من كلاب الحراسة التي للدير، قال صاحب السفينة: "ربنا معك يا عم (فلان)، صلِ من أجلي... لا تخف من الكلاب!" واضطر الشيخ أن يكمل طريقه!

يا للعجب! في تقواه يسير على المياه وهو لا يدري، بينما في ضعفه البشري

يخشى نباح الكلاب، الأمر الذي لا يخاف منه صبي صغير.

هكذا أيها الحبيب لكل قديس نقطة ضعف، قد لا يسقط فيها صبي صغير، لكن الله يسمح بها لكي تحفظه من السقوط في الكبرياء، فيصرخ مع المرتل: "خطيتي أمامي في كل حين".

لا تتعثر إن شاهدت بعينيك ضعفات قديسين ولمستها بنفسك، فهذا أمر طبيعي يسمح به الله ليدرك الكل مهما بلغوا من قداسة ضعفهم البشري، وحاجتهم المستمرة لعمل المخلص في حياتهم.

✞ ✞ ✞

✞ إذا كان الصديق بالجهد يخلص،
فأين أظهر أنا الخاطي؟
إن كان للقديسين ضعفات صارخة،
فلماذا يكون حالي؟

✞ هب لي يا رب إذ أرى ضعفات اخوتي،
أصلي لأجلهم ولا أدينهم،
أذكر أن لهم أعمالاً مجيدة مخفية عن عيني،
فأكرمهم ولا استخف بهم.

✞ هب لي في ضعفي أترقب خلاصك المجيد.
وهب لي في لحظات قوتي بالروح،
أن أمجدك أيها السند الإلهي!
أذكر عملك العجيب بغير كبرياء من جانبي!

مخزن مزامير

طلب مني أحد خدام التربية الكنسية أن أفتقد جدته (والدة أبيه) إذ أصيبت بتصلب شرايين. في زيارتي لها حاول الحفيد أن يعرّفها عليّ لكنها كانت قد فقدت ذاكرتها تمامًا.

حاولت أن أتحدث معها عن محبة الله لنا، والتصاقنا به، والحديث معه، والتمتع بجسد الرب ودمه لكن باءت كل محاولاتي بالفشل، فقد كان كل حديثها عن ابنها المحبوب لديها الذي سافر منذ سنوات طويلة إلى ألمانيا الغربية، وعن توزيع ميراثها بعد وفاتها، وما يخص هذا الابن.

في نفس الأسبوع قمت بزيارة جدة نفس الخادم (والدة والدته) وكانت إنسانة تقية، تحب المزامير، وقد أصيبت بنفس المرض. حاولت أن أتحدث معها لم أستطع لكنها كانت تردد المزامير بغير انقطاع. إذ تستيقظ في فجر كل يوم تبدأ مزاميرها وتظل ترددها بلا انقطاع، إلا أثناء الأكل للضرورة...

هكذا خزنت الأولى في أعماقها همومًا وخزنت الأخرى مزامير، وجاء الوقت الذي فيه أخرجت كل منهما مما خزنته عبر السنوات.

هذا ما يحدث معي ومعك أيها الفتى، مما تخزنه طوال النهار تغرف منه في أحلام يقظتك قبيل النوم، وأحلامك حيث يقف الرقيب الداخلي للاشعور في ضعف، فتطلق أحلامك غالبًا لتعبر عما في اللاشعور.

وما تخزنه طوال الأسبوع من أفكار يسود عليك أثناء عبادتك في القداس الإلهي.

وما تخزنه في صبوتك وشبابك ينضح عليك في شيخوختك أو أثناء مرضك.

هب لي يا رب أن تكون كنزي،
أقتنيك وانشغل بك، أناجيك وأتمم بك.
أنت هو رصيدي الدائم.
تتجلى في أفكاري كما في أحلامي،
تملأ كل كياني في هذا العالم،
فأتمتع بشركة أمجادك في العالم الآتي.
روحك القدوس فليعمل في أعماقي،
ويعد لك فيّ موضعًا جديدًا أيها القدوس،
فتسكن فيّ ومعك أبوك.

✞ ✞ ✞

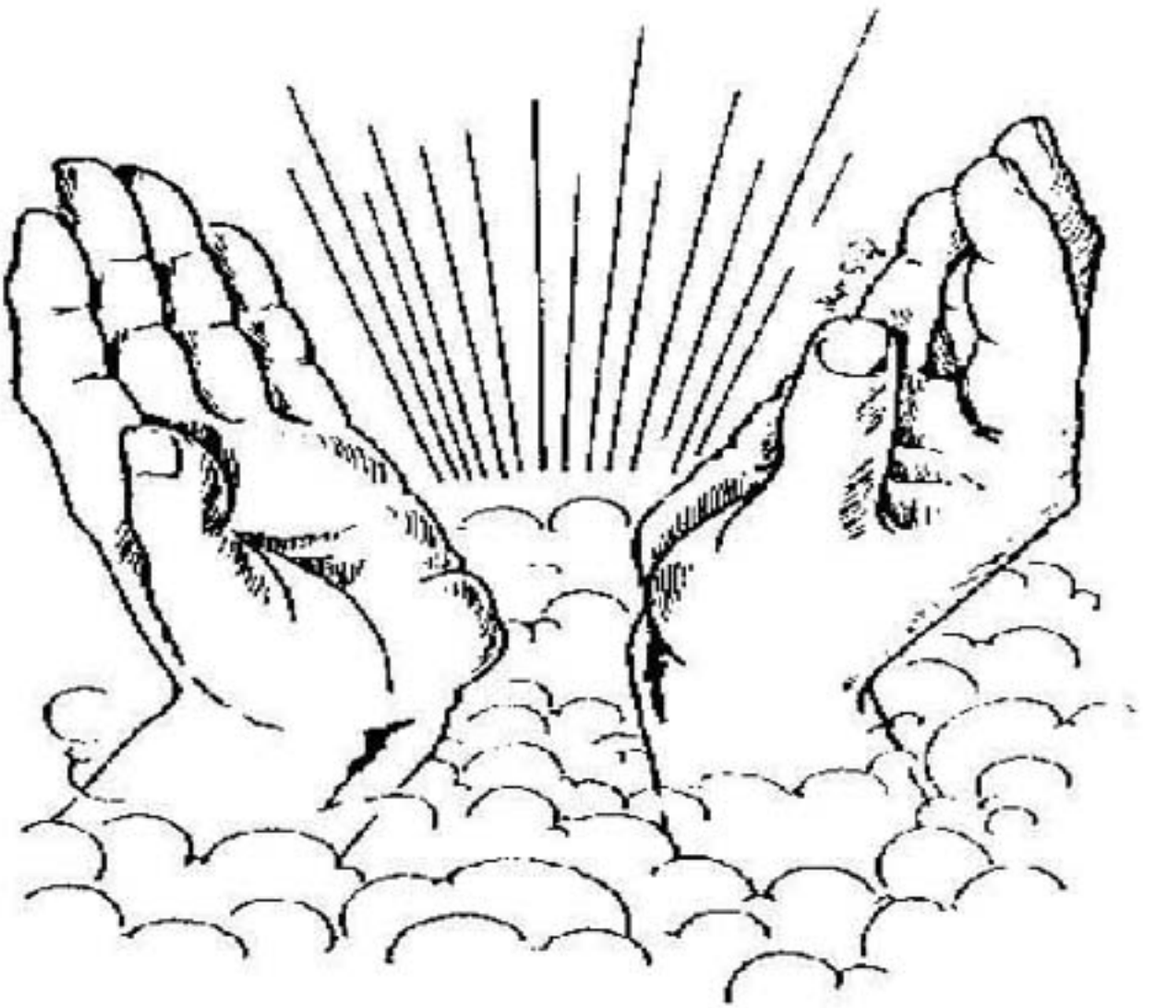

زيارة في نصف الليل[1]

عُرفت سجون المكسيك بالفوضى. وبعد تولي رئيس المكسيك لويس اشفيريا Louis Echverria الرئاسة قرر أن يصنع شيئًا بخصوص السجون. فأجأ السجون في منتصف الليل دون أي إخطار سابق، فوجد الحراس غير موجودين في مواقعهم، والمسجونين في حالة لامبالاة، وأن حال السجون مؤلم للغاية. فقرر طرد العاملين بالسجن وتطهير النظام.

إن كان رئيس دولة يهتم بحال المسجونين الذين غالبًا ما يقضون فترة مؤقتة بالسجون للتأديب، كم بالأكثر يهتم مسيحنا ملك الملوك بكنيسته التي تهيئ البشرية لشركة المجد معه.

إن كان مسيحنا في طول أناته يترفق بنا، لكنه حتمًا قادم فجأة ربما في منتصف الليل؛ فإن وجدنا متلكئين خاملين في تحمل مسئولياتنا يجازينا.

✠ ✠ ✠

[1] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, p. 50-51.*

الألف والياء

تطلع مارك الصغير إلى مكتبة أبيه فوجد الموسوعة الأمريكية بمجلداتها الضخمة. قال الابن لأبيه: "من أين جاء كاتبوا هذه الكتب بحروف ليملأوا عشرات الآلاف من الصفحات بأبحاث ودراسات يشتاق الكثيرون أن يقرأوها؟" ابتسم الأب وقال لابنه: "إن كل هذه المجلدات لا تحوي إلا ٢٦ حرفًا إنجليزيًا. بهذه الحروف سجل لنا العلماء هذه الموسوعة القيِّمة".

وإذ كان الابن مندهشًا، قال له الأب: "يسوع المسيح دعا نفسه الألف والياء، فإننا إذ نقرأ سفر الحياة نجد أسماء المتمتعين بالميراث الأبدي، هؤلاء جميعهم في المسيح يسوع وليس أحد خارجًا عنه! إنه الألف والياء الذي به تُسجل أسماؤنا في سفر الحياة!

✞ ✞ ✞

هب لي أن أختفي فيك،

فتنقش اسمي على كفك الإلهي،

وتسجله في سفر الحياة!

أنت هو الألف والياء،

بدونك لا يُكتب اسمي في السماء!

بنات النجار[٢]

استمع أستاذ أمريكي لواعظ يتحدث عن الأخوّة العامة، حيث كشف الواعظ عن حب الله الفائق للإنسان، واشتياقه أن يضم البشرية كلها معًا كإخوة وكأبناء الله الواحد. وإذ كان هذا الأستاذ يؤمن بخلاص كل البشر مع تجاهل إيمانهم ، الفلسفة التي انتشرت في هذا القرن في الأوساط الغربية فأعطت نوعًا من الميوعة من جهة الإيمان. إذ يتساءل الكثيرون: هل تظن أن الله يُهلك هؤلاء الملايين من الملحدين؟ هل ستهلك أمم بأسرها لأنهم بوذيون؟ الخ.

أراد الأستاذ الأمريكي أن يحرج الواعظ ، فدخل معه في الحوار التالي:

– أليس كل جنس البشر هم سلالة آدم وحواء؟

– نعم هم أبناء آدم وحواء.

– أليس الله هو خالق آدم وحواء؟

– الله هو خالقهما.

– إذًا حتمًا كل البشر هم أبناء الله لأنهم صنعة يديه.

عندئذ أشار الواعظ إلى الكراسي التي بالقاعة وسأل الأستاذ الأمريكي:

– من الذي صنع هذه الكراسي.

– نجار بالمنطقة يدعى (فلان).

– هل هذه الكراسي هي أبناء أو بنات النجار؟

– حتمًا لا.

عندئذ قال الواعظ:

---

[٢] *See Donald Grey Banhouse: Let Me Illustrate, 1995, p. 337.*

– إنها ليست بنات النجار لأنها لا تحمل حياته فيها. هكذا ليس كل إنسانٍ هو ابن الله، إنما الذي يحمل حياة الله فيه، حتى إن دُعي مسيحيًا ويمارس بعض العبادات.

✞ ✞ ✞

تذكرني هذه القصة بما حدث منذ أكثر من عشرين عامًا حين وقفت بجوار المتنيح القمص ميخائيل سعد في فناء كنيسة القديس مارمرقس بالإسكندرية وبنظرة أبوية تطلع إلى أحد الفراشين، وكان واقفًا بجوار باب الكنيسة.

تقدم الأب الكاهن نحو الفراش وبحنو سأله عن حياته الروحية فشعر أنه لا يتمتع بشركة حية مع الله، لا في صلواته ولا في قراءته للكتاب المقدس أو توبته أو اعترافه أو تناوله الخ. هزّ الكاهن رأسه بحزنٍ شديدٍ وهو يقول للفراش:

[أنا حزين يا ابني لأن خلاصك ثمين.

إنك تقف عند باب الكنيسة لكنك لا تدخل بروحك فيها.

إنك تشبه النجارين والحدادين والعمال الذين صنعوا الفلك في أيام نوح.

دخل نوح الفلك ومعه زوجته وأولاده ونساؤهم،

وأيضًا الحيوانات الطاهرة والنجسة والطيور،

أما النجارون والعمال فلم يدخلوا.

صنعوا الفلك لمن يتمتعوا به، أما هم فحرموا أنفسهم من الخلاص.]

✞ ✞ ✞

✞ هب لي يا رب أن أسأل نفسي: هل أنا بحقٍ ابن لك؟

هل أحمل حياتك مستترة في داخلي؟

اسمي المسيحي لن يشفع فيّ.

معموديتي لن تخلصني إن كنت قد أهملت نموي فيك.

عبادتي تدينني أمام عرشك الإلهي!

✞ ليعمل روحك القدوس في أعماقي،

ليبكتني على خطاياي فأتوب، وأعترف بكل ضعفاتي.
ليعلن لي بهجة خلاصك، فأتمتع بحياتك في داخلي.
وأعيش كما يليق بابن الله!

ماذا تقول الحائط لأختها؟

في جوٍ مملوء حبًا ولطفًا اعتاد الأب أن يجلس مع ابنه الوحيد بعد العشاء يتسامران ويتناقشان في أمورهما اليومية.

كان الابن، الصبي الصغير، يشعر أن هذه الفترة هي أسعد لحظات عمره، فينتظر نهاية العشاء ليجلس مع أبيه ويتحدث معه بصراحة وفي جوٍ روحي مبهج.

في إحدى الأمسيات، أراد الابن أن يروى لأبيه بعض الطرائف، فقال له: "حاول أن تعرف ماذا تقول الحائط لأختها الحائط؟"

بابتسامة حاول الأب أن يهرب من الإجابة فقال لابنه: "لا أعرف، اخبرني أنت ماذا تقول كل حائط لإختها". أجاب الابن: إنها حتمًا تقول لأختها: "هلم نلتقي معًا عند الزاوية التي تربطنا معًا وتوحدنا"[٣].

صمت الأب قليلاً ثم قال لابنه:

"كلامك حق، وكان يجب أن أعرف الإجابة.

إنه يليق بكل مؤمن حقيقي أن يقول لأخيه:

هلم نقترب معًا نحو حجر الزاوية ربنا يسوع المسيح،

ففيه وبه نتحد معًا!

هو يسندنا معًا ويوحدنا، لنصير بيت الله الحي!"

✞ ✞ ✞

✞ كلما أقترب إليك يا حجر الزاوية المرفوض،

أقترب إلى اخوتي،

---

[٣] *See Donald Grey Barnhouse: Let Me Illustrate, 1995, p. 336.*

وأصير معهم واحدًا فيك!

✞ بدونك أصير وحيدًا،
أشعر بالعزلة عن الله والناس،
حتى إن التف الكل حولي.

✞ بك أشعر بالدفء،
حتى إن تركني الكل!

✞ بروحك القدوس اجذبني إليك،
فأجري مع اخوتي إليك،
نفرح ونتهلل بك،
يا سعادة نفسي.

✞ ✞ ✞

إنه لا يهيننـي!

في إحدى زيارتي للعائلات بسانتا مونيكا، كاليفورنيا، إذ وقفت بالسيارة جاء الصبي يلتقي بي متهللاً ووراء كليه الصغير الذي كان يلعب معه في الحديقة أمام المنزل.

- أراك مسروراً بالكلب!

- نعم، إني أحبه جداً... ألعب معه ويلعب معي.

- ماذا دعوته؟

- لاكي Lucky، وقد نسبته إلى اسم العائلة Surname .

- هل تحبه أكثر من أختك؟

- بالتأكيد!

- هل تحبه أكثر من زملائك في المدرسة؟

- نعم، فهو لا يهينني. لا يقول لي: "أنت سمين You are fat" كما يفعل زملائي ويهينوني...

خرجت كلمات الصبي من أعماق قلبه وهو مرّ النفس. لقد وجد في كلبه الصغير الحب، يعطيه أغلب وقته ليلعب معه، الأمر الذي لا يقدمه له أفراد أسرته. يداعبه ويمرّر بطريقة لو أخرى عن فرحه به ولا يهينه كما يفعل زملاؤه. لقد أشبع الكلب الصغير احتياجات صبي صغير الأمر الذي لم يقدمه له أسرته ولا زملاؤه!

قلوب كثيرة تحتاج إلى حبك لتعطيها من وقتك ورقتك، ولا تجرح مشاعرها ولو على سبيل المزاح!

✠ ✠ ✠

هب لنا يا رب أن نشبع قلوب اخوتنا بالحب،
فلا يطلبونه من كلب أو قط،
ولا يستجدونه بطريقٍ أو آخر!
املأنا بعمل روحك المفرح،
فنفيض بالتهليل على اخوتنا.
لا تخرج من فمنا كلمة جارحة،
ولا تصدر عن ملامحنا حركة فيها سخرية.
هب لنا أن نحترم كل نفسٍ بشرية.
وألا نستخف بطفلٍ أو رضيعٍ،
يا من تحملنا في أحضانك الأبوية.

✠ ✠ ✠

تجري القوانين في الطرق التي يشتهيها الملوك!

إنه مثل أسباني قديم *Alla reyes van leyes do quieren* يعني أن الإنسان يستخدم سلطانه في تحقيق مآربه تحت ستار استخدامه للقوانين أيا كان نوعها.

وراء هذا المثل قصة واقعية ترجع إلى بدء القرن الثاني عشر حيث كان يلزم أن يقرر الملك الفونسو السادس Alfonso VI إن كانت دولته تستخدم كتاب القدس الغوصي أم الروماني. لقد أعلن أنه سيلقي بالكتابين في النار، فالكتاب الذي لا يحترق يُستخدم. وإذ لم يحترق الكتاب الغوصي وكان يريد الملك استخدام الكتاب الروماني ألقى بالغوصي مرة ثانية في النار فاحترق، عندئذ أعلن أن دولته تستخدم الكتاب الروماني. وبسبب هذا انتشر هذا المثل بين الأسبان وصارت له شعبيته[٤].

إنه مثل يكشف ليس فقط عن سوء استخدام بعض أصحاب السلطة لمراكزهم في وضع قوانين تتناسب مع تحقيق أهوائهم أو في تفسير القوانين حسب ميولهم الشخصية، إنما يكشف عن الأنا *ego* في حياة الإنسان، حتى في تعامله مع الله.

في كل صلواتنا نقول:" لتكن إرادتك لا إرادتنا"، لكننا نبقى نلح في صلواتنا لكي يتمم الله إرادتنا الذاتية. كثيرًا ما نصمم على الطريق الذي نسلك فيه تحت ضغط إرادة شهوات الأنا أو الجسد، ونحاول أن نهبه مسحة دينية، مقدمين كل تبرير ممكن.

---

[٤] *See D.G. Barnhouse: Let Me Illustrate, p. 339.*

يخاف من ظله!

عُرف الإسكندر الأكبر بذكائه الخارق وقدرته، ففي السادسة عشرة من عمره كان نائبًا للملك (أبيه فيليب) في إدارته لمملكة مقدونية، وفي الثامنة عشرة كان القائد الغالب صاحب الصيت العالمي، وفي العشرين من عمره صار ملكًا.

جاء فيلونيكس التسالونيكي، الرجل المسئول عن "استبلات" خيول الملك فيليب المقدوني يخبره بأن الفرس بيكيفالوس *Bucephalus* متمرد وعنيف للغاية، ولا يستطيع أحد قط أن يمتطيه، لذا قرر بيعه.

إذ سمع الإسكندر ذلك، وكان في سن المراهقة، قال لأبيه: "سأذهب مع فيلونيكس لأرى هذا الفرس الجامح".

حاول والده أن يثنيه عن عزمه خوفًا عليه من الفرس، لكنه في لطف قال له: "لا تخف يا والدي، فإنه لكل عنف علة أو سبب، فإنني سأحاول أن أروضه".

قال الملك لابنه: "لست أظن أن لك خبرة فيلونيكس الذي قضى أغلب أيامه يدرس ويمارس ترويض وتدريب الحيوانات، خاصة الخيل".

أجاب الإسكندر: "لم أتدرب على ترويض الخيل، لكن اعطني فرصة لأتعرف على سبب جموح بيكيفالوس".

ذهب الصبي المراهق الاسكندر مع المدرب العظيم للخيل فيلونيكس إلى استبل الخيل، وإذ ذهب المدرب ليمسك بالفرس ثار الفرس جدًا وصار الموقف خطيرًا.

أسرع الصبي نحو الفرس وأمسك بلجامه ثم غيّر اتجاه رأسه فصار الفرس هادئًا وامتطاه الإسكندر بسهولة وقاده، ثم ذهب به إلى والده الذي هنأه على قدرته على ترويض الفرس في لحظات قليلة.

سأله الملك فيليب: "ماذا فعلت يا بني؟"

أجاب الإسكندر: "إن الأمر بسيط للغاية، لقد كان الفرس يرى ظله فيخاف منه، فلما حولت رأسه نحو الشمس صار ظله تحت قدميه فلم يخف بل صار هادئًا".

حقًا إن الملايين من البشر يخشون ظلالهم، لكن إذ تتجه أنظارهم إلى شمس البرّ لا تصير لهم ظلال، إذ تسقط الظلال تحت نفوسهم ويمتلئون ثقة ويقينًا في عناية الله.

حقًا إن الذين يتبعون شمس البرّ لا يسيرون في الظلمة بل يصير لهم نور الحياة.

لنقترب إلى مسيحنا فتنهار الظلال تحت أقدامنا.

لنسمع صوت الرب:

"سيروا ما دام لكم النور لئلا يدركم الظلام...

ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور" يو٣٦،١٢:٣٥.

✞ ✞ ✞

لتشرق يا شمس البرّ على نفسي،

فتسقط الظلال تحت قدمي.

لا أعود أخاف من ظلي،

بل اتكئ على صدرك المملوء حبًا وحنانًا.

لأمكن بين يديك يا ملجأي!

---

[٥] *See Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, Anecdotes for Sermons, vol. 2, p. 136.*

جنون واعظ

لاحظ الواعظ الأمريكي Rowland أنه غالبًا ما كان يُتهم بالجنون وعدم الواقعية لأنه يتحدث كثيرًا عن الأبدية، خاصة عقاب الأشرار الأبدي، الأمر الذي لا يقبله كثير من الأمريكان المعاصرين.

إذ يريد الإنسان تسكين ضميره وهو يرتكب الخطأ يحاول تسفيه من يتحدث عن نار جهنم والعذابات الأبدية بكونها عقائد قديمة تحمل روح الخوف وتحطيم النفس.

كثيرًا ما كان يروي هذا الواعظ لسامعيه القصة التالية:

إذ كنت أسير في طريق صخري منحدر سمعت فجأة أصوات بشرٍ تصدر عن حفرة صخرية على جانب الطريق. في حذرٍ شديدٍ سرت نحو الصوت وإذ بي أجد ثلاثة رجال كادوا أن يَدفنوا تمامًا في الحفرة الصخرية. لم أشعر بنفسي سوى انني أصرخ وأستغيث بأعلى صوتي، وكانت المدينة على بعد حوالي الميل... سمع البعض صراخي فأسرع كثيرون إليّ فوجدوني استغيث، ولا حول لي ولا قوة على إنقاذ الرجال.

بذل الناس كل جهدهم حتى أنقذوا الرجال، وكنا جميعًا فرحين متهللين.

لكن ما يدهشني انه لم يتهمني أحد بالجنون حين رأيت ثلاثة رجال يدفنون أحياء فكنت أصرخ وأستغيث، بينما كثيرًا ما يتهموني بذلك وأنا أرى جماهير الخطاة ينحدرون إلى الموت الأبدي ويهلكون ، وها أنا أصرخ كي يهربوا إلى السيد المسيح، الطريق الإلهي لكي لا يهلكوا[٦].

✞ ✞ ✞

---

[٦] *See Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, Anecdotes for Sermons, vol. 2, p. 144.*

حقًا كثيرًا ما يسخرون منا حين نهتم بخلاص لغوتنا كما سخر الشعب وكل القيادات بإرميا النبي القائل:

"لأني كلما تكلمت صرخت،

ناديت: ظلم واغتصاب.

لأن كلمة الرب صارت لي للعار وللسخرة كل النهار.

فقلت لا أذكره ولا أنطق بعد.

فكان في قلبي كنار محرقة محصورة في عظامي،

فملكت من الإمساك ولم أستطع" إر٢٠:٨،٩.

✞ ✞ ✞

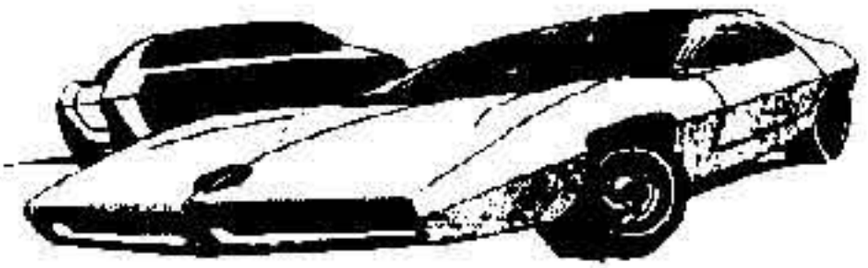

قصة قصيرة ٩٣

أريد أن أقتني ما تقتنيه أنت!

شعر أحد الأثرياء بضيق شديد يجتاح نفسه، فقد خنقته الهموم بالرغم من غناه الفاحش.

انطلق من قصره الذي تحيط به عشرات الأفدنة، وقد استأجر بعض العمال لحفر بركة وإقامة بعض القنوات ليحول هذه الأفدنة إلى حدائق تحوط بقصره من كل جانب.

سمع الثري صوت أحد العمال وهو يغني، فوقف من بعيد ينصت إليه، فسمعه يقول:

" أبي غني بقصوره الذي أعدها لي ولأسرتي،
سخي في العطاء، يعطي مجانًا ولا يعيّر،
كل غنى العالم في يديه،
مخازنه مملوءة حجارة كريمة ولآلئ ثمينة،
مع ذهب وفضة وكل ما هو نفيس.
إنني بالحق ابن الملك، ابن الملك العظيم.
مخلصي يسوع يُعد لي ميراثًا ومجدًا!
حقًا من هو أسعد مني؟!
من هو أغنى مني؟!"

اهتزت أعماق الرجل الثري البائس لسماع كلمات هذا العامل الذي يحفر القناة التي تخرج من قلبٍ متهللٍ بالروح.

اقترب الثري من العامل، وإذ حيّاه قال له:

" لماذا تغني بكلمات بلا معنى يا تيمو،
فإنك عامل تحفر القنوات،

وتدّعي أنك غني وسعيد وابن ملك غني؟!"

أجاب تيمو:

"ما أقوله يا سيدي ليس كلمات بلا معنى،

بل هو حق أعيشه وألمسه مع كل نسمة من نسمات حياتي.

الله هو أبي، ويعطيني الكثير، فأنا أغنى له.

كوخي صغير يقع في طرف المدينة لكنني سعيد به.

إذ أنتهي من يوم عملي أذهب إلى كوخي فأجد زوجتي وأولادي ينتظرونني ويقبّلونني،

وأنا احتضنهم وأقبلهم.

نجلس معًا ونصلي ونشكر الله ثم نأكل بفرح،

فلماذا لا أغنى لإلهي الغني؟!"

تنهد الثري في أعماقه وهو يقول في نفسه:

"حقًا إنه عامل بسيط وفقير،

لكنه غني بإلهه الذي يملأ قلبه وقلوب أسرته بالحب.

أما أنا فثري، لي قصور وأراضي وحقول... لكنني فقير.

أسرته يفرحون به ويبتهلون،

أما أنا فيترقبون ما يرثونه من بعدي..."

تطلع الثري إلى العامل تيمو، وقال له: "يا تيمو، إنني أريد أن أقتني ما تقتنيه أنت"[٧].

✠ ✠ ✠

---

[٧] *See Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, Anecdotes for Sermons. vol. 2. p. 205.*

"أما لختار الله فقراء هذا العالم أغنياء في الإيمان،
وورثة الملكوت الذي وعد به الذين يحبونه" يع ٢:٥.

أنت غناي أيها الحب المشبع لقلبي!
أنت حياتي يا واهب القيامة لنفسي!
أنت تسبحتي وفرحي يا شهوة قلبي!
لأقتنيك، ولا أطلب معك شيئًا!
لأحملك في داخلي يا مالئ السموات والأرض.
لأراك وجهًا لوجه يا مخلصي الصالح.

أغنى رجل في الوادي يموت الليلة!

وقف رجل ثري في شرفة قصره وفي اعتزاز وكبرياء كان يتطلع إلى أراضيه المتسعة من كل جانب، حيث كان يملك الوادي كله. كان يقول في نفسه:" إنها حقولي وأراضي... إنني أغنى رجل في الوادي".

بدأ ينطق بصوت عالٍ ما كان يفكر فيه الغني الذي ذكره السيد المسيح في مثل "الغني الغبي":

"ماذا أعمل، الآن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري!...

أعمل هذا: أهدم مخازني وابني أعظم وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي. وأقول لنفسي: يا نفسي لكِ خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة.

استريحي وكلي واشربي وافرحي" لو ١٢:١٧-١٩."

ارتفع صوته في كبرياء وتشامخ... لكنه إذ كان يتطلع من هنا وهناك في وسط الجو الهادئ لاحظ أحد العمال الشيوخ جالسًا تحت شجرة بالقرب من الشرفة، وقد علت على وجهه البشاشة والابتسامة العذبة. لقد فتح منديله الذي به القليل من الخبز اليابس وقطعة جبن صغيرة لكي يأكل في الظهيرة بعد العمل الشاق في حديقة الثري.

إذ كان الثري يشعر براحة كلما تحدث مع هذا العامل الشيخ حيّاه من الشرفة، فرد العامل التحية.

- هل كنت تسمعني يا سام؟

- لا يا سيدي، فإنني لم ألاحظ أنك بالشرفة، وقد ذبلت عيناي وتقلصت أذناي بسبب

الشهخوخة.

- أراك مسرورًا الليلة يا سام.

- إني أشكر الله على عطاياه الدائمة لي يا سيدي.

- على أي شيء تشكره؟ الخبز الجاف وقطعة الجبن!

- نعم يا سيدي، فقد وهبني الله أبي طعامًا يملأ معدتي ويسندني على العمل، وثوبًا أرتديه، ومريرًا أنام عليه، وسقفًا فوق رأسي، الأمور التي هي أكثر بكثير مما كان لسيدي يسوع المسيح مخلصي وهو على الأرض.

- لكنني أعجب كيف تفرح بطعام بسيط كهذا!

- إلهي يعطيني عذوبة في فمي أتمتع بها وأنا استخدم عطاياه لي. إن العذوبة التي أتذوقها هي عطية إلهية.

حوّل سام حديثه فجأة ليخبر مستأجره الثري بحلم رآه في الليلة السابقة:

"أريد أن أخبرك يا سيدي عن حلم شاهدته بالأمس. حلمت إنني قد ارتفعت إلى السماء، ووجدت أبوابها مفتوحة. رأيت المدينة العظيمة، أورشليم العليا وأمجادها لا يُعبر عنها. إنني اعجز يا سيدي عن أن أحدثك عن جمال ما رأيته. لقد اشتهيت أن أمكث فيها...

والعجيب إنني سمعت صوتًا من الداخل يقول: أغنى رجل في الوادي يموت الليلة. وإذ صار هذا الصوت سمعت أصوات أبواق من السمائيين يسبحون ويرنمون. آه! لقد استيقظت من نومي ولم أكن أريد أن أستيقظ. لقد سمعت يا سيدي هذه الكلمات بكل وضوح، وقد كنت أفكر كيف ألتقي بك لأخبرك بما رأيت وما سمعت".

صار وجه الثري شاحبًا، وقد حاول إخفاء مشاعره ومخاوفه، لكنه تسلل من الشرفة إلى حجرته وارتمى على كرسي قريب منه وهو يردد:

"أغنى رجل في الوادي يموت الليلة!

هل هذا مجرد حلم لعامل شيخ؟!

هل هي نبوة أو رؤيا إلهية؟!

هل هو انعكاس لمشاعر عاملٍ نحو أغنى رجل في الوادي؟

إنه شيخ محب، تقي وورع!"

لم تمض ساعات حتى شعر سام بارتفاع في درجة حرارته وقد حاول أن يخفي مرضه حتى لا يثقل على أحد. تزداد به المرض جدًا، وصار الشيخ يردد مزاميره وينادي إلهه، وقد امتلأ وجهه بهجة.

إذ ساءت حالة سام جدًا أسرع زملاؤه باستدعاء طبيب ليعالجه. اهتم به الطبيب، وبينما كان الطبيب يسامره ويلاطفه روى سام للطبيب الحلم الذي رآه. فضحك الطبيب وقال له: "لا تخف فإن صحة أغنى رجل في الوادي سليمة ولا يموت الليلة".

وفي ساعة متأخرة من الليل سمع الثري جرس الباب يضرب، وإذ خرج ليفتح وجد عاملاً يعتذر له:

"آسف يا سيدي، سام قد مات، ونحن نعلم أنك تحبه،

ونحن نسألك ماذا نفعل؟"

ذُهل الثري لما حدث، وصار يردد في نفسه:

"أغنى رجل في الوادي يموت الليلة.

نعم لقد كان سام في نظري فقيرًا للغاية،

لكنه في عيني الله أغنى رجل في العالم.

كان غنيًا في الإيمان، اقتنى غنى السماء الذي لا يقدر بثمن،

وتمتع بالحياة الفائقة.

ظننت في نفسي أنني أغنى رجل في الوادي،

لكنني اكتشفت من هو الغني.

الآن ارجعي يا نفسي إلى إلهك واقتنيه فتقتني كل غنى"[٨].

---

[٨] *See Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, Anecdotes for Sermons, vol. 2, p. 205*

لا حاجة لنا إليه!

وُلد جيمز سميثسن *James Smithson* عام ١٧٦٥م في فرنسا، وكان ابنًا غير شرعي لدوق إنجليزي مشهور، من سلالة الملك هنري السابع، وذلك من جهة والدته.

كابن غير شرعي حُرم جيمز من الجنسية الإنجليزية ومن التمتع بغنى ميراث والده الحقيقي.

إذ وجد الشاب جيمز نفسه مرفوضًا بذل كل الجهد لينجح في حياته، فصار أحد قادة العلماء الإنجليز وعضوًا في الجمعية الملكية (صار رئيسًا لجمعية القادة العلماء) وذلك في الثانية والعشرين من عمره.

في عام ١٨٢٩م مات جيمز دون أن يتزوج وقد ترك لابن أخيه ثروة عظيمة، وقد كتب جيمز وصيته عن ميراثه بعد وفاة ابن أخيه.

لقد ظنت الجمعية البريطانية العلمية بأن جيمز قد أوصى بالكثير من ميراثه لحسابها، ولكن إذ نُشرت الوصية صُدم الكل.

كتب جيمز: "كما رفضتني إنجلترا، لهذا أنا أرفضها". وإذ كانت إنجلترا قد دخلت في معركتين خطيرتين مع ولاياتها الثائرة ضدها في أمريكا فلكي يعلن جيمز استخفافه الشديد بمن أساءوا معاملته قدم كل ما يملكه لحساب الحكومة الأمريكية لتأسيس معهد علمي في هذه الدولة الناشئة. وقد صارت هذه المؤسسة لها شهرتها العظيمة في العالم.

لقد أخطأت إنجلترا خطأً فاحشًا حينما استخفت بهذا الشاب لأنه وُلد غير شرعي، وقد ظنت أن لا حاجة لها إليه، فخسرت الكثير[٩].

---

[٩] *M.P. Green: Illustration for Biblical Preaching. Baker Book House, 1992, p. 69.*

ليتنا لا نستخف بإنسان ما أيا كانت إمكانيته أو وضعه...

من أروع العبارة التي كنت أسمعها من المتنبح أبينا القمص بيشوي كامل: "الكنيسة تحتاج إلى ظافر كل طفلٍ". هكذا كان يقدر أبونا كل نفسٍ، ولا يحتقر أحدًا من الأصاغر!

وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: إن شعر جفن العين أو حاجب العين لا يساوي شيئًا، إن نزعناه لا يستحق إلا أن يُلقى في سلة المهملات، ومع هذا فالجسد كله بوجه عام، والعين بوجه خاص، يحتاج إلى هذا الشعر. فبدون شعر الجفن أو الحاجب يفقد الجسد جماله ككل وتتعرض العين للخطر! فإن كنت عينًا لا تحتقر الجفن الذي يحميك ولا الحاجب الذي يكسبك جمالاً.

اهرب لحياتك

كان كلب قوي يفتخر بين اخوته الكلاب بقدرته على الجري.

ذات يوم إذ كان يجري وراء أرنب ليقتنصه هرب الأرنب منه ولم يستطع أن يلحق به.

سخرت الكلاب منه قائلة: "أين بطولتك في الجري؟ هوذا أرنب ضعيف استطاع أن يهرب منك ويسبقك في الجري".

صمت الكلب قليلاً، ثم قال لهم:

" لا تنسوا أن الأرنب كان يجري لأجل حياته، أما أنا فكنت أجري من أجل عشائي! "

قد سبق الأرنب الكلب، لأن الأرنب كان يهرب لإنقاذ حياته، أما الكلب فكان يجري ليقتنص الأرنب ويأكله! حينما يكون الجرى من أجل حياتك تحمل طاقات فائقة فلا يستطيع عدو الخير أن يلحق بك ويفترسك.

الهروب قوة وشجاعة، إن أدركنا أن الخطية قاتلة لنفوسنا ومهلكة لحياتنا الأبدية[١٠].

[١٠] *M.P. Green: Illustration for Biblical Preaching, Baker Book House, 1992, p. 70.*

تنازل عن غطاء مائدة!

هاجر كثير من أعضاء كنيسة بإحدى مدن شمال إنجلترا ولم يتبقَ إلا القليل من العائلات، أغلبها من المسنين، فأهملت مباني الكنيسة إلى سنوات.

قبيل عيد الميلاد لعام ١٩٥٨م اجتمع بعض الأعضاء وقرروا تهيئة المبنى بمجهودهم الذاتي للاحتفال بالعيد. وبالفعل بذلوا جهدًا في تهيئته، غير أن عاصفة شديدة قامت بالليل حطمت كل ما صنعوه. كما سقط جزء كبير من ملاط إحدى الحوائط فظهر شق وفجوة في الحائط.

أعاد الأعضاء العمل وقاموا بتنظيف الكنيسة وكل أثاثاتها، لكنهم وقفوا عاجزين عن التصرف بخصوص الشق الظاهر في الحائط بعد سقوط الملاط.

في وقت الظهيرة عبر راعي الكنيسة على صالة مزاد فشاهد غطاء مائدة أبيض جميل مطرز، فشعر أنه مناسب لتغطية الشق. اشتراه الراعي ببعض الشلنات.

على محطة الأتوبيس شاهد الراعي سيدة تبكي، فأدرك أنها في ضيقة شديدة. سألها إن كانت تذهب معه إلى الكنيسة، وهناك أنصت إلى قصتها. لكنه لاحظ أن السيدة قد توقفت عن الحديث فجأة وصارت تركز على غطاء المائدة الأبيض. سألها عن سبب صمتها، فأجابت أن هذا الغطاء هو ملكها، قدمه لها زوجها، وأنه يوجد عليه الثلاثة حروف الأولى من اسمها. ثم روت له كيف عاشت هي وزوجها في فينا.

في أثناء الحرب وُضع رجلها في معسكر، وقد جاء إليها خبر وفاته. فجاءت إلى بريطانيا العظمى لتعمل مربية لأطفال في مدينة قريبة من الكنيسة، لكنها إذ جاءت إلى المدينة وجدت فرصة العمل قد ضاعت منها.

تأثر الراعي بقصتها جدًا واهتم بها وطلب منها أن تأخذ هذا الغطاء بكونه ذكرى من زوجها الراقد في الحرب، أما هي فإذ عرفت أنه سيعطي به شقًا كبيرًا في

جدار الكنيسة، خلسة أثناء الاحتفال بعيد الميلاد رفضت قبوله، قائلة إنها تود أن تقدم شيئًا في هذا العيد لأية أسرة أو إنسانٍ ولكن إذ لا تملك ما تقدمه فإنها تتنازل عن هذا الغطاء للكنيسة.

حاول الراعي بكل جهده أن تقبل الغطاء لكنها رفضت، وحسبت أن رفض الراعي لقبوله إنما هو حرمان لها من عطاء شيء عزيز لديها لله في هذا العيد المبارك.

تركت السيدة الكنيسة، وبعد ساعات قليلة امتلأت الكنيسة بالقادمين للاحتفال. عاد الكل إلى منازلهم وبقي رجل واحد جاء إلى الراعي يسأله:

- من أين هذا الغطاء؟

- اشتريته من مزاد... لماذا تسأل؟

- إنه هديتي لزوجتي في فينا.

- وهل أنت تعيش هناك؟

- لا، فقد افترقنا أنا وزوجتي بسبب الحرب، وأرسلت زوجتي إلى معسكر، واخبروني أنها ماتت. وقد جئت إلى انجلترا أعمل في تصليح الساعات في هذه المدينة.

ذهش الراعي للأحداث العجيبة التي يلمسها بنفسه، فأخبر الزوج بأن زوجته كانت في الكنيسة منذ ساعات، وأنها تظن بأن زوجها قد مات، وأنها جاءت إلى إنجلترا للقيام بالعمل كمربية... ثم أخبره عن اسم العائلة التي في المدينة المجاورة التي كانت تود أن تعمل عندهم كمربية لأطفالها.

ذهب الزوج إلى الأسرة واكتشف عنوان زوجته عن طريق خطاب أرسلته لهم بعد وصولها...

وفي الصباح الباكر التقى الزوج بزوجته بعد سنوات، وفرحا أنهما عادا إلى بيت الزوجية من خلال تنازل الزوجة الفقيرة عن غطاء المائدة لتستر به حائط مشقوق!

لقد أدركت أن الله قدم لها في هذا العالم أضعاف ما قدمته من أجل محبتها...

شعر الزوجان أن كل أمورهما لا تسير اعتباطًا، بل تعمل يدّ الله الخفية لحسابهما[11].

✞ ✞ ✞

✞ كثيرًا ما نظن خطأً أن أمورنا تسير اعتباطًا،
ولا نكتشف يدّ الله الخفية العاملة لحسابنا،
يدّ ضابط الكل الذي يحصي حتى شعور رؤوسنا.
✞ أعمال محبتنا لله وللناس تقود حياتنا خفية،
يتقبلها الله رائحة بخور طيبة،
وبسببها يُوجّه الأحداث لحسابنا ونحن لا ندري.
لنلقِ خبزنا على وجه المياه، حتمًا سيعود إلينا يومًا ما!

✞ ✞ ✞

[11] T. See Archibald, p.40

توقف عن الحديث معي، لكي يتحدث مع الجزار![١٢]

إذ كان الفلاح العجوز يحرث أرضه اعتاد أن يضع ثورًا وبغلاً معًا يقوما بسحب المحراث.

تكونت صداقة قوية بين الثور والبغل اللذين كانا يمارسان عملهما معًا بكل اجتهاد.

قال الثور للبغل: "لقد تعبنا أيامًا كثيرة في حرث الأرض، ولم يعطنا الفلاح راحة كافية. هيا بنا نلعب دور المريضين ، فيهتم بنا ويريحنا قليلاً."

أجاب البغل:

" لا، كيف نتعارض وموسم الحرث قصير، والأيام مقصرة.

إن الفلاح يهتم بنا طوال العام،

ويقدم لنا كل احتياجاتنا.

لنعمل باجتهاد حتى ننتهي من عملنا، فيفرح الفلاح".

قال الثور:

"إنك غبي وغير حكيم.

لتعمل أنت باجتهاد،

فيستغلك الفلاح،

---

[١٢] *See Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching. Baker Book House. p. 71.*

لما أنا فسأتمارض".

إذ تظاهر الثور بالمرض قدم له الفلاح عشبًا طازجًا وحنطة واهتم به جدًا وتركه يستريح.

عاد البغل من الحرث مرهقًا إذ كان يسحب المحراث بمفرده، فسأله الثور: "ما هي أخبارك؟"

أجابه البغل: "كان العمل شاقًا، لكن اليوم عبر بسلام".

عندئذ سأله الثور: "هل تحدث الفلاح عني؟"

أجاب البغل: "لا".

في الصباح قام الثور بنفس الدور حاسبًا أنه قد نجح في خطته ليعيش في راحة ويعفي نفسه من العمل؛ يأكل ويشرب وينام بلا عمل. وفي نهاية اليوم جاء البغل مرهقًا جدًا. سأل الثور البغل كما في اليوم السابق عن حاله فأجابه: "كان يومًا مرهقًا جدًا، لكنني حاولتُ أن أبذل جهدًا اكثر لأعوض عدم مشاركتك إياي في العمل". فتهلل الثور جدًا وسخر بالبغل لأنه يرفض أن يتمارض فيستريح معه.

سأل الثور البغل: "ألم يتحدث معك الفلاح بشيء عني؟" أجابه البغل: "لم يتحدث معي بشيء، لأنه كان منهمكًا في الحديث مع الجزار". هنا انهار الثور وأدرك أن الفلاح سيقدمه في الغد للذبح، لأنه لا يصلح للعمل بعد".

✞ ✞ ✞

✞ كثيرًا ما نظن أن راحتنا هي في الكسل والتراخي،

فنتمارض وتعطي لأنفسنا أعذارًا،

ولا ندرك أننا بهذا نعد أنفسنا للذبح.

✞ كثيرًا ما نتلذذ بشهوات الجسد،

ظانين أن ذلك فيه راحة ومكسب،

لكنه تأتي لحظات تدرك أننا كنا نذبح أنفسنا.

✞ لنعمل ولنجتهد الآن، فنحيا ونغلب وتُكلل!

نار في السفن!

مع بداية هذا العام، في أول يناير ١٩٩٦، انتقلت إنسانة مؤمنة عانت من مرض السرطان قرابة شهرين، كان المرض يجري سريعًا في المخ..

سألت نفسي: "لماذا يسمح الله لكثير من مؤمنيه أن يعانوا خاصة من الأمراض الخبيثة قبل رحيلهم من هذا العالم؟"

يسمح الله بذلك لكي يدرك المؤمن أن رجاءه كله في السماء، فلا يشتهي ما لجسده بل ما لمجده الأبدي. إنه كمن يؤكد لمحبوبه الإنسان أنه يليق به أن يضع يده على المحراث متطلعًا إلى كنعان السماوية ولا ينظر إلى الوراء.

هذا يذكرني بما رواه **Green** عن المكتشف الأسباني كورتز *Cortez* أنه رسا بسفنه في *Vera Cruz* في عام ١٥١٩ م ليبدأ غزوه للمكسيك، وكانت قوته الملازمة له صغيره جدًا، تعدادها ٧٠٠ رجلاً. ما أن نزل رجاله من السفن وانطلقوا إلى الشاطئ حتى أشعل النار بسرعة شديدة في السفن الإحدى عشرة التي كانت في خليج المكسيك.

لقد تعمد حرق السفن التي حملت رجاله، ليروا بأعينهم النار المشتعلة أمامهم، فيتأكدوا أنه لا طريق لهم للحركة سوى الدخول إلي المكسيك لمواجهة الموقف أيا كان دون رجعة إلى سفنهم وهروبهم من المعركة!

هكذا كثيرًا ما يسمح السيد المسيح بتدمير موضع راحتنا الزمنية حتى ندرك أنه لا طريق لنا سوى الدخول في المعركة مع عدو الخير لندخل في السماويات، ولا يرتبط قلبنا بشيء إلا بالتمتع بالنصرة لنوال الإكليل.

كثير ما يسمح الله بإغلاق كل طريق واسع أمامنا حتى نجد أنه لا خيار لنا سوى قبول الطريق الضيق.

أشكرك أيها القائد المحبوب والحكيم،
تأتي بي إلى المعركة الروحية،
تأتي بي تحت قيادتك يا واهب النصرة.
تحرق حولي كل السفن فلا أفكر في التراجع.
أجد راحتي ونصرتي فيك لا في سفن العالم.
تشغل بي في مواجهة حتى الشرير إبليس،
تشغلني فيك فلا أكون طرفًا في المعركة.
بك وفيك أغلب حتى الدوام،
إذ وهبتني: ثقوا! أنا قد غلبت العالم!

مكتبة للفتيان

قصص قصيرة

١٠٠-١١٥

لا تغلق باب سيدنا!

يروي لنا ثيودورت قصة بطلين، عرفا مفهوم البطولة الحقة.

سمع الأسقف أمبروسيوس عن المنشور الذي أصدره الإمبراطور ثيودوسيوس، وعرف أنه سيكون ضحيته سفك دماء بريئة. في حكمة دخل الأسقف إلى هيكل الرب يطلب مشورته. رفع عينيه إلى الله وكأن لسان حاله يقول:

"من يقدر أن يقف أمام الإمبراطور في العالم كله؟

لكنني أقول مع إرميا النبي إن نارًا قد استعلت في عظامي لا أستطيع أن أصمت.

في قوة قال داود: أتكلم أمام الملوك ولا أخزى.

إذن لأمنعه من دخول المقادس الإلهية، ولو كان الثمن حياتي كلها على هذه الأرض."

التقى الأسقف أمبروسيوس بالأب روفينيوس الذي يحمل له الإمبراطور اعتزازًا، وفي هدوء قال له: ليبلغ الإمبراطور أن قراره هذا يهرق دماءً بريئة. أخبره أنه حتى إن برره الناس لا يبرره الله. وليعلم إني لن اسمح له بالدخول إلى المقدسات ولو كانت تكلفة ذلك رقبتي!"

اضطرب روفينيوس جدًا، وأسرع إلى الإمبراطور يبلغه بكلمات الأسقف قبل حلول الكارثة، فهو يعلم ما للإمبراطور من سلطان وما للأسقف من حزم.

كان الإمبراطور قد تحرك بالفعل من قصره متجهًا نحو الكاتدرائية، وإذ استمع إلى روفينيوس لم يتراجع، بل انطلق في طريقه.

رآه الأسقف قادمًا، وفي شجاعة وبخ الإمبراطور على قراره الجائر. توقع الأسقف ثورة الإمبراطور والتسرع في إصدار حكم ضده، لكن المفاجأة أن

الإمبراطور في تواضع قال للأسقف:

"إني لم آت لأكسر قوانين،

لست أدخل إلى المقدسات قسرًا،

إنما أتيت لكي تحل لي قيودي.

لا تغلق باب سيدنا الذي يفتحه أمام كل القادمين بالتوبة".

"كيف أحلها وقرارك المتسرع يسفك دماء بريئة؟...

إن أردت فلتصدر أمرًا بتأجيل قرارك هذا شهرًا حتى يُفحص الأمر بتروٍ، وتُمارس العدالة.

فمن يستحق الموت ليمت، ولكن لا يهرق دم بريء.

ليس لدي مانع، فسأفحص الأمر خلال شهر، فقد تسرعت في إصدار المنشور".

حينئذ سمح الأسقف للإمبراطور أن يدخل إلى كنيسة الله. وكما يقول المؤرخ ثيؤدورت أن الإمبراطور إذ دخل صحن الكنيسة لم يقف ليصلي أمام إلهه، ولا ركع لكنه انبطح على الأرض ولم يبالِ بمن هم حوله، وكان يصرخ بكلمات داود النبي: "لصقت نفسي بالتراب فأحيني كقولك".

✠ ✠ ✠

أخطأ الإمبراطور وكاد أن يسفك دماءً بريئة!

لم يبالِ بكرامة مركزه ولا بسلطانه،

بل بروح الاتضاع فتح أبواب مراحمك.

لم يلم الأسقف على حزمه،

بل لام نفسه على شرها.

اجتذب بصيرتي إلى أعماق نفسي،

فلا انشغل بسلطان زمني،

بل بإعلان ملكوتك فيّ،

اعترف لك بخطاياي،

واتقًا في غنى مراحمك الكثيرة.
هب لي قلب الأسقف أمبروسيوس،
لا أبالي بحياتي الزمنية،
بل بخلاص نفسي وخلاص اخوتي.
أهابك فلا أهاب أحدًا.
أرضيك فلا أطلب رضى البشريين!

عجلة الزمن

في الحرب العالمية الثانية أُلقي القبض على قائد عسكري ألماني عُرف بنجاحه العسكري وقدرته.

فرح القواد الأعداء عند إلقاء القبض عليه، فقيدوه وساروا به إلى سجن عسكري، ودخلوا به إلى زنزانة.

كانت أعين القادة المملوءة شماتة وهي تتطلع إلى وجه القائد، متوقعين انهياره نفسيًا، لكنهم لاحظوا بشاشة وجهه، بل كان يضحك وهو ينحني بظهره ليدخل الزنزانة كمن يدخل إلى موكب نصرة.

– لماذا تضحك وأنت تدخل الزنزانة؟

– أضحك من أجل الزمن. بالأمس كنت إلى فوق، لكن اليوم نزلت بي العجلة إلى أسفل؛ غدًا تنزلون أنتم أيضًا مع عجلة الزمن التي تلهو بالجميع.

✠ ✠ ✠

من يلتصق بعجلة الزمن تلهو به،

ترتفع به وتنزل به لترتفع به ثانية وتهبط به!

هب لي يا رب أن التصق بالكلمة الإلهية الثابتة إلى الأبد.

ترتفع بي يومًا فيومًا حتى استقر في أحضانك.

بصليبك سمرتي في كلمتك، وحل أعماقي من الزمن!

المدالية الذهبية نزعت آلامي![1]

في الدورة الأولمبية عام ١٩٧٦ أصيب اللاعب الياباني للجمباز Shun Fujimoto بكسر في ركبته اليمنى وهو في تدريبه الأخير قبل الدخول في السباق بأسبوع.

حزن اليابانيون جدًا فقد علقوا آمالهم بل وكل تقتهم إنه حتمًا ينال المدالية الذهبية في الجمباز. فقد الكل الأمل، أما هو ففي تطلعه إلى نصرة بلده لم يضطرب وطمأن كل من حوله أنه لن ينسحب من المباراة مهما كلفه الثمن.

في الأسبوع التالي نزل فوجيموتو أرض الملعب، وكان الكل يتعجبون إذ ربط رجله بثلاث أربطة ضاغطة حول ركبته المكسورة... كيف يمكن لمثل هذا أن يدخل الجولة؟

سئل اللاعب عما وراء تصرفه هذا فأجاب: "نعم إن آلام الكسر في ركبتي تطعنني كسكين، فكنت أحاول إخفاء دموعي. لكن الآن وقد نلت المدالية الذهبية طار الألم!"

✠ ✠ ✠

---

[1] بتصرف عن
Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, p. 72.

اكشف يا رب عن المجد الذي أعددته لي،
والاكليل السماوي الذي ينتظرني.
فأصرخ مع الرسول بولس قائلاً:
"أنسى ما هو وراء، وأمتد إلى ما هو قدام،
أسعى نحو الغرض،
لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع" (في ٣:١٣، ١٤).

حرية وراء القضبان

كان هنري ثورو H. Thoureau البريطاني ثائرًا على نظام العبودية، فرفض دفع ضريبة الانتخاب لدولة تساند العبودية. أُلقي القبض عليه، ووضع وراء القضبان، فأسرع إليه صديقه المخلص رالف والدو لميرسون Ralf Waldo Emersson يزوره في السجن، وكان يتطلع إليه بنظرات مملوءة دهشة، كيف يلقي بنفسه في السجن خاصة وأنه بهذا التصرف أغلق على نفسه فرصة العمل لحساب المتألمين.

في دهشة قال الصديق: "لماذا هذا يا هنري؟ ماذا تفعل أنت في داخل السجن؟"

في شجاعة أجابه هنري: "لا يا رالف، فإن السؤال يكون هكذا: ماذا أنت تفعل خارج السجن؟"

✞ ✞ ✞

لست أقيِّم تصرف هنري في عدم اشتراكه في الانتخابات، فهذا ليس عملي ككاهن، لكن ما أعجب به ومنه، أن هنري شعر بالحرية وهو وراء القضبان، لأنه يشارك الذين تحت العبودية آلامهم. كما يقول القديس بولس الرسول: "اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أنتم أيضًا في الجسد" عب ١٣: ٣.

عوض أن ندين الساقطين نحسب سقطاتهم كأنها سقطاتنا، ونرى ضعفنا الخفي في ضعفهم الظاهر، فنترفق بهم ونعينهم بالصلاة والعمل، في حكمة وبحب.

مع كل إنسان يسقط أرى نفسي ساقطًا،

أرى ضعف طبيعتي في اخوتي.

من يعيننا إلا أنت يا مخلص العالم؟

من يسندنا إلا روحك الناري؟ من يشبع أعماقنا إلا أحضان الآب السماوي؟

طيب كثير الثمن

أخذت لونا ابنتها الصغيرة مريم إلى صديقتها الحميمة لوسي... وإذ لمحت قارورة طيب جميلة، تركت والدتها واندفعت نحو القارورة.

حاولت الأم أن تنتهر ابنتها خشية أن تكسر قارورة الطيب، لكن سرعان ما أمسكت لوسي القارورة باعتزاز شديد وهي تقول: "لقد أحضر لي زوجي هذه الزجاجة من باريس في الصيف الماضي بمناسبة عيد زواجنا".

لم تُعط لونا اهتمامًا للأمر، لكن لوسي قالت لها: "أتعرفين ماركتها؟"

أجابت لونا: "لا".

قالت لوسي: "إنها أشهر نوع من الطيب في كل العالم، ثمنها هو..."

دُهشت لونا عند سماعها للثمن، فقالت: "هل يُعقل أن تكون ثمنها هكذا؟"

– هذا ثمنها مع الإعفاء الجمركي، لأنه اشتراها من السوق الحر من مطار باريس.

– كيف يدفع هذا الثمن؟

– محبته وتقديره لي.

– هل لي أن أشتم رائحتها؟

– آسفة، لقد فرغت تمامًا، وإنني احتفظ بالقارورة فارغة.

لاحظت لوسي صديقتها لونا تحاول إخفاء تنهدها، فقالت لها: "لماذا تتنهدين يا لونا؟ هل تضايقتي لأنه دُفع ثمنًا كبيرًا في قارورة طيب وقد اُستهلكت تمامًا، ولم تبق سوى القارورة الفارغة الجميلة؟

أجابت لونا:

"لا يا لوسي، أنت تستحقين أكثر بكثير من هذا الطيب.

لكن ما يحزنني أنني أخشى أن أكون كقارورة الطيب الجميلة التي بلا رائحة.

حقًا أحمل اسم السيد المسيح،

وأحفظ الكثير من عبارات الكتاب المقدس، وأمارس الكثير من العبادات الروحية،

لكنني أتساءل: هل أحمل رائحة المسيح الذكية؟

طيب هذا العالم يُستخدم فيُستهلك،

أما رائحة مسيحنا الذكية فتُستخدم لتزداد في داخلنا كما في خارجنا".

هكذا تحول الحديث عن طيب هذا العالم إلى طيب المسيح العجيب. وفي ختام الزيارة وقفت لونا تصلي، قائلة:

"أشكرك يا رب لأنك جعلتنا قارورة طيب إلهي سماوي!

لتفح رائحتك فينا،

نشتمها نحن، ويشتمها من هم حولنا،

فلا تُستهلك رائحتك، بل تنتشر وتزداد.

مع كل جمال سكبته فينا،

هب لي ألا أكون قارورة جميلة من الخارج وفارغة.

أنت تملأ حياتي بك.

أنت سرّ غناي وجمالي وعذوبتي!"

استرخاء الجسد!

في الستينات كنت الفقد شابًا لا علاقة له بالإنجيل ولا اتصال له بالكنيسة. بدأت أتحدث معه عن عذوبة الحياة في المسيح والتمتع بالشركة معه، وتعرضت للحديث عن الدخول إلى أعماق الإنجيل والممارسات الكنسية بفكر روحي. أما هو فقال لي:

"هل تظن أن الله لا يسمع لي وأنا مسترخي على سريري، أشرب السيجارة؟ هل من ضرورة للوقوف للصلاة أو الجلوس لدراسة الكتاب المقدس أو الشركة في العبادة الكنسية؟"

أجبته عن ضرورة اشتراك الجسد مع النفس في العبادة، سواء الخاصة أو الكنسية، ومساهمة كيان الإنسان كله معًا في التعبير عن شوقه للتمتع بالله والحديث معه والاستماع إليه.

حين يكون الإنسان جادًا في تصرفات جسده تشارك النفس جديّة الجسد، وحين يسترخي الجسد تجد النفس فرصتها أيضًا للاسترخاء.

لقد تحت ضغط المرض أو الظروف المحيطة بنا قد يتوقف الجسد عن بعض هذه الممارسات، لكن النفس تجاهد وتستعذب الحياة في المسيح. لكن مادام للجسد فرصته للجهاد بجدية فكل تهاون يعكس أثره على النفس.

هذا ما تُعلمه إيّانا قُطعتا الحملان.

هل رأيت حملاً يأكل وهو مُلقى على الأرض مسترخيًا؟

ربما يكون العشب على بعد بوصة واحدة من فمه، لكنه لا يأكل منه!

لكي يأكل الحمل يقف ويحني برأسه وقد يركع بقدميه الأماميتان ليأكل!

لقد دخل بنا ربنا إلى مراعيه الخضراء لكي نتحنى برؤوسنا كما بركَبنا، فتحلي نفوسنا بالتواضع وتأكل وتشبع وترتوي!

✠ ✠ ✠

هب لي يا رب أن أعبدك بكل كياني،
جسدي بحواسه وطاقاته يتعبد لك،
ونفسي بكل قدراتها تسجد أمامك،
كياني كله لا يعرف الاسترخاء،
لكي يشاركك أمجادك الأبدية!

طاعة لابن خمس سنوات

يروي لنا دونالد بارنهاوس[٢] Donald G. Barnhouse أنه إذ كان في فندق ضخم سمع أمًا تقول لطفلها البالغ خمس سنوات أنها ستتركه إلى لحظة لترى شخصًا يقف بجوار الحجرة، وأنها تعود فورًا. أجاب الطفل بصوت عالٍ بطريقة تستلفت الأنظار يعوزها الذوق: "لا!"

عادت الأم تتوسل إلى ابنها مرتين أو ثلاث مرات لكي تخرج إلى لحظة وتعود. فأجابها الطفل: "لا، إن خرجتِ لن أكل الطعام طول اليوم!" فاضطرت الأم أن تجلس بجواره ولا تفارقه وهي في حيرة... ماذا تفعل.

انتقد بارنهاوس سلوك الأم التي كان يجب أن تربي ابنها بفكرٍ إنجيلي فيعرف إكرام الوالدين، وأن تدرك أن الله في أبوته الحانية يستخدم الحزم والتأديب أحيانًا.

حقًا إن الطريق المعتدل أو الطريق الوسطى هو طريق الفضيلة الملوكي... نحب أطفالنا ونقدر شخصياتهم ونخلق فيهم روح القيادة، لكن دون تجاهل للحزم المملوء حبًا.

أتذكر في زيارة لإحدى العائلات بنيوجيرسي روى لي أب هذه القصة:

كان طفلي الصغير قد التحق بمدرسة ابتدائية، وهناك غالبًا ما يتعلم الأطفال من بعضهم البعض أنه إذا ما ضربهم أحد الوالدين يُهددون بطلب رجال الشرطة (البوليس) له، أو يطلبونه بالفعل. ارتكب ابني خطأ هددته بالضرب ففوجئت به يهددني أنه يطلب له "البوليس". قلت له: "لا انتظر أنك تطلب البوليس، بل سأذهب

---

[٢] *See Donald Grey Barnhouse: Let Me Illustrate, p. 90.*

معك إلى قسم البوليس". وبالفعل أخذت الطفل في عربتي فذهبت به إلى قسم البوليس. هناك التقيت برجل البوليس وأمام ابني سألته:

- ماذا لو أخطأ ابنك ألا تؤدبه؟

- لابد أن أفهمه خطأه وإن أصرّ أؤدبه؟

- هل يهددك ابنك أنه يطلب لك البوليس؟

ضحك رجل البوليس ولاطف الابن، قائلاً له: "اسمع لصوت والدتك..."

عاد الابن إلى منزله ولم يعد يهدد بطلب البوليس لوالديه!

لقد سمع الطفل لرجل الشرطة... بينما لا نسمع نحن لصوت الوصية الإلهية.

■ ■ ■

علمني يا رب أن يتسع قلبي بالحب للكل!

لأقدر كل نفس، حتى نفس الرضيع الصغير!

أراك في كل نفس فأتهلل بك.

هب لي أن أشاركك سمات حبك!

لأصوت ويحبها كل إنسان!

هب لي أيضًا حكمتك السماوية،

فلا يتحول حبي إلى ميوعة ورخاوة.

هب لي حبًا مملوء حزمًا!

وحزمًا مملوء حبًا أيها الحب يا حكمة الآب!

عطية فقد البصر

في زيارة القديس أنبا أنطونيوس للقديس ديديموس الضرير مدير مدرسة الإسكندرية الذي فقد بصره وهو في الرابعة من عمره، وقد اخترع فكرة نحت الحروف على قطع خشب ليقرأ بأصابعه لا بعينيه، وهكذا سبق الفرنسي برايل بأكثر من ١٥ قرنًا في اختراع الكتابة البارزة لفاقدي البصر.

سأل القديس أنبا أنطونيوس: "هل أنت حزين لأنك فقدت بصرك؟"

صمت القديس ديديموس فكرر القديس أنبا أنطونيوس السؤال مرة ثانية فثالثة، وأخيرًا أجاب القديس ديديموس: "إني أشكر الله على كل حال، لكنني بالاشك حزين لأني فقدت عطية البصر وحُرمت من رؤية أمور كثيرة، خاصة قراءة الكتب..."

علّق القديس أنبا أنطونيوس على هذه الإجابة بقوله:

كيف تحزن يا ديديموس على فقدان البصر الذي يشترك فيه الإنسان مع الحيوانات بل ومع الحشرات الصغيرة، ولا تفرح بالحري أن الله وهبك البصيرة الداخلية التي تشترك فيها مع السمائيين، فتتعرف على الأسرار الإلهية الفائقة!"

حقًا نحن نشكر الله على عطية البصر، وإن سحبها لننال حدة بصر روحية داخلية فنشكره على عطية فقدان البصر الجسدي مع تمتع ببصيرة أعظم وأبقى إلى الأبد.

تُذكرني هذه القصة التي ترجع إلى القرن الرابع الميلادي بما حدث في القرن العشرين حين فقد ضابط شاب بصره في الحرب[٣]. اهتمت به ممرضة تقية في مستشفى عسكري فتزوجها.

سمع يومًا ما إنسانًا يتحدث عنه وعن زوجته قائلاً:

"إنها سعيدة الحظ! إنه أعمى!

تزوجها دون أن يرى ملامح وجهها...

لو كان أبصر لما كان قد تزوجها!"

تحرك الضابط نحو الصوت والتقى بالمتحدثين عنه وهو يقول: "لقد سمعت ما تتحدثون به عني، ولذا أشكر الله من أعماق قلبي لأجل عمى عيني ليهبني بصيرة داخلية أرى بها جمال نفس هذه السيدة الفائق. إنها شخصية رائعة، أجمل شخصية التقيت بها كل حياتي. فلو أن ملامح وجهها كان يطابق جمالها الداخلي لا يكون ذلك إلا قناعًا يخفي جمال نفسها... لقد ربحت الكثير بفقدان بصري!

رفع الرجل عيني قلبه ليصرخ:

أشكرك يا إلهي لأنك نزعت عني بصيرة الجسد،

ووهبتني بصيرة القلب الداخلي.

وهبتني عينيك لأرى بهما جمال النفس لا الجسد.

حقًا كنت قبل أنظر ما هو بالخارج،

الآن أعطيتني أن أرى بك ما في القلب!

* * *

[٣] See Donald Grey Barnhouse: Let Me Ilustrate, p. 156.

مربية خائنة!

قبل أن مسيحيًا سمع أن المربية التي كانت تعمل لديه وقد تركته فجأة دون إنذار مريضة جدًا. ذهب الرجل إلى المربية، وإذ عرفت أنه قادم بدأت تتساءل في أعماقها:

تُرى هل هو قادم ليعاتبني؟

هل هو شامت فيّ لأني قابلت معاملته اللطيفة بالجحود؟

أم هل هو قادم لأنه بالحق تقي ويحبني؟"

التقى الرجل بالمربية فسألها: "ما هو حالك؟"

أجابته في خجل: "سامحني فقد سلمت نفسي للشيطان".

صمت الرجل قليلاً ثم قال لها:

"الله يسامحنا جميعًا... لكنني لود أن أسألك..."

خشيت المربية أن يسألها عن سبب تركها بيته فجأة فارتبكت، أما هو فبابتسامة قال لها:

"ماذا تظنين لو أنكِ أخذتِ أحد أولادي وهربتِ به لتبيعيه في سوق العبيد؟"

أجابته: "يستحيل! كيف أفعل ذلك؟ إنه ابنك، ليس من حقي هذا".

قال الرجل: "ألا تعلمين أن نفسك هي ابنة الله، كيف تسلبين إياه، وتقدمينها لعدوه إبليس وبلا ثمن؟!"

* * *

في غباوة كم مرة أقول لنفسي:

إنني حرٌ أفعل ما أشاء!

نفسي هي ابنتك!
لم تقتنها بذهبٍ أو فضة،
بل بدمك الثمين!
وهبتني أن أكون ابنًا للآب،
لي حق شركة المجد معك إلى الأبد.
أخطأت لأنني سلبتك نفسي التي هي ابنتك!
هب لي أن أردها بالتوبة إليك يا مخلص نفسي!

نبوغ فريد

انطلق الصبي ماثيو مع والده إلى معرض دولي.

إذ دخل قسم الموسيقى بينما كان الاثنان يتنقلان بين أدوات الموسيقى كان ماثيو منسجمًا جدًا مع صوت الموسيقى الهادئ.

– يا لها من موسيقى رائعة!

– نعم إنها موسيقى الفنان المشهور بيتهوفن الذي حرم من عطية السمع.

– هل لو اشتريت أدوات موسيقى من هنا لصير مثل بيتهوفن، أخترع موسيقى جميلة هكذا؟

– تساعد الأدوات الإنسان، لكن ما قدمه بيتهوفن هو ثمرة نبوغه مع جهاده بمثابرة.

صمت الصبي وعاد يستمتع بموسيقى بيتهوفن، كما اشترى بعض الاسطوانات الموسيقية لهذا الفنان.

دخل الاثنان معًا قسم الفن... وقد وقف الصبي أمام بعض التماثيل الرائعة واللوحات العالمية، وكان مشدودًا لهذا الفن.

وفي حوار لطيف مع والده اشتاق الصبي أن يهبه الله نبوغًا لتقديم عمل فني رائع...

هكذا مع كل قسم من أقسام المعرض كان قلب الصبي يلتهب بالشوق أن يكون يومًا ما نابغًا.

في المساء جلس ماثيو مع والده وتباحثا معًا في موضوع النبوغ في المواهب، وكان الأب يحاول أن يمسك بيد ابنه ليكتشف مواهبه الخاصة وينميها.

قال الأب: "كم أنا سعيد يا مائرو من أجل شوقك الحقيقي أن تكتشف مواهبك لتنميتها وتصير يومًا ما نابغًا... لكنني أود أيضًا أن أحدثك عن نبوغ أبدي وفريد".

- ما هو يا أبي؟

- لا يستطيع الإنسان أن يكون نابغًا في كل شيء، إنما يلزمه أن يكتشف مواهبه. لكنه يوجد نبوغ فريد وفي متناول يدنا ونلتزم به جميعًا.

- ما هو؟

- أن نحصل في داخلنا السيد المسيح، حكمة الله والبر! نحمله فننعم بحياته فينا. نعيش مقدسين، نمارس الحياة الفائقة الطبيعية. لذا دُعي اسمه عجيبًا، ويجعل من مؤمنيه عجبًا.

قلوبنا بعواطفها، وأجسادنا بحواسها، وفكرنا وكل طاقاتنا تعمل بقوة فائقة سماوية!

إلهي، من يقدر أن يروّض لساني؟

من يضبط أفكاري ويقدسها؟!

من يقدس حواسي؟

من يبارك أحلامي؟

لأقتنيك يا قدوس فأقتني حياتك فيّ!

العزلة

في عام ١٩٥٣ بعد قيام الثورة نُقل مدرس لغة عربية إلى مدينة إسنا بصعيد مصر مغضوبًا عليه، فشعر بضيقٍ شديدٍ إذ لم يكن قد زار صعيد مصر من قبل.

في شيء من التهكم كتب إلى أحد أصدقائه بالقاهرة يصف له حال المدينة في ذلك الحين:

"هنا نعيش في عزلة عن الأحداث الجارية.

يوجد هنا من يتحدث بولاء شديد للملك فؤاد ظانًا أنه لا يزال يحكم مصر، ولم يُدرك أنه مات وتولى ابنه فاروق الملك، وأنه قد قامت الثورة لتزيل نظام الملكية عن مصر".

ما رواه لنا هذا المدرس الذي اتسم بالفُكاهة، حيث كنت في ذلك الحين بالتوجيهية (الثانوية العامة)، في أحاديثه الودية معنا، يحدث فعلاً في بعض البلاد.

قيل إنه في أواخر القرن الثامن عشر ترك كثير من المستعمرين فيرجينيا بأمريكا وانطلقوا إلى الجبال ويسيروا إلى الوديان التي في الغرب خوفًا من الهنود. ولكن بسبب موت بعض الجياد وانكسار بعض العربات اضطر كثيرون إلى البقاء على الجبال. عاشوا هناك حوالي ٢٠ عامًا لم يروا خلالها وجه رجل أبيض نهائيًا حتى عبر بهم بعض المسافرين. دهشوا إذ التقوا بهم، خاصة الذين كانوا في حوالي الثلاثينات، فإنهم للمرة الأولى يحتكون بالعالم الخارجي ويتحدثون معهم في أمورٍ كثيرة. سأل المسافرون سكان الجبال ماذا يظنون عن الجمهوريين وكونجرس القارة. قال سكان الجبال: "لم نسمع قط عن كونجرس للقارة أو عن الجمهوريين، فإنهم خاضعون لملك بريطانيا". لم يسمعوا قط عن جورج واشنطن، ولا عن الحرب

الثورية. بدأ المسافرون يشرحون لهم بالتدريج ما حدث خلال العشرين عامًا السابقة، وخلال المعرفة استطاعوا أن يمارسوا الجنسية الأمريكية...

هذا ما حدث أيضًا مع بعض اليهود الذين جاءوا من البراري وبعض البلاد المنعزلة إلى أورشليم والتقوا بالقديس يوحنا المعمدان وسمعوا له وتجاوبوا مع رسالته. اعترفوا بخطاياهم واغتمدوا في نهر الأردن ثم عادوا إلى مواقعهم المنعزلة. بدأ السيد المسيح خدمته وبقي سنوات خدمته حتى صلبه وقيامته وصعوده وأرسل روحه القدوس على تلاميذه وتابعيه أما هؤلاء الذين عاشوا في عزلة فلم يسمعوا شيئًا عن هذا كله. التقى بهم الرسول بولس وإذ حدثهم عن الروح القدس قالوا: "لم نسمع عنه!" بدأ الرسول يحدثهم ليقبلوه فينضموا خلاله إلى العضوية الكنسية والحياة الجديدة كأعضاء في جسد المسيح.

* * *

أشكرك يا مخلصي إذ لم تتركني في عزلة.
نزلت إليّ وشاركتني حياتي،
وقدمت لي روحك القدوس،
لم أعد في عزلة عنك وعن السمائيين.
تعرفني الحب لغة السماء،
وتكشف لي أسرارك الفائقة!
لأعمل كعضو حيّ في جسدك أيها الرأس الإلهي!

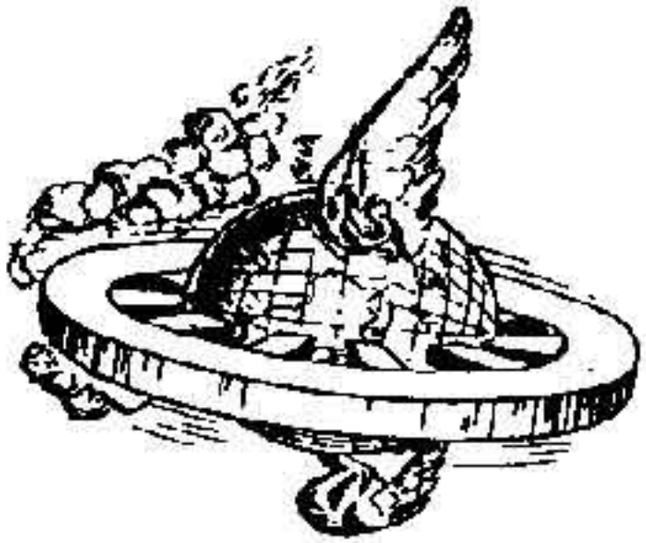

لم أقرأ الإنجيل منذ زمان طويل!

في الستينات، في بدء إنشاء كنيسة الشهيد مارجرجس بإسبورتنج وقبل البدء في بنائها كنت افتقد شابًا قد انحرف.

قرعت الباب وإذا بسيدة تفتح الباب:

- من تطلب؟

- (فلان)

- إنه لا يحضر قبل منتصف الليل!

شعرت أنها تتحدث بلهجة جافة مع أنني كنت أسأل عن ابنها، وإذ مرّ بي الإحساس التالي: ربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي التقي بها مع هذه السيدة، فلماذا لا أتحدث معها عن خلاصها وأبديتها؟ وإذ كنت خجولاً تمالكت نفسي وقلت لها: "هل يمكن أن أتحدث معكِ". وافقت لكنني لم أشعر بترحيب.

دخلت إلى الصالة وبدأت تشاهد برنامج التليفزيون (وكان في ذلك الوقت غير منتشرٍ في مصر)، وقد أمسكت بالسيجارة تدخن، وكأنه لا يوجد ضيف...

صمت قليلاً ثم قلت لها: "هل يمكن أن تخفض صوت التليفزيون لنقرأ الكتاب المقدس؟"

دُهشتُ لاستجابتها السريعة، إذ أطفأت السيجارة، وأغلقت التليفزيون وجلست في خشوع وهي تقول: "منذ سنوات طويلة لم أقرأ في الكتاب المقدس... إني مشتاقة

أن أسمع صوت الكتاب". بدأت أقرأ فصلاً من الكتاب، وبدأتْ تسأل باهتمام شديد وشوق عجيب. وقبل نهاية الجلسة سألتني: "أين الكنيسة التي تصلي فيها؟"

– إنها قريبة جدًا منك... بجوار الترام بين الإبراهيمية وسيورتنج الصغيرة".

– لم أكن أعرف أنه توجد كنيسة هنا!

– مبناها مؤقت على شكل جراج إلى حين أخذ تصريح بالبناء.

– هل يوجد اجتماع لدراسة كلمة الله؟

– كل سبت في العشية.

تغيرت حياة هذه السيدة حيث مارست حياة التوبة الصادقة، وارتبطت بالكنيسة وبدأت تعيش بكلمة الله المحيية...

تعلمت من هذا اللقاء الكثير، إذ كثيرًا ما نحكم على إنسان بالمظهر الخارجي لأننا لا نرى استعداد قلبه. كثيرون لا يمارسون الحياة المقدسة وهم ينتظرون دعوة بسيطة: "هل يمكن أن نقرأ كلمة الله؟"

كثيرون خارج الكنيسة في نظرنا يصيرون أعظم بكثير من الذين نظنهم في داخلها. سنُدان أمام الله لأننا نهمل في دعوة اخوتنا للتمتع بعذوبة الحياة الروحية والصداقة الحقة مع مخلص النفس وعريسها وطبيبها.

* * *

إلهي، هب لي أن أشتاق إلى خلاص كل نفس!
حوّل اشتياقي أيضًا إلى صلاة وعمل!
نفوس كثيرة تنتظر كلمة حب مني!
هب لي أن أبحث عنها، وأدعوها للحياة معك!
عوض إدانة اخوتي هب لي أن أخدمهم!
أعطني شجاعة مع إيمان فأقدم إنجيلك لأخوتي!
لتكن كل نسمات حياتي عاملة لبنيان اخوتي،
لمجد اسمك القدوس أيها العجيب في حبه!

في خدمة الشعب

قيل إنه في إحدى المدن الأمريكية حاول راعي كنيسة أن يجد موضعًا ليترك فيه سيارته فلم يستطع. كان الراعي على موعدٍ هامٍ، فاضطر إلى ترك السيارة في مكان ممنوع فيه الانتظار. وكتب رسالة لرجل الشرطة تركها على زجاج السيارة الأمامي تحت "الممسحة". جاء في هذه الرسالة:

عزيزي رجل الشرطة.

إني راعي كنيسة...، أخضع للقانون، ولا أحب كسره.

لكنني على موعدٍ هامٍ، وقد سرت حول هذا المبنى عشرات المرات ولم أجد عداذا شاغرًا للانتظار أترك بجواره سيارتي حيث الأماكن كلها مشغولة.

لقد خشيت لئلا أفقد الموعد المحدد وقد أزف بي الوقت جدًا... اغفر لنا خطايانا (*Forgive us our trespasses*).

عبر رجل الشرطة وقرأ الرسالة. أدرك أن الراعي حريص على حفظ القانون، لكنه كان في مأزقٍ شديدٍ، وأنه كرجل شرطة يليق به أن يكون في خدمة الشعب... بدأ يصارع في داخله، هل يقبل العذر لم يؤدي واجبه ويحرر له مخالفة Parking-ticket.

أخيرًا حرر المخالفة، وأرفق بها رسالة للراعي، جاء فيها:

عزيزي جناب الراعي...

قرأت رسالتك، وأنا في خدمة الشعب.

كنت أود أنا لا أحرر لك مخالفة، لكنني خشيت أن أفقد وظيفتي... لا تدخلنا في تجربة *lead us not in temptation*.

هكذا اقتبس الراعي جزءًا من الصلاة الربانية لعلها تسنده في تقديم عذره لرجل الشرطة، وقدم الأخير العبارة التالية من نفس الصلاة استخدمها في تقديم عذره في تحرير المخالفة له.

بالأمس قرأت هذه القصة التي كتبها Green باختصار، فأثارت في داخلي مشاعر عميقة.

لقد كان الراعي في مأزق وطلب من رجل الشرطة أن يشاركه مشاعره عمليًا، لكن الأخير إذ خشي على وظيفته اضطر ألا يقبل عذر الراعي... ونحن مع كل صباح وظهر ومساء نصرخ إلى الله لنقدم له أعذارنا التي لا تنتهي... وبحبه العجيب يميل بأذنيه ليعلن شوقه أن يغفر لنا خطايانا ولا يعود يذكرها.

من يقدر أن يتحملني في ضعفاتي اليومية إلا ذاك الذي يفتح لي قلبه المتسع حبًا ولطفًا؟!

✠ ✠ ✠

يسمع أفكاري وأحبائي وأصدقائي كلماتي،
ويراقبون ملامح وجهي وكل تحركاتي،
ويحاولون مشاركتي أفراحي وأحزاني.
أما أنت فوحدك تسمع أنات قلبي الخفية،
وتدرك لغة مشاعري وأحاسيسي،
تشاركني أعماقي لا بالكلام فحسب،
بل تدخل إليها، وتسكن فيها، وتملأ فراغها.
مع ابتداء تضرعي يصدر أمرك الإلهي:
مغفورة لك خطاياك!
عجيب أنت في حبك وطول أناتك!
تغفر أخطائي مادام قلبي بالحق يتحدث.
لا تعود تذكر معاصيَّ مادمت إليك أتوب!
من يحبني مثلك؟!

فراشة في آمان

فجأة سمع جاك صوت نقرات على نافذة الحجرة المطلة على الحديقة. وفي هدوء شديد فتح جاك الباب ليرى منظرًا عجيبًا.

رأى طائرًا خارج الحجرة يحاول أن يصطاد فراشة جميلة بجوار النافذة كانت من داخل الحجرة، بينما يقف زجاج النافذة حائلاً دون اصطيادها.

يحاول الطائر بكل قوته أن يقتنص الفراشة وهو لا يرى الزجاج، فيضرب بمنقاره الزجاج،وتحاول الفراشة أن تهرب تارة تصعد إلى فوق وتارة تنزل إلى تحت وهي لا تدرك أن الزجاج يحميها من منقار الطائر...[1]

إذ تكررت محاولات الطائر بدون جدوى، وبقيت الفراشة محفوظة منه، رفع جاك عينيه نحو السماء وهو يقول:

"أشكرك يا ربي،

لأن حضرتك الإلهية غير المنظورة تقف حائلاً بيني وبين عدو الخير.

إنه يود أن يقتنصني بمنقاره القاتل،

لكنه لا يقدر أن يلمسني، فإنني محفوظ بين يديك.

إنني مطمئن لأنه لا يقدر أحد أن يخطفني من يديك (يو ٢٩،١٠:٢٨).

إنني بحق أشبه فراشة لا حول لها ولا قوة،

لا أقدر أن أقف أمام منقار طائرٍ عنيف.

لا تسمح لي أن أفلت من عنايتك لئلا أهلك!

احفظني بحضرتك الإلهية،

---

[1] *See D.G. Barnhouse. Let Me Illustrate,1995, p. 338.*

فلا أخاف الخطية ولا الشيطان بكل جبروته،
ولا الأشرار بكل خططهم،
ولا الأحداث المؤلمة أو المستقبل المجهول!
إنني مطمئن ومستريح بك يا حصن حياتي!

✞ ✞ ✞

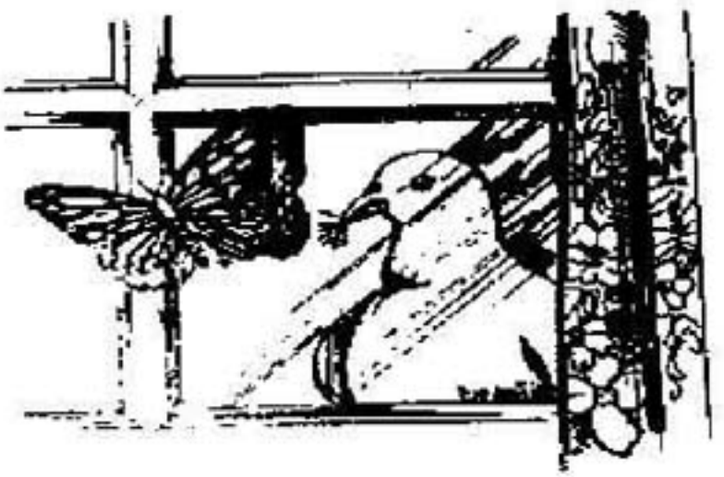

إنها لا تحبني

لاحظ بيشوى على زوجته إنها قد غابت كثيرًا في حجرة ابنتها ماري وقد عادت متهللة جدًا. سألها: "لماذا تأخرتِ الليلة مع ماري؟"

صمتت الأم قليلاً ثم بدأت دموعها تتسلل من عينيها وهي تقول:

"إذ عدت من عملي فتحت الباب بهدوء شديد وتسللت إلى حجرة ماري لأقبلها كعادتي، وكانت المفاجأة. رأيتها تجلس في زاوية الحجرة وهي تبكي دون أن تُصدر صوتًا.

جرت إليّ وعانقتني وقبلتني، فقبلتها ولاطفتها، ثم سألتها:

– لماذا تبكين؟ هل ضربك أحد ن أخوتك؟"

– "لا"

– فلماذا تبكين؟

– الدمية؟

– هل انكسرت؟

– لا!

– ماذا حدث لها؟

– إني أحبها جدًا، ألاطفها وأتحدث معها، وأقبّل وجهها ويديها ورجليها. احتضنها حتى في نومي... لكنها لا تقبلني! إني أحبها جدًا وهي لا تبادلني الحب.

شعرت أن ابنتي تحتاج إلى قلب يحبها وإلى شخص يحتضنها ويقبلها... أعطيتها اليوم وقتًا أطول لأتحدث معها وأحاورها بالحب.

شعرت إنها تحتاج إلى حبنا واهتمامنا بها، كما تحتاج إلى اكتشاف حب الله الفائق لها.

عندئذ سأل بيشوي زوجته عن موضوع حديثها مع ماري في تلك الليلة، فأجابت:

تحدثت مع ماري عن حب الله إلينا.
نزل إلى أرضنا وتحدث معنا.
أحب الأطفال وأحبوه.
صعد إلى السماء يُعد لنا مكانًا.
وأرسل لنا روحه القدوس ساكنًا في قلبنا.

أخيرًا قلت لها: "هل تحزنين يا ماري لأن الدمية لا تحتضنك ولا تقبلك؟"
أجابت: "لقد حزنت يا أماه؟
قلت لها: ونحن حين لا نصلي إنما نكون كالدمية التي لا تقبل الله الذي يحبها!"

لقد ركعت ماري وصلت:
"حبيبي يسوع...
أنت تحبني، وأنا أحبك.
أنت في قلبي، وأنا أريد أن أكون معك.
أنت تقبلني، وأنا أريد أقبلك!
سامحني لأنني كثيرًا ما كنت كالدمية،
كنت أنسى الصلاة،
كنت لا أقبلك يا من أنت تُقبلني دائمًا."

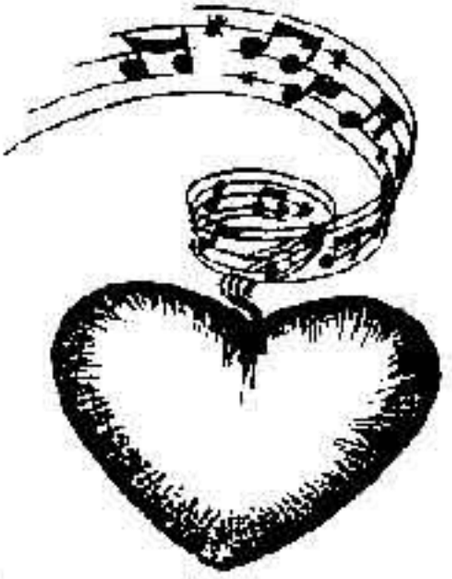

مأساة في عسل النحل!

سألني شاب:

"لماذا لا يسمح الله لنا بالأفكار التي تبعث لذة جسدية؟

إنها لا تضر أحدًا!

إنني لا أستطيع أن أنام ما لم تمر بي الأفكار، ولو إلى بضع دقائق؟

ما هي مضار الأفكار الجسدية إن كانت لا تتحول إلى ممارسة خاطئة؟"

إلى مثل هذا الشاب أروي القصة التالية التي استوحيتها من إحدى عبارات القديس أغسطينوس*:

في فصل الربيع إذ أزهرت الأشجار، وفاحت الروائح الجميلة وسط الحقول، انطلقت نحلة إلى الحقل المجاور؛ كانت تبسط جناحيها لتطير في كمال الحرية من زهرة إلى زهرة.

كان المنظر جميلاً للغاية، والرائحة جذابة، أما هي فكانت تجمع الرحيق باجتهاد وتحمله إلى الخلايا، لتعود فتنقل غيره...

قضت أيامًا كثيرة تجمع الرحيق بفرح حتى صارت كمية العسل ليست قليلة.

في أحد الأيام وجدت النحلة كمية عسل في وعاء فوقفت تتأمله:

ما أعذب هذا العسل الذي جمعته،

ولكن لماذا أطير بعد لأجمع غيره؟!

لأتمتع بالعسل وأعيش فيه.

---

* [النحلة تحتاج على الأقل إلى جناحيها وهي تجمع مخزنًا غنيًا بالعسل، لكن إن سقطت في العسل تموت!] On Christian Discipline, 3.

ألقت النحلة بنفسها وسط العسل، فغاصت فيه... ولم تعد قادرة على الخروج منه، ولا الطيران بين الزهور، بل سرعان ما ماتت في وسط العسل!

هذه ليست قصة خيالية، بل هي قصة الكثيرين، عوض أن يحملوا الفكر الحرّ الذي يطير بالروح ليجمع الرحيق العذب، يسقط تحت لذة الشهوات فيفقد الفكر حريته واتزانه وسموه ليغوص في شهوات قاتلة للنفس!

وهبك اللّه الفكر لكي يسمو بك ويرفعك إلى لذة السماويات، لا لكي تغوص في عسل الشهوات فيتحطم ويحطم الحياة التي في داخلك!

أشكرك يا من وهبتني عطية الفكر،
وقدمت لي روحك جناحين تطير بها أفكاري.
ارتفع إليك، وارتمي في أحضانك.
هب لي أن أجمع بالفكر رحيقًا عذبًا!
لا تسمح لي أن أغوص كنحلة في العسل!

✞ إلهي هب لي أن أمتلك أفكاري،
لا أن تمتلكني أفكاري.

✞ قدس إرادتي فيك،
فتوجه أفكاري نحوك بنعمتك،
فلا تحطم الأفكار إرادتي،
وتجعلني أسير لذات مفسدة!

✞ لا تنزع عن ذاكرتي صورة النحلة التي أهلكها عسلها!

مكتبة للفتيان

قصص قصيرة

١١٦ — ١٣٠

صوت محبة أم ضجيج مقلق؟!

في محاولة للتوفيق بين رجل وزوجته طلبت من الزوجة أن تتصل به للتحدث معه في شيءٍ من المحبة وتكسبه بكلمات رقيقة لأجل سلامها وسلامة بيتها في الرب.

دار الحوار التالي بين الرجل وبيني:

- هل اتصلت بكَ زوجتك؟
- اتصلت بي بالأمس.
- أرجو أن تكون قد عبّرتْ عن محبتها لك!
- إذ طلبتني بالتيلفون الذي به تسجيل answer machine بدأت تسجل لي رسالة، فتركت الحجرة لكي لا أسمع صوتها.
- إنها تعتز بكَ وتحبك.
- إني لا أطيق مجرد سماع صوتها في التيلفون، إذ أشعر بكل كياني يثور عند سماعي لصوتها، وتضطرب نفسي جدًا.
- لماذا هذا الشعور؟
- أشعر أنها تقوم بدورٍ تمثيلي متقن، فما تنطق به بأعمالها وسلوكها معي يخالف تمامًا ما تنفوه به بشفتيها... إني لا أطيق رياءها.

تألمت في أعماقي، فإنه لا يعرف ما في أعماق القلب إلا الله نفسه. لا أستطيع أن أحكم عليها بالرياء، كما كنت أشفق على الزوج لأجل شعوره هذا. الأمر يحتاج إلى تدخل إلهي، ليعمل في قلبيّ الاثنين.

تذكرت هذا الحديث الذي يتكرر بصورة أو أخرى بين أفراد الأسرة الواحدة أو بين الأصدقاء أو الزملاء. حين يسمع الإنسان من الآخر صوته الخارج من شفتيه والمعبّر عنه بكلمات رقيقة أنه ضجيج، وكأنه أصوات خبطات معادنٍ تدوي في

النفس فتقلقها. وكما يقول الرسول بولس: "إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليست لي محبة، صرت نحاسًا يطن أو صنجًا يرن" ١ كو ١٣:١.

في أسلوب عملي رائع عبَّر القديس أغسطينوس عن ذلك حينما ميَّز بين الصوت voice والصوت (ضجيج) sound. فالصوت voice هو حوار الحب والتفاهم بين شخصين عاقلين، بينما الـ sound هو صوت يسبب ضيقًا وإزعاجًا. وقد أسهب في توضيح ذلك هكذا.

كثيرون يصلون إلى الله مقدمين ضجيجًا sounds عوض أصوات voices الحب التي تنبع عن القلب. فالذين ينطقون بكلمات صلوات منغَّمة لكنها لا تتفق مع لغة القلب تتحول كلماتهم إلى ضجيج sound. لذا يقول السيد: "ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات"، وفي العهد القديم يقول الله: "وإن أكثرتم الصلاة فلا أسمع" إش ١٥:١.

الله يريد لغة القلب أو صوته لا مجرد لغة الفم أو صوته، لهذا يقول المرتل: "استمع يارب إلى صوت تضرعي"، وكأنه لا يكفي أن يقدم تضرعات بل "صوت" تضرعاته، الذي هو لغة الصلاة التي تهتز لها السماء.

✞ ✞ ✞

✞ إلهي الحبيب علمني لغة الصلاة المستجابة!

ليسند صوت قلبي كلمات فمي،

فلا تتحول صلواتي إلى ضجيج تزعج السماء!

عوض أن أقرع باب السماء بقرعات الحب اللائقة،

أضرب الباب بخبطات عنيفة مزعجة!

✞ في حبك العجيب تناجي نفسي المحبوبة لديك، قائلاً:

"أريني وجهك، أسمعيني صوتك،

لأن صوتك لطيف ووجهك جميل" نش ١٤:٢.

تشتاق إلى رؤية وجه إنساني الداخلي،

والاستماع إلى صوت قلبي، صوت صلاتي الخفية.

✞ كثيرًا ما أطول صلواتي بكلمات فمي لا يقلبي.

يسمعني الناس ولا ترتفع كلماتي حتى سقف حجرتي!

هب لي لغة القلب،

التي قد لا يسمعها حتى أقرب من لي،

لكن تهتز لها السماء،

وتُسر أنت بها يا سامع صوت أولادك.

✞ ✞ ✞

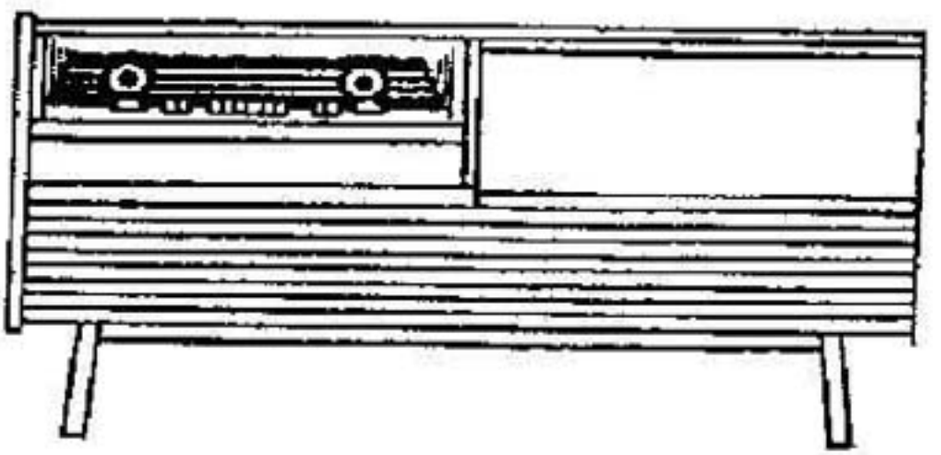

الحمام الطائر

توقف الشاب البسيط كرياكو ليجفف عرقه ويستريح فقد تقلت قدماه جدًا، وأحسّ أنه غير قادرٍ على حمل الحقيبة البسيطة التي لا تحتوي إلا على القليل من ملابسه، وظهرت علامات الإنهاك الجسدي على ملامحه.

عاد الشاب يكمل طريقه وهو يردد اسم يسوع المسيح، مطمئنًا نفسه أنه قد اقترب جدًا من بلدة تاريخ حيث يتمتع ببركة الدير وينعم بالوجود بين آبائه. وبالفعل بدأت قباب الدير تظهر من بعيد، وقد علت عليها الصلبان، ففرح جدًا.

للحال ركع كرياكو على الأرض، ورفع عيني قلبه نحو السماء، وهو يتمتم، قائلاً:

"أشكرك يا ربي يسوع المسيح...

يا من أهلتني لهذه الساعة أن أرى الدير.

اسمح لي أن أتمتع ببركة آبائه.

هل تقبلني خادمًا لأبنائي؟

هل تقبل حياتي كلها ذبيحة حب لك يا من أحببتني؟

هل لي أن أكمل كل بقية غربتي في أحضانك؟!

لست أطلب إلا أن تكون معي وأكون أنا معك!"

بدأت الدموع تذرف من عينيه، لكن حنينه نحو الدير جذبه للقيام سريعًا، فقد ملأ الفرح قلبه، وشعر كأنه حُمل بسحابة لينطلق نحو الفردوس، أو أُعطي جناحي حمامة ينطلق بهما نحو الفردوس...

ذهب عنه كل تعب جسماني بغير رجعة، وانطلق نحو الدير مسرعًا، فقد حان الوقت الذي طال انتظاره.

أمسك الشاب كرياكو بالحبل وشدّه بلطف وهدوء ليسمع دقات جرس الدير بغير إزعاج. بعد دقائق سمع كرياكو صوتًا هادئًا من وراء الباب يسأله: من بالباب؟

- ابنك كرياكو يا أبي!

- ماذا تريد يا ابني؟

- اسمح لي بالدخول يا أبي، فإني جئت من مكانٍ بعيدٍ جدًا لأنال بركة الدير وبركة آبائي الرهبان.

- في العالم كنائس كثيرة يا ابني. تستطيع إن أردت أن تنال البركة، ويوجد آباء اعتراف كثيرون يسندونك!

- لقد سمعت عنكم يا أبي. أنا محتاج إلى صلواتكم وإرشادكم. اسمح لي بدقائق مع رئيس الدير.

- سامحني يا ابني لا أقدر أن أفتح.

- أرجو من أجل المحبة قبلني فإني غريب وتحملت الكثير لأنال بركة الدير.

- من أين جئت يا ابني حتى أخبر رئيس الدير ربما يسمح لك بالدخول إلى فترة قصيرة؟

دخل رئيس الدير إلى مكان الضيافة ليلتقي بالشاب كرياكو الذي أصر على مقابلته، وكانت البشاشة على ملامح الأب.

فرح كرياكو وأسرع نحو الأب يقبل يديه ويطلب صلواته عنه.

بدأ الشاب يفتح قلبه للرئيس، ويروي له اشتياقاته نحو الرهبنة منذ سنوات طويلة. وكان الأب يسأله عن أب اعترافه وتداريبه الروحية وقراءاته. وبعد حوار هادئ بسيط طال قرابة ساعتين قال الرئيس:

"لا أستطيع يا ابني أن أعدك بشيء،

لكنني أتركك هنا لفترة قد تطول لتختبر نفسك،

فإن طريق الرهبنة ليس سهلاً، وحربها عنيفة ومرة.

سأرعاك بنفسي، لكنني أريدك أن تكون صريحًا مع نفسك ومعي، فإن الرهبنة ليست هدفًا في ذاتها، إنما هي طريق يُعطى ليس للجميع. إن أبديتك وحياتك مع

المسيح هي فوق الكل!"

وإذ كادت الجلسة الروحية أن تنتهي وأراد رئيس الدير أن يستأذن من كرياكو ليهيئ له مكانًا يعيش فيه تحت الاختبار، سأله الشاب: أما تعرفني يا أبي؟

دُهش الرئيس لهذا السؤال بعد جلسة روحية دامت الساعات كشف فيها الشاب كل جوانب حياته الروحية، لكنه في بساطة أجاب:

- ماذا تقصد يا ابني؟

- أنا كرياكو ابن أختك يا أبي!

تفرس الرئيس فيه جيدًا، فإنه لم يره منذ زمان طويل. ثم أخذ يسأله: وما هي أخبار والديك يا ابني؟

- كلها خير يا أبي.

- هل والدك موافق على رهبنتك؟

- نعم يا أبي، فقد ذهب هو أيضًا إلى أحد الأديرة لكي يترهب.

- وأين والدتك؟

- لقد رحلت إلى الفردوس.

هزّ رئيس الدير رأسه دون أن تفارقه بشاشته، وكان يقول: "لقد انطلقت أمك إلى الراحة. وعرف أبوك أن يهرب لحياته".

ثم طلب رئيس الدير من ابن أخته أن ينسى القرابة الجسدية، وأن يضع في قلبه ألا ينشغل إلا بالعبادة لله... ففرح كرياكو جدًا.

مرت السنوات، وكان كرياكو ينمو في النعمة، فقد تعلق بمسيحه جدًا والتهب قلبه بحب الأبدية. انعكس هذا على ملامحه، فكانت البشاشة لا تفارقه، وعُرف بالبساطة الشديدة، وجاءه الكثيرون يطلبون صلواته ويثقون في قداسته.

حسده البعض من أجل شهرته التي ذاعت في بلاد كثيرة بأرمينيا، فجاءوا إلى الدير ووشوا به لدى رئيس الدير، مدّعين أن الراهب كرياكو، المعروف ببساطته الشديدة وكثرة نسياته، إنما يتظاهر بالقداسة ويفتعل النسك.

طلب رجال غرباء من رئيس الدير أن يقدمهم للراهب كرياكو كجماعة من

الضيوف، وهم يكشفون له حقيقة هذا الراهب. حقق الرئيس لهم طلبهم، وبالفعل استقبلهم الراهب باهتمام شديد ومحبته المعهودة فيه... وبعد أن تحدث معهم كثيرًا عن ملكوت الله سألهم أن يباركوه ويأكلوا عنده فقبلوا طلبه.

إذ عرف الراهب أنهم جاءوا من بلد بعيد وأنهم جائعون أسرع وذبح لهم "حملاً" وقام بشيّه ثم وضعه أمامهم وجلس وسطهم يصلي... وكان اليوم "أربعاء" وهو لا يعلم. لعلّه كان يصوم طول العام، وإنما يضطر أن "يفطر" أحيانًا من أجل محبته لإضافة الغرباء.

استأذن أحد الاخوة وبسرعة استدعى رئيس الدير ليرى الراهب الناسك كرياكو يأكل حملاً مشويًا يوم الأربعاء.

دخل رئيس الدير وحده وتباطأ الأخ خارج القلاية حتى لا ينكشف أمره. وهنا سأل أحد الضيوف الراهب كرياكو: "ألا تعلم يا أبانا كرياكو أن اليوم صوم، فكيف أعددت لنا حملاً؟" وكان يقصد بذلك إحراجه أمام رئيس الدير.

صمت الراهب البسيط قليلاً دون اضطراب، وإنما في هدوء سأل: "أحقًا يا أبانا... اليوم أربعاء؟" وإذ لم يجبه رئيس الدير قال الراهب: "إني آسف جدًا، إذ لم أكن أعرف أن اليوم أربعاء... فهل تسمحوا للحمام أن يطير؟"

ضحك الحاضرون في سخرية إذ رأوه يرسم على الحمام المشوي علامة الصليب وهو يقول: "ما دام اليوم صوم، فلماذا تبقون هنا أيها الحمام؟! فلتطيروا إذن!" لكن سرعان ما توقف الكل عن ضحكهم إذ رأوا الحمام المشوي ينطلق من الطبق طائرًا في الجو!

حمارا الأسقف

تشاور بعض الأريوسيين ماذا يفعلون بأسقف شيخ عُرف مع قداسة حياته وبساطته بقوة الحجة، فقد خشوا من ذهابه إلى مجمع نيقية لتفحم أريوس.

تركّبوا حتى ركب هو وتلميذه حمارين وانطلقوا وراءهما. وإذ غابت الشمس انحدر الأسقف وتلميذه إلى فندق في الطريق، واستأجرا مكانًا للمبيت، وتركا الحمارين في مذود الفندق. ومع منتصف الليل تسلل الرجال إلى المذود وذبحوا الحمارين حتى يتأكدوا توقف الأسقف وتلميذه عن السفر إلى نيقية.

وفي الفجر ذهب التلميذ إلى المذود فوجد الحمارين وقد قُطعت رأساهما تمامًا، فعاد إلى الأب الأسقف مرتبكًا.

– لماذا أنت مرتبك يا ابني؟

– لقد ذُبح الحماران يا أبت،

وليس لدينا مالاً نشتري حمارين عوضًا عنهما.

– لا تخف يا ولدي، لدى الله حلول كثيرة!

– ماذا تعني يا أبي؟

– الله الذي دعانا للاشتراك في المجمع هو يدبر أمر سفرنا يا ابني.

سار الأسقف ومعه تلميذه إلى المذود على ضوء سراج إذ كان لا يزال الظلام باقيًا. وهناك طلب الأسقف من تلميذه أن يقرّب أحد الرأسين إلى بقية الجسم.

صلى الأب الأسقف قائلاً: "أنت تعلم يا رب إننا لا نملك مالاً لشراء حمارين، إن أردت لنا أن نشترك في هذا المجمع اسمح الآن أن تعود نسمة الحياة إلى الحمارين"... فتحرك الحمار الأول ثم كرر الأمر مع الحمار الثاني.

سار الأسقف وتلميذه إلى نيقية، بينما كان أتباع أريوس قد سبقوهما إلى

المجمع ظنا أنهما لا يقدران أن يكملا مسيرتهما. وإذ دخل الاثنان مدينة نوقية كان الكل يستقبلونهما بدهشة بالغة وكانوا يتهامسون نحوهما راكبين الحمارين.

تساءل الأب الأسقف: لماذا تنظرون إلينا هكذا في دهشة؟

أجاب أحد الحاضرين بسؤال: ما الذي حدث يا أبانا؟

- لا شيء!

- ما هذا؟

- لست أعرف ماذا تقصد.

- ألا ترى أن الحمار الأسود رأسه بيضاء، والحمار الأبيض رأسه سوداء.

أدرك الأب الأسقف أن التلميذ قد أخطأ حين قدم رأس كل من الحمارين مع جسم الحمار الآخر، واضطر أن يروي للحاضرين ما حدث.

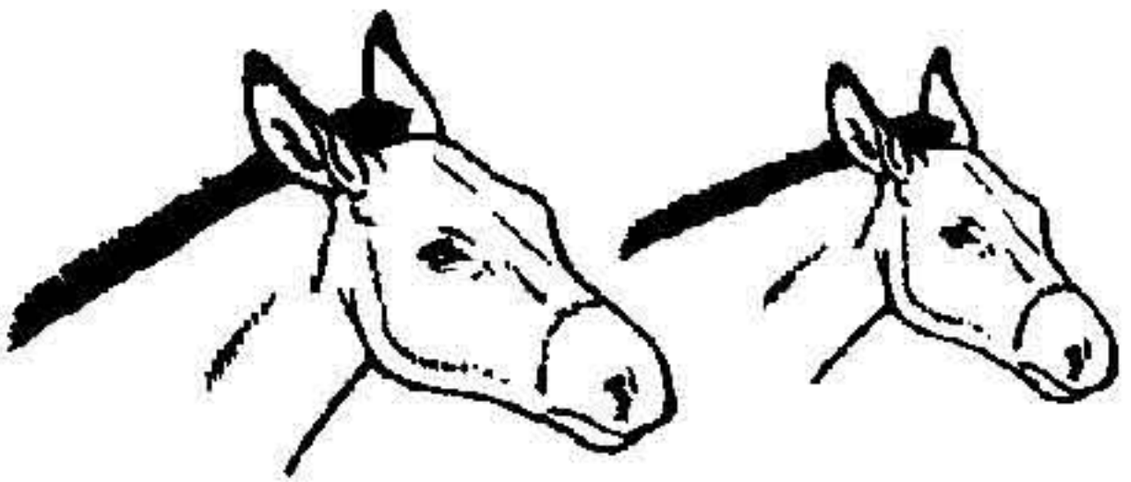

القلاية المتحركة

ما أن خيَّم الظلام على الدير ودخل كل راهب إلى قلايته يتلو مزاميره ويرتل تسابيحه ويتأمل إنجيله، حتى خرج الراهب الأمي بهدوء من قلايته، وتسلل خارج منطقة القلالي وعند الطافوس جلس يبكي وهو يعاتب ربّه أنه غير قادر على حفظ المزامير ولا حتى على تلاوة الصلاة الربانية... وأخيرًا بقي يردد المقطع "أبانا الذي في السموات" وهو يفكر في أبوه الله ويلهج بالشكر من أجل عمل الخلاص.

ما أن طرق الراهب باخوم باب قلاية رئيس الدير بإصبعه ثلاث مرات وهو يقول "أغابي"، كعادة الرهبان حتى فتح الرئيس الباب وقبّل كل منهما الآخر:

- سلام يا أبي... جئت أعاتبك في محبة.
- خيرًا.
- لعلك تعرف الراهب الجديد.
- أعرفه تمامًا... إنسان بسيط ومُحب.
- هذا لا شك فيه، لكن كيف يلبس زيّ الرهبنة وهو لا يعرف القراءة في الكتاب المقدس، ولا يحفظ المزامير، ولا حتى الصلاة الربانية.
- من قال لك هذا؟

سامحني يا أبي واغفر لي... فقد شتتني منظره في الصلاة. كنت أشعر أنه قائم في السماء. تطلّعت إليه فوجدت حركات شفتيه رتيبة. وقفت بجواره فوجدته يُكرر العبارة: "أبانا الذي في السموات" دون سواها.

صمت الرئيس قليلاً، ثم قال: "اترك لي هذا الأمر يا أبي".

وانصرف الراهب باخوم.

ارتبك رئيس الدير بسبب هذا النقاش، ولم يعرف ماذا يفعل، فإنه يحب الراهب

البسيط ولا يريد أن يطرده، وفي نفس الوقت لا يقدر أن يكسر قانون الدير حتى لا يهمل الرهبان التأمل في كلمة الله والصلاة بالمزامير والتسبيح.

وفي اليوم التالي التقى الرئيس بالراهب، وبعد حديث ليس طويل سأله الرئيس:

- هل تحفظ المزامير يا أبي؟ أرجوك، عرفني كم مزمور تحفظه عن ظهر قلب؟
- سامحني يا أبي، فإني أردد في صلاتي ما حفظته.
- لابد لي أن أعرف، لأن قانون الدير يستوجب حفظك أجزاء من الكتاب المقدس والمزامير والتسبحة.
- إني حفظت قدرما استطعت يا أبي.
- إن كنت لا تحفظ فسأضطر أطلب منك مغادرة الدير حتى لا تسبب بلبلة في الدير.
- هل تسمح لي أن آخذ معي قلايتي؟
- أتمزح؟
- لا يا أبي فإني أود ألا أفارقها.

ولكي ينهي الرئيس الحديث قال له: خذها إن أردت.

عندئذ صنع الراهب مطانية أمام رئيس الدير، وفعل ذات الشيء أمام الراهب... وذهب الراهب إلى المخزن وأحضر حبلاً طويلاً طوّق به قلايته... وصار يسحبها وهو يقول: "سيري يا مباركة"... وكم كانت دهشة الآباء حين رأوا المبنى يتحرك وراءه حتى خرج إلى أميال. واستقر ليعيش فيه الراهب البسيط المتوحد، الذي لم يقدر أن يحفظ شيئًا عن ظهر قلب؟

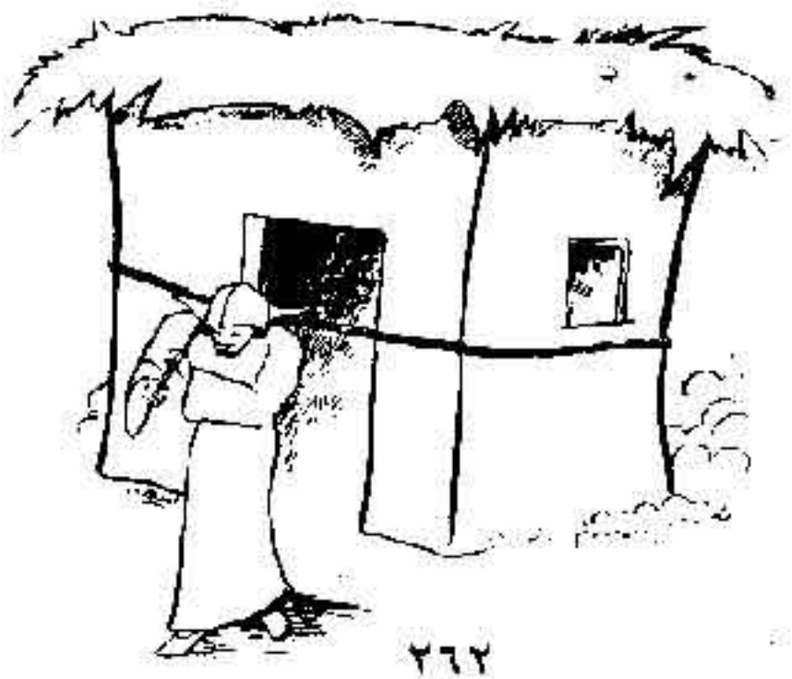

في طريقٍ مظلمٍ

كان الظلام سائدًا بينما كان الأخان عماد وروجيه يسيران معًا يتحدثان. فجأة عبرت بجوارهما سيارة تسير بسرعة فائقة. وكان الطريق به وحل فانتثر عليهما.

بابتسامة لطيفة قال عماد لروجية:

"إنها نقاط بسيطة... لنحذر لئلا تمر عربة أخرى".

إذ اقتربا نحو النور قال روجية: "ليست نقاط قليلة كما تظن يا عماد!"

أجاب عماد: "عندما نعود إلى المنزل ننظف ثيابنا!"

صمت روجيه حتى صارا تحت أشعة النور مباشرة... عندئذ تطلع روجيه إلى ثيابه ففوجئ بأن الوحل قد انتثر بكمية ضخمة، عندئذ قال لأخيه: "لن أستطيع الذهاب إلى زميلنا جرجس. لا يمكنني الآن أن أكمل الطريق... لا بد لنا أن نرجع إلى منزلنا لنقوم باستبدال ثيابنا".

✞ ✞ ✞

مادمنا في العالم لابد لأتربة العالم أن تلحق بأجسادنا، فإن سلكنا وسط الظلمة نظن أنها نقاط بسيطة لا تستحق الاهتمام، لكن متى اقتربنا من مسيحنا شمس البر تدرك أننا لا نستطيع أن نصمت... بل يلزمنا الرجوع إلى بيتنا بقلوبنا لكي نغتسل بالتوبة الصادقة والاعتراف، نلبس أعمال الإنسان الجديد التي يقدمها لنا روحه القدوس، فنتهيأ للسير حتى نبلغ وطننا السماوي.

✞ ✞ ✞

✞ كثيرًا ما شربت الإثم كالماء،

كثيرًا ما اتسخت حياتي بالدنس!

✞ لتشرق يا مخلصي بنورك عليّ.

أنر أعماقي وافضحني أمام نفسي.

✞ ارجع إلى كنيستك فأجدك يا قدوس تطهر أعماقي.

أعترف لك بإثمي ودنس حياتي.

أتمتع بعمل روحك الناري الذي يسكب بهاءك عليّ.

✞ ✞ ✞

الاستعداد للعُرس

في إحدى المدن الأمريكية فوجئت بالعروس المخطوبة تطلب مني السماح لها أن تأتي خلال أيام الأسبوع لعمل "بروفا" لإكليلها. تأتي ومعها الفتيات والفتيان الصغار الذين سيرافقونها في موكب عرسها.

اندهشت العروس حين قلت لها: "إن الإكليل بعد أكثر من ستة أشهر، فالوقت طويل، لماذا العجلة".

قالت لي: "لقد بقي زمان قليل، فإن الستة شهور قليلة جدًا للتهيئة للعرس من كل جوانبه!"

عاتبت نفسي في داخلي، إذ شاهدت عروسًا تشعر بأن زمن عرسها قد اقترب جدًا فتتهيأ له حتى بعمل "بروفا" لموكب عرسها، بينما عريس نفسي يعلن: "ها أنا آت سريعًا" رؤ ٢١: ٧ ، ومع هذا أتباطأ في تهيئة نفسي لهذا العرس الفريد الأبدي. لقد هيأت السماء نفسها للعرس منذ آلاف السنوات. دفع السيد المسيح دمه مهرًا للعروس، وأعطانا روحه القدوس ليهيئ النفس فتحمل صورة عريسها، تتشكل لتتحد معه أبديًا.

الأربعة وعشرون قسيسًا غير المتجسدين مع كل طغمات السمائيين يشتاقون إلى ذلك اليوم المفرح! مع هذا كله تنشغل نفسي "العروس" بأمور أخرى غير عرسها!

❖ هوذا الملائكة تصرخ: أرسل منجلك لأن وقت الحصاد قد أتى.

❖ يرى السمائيون العروس التي جمعتها من كل الأمم والألسنة والشعوب.

تجتمع معًا من أجناس مختلفة، منهم من هو أبيض وأسود وأصفر وقمحي اللون...

الكل قد انعكس عليهم بهاء جلالك العجيب.

الكل قد صاروا جسدك المقدس.

❖ نعم، ليشكلني روحك القدوس،

فتصلح نفسي أن تكون عروسًا سماوية.

لتلهب قلبي شوقًا إلى هذا اليوم المفرح!

✠ افتح عن عيني قلبي لأراك قائمًا في موكب عرسك.

احملني معك على سحابتك يا عريس نفسي.

لتدخل بي إلى أحضان أبيك، حجال العرس السماوي.

من أكله لحوم البشر!

تأثر أحد خدام الكلمة إذ رأى راعيًا يبكي...

– لماذا تبكي...

– لقد أكل الكلب جزءًا من الكتاب المقدس بينما كنت نائمًا بين الغنم أستريح وسط ظلال الشجر.

– لا تبكِ، سأعطيك نسخة أخرى من الكتاب المقدس.

– ليست المشكلة في حصولي على نسخة منه!

– إذن ما هي المشكلة؟

– لقد كنت من أكلة لحوم البشر، وإذ تعرفت على كلمة الله تغيرت حياتي تمامًا. صرت محبًا للبشر، بل وهادئًا تحت كل الظروف.

– وما علاقة هذا بما فعله كلبك؟

– حتمًا بعد أن أكله الكلب... ستتغير طبيعته، فيصير هادئًا ووديعًا مثلي، فكيف يقف أمام الذئاب لحماية الغنم؟

ابتسم خادم الكلمة، وبدأ يكشف له أن كلمة الله ليست حروفًا وأوراق بل هي لقاء حيّ في القلب بالكلمة الإلهي نفسه.

قال له:

لقد تغيّرت طبيعتك، لأن الكلمة سكن في قلبك، أما كلبك فلا يتمتع بما نلته أنت.

لقد صار الكلمة الإلهي إنسانًا ليجدد حياة الإنسان!

عندئذ اطمأن الراعي وتأكد أن طبيعة كليه لحراسة غنمه لا تتغير بسبب أكله جزءًا من الكتاب المقدس.

✠ ✠ ✠

غيَّرتَ طبيعة آكلي اللحوم أيها الكلمة الحقيقي.

نعم أنت حيٌ وفعال.

متى نرى كل البشرية قد تمتعت بك.

تحولها إلى شبه ملائكة سمائيين.

✞ ✞ ✞

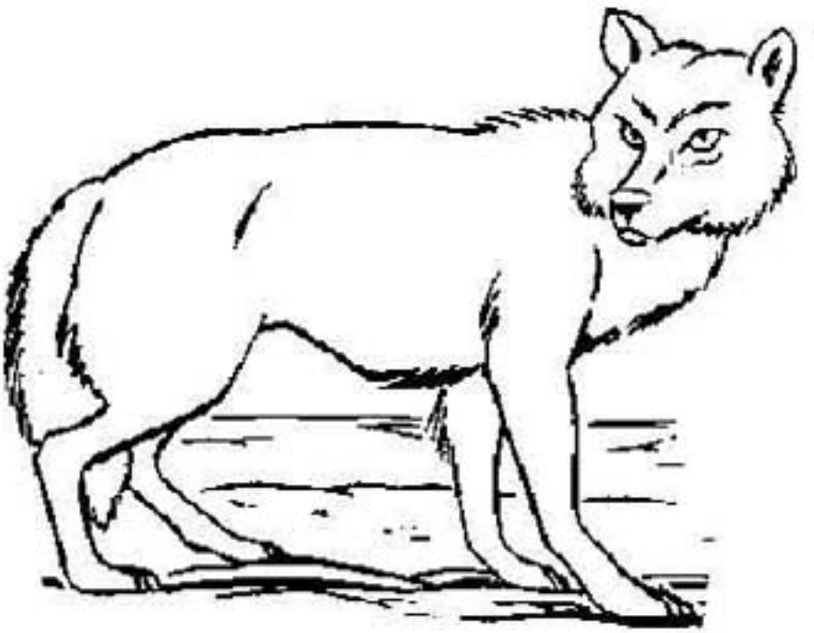

باركي يا نفسي الرب[1]

بينما كان خادم الكلمة في طريقه إلى الكنيسة التي يأمّ المصلين فيها، دار بينهما الحوار التالي:

– أود أن أسألك عن معنى عبارة كتابية.

– ما هي؟

– جاء في سفر المزامير: "باركي يا نفسي الرب". أنا أعرف أن الكبير يبارك الصغير، الله هو الذي يبارك نفسي وليس العكس. فما رأيك؟

– هل لديك أطفال؟

– نعم لدي ثلاثة أطفال.

– ما هي أعمارهم؟

– مارك سبع سنوات، وماري ست سنوات، وملفيو خمس سنوات.

– عندما يحلّ فصل عيد الميلاد "الكريسماس" هل يقدموا لك هدايا؟

– نعم يقدمون.

– هل تعرف ما هي الهدايا التي سيقدمونها لك؟

– لا.

– من يحضرها لهم؟

– يديرون هذا الأمر مع والدتهم دون علمي، لكي يقدموا لي الهدايا بطريقة مفاجئة.

– من يدفع ثمنها؟

– أنا.

---

[1] *Cf. D.G. Barnhouse: Let Me Illustrate, 1967, p. 148-49.*

- هل تُسر بها؟
- حتمًا. إنها تعبر عن حبهم الصادق وبنوتهم لي.
- ماذا تفعل حين يقدمون لك الهدايا؟
- احتضنهم وأقبلهم وأقدم لهم هدايا أثمن بكثير. أرد لهم حبهم بالحب؛ ومقابل هداياهم البسيطة التي دفعت ثمنها أقدم هدايا ثمينة وقبلات وحبًا عميقًا!
- هذا ما يحدث فعلاً مع الله، فكما تدفع أنت ثمن الهدايا التي يتشاور أبناؤك مع والدتهم في شرائها وتقديمها لك، وتفرح حين يقدمونها قائلين: "هذه بركة نقدمها لك يا بابا"، فإننا نصرخ نحو الله قائلين: "باركك ونمجدك الخ." إننا نقدم لله مما يعطينا في حياتنا من بركات. نُسر إذ نرد له مما وهبنا، وهو يُسر بها.

* * *

✞ إلهي... إنك تطلب مني:

أعطني لأشرب.

لأقدم لك مع السامرية من دلوي!

أقدم لك من مياه البئر التي وهبتني إياها.

فترد لي عطشي من الذي لك،

ماءً حيًا، من يشرب منه لا يعطش أبدًا.

✞ إلهي... أنت مصدر كل بركة، سماوية كانت أم أرضية.

تبسط يديك فتفيضان عليَّ نعمًا!

✞ مما أعطيتنا نعطيك!

اقبلها عطية منا يا واهب كل العطايا.

لتتبارك نفسي، فبدونك أحرم من كل بركة.

بحبك العظيم تطلب مني القليل،

كي تهبني من فيض روحك بلا حدود!

لتتبارك نفسي يا مصدر كل بركة.

أسعد كائن على الأرض

سأل بيتر والده الذي يتسم بروح للبشاشة الدائمة: "كيف أعرف أنني أسير في طريق الرب؟".

أجابه الوالد: "علامة سيرك في طريق الرب أنك تشعر أنك أسعد كائن على الأرض، وأن اللحظة التي تعيش فيها الآن هي أسعد لحظات حياتك، لأنك محمول على الأذرع الأبدية.

تلمس يدُ الله التي عملت معك في الماضي، وتعمل الآن، وستعمل في المستقبل حتى تدخل بك إلى حضن الآب".

قال بيتر: "كيف أشعر أنني أسعد كائن على الأرض، وأنا كثيرًا ما أشعر بالضيق لأن كل أصدقائي أغنى مني، وأكثر مني في المواهب؟"

أجاب الوالد: "سأروى لك يا بيتر قصة شعبية مشهورة":

عاد قاطع حجارة إلى بيته، وبعد العشاء جلس على كرسي قديم ورفع عينيّ قلبه نحو الله وهو يقول:

"لماذا أتيت بي يا إلهي في أسرة فقيرة لم تدفعني إلى دراسة،
ولا قدمت لي أموالاً تسندني في عمل مشروعٍ مربحٍ؟!
كثيرون لا يبذلون الجهد الذي أقوم به وهم أكثر مني غنى!
ألا تستطيع أن تغنيني،
فأستريح وأفرح وأشعر حقًا بالسعادة".

في الليل رأى قاطع الحجارة حلمًا أنه وهو يضرب في المحجر وجد كنزًا

---

[٢] عن جريدة وطني ١٩٩٦/٢/١١ بتصرف.

سخطيًا ففرح جدًا. خبأه وترك المحجر ليبدأ حياة جديدة.

قال في نفسه: "لقد كانت ساعة مقبولة، فيها سمع الله لطلبتي وجعلني غنيًا... ليتني طلبت أكثر!"

عاش الرجل بين الأغنياء والعظماء، وإذ دُعي إلى حفلٍ ملوكي رأى ما ناله الملك من كرامةٍ وعظمةٍ، فاشتهى أن يكون ملكًا. طلب من الله ذلك لكي يكون فرحًا وسعيدًا.

سمع الله لطلبته وصار الرجل ملكًا، وكان الكل يكرمونه ويبجلونه... وإذ سار في موكب ملوكي والجماهير من كل جانب تحييه شعر بحرارة الشمس الشديدة، وأدرك أنه ضعيف أمامها. اشتهى أن يكون شمسًا تبسط أشعتها على كل الأرض، بل وعلى الكواكب الأخرى.

بسطت الشمس أشعتها، لكن سحابة كثيفة حجبت الأشعة عن بقعة في الأرض، فشعرت الشمس بضعفها أمام السحابة، واشتهت أن تكون سحابة كثيفة ليس ما يعوق تحركها.

صارت الشمس سحابة كثيفة للغاية، وتحولت إلى أمطارٍ سقطت على الأرض... كان يخشاها الإنسان كما حاولت الحيوانات الهروب منها، وتركت الطيور الأشجار لتجد لنفسها ملجأ، لكن بقيت صخرة قوية راسخة لم تهتز أمام الأمطار.

استصغرت السحابة نفسها أمام الصخرة فاشتهت أن تصير صخرة لا يمكن للسحاب ولا للأمطار أن تهزها.

صارت السحابة صخرة عظيمة... وفجأة جاء قاطع حجارة يضرب بفأسه ليقطع منها الحجارة، فشعرت الصخرة بضعفها أمام قاطع الحجارة... وطلبت من الله أن تصير قاطع حجارة، وبالفعل صارت الصخرة قاطع حجارة.

هكذا رجع قاطع الحجارة إلى ما كان عليه.

قام الرجل من نومه وهو يشكر الله الذي أعطاه فرصة أن يكون قاطع حجارة وليس صخرة أو سحابة أو شمسًا أو حتى ملكًا أو واحدًا من الأغنياء والعظماء.

تحولت حياته إلى حياة شكر وتسبيح لله، لكن في غير تراخٍ أو إحباط، يبذل

كل جهده في عمله ويسند أولاده ويشجعهم على الدراسة بقلبٍ متهللٍ!

※ ※ ※

أسبحك يا إلهي! لأنك لم تتركني معوزًا شيئًا!

الآن هي أسعد لحظات عمري.

وأنا أسعد كائن في المسكونة!

أقمتني من التراب وفتحت لي بابًا في السماء!

جعلتني يا مخلصي عضوًا في جسدك المقدس

وهبتني روحك القدوس ساكنًا فيّ.

قدمت لي أحضان الآب مسكنًا أبديًا!

ماذا أطلب بعد؟! لتهلل نفسي بك على الدوام!

لأبقى مبتهجًا عبر طريق الصليب! ولتفرح نفسي بك يا معلمتي!

الإمبراطور والفنان

قيل[٣] انه منذ عدة قرون طلب إمبراطور اليابان من فنانٍ أن يرسم له لوحة لطائر.

توقع الإمبراطور أنه في خلال أسابيع قليلة يقدم الفنان اللوحة، لكنه عبرت أسابيع وشهور بل وسنوات دون أن يُحضر الفنان اللوحة.

قرر الإمبراطور أن يفاجئ الفنان في مرسمه ليراه هل بدأ في رسم اللوحة أم لا. وبالفعل تحرك موكب الإمبراطور نحو المرسم، وهناك التقى بالإمبراطور بالفنان الذي استقبله بفرح شديد.

سأل الإمبراطور الفنان: "هل بدأت رسم اللوحة؟"

أجاب الفنان: "انتظر فقط خمس عشر دقائق وتتسلم اللوحة".

أمسك الفنان فرشته وفي دقائق قدم للإمبراطور لوحة رائعة وفريدة لطائر.

تطلع إليها الإمبراطور وقد أخذته الدهشة كيف استطاع الفنان في دقائق أن يرسم هذه اللوحة التي طلبها منه منذ سنوات.

قال الإمبراطور للفنان: "أريد أن أسألك: مادامت فناناً هكذا، وقد قمت بعمل هذه اللوحة الرائعة في دقائق، فلماذا بقيت كل هذه السنين دون أن ترسمها؟"

أمسك الفنان بيد الإمبراطور وقال له: "سأقدم لك إجابة عملية بسؤالك أيها الإمبراطور العظيم"، ثم دخل به إلى حجرة داخلية في المرسم متسعة. وجد في أحد أركانها كميه ضخمة من الصور لأعين طيور مختلفة، وفي موضع آخر لأجنحة الطيور، وفي موضع ثالث لأرجل الطيور، ثم لرؤوسها الخ.

---

[٣] *Cf. D.G. Barnhouse: Let Me Illustrate, 1967, p. 160-161.*

قال الفنان: "يا جلالة الإمبراطور، لقد قضيت هذه السنوات أجمع كل هذه الصور، وكنت أتأملها منقبًا فيها... حتى أقدم لجلالتك أفضل رسم ممكن للطائر!"

عندئذ أدرك الإمبراطور أن ما قدمه الفنان في دقائق هو ثمرة جهاد سنين طويلة!

إن كان تقديم لوحة لطائرٍ تطلب من فنانٍ عظيم سنوات طويلة للعمل، لكي في دقائق يقدم لوحة رائعة لا تُقدر بثمن، أفلا يشغلك أن يُقيم الفنان الأعظم، روح الله القدوس، أيقونة السيد المسيح في أعماقك، ليقدمك للآب. لقد كلف ذلك الله عملاً عظيمًا، فقد كان في ذهن الله قبل تأسيس العالم، ومن أجلك قدم الناموس والنبوات... وأخيرًا لم يشفق على ابنه الوحيد، بل بذله لأجلك، ليهبك أن تصير أيقونة حية خالدة، موضع سرور الآب.

حين تتسلل إلى أفكارك بعض الشهوات أو الخطايا لكي تفسد حياتك كأيقونة... أدخل إلى الكتاب المقدس، إلى الحجرات الداخلية لكي ترى كم صنع الرب من أجلك عبر التاريخ. ادخل إلى صليب رب المجد، لكي يفتح الروح القدس عينيْ قلبك وترى حب الله الباذل، الذي يرسم الأيقونة بدمه الثمين!

✠ ✠ ✠

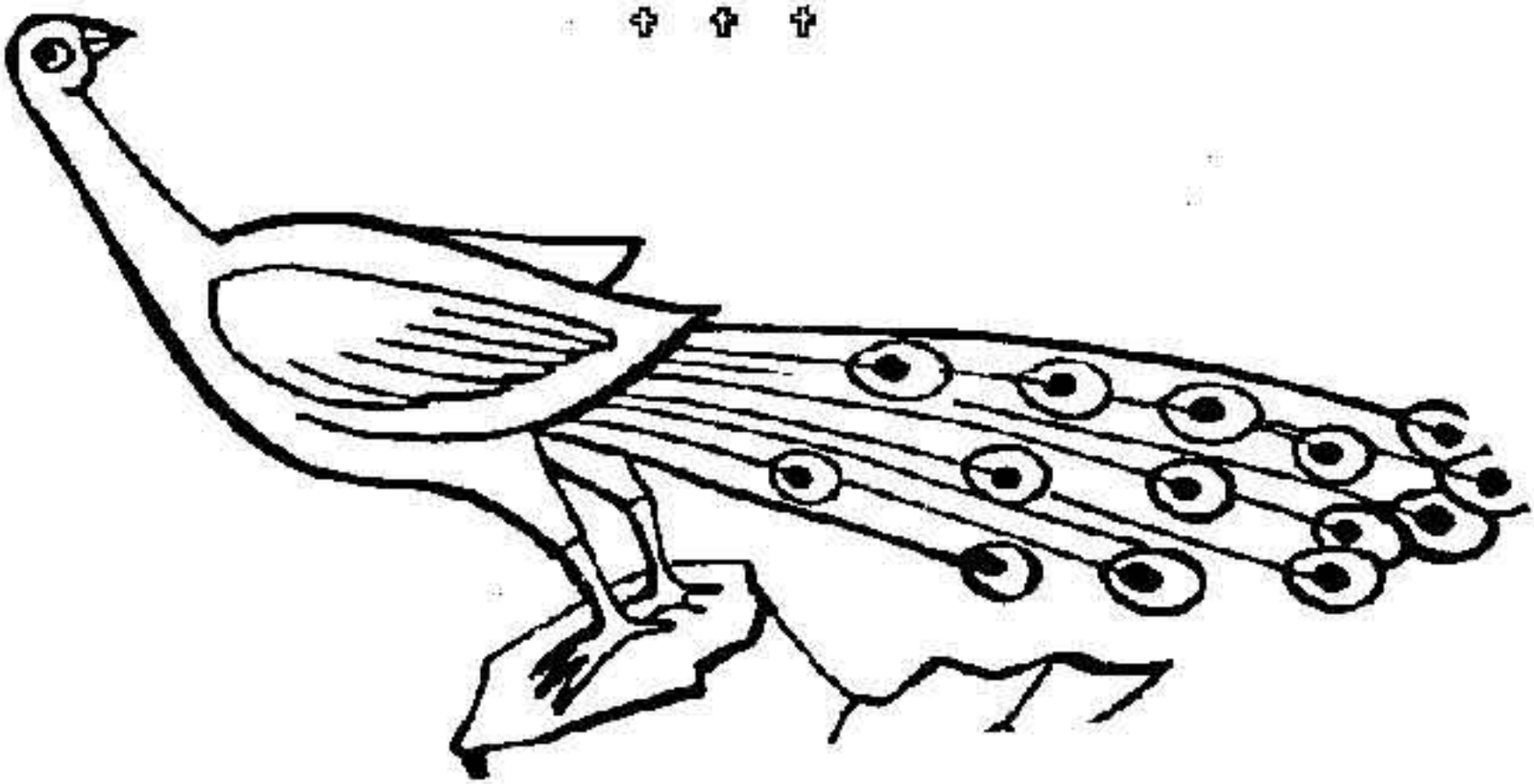

بشاشة الحب الخالص!

عُرف أبونا بيشوي ببشاشته الجذابة للكثيرين...

ببشاشته كان يلتقي مع الخطاة المثقلين، فيرون على وجهه وفي ابتسامته ولطفه نعمة الله الفائقة، فيمتلئون رجاء وتعزية. ويلقون معه كل ثقل خطاياهم عند قدميْ الصليب، وينطلقون كما مع المريمات يبشرون ببهجة القيامة!

التقى بي إنسان في "وست كوفينا" بكاليفورنيا، وقال لي:

"لا أنسى أول جلسة اعتراف،

فقد طلبت من أبينا بيشوي أن يخصص لي ثلاث ساعات على الأقل يسمع لي .سما ارتكبته كجلسة مبدئية للاعتراف.

وإذ وافق على ذلك سألته: متى أحضر للحديث معك؟

فكانت إجابته: الآن!

تعجبت كيف يُسرع باللقاء معي مع إني طلبت ثلاث ساعات، وأنا أعلم مدى مشغولياته.

بدأت الحديث ولم تمضِ دقائق معدودة حتى وجدت سلامًا قد ملأ قلبي، وبوجهه الباش أحسست أننا معًا عند قدميْ المخلص.

أحسست بالرجاء يملأ قلبي،

فألقيت بكل ثقلي على مخلصي الصالح.

بعدما ما كنت قد ظننت أنه سيحرمني من التناول لمدة طويلة،

أحسست برغبته تتفق مع رغبتي أن أتناول وأعيش متهللاً بالسيد المسيح محب الخطاة ومقدس حياتهم.

وأعطاني تدريبًا بسيطًا عشته بفرحٍ!"

كان أبونا بيشوي يعيش بعيداً لم يكسره وهو إن طلب أحد أن يعترف، خاصة إن كان لأول مرة أو له مدة طويلة لم يعترف، فإنه لا يؤجل اعترافه... يقبل الاعتراف في الكنيسة، أو في البيت، أو في سيارته، أو حتى في الطريق. كان يقول لي: "ربما قد التهب قلبه الآن بالتوبة، واشتاق إلى الاعتراف، لا أؤجل لئلا يفتر فأخسر هذه النفس".

إن كان أبونا يرفض تأجيل قبول اعتراف أي شخص مهما كانت الظروف، فكم يليق بك ألا تؤجل توبتك في مخدعك، ولا اعترافك. انتهز كل فرصة، وأسرع بالتوبة لئلا تفتر توبتك.

هب لي يا ربي قلبًا مملوءً فرحًا بك.

قدمه لكل نفسٍ مجروحة بالخطية فتنجذب إليك!

* * *

هو ابني...
أنا مستعد أن أُقبِّل قدميه

اتسم أبونا ببشوي كامل بالحب العملي في تصرفاته. ففي أوائل الستينات، إذ دخلت الكنيسة وجدت شابًا متزوجًا يقف في فناء الكنيسة، وكان يهاجم أبانا بألفاظ قاسية. وقد أراد البعض أن يتصدى له، وكان ذلك قبل عشية يوم سبت.

في هدوء أمسكت بيده، وجلست معه في حجرة التليفون الملحقة بالكنيسة حتى هدأ تمامًا، وطلبت منه أن ينصرف إلى بيته حتى يهدأ الجو. وقد توقعت أنه لابد وأن البعض سيعطي لأبينا فكرة عما يحدث.

إذ انتهينا من عشية السبت، وفي نهاية الاعترافات قلت لأبينا:

"(فلان) متضايق،

وكان في حالة غضب شديد،

لكنه هدأ تمامًا.

طلبت منه أن ينصرف إلى بيته منعًا للإثارة.

وهو يريد أن يعتذر لك عما صدر منه في غيبتك!"

بدلاً من العودة إلى منزلنا طلب مني أبونا أن نذهب إلى بيته معًا، قائلاً: "هو ابني، وأنا (غلطان)! أنا مستعد أن أقبِّل قدميه".

فرحت بقلب أبينا المتسع وحبه لأولاده...

فوجئ الشاب بدخولنا فارتمى على الأرض ليقبل قدميّ أبينا، أما هو فبقوة اجتذبه واحتضنه وقبَّله، وهو يقول: "حقك عليّ... لا تتضايق فأنا مخطئ!" لم يحتمل

الشاب هذا الحب فصار يبكي!

صورة رائعة وحيّة للأب الخادم، بل وللمسيحي الحقيقي الذي لا يدافع عن كرامته الشخصية، ولا يحمل كراهية أو حقدًا بل كل حب بروح الاتضاع المملوء حكمة!

من العبارات التي لم يكن يُحبها المتنيح القمص بيشوي كامل هي "كرامة الكهنوت"، حاسبًا أن كرامة الكاهن هي في سباقه في غسل أقدام الخطاة بحب فائق. وكان يحسب نفسه غير أهلٍ أن يخدم السيد المسيح في أولاده.

* * *

هب لي يا رب أن أراك في حياة كل خاطي،

أراك تشتاق أن تغسل قدميه بفرح.

تُقدم له دمك الثمين لغسل أعماقه،

هب لي أن أُقدم حياتي مبذولة من أجل كل نفس!

هب لي كرامة خدمتك... غسل أقدام الخطاة!

اغلق المُسجل (الريكوردر)

بسيامة أبينا بيشوي انجذب الكثيرون إلى السيد المسيح، وانفتحت القلوب للكنيسة وللكهنة، لأنهم رأوا فيه صاحب القلب المتسع حبًا! قلبه متسع بالحب للجميع! روى لي أحد الأحباء في لوس أنجيلوس القصة التالية:

عندما جاء أبونا بيشوي إلى لوس أنجيلوس عام ١٩٦٩ للخدمة، زارني في بيتي.

قلت له: "أتحب أن تسمع عظة جميلة وجذابة؟!"

فأجاب بالإيجاب.

وإذ بدأ يسمع العظة المسجلة لأحد الآباء المشهورين سمع أبونا بيشوي الكاهن الواعظ يقول:

"أنا تكلمت مع (فلان)، أي مع شخص له تقديره العظيم..."

لم يحتمل أن يسمع أبونا بقية العظة،

قال لي: "اغلق المُسجل recorder".

دُهشت لماذا قال هذا، فسألته: "لماذا لا تريد أن تسمع؟"

شعرت أن أبانا حزين لأن هذا الخادم (الواعظ) يفتخر بأنه يخدم إنسانًا له مركزه المرموق، فإن الله يطلب كل نفسٍ بغض النظر عن جنسه أو مركزه أو مواهبه، إذ قال لي أبونا بيشوي:

"الخادم الذي يفتخر بأنه يتحدث مع شخصٍ عظيم له رتبته عن المسيح لا يصلح لملكوت الله...

هل مات المسيح عن العظماء دون الفقراء؟

هل نَفْس هذا العظيم أثمن من نفس خادم أو خادمة في بيت؟"

✻ ✻ ✻

لعل أجمل ما في حياته حبه للكل واشتياقه لخلاص كل نفس، أيا كانت، دون تمييز بين شاب وطفل، رجل وامرأة، غني وفقير، عظيم ومُحتقر، متعلم وأمي.

※ ※ ※

متى أراك مُخلصًا لكل نفس،

فأشتهي أن أرى العالم كله متمتعًا بك!

متى أموت ليحيا أخي،

وأتألم ليستريح الكل،

وافتقر ليغتني الجميع.

هب لي كرامة البلوغ إلى الصف الأخير،

حيث أجدك هناك آخر الكل.

تبسط يديك لتحتضن كل من هم أمامك!

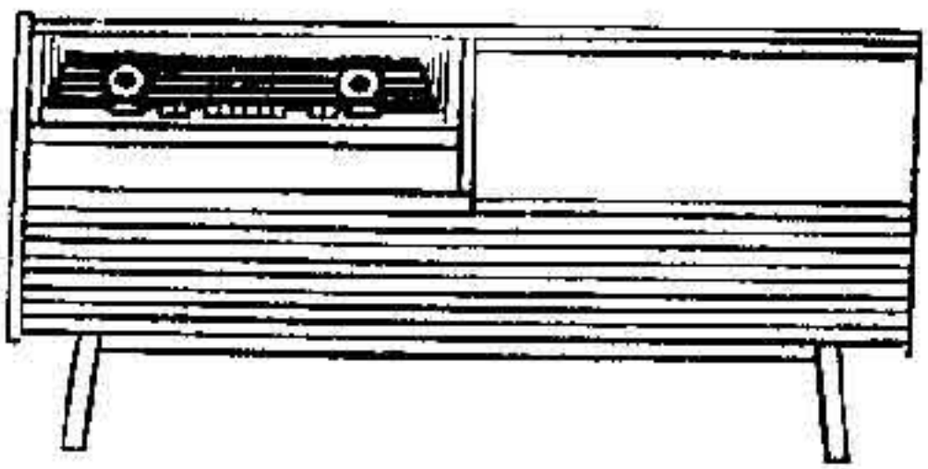

صاحب نفس كبيرة

سرّ قوة شخصية أبينا بيشوي لا تقوم على مواهبه المتعددة، وإنما على اتساع قلبه بالحب! ما أجمل العبارة التي افتتح بها قداسة البابا شنودة الثالث حديثه عنه قائلاً إنه "صاحب نفس كبيرة"! نفسه عظيمة في اتساعها، أبوابها دائمًا مفتوحة للجميع!

أتريد أيها الشاب أن تتمم بشخصية قوية، اعرف طريق الحب العملي الحكيم! كل تصرف يصدر عن أبينا كان بهدف جاد، حتى بشاشته وابتسامته.

أعرفه وهو شاب كأمين التربية الكنسية في كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك، حين كنا نجتمع معًا لتهنئة خادم أو شاب لنجاحه أو عودته من سفر الخ. يحول الجلسة إلى اجتماع روحي بطريقة هادئة وبروح المرح اللطيف.

في حبه الحكيم تشتاق أن تجلس معه لتروى له همومك، لكنه لا يضع أنفه في حياة الناس. إنه كما قال السيد المسيح كالملح الذي يعطي للطعام نكهة عذبة دون أن يحول الطعام إلى الملوحة! يُحب ويُعطي، ويُجيب ويسمع، لكنه بحكمة يعرف مدى تدخله في حياة الآخرين.

في عام ١٩٥٧ إذ كنت أقضي فترة خلوة في أحد الأديرة البعيدة سألني راهب: "هل تعرف سامي كامل؟" أجبته بالإيجاب. فقال لي: "إني أشبّهه بنسمة ريح هادئة تعبر على الإنسان فيشعر بسلام داخلي وبهجة ويعبر دون أن تدري!" تراه فتحبه، تشتاق أن تتحدث معه لكنه لا يقحم نفسه في حياة الآخرين!

✠ ✠ ✠

الحب الحازم

عُرف أبونا بيشوي بحبه الحازم؛ لم يكن يجامل على حساب الحق، ولا يُداهن لأجل الوجوه، ولا يهادن لعلة أو أخرى... كان يحب الخطاة ويترفق بهم كسيده، لكنه يرفض الدنس في الكنيسة بكل قوة وجرأة، خاصة إن كان الأمر يمس خادمًا أو قائدًا دينيًا أو يمس قدسية بيت الله.

كان في حبه يفتح صدره للكل، لكن ليس على حساب العقيدة المستقيمة أو الحق. وله في هذا مواقف كثيرة يصعب عرضها، أُذكر منها:

أثناء خدمتي بلوس أنجيلوس كتب إليّ رسالة جاء فيها أن قداسة البابا شنودة يتصدى بمفرده لانحراف عقيدي يتسلل إلى الكنيسة خلال الكاهن (فلان) وكان يلزم أن يقف كل الكهنة والخدام معه بكل قوة!

في أيامه الأخيرة إذ لم يكن قادرًا على مغادرة الفراش طلب مني أن التقي بقداسة البابا لأخبره عن "فساد" ما لكي يتصرف بحكمته المعهودة، إذ كان يشعر أن صمته عن هذا الفساد وهو على فراش الموت يجلب غضب الله على الكنيسة!

إذ سافرت للخدمة في لوس أنجيلوس التي أسسها أبونا بيشوي قال لي: "إنني لأول مرة في حياتي اضطررت أن أحرم شخصين، لكنني لا أريد العودة إلى مصر قبل إعطائهما الحلّ". أما سبب الحرمان فهو أنه بعد شرائه الكنيسة طلبا منه، وهما شخصان لهما شهرتهما، أن يهتم بالصلاة والاجتماعات الروحية ويترك لهما صالة الكنيسة ليمارسا مع غيرهما أنشطة ترفيهية يُسمح فيها بالخمر والرقص.. هنا وقف أبونا يتصدى للموقف بكل حزم!

مع حرمانهما ذهبنا معًا لزيارتهما، وإذ استقر الأمر بين كل الشعب على احترام قدسية الكنيسة أعلن عن إعطائهما الحلّ قبل مغادرته لوس أنجيلوس! والعجيب في

الأمر أنه مع حرمانه لهما كان يقول لي قبل أن أتعرف عليهما إنهما شخصان لهما مواهبهما، وأنهما حسنا النية، ومخلصين، وإن طلبهما هذا وإصرارهما عليه كان من واقع اختلاف فكرهما عن التيار الروحي... وأنه قد تصدى لتصرفاتهما، لكنه لا يريد أن تخسرهما الكنيسة. فهو يحزم لكنه أيضًا يلاطف ويحب في غير تهاون بقدسية الحياة الكنسية.

✠ ✠ ✠

✠ فإني أنا كأني غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأني حاضر في الذي فعل هذا هكذا.

باسم ربنا يسوع المسيح... أن يُسلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع...

ألستم تعلمون أن خميرة صغيرة تخمر العجين كله؟!

إذًا نقوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجينًا جديدًا كما أنتم فطير...

١ كورنثوس ٥

✠ ليس هي فضيلة (التهاون مع الخطاة غير التائبين) بل هو ضعف؛ إنها ليست محبة أو وداعة بل هي قساوة على تلك النفوس التي يُغفل عنها فتهلك دون أن تتيقظ لخرابها!

القديس أغسطينوس

✠ من يرعى الخراف لا ينبغي أن يكون أسدًا ولا نمجة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

✠ أدّب بخوف الله ولا تشفق، ولا تأخذ بوجه كبير أو صغير، بل اقطع بكلام الحق باستقامة.

القديس أنبا أنطونيوس

✠ التوبيخ يجب أن تسبقه الرحمة لا الغضب.

القديس أغسطينوس

✞ لا يليق بالأطباء أن يسخطوا على المرضى، بل يجب عليهم أن يضادوا الأمراض ليشفوا المرضى.

القديس باسيليوس الكبير

✞ هكذا إذا لم يُبعد الإنسان المخالف عن كنيسة الله، فإنكم تُصيّرون بيت الله مغارة لصوص...

✞ ارع القطيع لا بضجر ولا بهزء، كأن لك سلطان عليهم، بل كراع تجمع الخراف إلى حضنك، وتقوّى الحبالى.

الدسقولية (باب ٤).

علمني أيها الحب كيف أحب!

✞ هب لي أيها الحب الحقيقي روحك القدوس، الناري،

فيلتهب قلبي بنار حبك،

تشرق نفسي بك على الجميع،

فأرى في الكل خليقتك المحبوبة!

✞ علمني أيها الحب كيف أحب!

لقد ترفقت بالخطاة والعشارين، غفرت للزانية خطاياها،

ودخلت بيت العشار، وفتحت فردوسك للص اليمين.

بحبك لم تجرح مشاعر خاطئ جريح!

بل كنت دومًا تسند وتضمد!

بحبك طردت باعة الحمام والصيارفة،

لا ليبقوا دومًا خارج الهيكل،

وإنما ليتأهلوا بالتوبة للتمتع بمقدسك!

وبحبك وبّخت الكتبة والفريسيين المُرائين،

مشتاقًا أن يدخلوا بروح الاتضاع إلى أحضانك!

✞ عجيب أنت في حبك، فقد قال عنك بيلاطس بنطس:

"تشتاق أن تنظر إليه، لكنك لا تقدر أن تتفرس فيه!"

تجتنب الأطفال الصغار، ويأتيك الخطاة تائبين،
ويهابك الفريسيون الأشرار، ويخشون لقاءك!
✠ لتسكن أيها الحب في قلبي،
فأمارس الحب الحق بلا مداهنة،
ولأحيا حازمًا شجاعًا بروح الوداعة!

✠ ✠ ✠

قصص قصيرة

مع قصة

لمن هذا الكرسي؟

١٣١ — ١٤٣

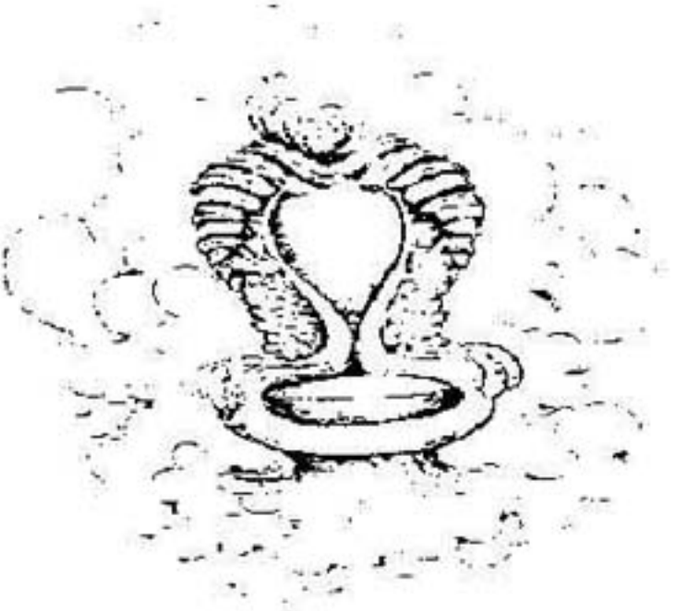

عزيزي المبارك

أقدم لك في هذا الكتيب مجموعة من القصص الصغيرة التي تساندنا في مفهومنا للعبور من هذا العالم والتمتع بالحياة الفردوسية إلى يوم الرب العظيم حيث ننعم بالإكليل السماوي الأبدي.

هذه القصص هي مجموعة منتقاة من واقع الخبرة اليومية، بعضها مقتبس من الكتب التالية بتصرف مع تعليق.

* Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, Baker Book House, Michigan, 1992.
* Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes for Sermons, Baker Book House, Michigan, 1967.
* Donald G. Barnhouse: Let Me Illustrate Fleming H. Revell, 1967.

ماذا يخيفني؟ الموت!
لا، لأنه ليس بمرعب لي،
به نصل إلى الميناء الأمين.
القديس يوحنا الذهبي الفم

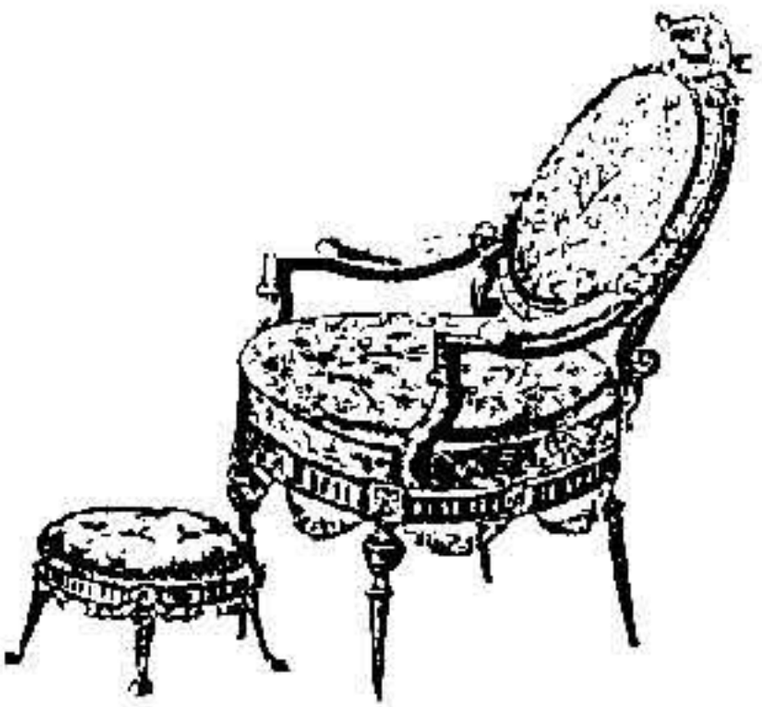

ظل الموت

وقف الأب مع طفليه عند باب بيته ينتظر أحد أحبائه قادمًا بعربته ليأخذهم إلى الكنيسة لحضور صلاة جناز الزوجة. لم يعرف الأب بماذا ينطق مع طفليه اللذين فقدا والدتهما الصغيرة ليعزيهما في وفاتها.

بينما كان في حيرة إذ "بلدوزر" يعبر بهما، وكان ضخمًا اهتز لحركته المنزل، وإذ كانت الشمس مشرقة ألقى البلدوزر بظله على الرجل وطفليه.

قال الرجل لطفليه: "هل رأيتما البلدوزر؟"

أجاب الابن الأكبر: "نعم رأيناه، وقد ألقى بظله علينا. إنه مزعج جدًا، أحسست كل الأرض تهتز تحتي من حركته".

قال الأب: "حقًا إن صوته مرعب. ماذا يحدث لو عبر على إنسان؟"

أجاب الطفل الأصغر: "إنه يهلكه تمامًا".

قال الأب: "وماذا حدث عندما عبر بنا ظله؟"

أجاب الطفل الأكبر: "لاشيء يا أبي!"

عندئذ قال الأب:

"هكذا هو الموت، صوته مزعج، وحركته مرعبة، سقط تحته كل البشر... فحطم بيوتًا وأجيالاً.

لكن نشكر الله فقد قاد السيد المسيح، محب البشر، بلدوزر الموت بنفسه.

مات ككل البشر، لكن لم يكن ممكنًا للموت أن يحطمه. قاد البلدوزر بنفسه حتى لا يسير علينا، بل يترك مجرد ظل الموت يعبر علينا... فلا نخافه!

لهذا يقول المرنم: "إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرًا لأنك أنت معي" (مز ٢٣: ٤)، ولم يقل "وادي الموت!"

قال الطفل الأصغر: "لكن ماما ماتت يا أبي... ألم يحطمها الموت؟"

أجاب الأب: "لن يستطيع أن يحطمها، إنها عبرت خلال ظله إلى يسوعنا الحيّ لتعيش معه في الفردوس! هناك تلتقي مع المؤمنين الذين عبروا... الكل متهلل بالحياة الجديدة".

✞ ✞ ✞

✞ أشكرك يا مخلصي الصالح،
لأنك لم تأتمن ملاكًا ولا رئيس ملائكة،
ولا ساروفًا ولا شاروبًا،
ولا نبيًا أو بارًا أن يقود بلدوزر الموت.
بل نزلت إلى عالمنا،
وقُدت بلدوزر الموت بنفسك.
لن يعبر بي بعد، بل ظله،
لأنه لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال!

✞ نعم، أين سلطانك يا موت؟!
هوذا حبيب نفسي يقودك،
ظن تمس نفسي،
وحتى جسدي لن تنال منه شيئًا!
يجد جسدي في ظلك راحة مؤقتة،
حتى ينال كمال راحته عندما يتمجد،
يصير شريكًا للسيد المسيح في جسده الممجد!

✞ مرحبًا بك يا ظل الموت،
بك أعبر إلى من تحبه نفسي.

✞ ✞ ✞

أقبّل ثيابها!

أثناء خدمتي في كنيسة السيدة العذراء بكليوباترة الحمامات في سنة ١٩٨١، إذ كنت أفتقد أسرة، وتحدثنا معًا عن إنجيل مسيحنا المفرح، قال لي شيخ يبلغ أكثر من ٧٠ عامًا: "هل يمكن أن أعترف؟"

إذ دخلنا حجرة وحدنا، بدأت دموعه تتسلل من عينه، وهو يقول:

"أنا من القاهرة جئت إلى الإسكندرية في الصيف ولم استطع أن اعترف.

زوجتي تنيحت منذ ٢٧ عامًا.

لم أذكر طوال هذه المدة أنها نطقت بكلمة تجرح مشاعري، ولا نطقت أنا بكلمة تجرح مشاعرها.

عشنا في جوٍ مفرحٍ مملوء محبة صادقة!

في كل مرة كنت أنزل إلى عملي كانت ترسم عليَّ علامة الصليب وهي تقول: إلهنا الصالح يحفظك ويردك سالمًا ومملوء فرحًا.

وكلما خرجت إلى السوق لتشتري شيئًا كنت أصنع معها نفس الأمر.

عشنا كما في فردوسٍ مفرحٍ، يملأ الله حياتنا سلامًا داخليًا.

لقد تنيحت...

تركتُ ثيابها التي علقتها في الدولاب... كلما خرجت من المنزل أقبّل ثيابها.

إنها سرّ بركة حياتي.

إنها لم تفارقني بل تصلي لأجلي.

إني انتظر رحيلي، فأعيش معها في لقاء مع عريس نفوسنا يسوع".

هكذا كان الشيخ يشعر أن عشرات السنوات التي عاشها مع زوجته في المسيح يسوع كانت عربونًا لحياة أعظم!

إننا نخاف الموت لأننا لم نختبر بعد الحياة الفردوسية، أما الذي يختبرها في أعماقه الداخلية كما في سلوكه الأسري ومع أحبائه وزملائه، فيرى في الموت عبورًا إلى كمال الحياة الفردوسية.

✞ ✞ ✞

✞ هب لي خبرة الحياة الفردوسية،

أتذوقها خلال الحب في عالم ساده الظلم،

فلا أخاف الموت.

أحب خلاص نفسي،

أحب أسرتي وأحبائي وجيراني وزملائي،

أحب أيضًا مقاوميّ ومضايقيّ.

✞ أعبر بي من موت البغضة إلى فردوس الحب.

أشتهي العبور إلى فردوسك.

أراك وجهًا لوجه يا شهوة نفسي!

لو أن (زوجك الشاب) قد هلك كلية أو انتهى أمره تمامًا، لكان ذلك كارثة عظمى، وكان الأمر محزنًا، لكن كل ما في الأمر انه أبحر إلى ميناء هادىء، وقام برحلة إلى الله الذي هو بحق ملكه، لذا يلزمنا ألا ننوح بل نفرح!

هذا الموت ليس موتًا، لكنه نوع من الهجرة، وانتقال من سيء إلى حالٍ أفضل، من الأرض إلى السماء، ومن وسط البشر إلى الملائكة ورؤساء الملائكة، بل ليكون مع الله رب الملائكة ورؤساء الملائكة...

ربما تشتاقين إلى سماع صوت زوجك والتمتع بحبه... حسنًا إن الحب الذى كان يمن به عليك يمكنك أن تحتفظي به معك كما كان قبلاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم إلى أرملة شابة

قصة قصيرة ١٣٣

أين عظام الإمبراطور فيليب؟

ارتبط الإسكندر الأكبر بصداقةٍ حميمةٍ مع الفيلسوف الشهير ديوجنيس *Diogenes*. وإذ كانا يسيران معًا يومًا ما، استأذن الفيلسوف من الإمبراطور لكي يدخل بين المدافن، فسأله الإمبراطور إن كان يدخل هو أيضًا معه.

دخل الاثنان، وفجأة جلس الفيلسوف بين كومة من العظام يتطلع إلى كل عظمة باهتمامٍ شديدٍ كمن يبحث عن شيء... وإذ طال الوقت سأله الإمبراطور: "عما تبحث؟" أجابه الفيلسوف: "أبحث بين العظام، لعلي أميز عظام المرحوم والدك، الإمبراطور فيليب، عن عظام العبيد، ويبدو أنني لا أستطيع ذلك".

هزّ الإسكندر رأسه قائلاً: "حقًا إننا جميعًا نتساوى في الموت".

✞ ✞ ✞

✞ هب لي يا رب ألا اهتم بدفن جسدي، ولا مصير عظامي.

هب لي أن اهتم بتقديس جسدي مع نفسي،

فيشارك الجسد النفس الأمجاد الأبدية.

ويحيا كلاهما معك في السماء!

✞ جسدي يئن في داخلي،

متى أخلع الفساد لأحمل عدم الفساد؟!

متى انسلخ عن الهوان لأنعم بالمجد؟!

متى يتحطم موتي لأحيا إلى الأبد!

✞ ✞ ✞

✞ إن كنا نريد ألا نهاب الموت، فلنقف حيث يوجد المسيح، حتى يقول عنا: "حقًا أقول لكم إن من القيام ههنا قوم لا يذوقون الموت" لو ٩:٢٧.

الذين بلغوا حقيقةً إلى الشركة مع المسيح لن يعرفوا الموت.

إنهم يذوقون موت الجسد بلا شك، ويتعرضون له، لكن تبقى حياة الروح.

✞ ينبغي علينا ألا نصم آذاننا، بل أن نفتحها، حتى نسمع صوت يسوع. فمن يسمع هذا الصوت لن يخشى الموت.

القديس أمبروسيوس

يد فارغة!

إذ بلغ الإسكندر الأكبر الرابعة والثلاثين من عمره، كان قد استولى على أغلب العالم المعروف في زمانه. وإذ دنا من لحظات الموت بالكاد رفع عينيه ليتحدث معهم:

"لقد قاربت أيامي أن تنتهي، ولي وصية واحدة... أرجو أن تحققوها لي".

صمت الكل في حزن شديد، أما هو فأكمل حديثه قائلاً:

"أرجو أن تبسطوا يديّ خارج الصندوق عند موتي لكي يعلم العالم كله أن الإسكندر لم يأخذ شيئًا معه، خرج من العالم فارغ اليدين".

✞ ✞ ✞

عرياناً خرجت من بطن أمي، وعرياناً أعود!

سأمضي يومًا وليس لي ما أحمله معي.

هب لي أن تكون أنت كنزي،

أنت رصيدي في السماء!

أقتنيك يا مخلصي فأبقى معك في سمواتك.

لتكن أعماقي كلها تصيبك هنا،

فتكون أنت نصيبي الأبدي.

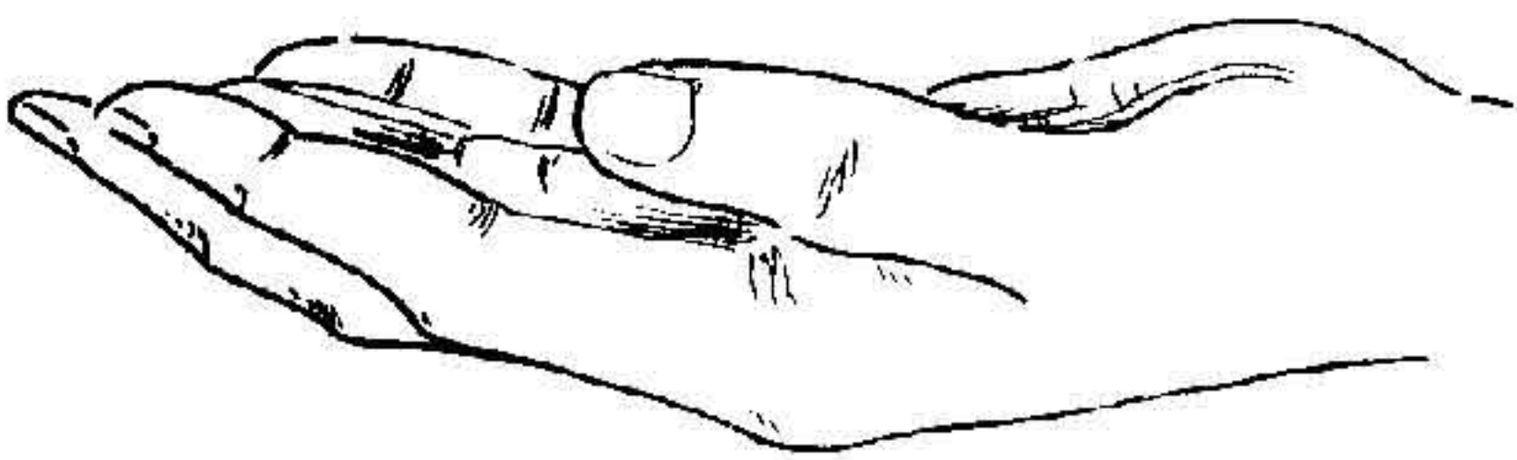

الأب المفقود

سألت الطفلة الصغيرة تريز والدتها:

- أين ذهب والدي؟

- عند بابا يسوع؟

- هل سيعود إلينا؟

- لا، بل نحن نذهب إليه عندما يطلبنا ربنا يسوع.

وإذ مرَّ يومان كانت الأم تتحدث مع صديقة لها، وكانت تقول لها: "إني حزينة جدًا لأني فقدت زوجي".

سمعتها الطفلة الصغيرة، وتذكرت ما قالته لها والدتها. فقالت الطفلة لوالدتها:

"إذا ضاع شيء، ثم عرفتِ مكانه، فهل تحسبينه ضائعًا؟"

أجابت الأم: "لا يا تريز!".

عندئذ قالت الطفلة: "لقد قلتي لي إن والدي قد ذهب إلى بابا يسوع، فكيف تقولين الآن أنك فقدتيه، كأنه قد ضاع منك؟!

✠ ✠ ✠

تذكرني هذه القصة بما صنعه القديس يوحنا الذهبي الفم حينما ذهب إلى الكنيسة ليصلي في مناسبة جنازة، فرأى كثيرين يبكون، عندئذ قال لهم:

"إني أعجب مما أراه... هل إيماننا مجرد كلام؟

إننا نشتهي السماء، وعندما يذهب أقاربنا إلى السماء تبكون وتحزنون!"

✠ ✠ ✠

هب لي يا رب أن أتيقن من وجودك.

أرى يديك مبسوطتين تنتظراني،

إليك أجرى فرحًا متهللاً.

مع كل نفس تنتقل إليك يلتهب قلبي حنينًا نحوك.

أقول لها: الله الذي أعانك يعينني!

يتحدث القديس كبريانوس مع الشعب بسبب ما حلّ من وباء قاتل، قائلاً:

[هوذا السموات قد أُعدت لتحتل محل الأرضيات!

الأمور العظيمة بدلاً من التفاهات! الأبديات عوض الفانيات!

فما الداعي إذًا للقلق والجزع؟!

إن كنت بارًا فبالإيمان تحيا،... تفرح متى تخلصت من الشيطان، واقتربت لتكون مع المسيح في الفردوس...! بالموت تبلغ ميناء وطننا (السماوي)، الراحة الأبدية، وبه ننال الخلود.]

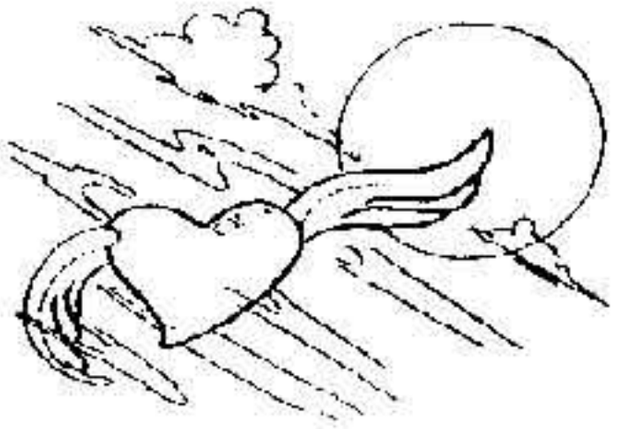

قصة قصيرة ١٣٦

لأن اللّه أخذه!

جلست الأم مع طفلتها الصغيرة نانسي لتقرأ لها جزءًا من الكتاب المقدس، فقرأت العبارتين التاليتين:

"فكانت كل أيام أخنوخ ثلاثمائة وخمسًا وستين سنة،

وسار أخنوخ مع اللّه ولم يوجد، لأن اللّه أخذه" تك٥:٢٢،٢٤.

وكانت من عادة الأم أن تعطي الفرصة لطفلتها الصغيرة أن تعبّر عما سمعته بأسلوبها البسيط.

قالت الطفلة:

"ماما...

لقد عاش أخنوخ مع اللّه،

وكان اللّه يسير معه ويتحدث معه.

كانا صديقين حميمين،

كل منهما يكشف للآخر أسراره.

عبر يوم وأيام ثم أسابيع فشهور وسنة وهما يتحدثان معًا.

عبرت سنة ثم سنة... واستمرا صديقين لمدة ٣٦٥ سنة.

وفي أحد الأيام إذ كان يسير أخنوخ مع اللّه ويتحدث معه، قال أخنوخ للّه:

"إلهي العزيز... لقد صار الوقت متأخرًا هلم معي إلى بيتي نجلس معًا".

قال اللّه لأخنوخ:

لماذا يا أخنوخ...؟

لقد سرنا معًا، وكنا نتحدث طوال الـ ٣٦٥ عامًا، وها نحن أقرب إلى بيتي من بيتك.

لماذا لا تأتي اليوم عندي؟

هلم معي إلى بيتي،

فإن ملائكتي وكل خدامي السمائيين مشتاقون أن يروك يا صديقي العزيز".

وافقه أخنوخ، وذهب مع الله، فلم يوجد بعد هنا على الأرض، لأن الله أخذه".

✝ ✝ ✝

طالت غربتي عنك يا صديقي المحبوب.

متى تدعوني إلى بيتك السماوي؟!

مشتاق أن استريح في أحضانك!

التقي بخدامك السمائيين،

وأوجد معك في سمواتك، لا في هذا العالم.

نعم هب لي أن أسير معك،

أتحدث معك حديث الحب الحق،

أتحدث معك في سموات إلى الأبد.

✝ بالتأكيد يخاف من الموت ذاك الذي لم يولد من الماء والروح، حيث يُسلم لنيران جهنم.

يخاف من الموت من لم يختبر صليب المسيح وآلامه.

يخاف من الموت من ينتظر بعد الموت موتًا آخر.

✝ لماذا نصلي طالبين: "ليأتِ ملكوتك" مادام أسر هذا العالم يبهجنا؟!

✝ الذي يبلغ عرش المسيح ومجد ملكوت السماء، ما يليق به أن يبكي وينتحب، بل يفرح برحيله وتحوله (من العالم) حسب وعد المسيح وإيمانه بالحق.

القديس كبريانوس

اقلب صفحة الكتاب المقدس

في الستينات إذ كانت حالات المرض بالسرطان قليلة جدًا، ربما لأنه لم تكن معروفة، زرت في معهد البحوث الطبية مريضًا يعاني من سرطان في الدم، وكان في حالة متأخرة جدًا.

كان المريض قد ناهز السبعين من عمره، قلت له: "ما رأيك في السبعين عامًا التي قضيتها في العالم"؟

أجاب المريض: "اقلب صفحة الكتاب المقدس المفتوحة أمامك". وإذ قلبتها قال لي: "كم من الوقت استغرق هذا العمل". أجبته "ثانية أو بضع ثوانٍ". عندئذ قال المريض:

"لقد مرت بي السبعين سنة وانتهت، كما قلبت أنت صفحة الكتاب المقدس المفتوحة أمامك.

كم من أحزانٍ عبرت بي وأيضًا أفراح.

كم من فرصٍ للنجاح وأيضًا للفشل.

كم رجوت ونلت،

وكم رجوت أمورًا لم تتحقق.

أحببت وخدمت،

مرت بي أفكار إدانة وكراهية...

أمور كثيرة عبرت كما في لمح البصر... ها هي حياتي تنتهي وكأنها لحظة عابرة".

✠ ✠ ✠

إنما كخيال يتمشى الإنسان،
حياتي عابرة، لكنها لا تنتهي.
أعيش إلى لحظات ههنا،
لكنني أبقى معك إلى الأبد يا سرّ خلودي!

- يجب علينا ألا نخاف هذا الموت، بل نخاف هلاك النفس الذي هو عدم معرفة الله. هذا هو ما يرعب النفس بحق!

القديس أنبا أنطونيوس

- هذا هو رجائي وشوقي إلى الرب: أن أكون في تلك الساعة بلا معين من الناس... ليس من يغمض عيني غير الله. بل أكون ملقى على وجهي بالتأمل فيه. هذا أحب إليّ من كل شيء!

القديس يوحنا سابا

بطانية كهرباء!

لاحظت الأم أن ابنتها الوحيدة ماجي تعاني من البرد في حجرتها أثناء الشتاء، فاشترت لها "بطانية كهربائية".

كانت ماجي تحب الدفء جدًا، فكانت تستخدم "البطانية الكهربائية" في أقصى درجاتها. لاحظت الأم أن ابنتها تتأخر جدًا في القيام، إذ لا تستطيع مقاومة النوم في هذا الجو من الدفء الشديد. لم ترد الأم أن تحرم ابنتها من الدفء، لكنها لا تريدها تتعلم الكسل وكثرة النوم. لذلك صارت تستيقظ مبكرًا، وتطفئ البطانية قبل أن تَوقظ ابنتها بحوالي نصف ساعة. وإذ تشعر ماجي بالبرد لا تجد راحتها في السرير.

هذا ما يفعله الله محب البشر بنا. إذ يجدنا قد استسلمنا لسرير الراحة في هذا العالم، ونريد دفئه... يسمح بالآلام والأتعاب، فنشتاق أن نترك سرير هذا العالم ونقوم معه، لنوجد معه في السماء.

✠ ✠ ✠

لتوقظني أيها المدرب الإلهي.

لتنزع عن سريري كل دفء حتى أقوم،

فقد استسلمت للنوم زمانًا طويلاً.

أيقظني ولو بالآلام، عِدّ نفسي للسماء، وهيئها للقيام.

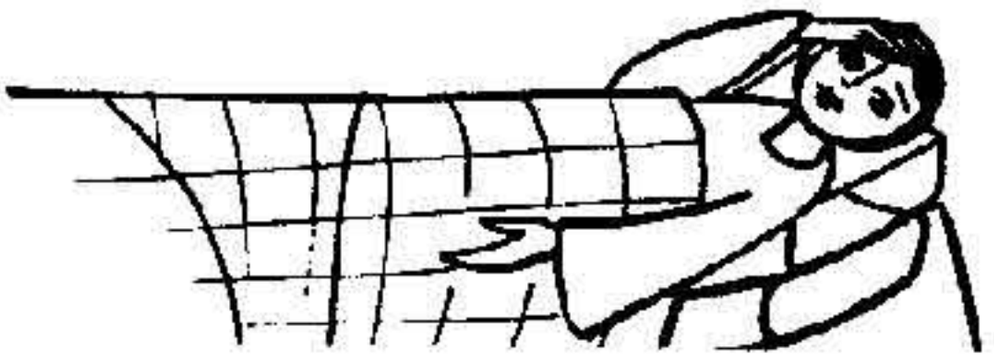

سؤال محيِّر:

ماذا بعد الموت؟

في لوس أنجيلوس، في عام ١٩٧١ ركب شاب قبطي بسيط مع رجل أمريكي، وكان الوقت بعد منتصف الليل، وقد دار بينهما الحديث التالي:

- أين أنت ذاهب؟
- إلى الكنيسة القبطية في شارع روبرتسون *Robertson Ave*.
- هل أنت مجنون؟ أتُقام صلوات في مثل هذا الوقت؟
- إنها ليلة سبت الفرح التي تسبق عيد القيامة.
- قل الحق... هل أنت ذاهب إلى حانة؟
- لا، بل إلى الكنيسة.

بعد فترة صمت طويلة، سأل القبطي الأمريكي: "ما هي ديانتك؟" فسخر به الأمريكي، منطلقًا إليه كشاب متخلف... ثم عاد الصمت قليلاً، بعدها سأل القبطي: "لو أنك بعد الموت وجدت الله، فماذا تفعل؟" هنا صمت الأمريكي حتى بلغ إلى الكنيسة، حيث سأل الأمريكي إن كان يمكن أن يدخل معه إلى هذه الكنيسة الساهرة.

بالفعل رأيناهما داخلين، وقد دهش الأمريكي حين وجد شعبًا كثيرًا يتعبد لله في تلك الساعة؛ وبدأ يبكي، طالبًا من القبطي أن يفتقده ليحدثه عن الله.

الإنسان الأمين مع نفسه ولن ألحد عندما يواجه حقيقة الموت يقول في نفسه

مرارًا: "ماذا أفعل إن التقيت مع الله؟" لهذا السبب تحاشى الشيوعيون الملحدون في كتبهم الحديث عن الموت إلى حد كبير. وقيل إن لينين كتب رسالة لصديق له بعد وفاة ابنه بعشرين عامًا يكشف فيها عن فقدانه السلام، ويحسب كأن ابنه قد مات حديثًا. لم يكن للزمن أن يهيء تعزية في موت ابنه!

وُجدت قطعة شعرية كتبها جندي ملحد آمن ليلة استشهاده في الميدان، سجلها كوستي بندلي في كتابه: "السبل إلى الله".

"اسمع يا إلهي، إنني لم أكلمك قط قبل الآن...

لقد قيل لي أنك غير موجود.

وأنا عندئذ كأبله صدقت ذلك.

في الليلة الماضية، من حفرة القنبلة التي كنت فيها،

كنت أرى سماءك.

لذلك تحققت جيدًا أنهم كذبوا عليَّ...

إنني أحبك كثيرًا، وأريد أن تعرف ذلك.

انظر، سوف تحدث معركة هائلة.

ومن يدري؟ يمكن أن أوافيك في هذه الليلة...

أمر غريب! منذ أن تعرفت إليك لم أعد أخاف الموت".

✞ الذين يعيشون في الملذات يهابون الموت، أما الحزانى فيترجونه لكي يرحلوا سريعًا.

الأب أفراهات

سيارة مسرعة

ركب باخوم مع صديقه جون في سيارته، وإذ كان باخوم مُحبًا للصلاة، رفع قلبه إلى الله مُخلصه، مُشتاقًا أن يقود الله بنفسه رحلة حياته على الأرض كرحلة نحو السماء.

في الطريق السريع، بدأ جون سيره بسرعة حوالي ٧٠كم، فكان باخوم يُصلي لصديقه الذي في محبته أخذه معه في سيارته. كان يُردد في قلبه الصلاة السرّية، متطلعًا نحو صديقه المُحب، وهو يقول: "**الرب يرعاك ويهتم بك**".

بعد دقائق زادت سرعة السيارة إلى حوالي ١٠٠كم، فصار باخوم يطلب من الله أن يحفظه من مخاطر الطريق، قائلاً في قلبه: "**احفظني يا رب فبك عليك توكلت**".

زادت السرعة إلى حوالي ١٢٠كم، فصارت صلاته أشبه بهمسات: "**إليك اقترب يا إلهي!**"

زادت بالأكثر حتى بلغت ١٣٥كم، فارتفع صوت باخوم: "**إليك اقترب يا إلهي... نعم إني اقترب إليك جدًا**".

وإذ بلغت السرعة ١٥٠كم، ارتفع صوت صلاته صارخًا: "**نعم لم يعُد هذا العالم يمسكني!**"

ارتفعت السرعة إلى ١٦٠كم، فصرخ بالأكثر: "**إلهي... ها أنا قادم إليك!**"

زادت السرعة أكثر من ١٦٠كم، فزاد صراخه: "**نعم هب لحياتي ذكريات مقدسة!**"

✞ ✞ ✞

هكذا كلما سارت نفسي في طريق الله المَلوكي ترتفع مسرعات القلب الداخلية، لا تطلب مجرد حفظي في هذا العالم، بل اقترابي إلى الله أكثر فأكثر... أشعر بتغربي عن هذا العالم الحاضر لألتقي مع مخلصي كما بالوجه، راجيًا أن تتحول حياتي إلى ذكريات مقدسة، أو شهادة حيّة لعمل الله فيّ!

✠ ✠ ✠

لتَقُدْ يا مخلصي سيارة حياتي!

نعم، لتَسرع بها فاقترب إليك.

أدرك غربتي عن العالم،

وأصرخ:

ها أنا قادم إليك!

اشتهي أن أراك يا مجدي!

✠ ✠ ✠

هي ابنتك لا ابنتي!

إذ اشتد المرض بالابنة أوستاخيوم، ركعت الأم التقية باولا Paula وبتسليم كامل بين يدي الله، صرخت:

"إلهي أنت وهبتني أوستاخيوم،

هي ابنتك لا ابنتي.

أنت تعلم إن كانت قد تممت رسالتها أم لا.

فإن أردت أن تأخذها عندك فلتكن إرادتك،

وإن كانت لم تتمم رسالتها، فاسمح أن تتركها، ليس لأجلي، لكن من أجل اسمك القدوس لكي تخدمك..."

وبالفعل وهبها الله الشفاء.

أما وقد اقترب الموت من القديسة باولا نفسها، يصف لنا القديس جيروم هذه اللحظات بقوله:

[أظهر تعقل باولا أن موتها قريب.

صار جسدها وأطرافها باردين جدًا، وبقي صدرها المقدس وحده يحمل ضربات النفس الحارة المستمرة.

نعم إذ كانت تترك الغرباء لتذهب إلى بيتها، إلى شعبها، صارت تهمس بعبارات المرتل:

"يارب أحببت محل بيتك، وموضع مسكن مجدك" مز ٢٦: ٨.

"ما أحلى مساكنك يا رب الجنود.

تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب" مز ٨٤: ١.

"اخترت الوقوف على العتبة في بيت إلهي على السكن في خيام الأشرار" مز

.١٠:٨٤

عندما سألتها لماذا بقيت صامتة، رفضت أن تجيب سؤالي.

سألتها إن كانت متألمة، فأجابت باليونانية إنها بلا ألم، وأن كل الأمور أمام عينيها هادئة ومطمئنة... رفعت إصبعها نحو فمها، ورشمت علامة الصليب على شفتيها. وعندئذ توقف نفسها...]

قصة معاصرة ١٤٢

أقوى من الموت!

لست أقدم لك قصة شهيد عاش في إحدى عصور الاستشهاد، يحتمل الآلام بفرح من أجل الإيمان بالمسيح، لكنني أروى لك ما قد لمسته بنفسي في أرض المهجر، بخصوص شاب واجه الموت عن قرب، في أحرج الظروف.

وإنني أعرض القصة لا من واقع اعترافات الشاب الخاصة ولا كسرّ عائلي إنما من خلال التفاصيل التي رواها الشاب نفسه فهزت قلوب غالبية الأقباط في المدينة التي عاش فيها.

الدموع المنسابة

فتح الشاب عينيه ليجد نفسه ملقيًا على إحدى أسرة المستشفى بلا حراك، تحاصره الآلام في كل جسده، يبذل أكثر من طبيب وممرضة كل جهدهم لتضميد جراحاته وإنقاذ حياته.

ماذا حدث؟ هكذا تساءل الشاب في داخل نفسه، لكنه لم يستطع أن يجد الإجابة كاملة في ذاكرته. وبعد تفكير عميق بدأ يتذكر تلك اللحظات الرهيبة والعصيبة حين تعرضت حياته للموت، وأدرك أنه لا طريق أمامه للنجاة. لم يكن أمامه وقت للتفكير إذ فقد وعيه للحال على أثر حادث سيارة، وها هو الآن داخل المستشفى لا يعلم هل له ساعات طويلة على هذا الحال أم أيام؟!

على أي الأحوال بدأ الشاب يفتح عينيه، فتفقد الأطباء والممرضات الصعداء، وحاولت بعض الممرضات إن يتحدثن معه بالإنجليزية في أي موضوع إلا أمر الحادث والإصابات، إذ أردن أن يبعثن روح الطمأنينة في قلبه، وحرصن أن يخرجن نفسه بعيدًا عن دائرة الألم، أما هو فلم يعطِ لأحاديثهن اهتمامًا، بالرغم مما أظهرن من حنو ولطف مع اهتمام شديد!

كان المصاب صامتًا تمامًا، لا يجيبهن بكلمة، ولا أبدى حتى تجاوبًا على ملامح وجهه. والأعجب من هذا أنه لم يسألهن شيئًا عن الحادث أو الإصابات التي لحقت به، كما لم يظهر شيئًا من القلق على حياته. لم يسألهن أيضًا عن زوجته وطفلتيه الصغيرتين، هذه الأسرة المتغربة عن وطنها وأهلها وعشيرتها على بعد آلاف الأميال، والتي أهملها هذا الشاب رب الأسرة ليعيش في اللهو والترف، يطلب ملذاته الخاصة مهما كان الثمن.

لقد توقفت عينا المصاب مدة ليست بقليلة، وكأنه يرى شيئًا غير ما يدور في المستشفى، أو أستغرق في تفكير عميق سحب كل طاقاته. لكنه عاد يغمض عينيه من جديد، بينما بدأت دموعه تنساب من عينيه، وقد عجزت يداه أن تمتدا لتمسحهما. امتدت يد إحدى الممرضات تمسح دموع هذا المسكين في حنو وهدوء، إذ حسبت الممرضات الواقفات حوله أنه إذ عاد إلى وعيه بدأ يشعر بألم الإصابات الخطيرة، وأنه غير قادر أن يعبر عن آلامه بالكلمات ولا حتى بالأنين، مكتفيًا أن يترك عينيه تسجلان مرارة آلامه بلغة الدموع الصامتة. ولم تدرك هؤلاء الممرضات حقيقة الأمر، فإن الشاب وقد بدأ يعود إلى وعيه لم يشعر بآلام، بل بالعكس انسحب قلبه البسيط بعيدًا جدًا عن الحادث والإصابات والآلام ليرى يد الله الحانية تربت على كتفيه، وأحسّ كأن الله غير المنظور بدأ يتجلى أمامه، يفتقده بحبه ليرده إلى أحضانه.

انفتحت بصيرة الشاب الداخلية ليرى مخلصه أمامه يهتم به ويرعاه. فبدأ يناجيه قائلاً: كان يمكن أن تنتهي حياتي فجأة على أثر هذا الحادث كما يحدث مع كثيرين. لكنك تحبني! أعطيتني فرصة جديدة لأعود إليك بالتوبة. وتكون أنت هو نصيبي".

حقًا لقد صغرت الدنيا جدًا في عينيّ المصاب، وأدرك أن كل ما بذله من جهد لملذاته الخاصة قد تبخر في لحظات! شعر كأن شهوات جسده قد خدعته والملذات قد ضحكت عليه. لكن هوذا السماء تنفتح الآن أمام عينيه ليرى خطة الله واضحة لأجل خلاصه. شعر كأن الله قد ترك كل شئ ليهتم بخلاصه هذا الذي يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون".

انفتحت أبواب الأبدية أمامه، فنسي آلام جسده، بل تحولت تجربته إلى ألم التوبة الذي يثمر سلامًا وفرحًا، لتطلق قلبه إلى ما فوق حدود الجسد وعبر فوق الزمن، فلم يفكر في مدى خطورة الإصابات ولا انشغل بمصير زوجته وطفليه إن رحل وتركهم في بلد غريب.

- على أي الأحوال، انسحب قلب الشاب تمامًا عن جسده المصاب، وانطلق خارج المستشفى، وسبح في أعالي السموات، يعلن توبته الممتزجة بالشكر والتسبيح لله... مع أن لسانه كان صامتًا!

انتهت الفترة الحرجة وزال الخطر، وقد ساهم سلامه الداخلي في سرعة تضميد جراحاته، وتماثل جسده للشفاء، حتى أُعطى له التصريح بالرجوع إلى منزله.

استقبلته هذه العائلة الصغيرة بفرح شديد، فقد عاد إليهم من فقدوه زمانًا بسبب الضعف البشري واختراعات العالم، أما الآن فقد وضع في قلبه ألا يعيش إلا للرب، وأن يبذل كل جهده لرعاية أسرته في الرب. عاد إليهم بجسد يحمل الكثير من الجراحات والآلام، كما يحمل روحًا حية متهللة! لقد كانت بداية حياة جديدة للعائلة كلها!

حقًا لم يكن قد شُفي الشاب من جراحاته تمامًا بل كان يتردد بين الحين والآخر على المستشفى للرعاية الطبية. هذا كله لم يفسد سلام الأسرة، ولا أفقدها فرحها بالجو الجديد الذي يعيشون فيه معًا.

صراحة طبيب

فجأة شعر الشاب بآلام مبرحة في معدته وأسرع إلى المستشفى يطلب طبيبه المعالج إذ حسبها من آثار الحادث.

في المستشفى عملت له الفحوص والتحليلات الطبية اللازمة. عندئذ أكد له الطبيب ضرورة إجراء عملية سريعة لاستئصال أورام ظهرت في معدته.

لا أدري ماذا كان رد الفعل على نفس زوجته، فكلنا يعلم كيف يخاف المصريون من الأورام، ويرتبكون جدًا لمجرد تصور وجودها. هذا ما يحدث في مصر، فماذا يكون الأمر حين يكون المصري في أرض المهجر، حيث تساوره

المخاوف. فليس من جو عائلي يعطي طمأنينة للإنسان، ولا من أصدقاء يلتفون حوله في مرضه.

أما عن الشاب فوافق على إجراء العملية دون أن يسأل عن مدى خطورتها، ولا حتى أظهر شيئًا من الارتباك. وبالفعل تحدد اليوم، وأجريت العملية بسرعة فائقة. لم تمضِ إلا وقت قليل ليجد الشاب نفسه قد عاد إلى وعيه، والطبيب أمامه يتحدث معه في صراحة كاملة، قائلاً له:

"كنا نظن أننا سنستأصل الأورام التي في معدتك، لكننا فوجئنا بالأورام منتشرة في كل بطنك، فلم نقدر أن نستأصل شيئًا.

إنني أتحدث معك في صراحة، أنه لا علاج لك هنا، ولا في أي بقعة في العالم، فقد لحق مرض السرطان بكل أحشائك. كل ما نقدمه لك هو مجموعة من الحقن من المسكنات أو المخدرات لتخفيف آلام المرض.

إنها أسابيع قليلة *couple of weeks* ، بعدها تجتاز آلام مرة لا تحتمل. ثم تدخل في غيبوبة، على أثرها تنتهي حياتك.

لهذا فإني أنصحك أن تغادر المستشفى، لكي تدبر أمور الوصية مع محاميك، حتى تطمئن على مستقبل زوجتك وطفليك قبل موتك".

هكذا كان الطبيب صريحًا جدًا، إذ أدرك بخبرته الطبية أن وقت رحيل الشاب قد اقترب، وعليه أن يواجه الواقع مهما يكن الثمن.

عاد فتحدث الطبيب مع زوجة الشاب أيضًا في صراحة كاملة، طالبًا منها ألا تعالج الأمر بالعاطفة بل بالتفكير الجاد، فإنه لم يعد هناك وقت للعواطف. لم يكن الأمر سهلاً على مثل هذه الزوجة أن تسمع هذا الخبر، لكنها أمام الظروف المحيطة بها كان لابد لها أن تتمالك نفسها ولو قليلاً حتى تدبر الأمر مع زوجها. سمح لها الطبيب أن تأخذ من المستشفى مجموعة من "الحقن" لتسكين الألم، لاستخدامها أثناء وجود زوجها في البيت كلما اشتدت به الآلام حتى يعود إلى المستشفى من جديد.

خرج الزوج هذه المرة من المستشفى قبل أن يلتئم جرح العملية، ترافقه زوجته المسكينة ترى شبح الموت يهاجم رجلها الشاب ليحطم الأسرة تمامًا!

أقوى من الموت!

في ظهيرة أحد الأيام جاءني شماس في حالة ارتباك شديد، وإذ سألته عن سبب ارتباكه أجابني في مرارة:

"لي زميل في العمل، قبطي، لا تعرفه إذ لم يدخل الكنيسة منذ سنوات طويلة من قبل مجيئك إلى هنا، ولا يوجد عنوانه بالكنيسة، إذ له ظروف خاصة، وهو يقطن بعيدًا قليلاً عن الكنيسة. أعرفه جيدًا، فهو شاب لطيف ومحب للغاية، كله مرح وحيوية. عرف بصراحته الزائدة حتى أنه لم يترك زميلاً، أيا كانت جنسيته، إلا ويروى له دقائق تصرفاته. لقد انحرف في حياة اللهو علنًا أمام زملائه، لكنه إذ أصيب بحادث سيارة كادت تنهى حياته قدم توبة صادقة. وفى أثناء علاجه بعد عودته إلى منزله أدرك الأطباء أنه مصاب بداء السرطان. حاولوا استئصال الأورام السرطانية لكنهم فوجئوا بالمرض قد تغلغل في كل بطنه، وقد صارحه الطبيب أن يدبر أمور عائلته المالية لأن أيام رحيله قد قربت... وها هو في البيت يطلبك".

روى لي الشماس هذه القصة، وإن كان في شيء أكثر من التفاصيل، والآلام تمزق نفسه في الداخل. أحسست بصدق كيف كان هذا الشماس يتكلم بحب، وكأنما المصاب أخوه شقيقه، والعائلة المسكينة من أهله المقربين إليه جدًا.

ما أن سمعت الحديث حتى ملأت المرارة نفسي تمامًا، أشعر بمسئولية الكنيسة أمام مثل هذا الإنسان، حتى وإن لم يترك عنوانه بها، فقد كان عليها أن تبحث عن كل نفس أتعبتها الخطية وسحبها العالم. تخيلت ماذا كان الموقف لو انتهت حياة هذا الشاب في الحادث؟ وممن يطلب دمه؟!

هذا من جانب، ومن جانب آخر وضعت في قلبي أن أسرع إلى هذه العائلة، لإنقاذ نفس هذا الشاب، ومساندته حتى النفس الأخير، والاهتمام بالعائلة روحيًا ونفسانيًا...

لم تمض إلا دقائق حتى كنت مع الشماس متجهين إلى بيت هذه الأسرة، لا أفكر ماذا أقول لشاب غريب يواجه الموت وعائلة متغربة تنتظر رحيل عائلها، إنما كنت أعلم أن الله محب البشر هو وحده الذي يقدر أن يسند أولاده ويقويهم في أشد

لحظات الضيق.

بعد أقل من ساعة كنت أقرع الباب، وإذا بسيدة طوبية تفتح الباب في هدوء عجيب مع بساطة، وهي تقول لي "صلِ يا أبانا من أجل (فلان) لكي يشفيه الرب".

إذ طوبت خاطرها بكلمة بسيطة دخلت مع الشماس إلى حيث يرقد زوجها. لقد كان مستلقيًا على سريره بلا حراك، لكنه في حيوية عجيبة رفع رأسه وتعانقنا! كانت البشاشة قد انطبعت على ملامح وجهه، والفرح يملأ قلبه، فقد ابتهج بدخولنا، كأن السماء قد انفتحت أمامه. وأنا في داخلي كنت أتساءل: "هل هذا حال شاب يواجه موتًا أكيدًا، ويعرف أن رحيله قد اقترب جدًا، وليس من يتحمل المسئولية من بعده نحو زوجته وطفليه الغرباء؟"

ما أبعد هذا المنظر عما اعتدت أن أراه في أرض المهجر، فإن كثيرين في حالة اضطراب، يخافون المرض أو الموت، ويرتبكون لأبسط الأسباب، إذا يشعرون بالذنب نحو أولادهم الذين أتوا بهم من وسط عائلاتهم إلى أرض غريبة وبعيدة.

على أي الأحوال، رحب الشاب بقلبه وملامحه بي أكثر مما بلسانه، وطلبت من الكل مغادرة الحجرة لنبقى معًا ليعترف.

لا أستطيع أن أتحدث عما دار في تلك اللحظات الخالدة التي كنت أشعر فيها بحق أن روح الله القدوس كان يرافقنا بل يضمنا، وكأن السماء قد انفتحت والسمائيين يتهللون فرحًا!

قدم الشاب توبة صادقة بعد سنوات طويلة، وامتزجت دموعه بفرحه الروحي مع سلام عميق. أما عن اعترافاته فليس من حقي أن انطق بكلمة واحدة منها حتى بعد رحيله. إنما أقول كانت نفسي في داخلي تهتز مع كل كلمة ينطقها وكل تنهد يصدر من أعماقه. انسحقت مع انسحاق قلبه، كما فرحت وتهللت لفرحه وبهجته.

بعد الاعتراف عاد الشماس إلى الحجرة وأيضًا زوجة الشاب، ودار الحديث كله حول كلمة الإنجيل والتسبيح وحياة الشكر، كما كانت الأبدية هي مركز تأملاتنا معًا. طلب الشاب مجموعة من التسجيلات الخاصة بالقداسات الإلهية والتسابيح، حتى يقضي وقته وهو على السرير مشغولاً بمخلصه، كما طلب أن يتناول من الأسرار

المقدسة.

أحضرت له "الأسرار المقدسة" أكثر من مرة وكنت أزوره، وكثير من الأقباط كانوا يقدمون إلى بيته ليروا الشاب الذي يواجه الموت المؤكد بفرح وسرور!

أقول بصدق أنه في كل زياراتي التي قمت بها إليه في أيامه الأخيرة لم أره قط عابسًا ولا مكتئبًا، بالرغم مما يعرف عن شدة آلام السرطان. لم أره قط متضجرًا بل كان كثير من المتألمين يقدمون إلى بيته ويخرجون وقد ملأ السلام قلوبهم.

كانت أحاديثه مع زائريه تدور حول رعاية الله له وحبه، وحول الأبدية التي يجرى نحوها وينتظرها.

كثيرًا ما كان يردد هذه العبارات التي أتذكرها تمامًا: "صلِ يا أبانا من أجلي، لا لكي أشفى، فأنا لا أخاف الموت، بل أشكر الذي هيأني للتمتع بالأبدية، لكنني أطلب ألا أدخل في الآلام المرة التي قال عنها الطبيب، لئلا بسبب ضعفي أخطئ، ولو بالفكر أو في قلبي، في حق الله.

أنا لا أطلب من الله أن يطيل عمري من أجل الطفلتين، فهما ملك الله، وهو الملتزم برعايتهما".

مضت حوالي ثلاثة أسابيع ولم يدخل بعد الشاب في الآلام التي أخبره عنها الطبيب، لكن فجأة اتصلت زوجته تليفونيًا بالكنيسة لتخبر أن زوجها قد دخل في غيبوبة، وصار في خطر، وأنها تطلب الإسعاف لتحمله إلى المستشفى. وإذ علمت بالخبر في ساعة متأخرة من الليل ذهبت إلى المستشفى لكن هيئة التمريض أخبرتني أن زوجته قد عادت إلى بيتها، ليس معه أحد من أصدقائه. انه منذ دخل في الغيبوبة لم يتكلم مع أحد. وها هو في أنفاسه الأخيرة.

دخلت حجرته لأراه بين الأجهزة وحيدًا، اللهم إلا من رعاية إحدى الممرضات.

وقفت أمام هذا الملاك الذي حمل الآلام بفرح وانتظر تلك الساعة ببهجة قلب. صليت ثم ناديته بصوت خافت جدًا، ففتح عينيه، لسانه عجز عن أن يتكلم، ابتسم قليلاً ليغمض عينيه للجسديتين، وبعد دقائق أسلم الروح!

قصة ١٤٣

لمن هذا الكرسي؟

أو

أمجاد تنتظرني!

في حجرة النوم

سمعت الفتاة الباب يقرع، وكم كان دهشتها إذ رأت على الباب راهبًا غريبًا. ارتبكت الفتاة، ولم تعرف ماذا تفعل. لكن الراهب أدرك ارتباكها فابتسم قليلاً، وهو يقول لها: "أتسمحين لي بالدخول؟"

أجابت الفتاة: "تفضل يا أبي".

دخل الراهب مع الفتاة حجرة الاستقبال، وساد الجو نوعًا من الهدوء، لكن فكر الفتاة بدأ يجول هنا وهناك:

"ترى ماذا يريد هذا الراهب مني؟ ألا يعلم إني أفتح بيتي للخطية؟

لعل الشهوة قد ألهبته؟ أم جنبه جمالي؟ ألا يخاف من ألسنة الناس ونظراتهم؟

لكنني أرى ملامح العفة واضحة على محياه، فأنا أعرف الرجال تمامًا، ولن تخيب نظرتي فيهم.

لعله جاء ليوبخني وينتهرني؟ وهل يتجاسر ويفعل هذا في بيتي؟

إني لن أسمح له؟ ليفعل ذلك في ديره أو كنيسته، لكنه لا يقتحم بيتي ليوبخني".

وبينما كانت الفتاة الجميلة تسترسل في أفكارها، قطع الراهب تفكيرها تمامًا، ففي رقة ولطف سألها عن حالها. أجابته: "بخير". وقبل أن تسأله عن اسمه وديره،

وضع الراهب يده في جيبه ليقدم لها ديناراً.

بدأت الفتاة تدرك سرّ حضوره. أدركت أن جمالها يجتذب حتى أحد الرهبان. أمسكت الفتاة بيده، ودخلت به إلى حجرة نومها ، والرجل ينقاد إليها. وإذ جلسا سألها الراهب: "ألا توجد حجرة أخرى داخلية لا يرانا فيها أحد؟" وبالفعل دخلت معه حجرة داخلية. وللمرة الثانية سألها الراهب:

- ألا توجد حجرة داخلية أخرى حتى لا يرانا أحد؟
- لماذا يا راهب؟
- أريد ألا يرانا أحد.
- ليس أحد في الحجرة غيرنا، ولن يدخل إنسان علينا هنا.
- أريد حجرة أكثر أماناً، لا أريد أن يرانا أحد.
- ماذا تقصد بقولك: لن يرانا أحد؟
- أريد حجرة لا يرانا فيها الله.
- ماذا تقول يا أبي؟ لا يرانا الله! كيف يكون ذلك؟ الله يرانا أينما كنا.

عندئذ بدأت الدموع تنهمر من عينيّ الراهب، وهو يقول: "لا أستطيع يا ابنتي أن أرتكب هذا الفعل أمام عينيّ من أحبني، وأسلم ابنه الحبيب لخلاصي. لا أقدر أن أحزن قلبه. إني لا أخاف الناس. ليقولوا ما يريدون، لكنني أخاف الله وحده الذي خلقني على صورته ومثاله، عندما سقطت لم يحتمل موتي وهلاكي، بل مات هو ليحييني".

استرسل الراهب في حديثه عن محبة الله اللانهائية وعمله الخلاصي حتى بدأت الدموع تتساقط من عيني الفتاة.

فجأة قطعت الفتاة حديثه، إذ انهمرت عيناها بالدموع، قالت له:

- وما هو الحل يا أبي؟ هل يقبلني الله؟
- نعم يا ابنتي، إنه يريد أن الكل يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون.
- إني زانية يا أبي.
- الرب يقدس الخطاة.

– لقد أفسدتُ حياة الكثيرين، وحطمت بيوتًا.

– لا تخافي، فإن السماء كلها تفرح بتوبتك.

– لعلك لا تعرف يا أبي كم أنا شريرة؟ أنا لست إنسانة. أنا شيطان! لقد امتزج دمي بالشهوة، وجسدي بالخطية. صرت مع الخطية شيئًا واحدًا. هل يحتمل الله شيطانًا مثلي؟ لقد قاومت طريقه، وأفسدت خليقته.

انهارت الفتاة عند قدمي الأب، وإذ لم يحتمل الراهب دموعها بكى هو أيضًا، ولمسك بها ليرفعها، وهو يقول لها: "لا تخافي يا ابنتي... ترجي الرب. إنه يحبك! لقد أرسلني إليك لأجل خلاصك!"

تمالكت الفتاة نفسها قليلاً لتقول للأب الراهب:

"لا تتركني يا أبي حتى تخرج بي من بهجة الخطية هذه. أخرج بي من هنا فإني لا أطيق الوضع".

أجابها الراهب: "لن أتركك يا ابنتي حتى تطمئن نفسي عليك".

سألته الفتاة: "هل يوجد مكان خارج هذه المدينة أكمل فيه بقية أيام غربتي في طريق التوبة؟"

أجابها الراهب: "سأعد لك مكانًا".

في وسط السوق

انتفضت الفتاة وقامت وهي تقول للأب الراهب: "احتمل يا أبي ضعفي واسمح أن تنتظر بضع ساعات، فإني أريد أن أتخلص من كل ما قد جمعته بواسطة النجاسة والخطية".

استأذن الراهب منها وخرج إلى الصالة وترك الفتاة تجمع كل ما لديها من ملابس وأدوات زينة ومقتنيات، وكانت تلقي بها في حقائبها. وبعد قرابة ساعة واحدة، استأجرت الفتاة بعض الحمالين، وخرجت معهم، تاركة الأب الراهب في الصالة بمفرده.

سارت الفتاة نحو سوق المدينة ومعها الحمالون، وكان أهل المدينة يتعجبون من تصرفاتها ويتهامسون فيما بينهم متسائلين:

"ما الذي حدث؟ إلى أين ترحل الجميلة تائيس؟

هل تترك الدعارة؟ لعلها وجدت مكانًا أكثر إغراءً؟

لكن لماذا خلعت عنها ثيابها الخليعة؟

لقد تغيرت حتى في حركات سيرها... إذ تسير في جدية لم نعهدها فيها من قبل.

العلها قدمت توبة؟ ولكن كيف تقدر أن تكف عن زناها التي عاشت فيه زمانًا هذا مقداره؟"

على أي الحالات، كان الكثير يرقبونها، بل وسار البعض من بعيد وراءها ليعرفوا أين تذهب. وإذ بلغت وسط المدينة جاءت إلى موضع مهمل وطلبت من الحمالين أن يلقوا حقائبها، ومع أنها دفعت لهم أجرتهم لكنهم وقفوا مندهشين، بل وتجمع معهم كثيرون دون أن يسأل أحد تائيس شيئًا.

تطلعت تائيس إلى الجمهور، وكادت تختنق من الدموع، لكنها تمالكت نفسها وهي تقول:

"هلموا جميعًا يا من تاجرتم معي،

انظروا. هاأنذا أحرق أمام أعينكم كل كسب جمعته خلال الخطية".

ثم أشعلت تائيس النار في حقائبها قبل أن تسمع تعليقًا واحدًا من الواقفين حولها. ثم تركت النيران مشتعلة والجمع يتزايد، وتسللت إلى بيتها.

قرعت تائيس الباب، وفي هدوء فتحته لتجد الأب الراهب واقفًا نحو الشرق وقد بسط يديه يصلي، وقد ظهرت ملامح الفرح على وجهه. لم تنتظر تائيس الراهب ينهي صلاته بل ارتمت عند قدميه، وهي تقول: "ها أنا بين يديك يا أبي، لا تتركني حتى تعمل نعمة الله فيّ، أفعل بي ما تشاء".

توقف الراهب عن صلاته، وحاول أن يقيم تائيس عن الأرض، لكنها أصرت ألا تجلس على كرسي.

سألها الراهب: ما هي خطتك يا ابنتي؟

– ليس لي خطة يا أبي. الله الذي أرشدك إليّ يتكلم على فمك، ويعمل بك حتى

تطلقني من هذا الموضع.

- لا أعرف مكانًا غير أديرة العذارى.

- وهل يقبلونني يا أبي؟

- إن كان الله يقبلك، فهل يرفضك أحد؟

- أنا إنسانة نجسة، كيف أعيش بين العذارى؟

- لا تخافي، فإن الله هو مقدس الجميع.

- لعلك يا أبي لا تعرف نجاسات قلبي الداخلية.

- أنا أعلم أن الله محب للخطاة الذي يخلصنا بدمه.

وبعد حديث ليس بكثير خرج الاثنان معًا، وكان أهل المدينة يتطلعون من بعيد وهم يتعجبون: من هو هذا الجبار الذي غيَّر حياة هذه الشريرة؟ أما هي فكانت تسير بهدوء، قلبها منكسر، ورأسها منحنية، والدموع تنهمر من عينها. كانت ترافق الأب الراهب لا تنظر يمينًا أو يسارًا، حتى وصل الاثنان إلى أحد أديرة العذراء.

سلم الراهب الفتاة تائيس لرئيسة الدير وأوصاها بها. أما تائيس فنظرت إلى الرئيسة، وهي تقول:

"لي طلب واحد يا أمي. إني نجسة القلب والفكر والجسد. أنا محتاجة أن أعيش في حجرة صغيرة بمفردي أبكي بقية أيام غربتي على ما اقترفته يداي".

حاولت الأم أن تربت على كتفي الفتاة وهي تقول: "أنت ابنتي وأختي الصغيرة. الرب غافر خطايانا جميعًا".

لكن تائيس قاطعتها لتقول لها:

"أرجوك لا تعامليني هكذا يا أمي.

لا تترفقي بي، ولا يحنو قلبك علي.

أنا محتاجة إلى تأديبات قاسية.

قلبي متعب، وأفكاري شريرة، وجسدي تربى في الخطية.

أنا لا أقدر أن أعيش بين القديسات.

اتركيني أعيش وحدي. أنا لست إنسانة".

أصرت تائيس على طلبها، ووافقها الأب الراهب، عندئذ قدمت الأم الرئيسة قلاية صغيرة لتائيس، بها نافذة ضيقة، من خلالها يقدم لها القليل من الخبز الجاف والماء.

وإذ أراد الأب الراهب أن يستأذن ليعود إلى ديره، سألته تائيس: لم تقل يا أبي كيف أصلي؟

صمت الأب طويلاً وهو يفكر، لكنه إذ أراد لها أن تعيش في مشاعر التوبة الصادقة، أجابها: "أنتِ لا تستحقين أن تصلي إلى الله، ولا أن تذكري اسمه بشفتيك، ولا أن تبسطي يديكِ نحوه، لأن شفتيك نجستان، ويديك غير طاهرتين، إنما يجب عليكِ أن تجلسي وتثبتي نظرك نحو الشرق، وتردديْن: يا من خلقتني ارحمني".

فرحت تائيس بهذه الكلمات، وصارت تقبّل يدَي الراهب، وهي تقول:

"أنا أعلم إني خاطئة.

صلِ يا أبي عني، لعل الله يرحمني".

ثم ودّعها هي والأم الرئيسة وخرج.

لمن هذا الكرسي؟

عاد الراهب إلى قلايته وقد ملأ السلام قلبه. وكان يمجد الله الذي يعطي توبة للخطاة.

ملك موضوع تائيس على فكر الراهب، وكان منظر دموعها لا يفارقه ، فكرّس صلاته كلها لأجلها نهارًا وليلاً. وكان يصرخ في داخله: "أريد أن أستريح يا رب من جهة ابنتك تائيس".

مرت أيام ليست بكثيرة وقصة تائيس لا تفارق ذهن الراهب، وإذ أراد أن يطمئن بالأكثر، ترك قلايته للمرة الثانية، لكنه لم يذهب هذه المرة إلى تائيس، بل انطلق إلى الصحراء الغربية ليلتقي بأب الرهبان الأنبا أنطونيوس.

بلغ الراهب مغارة القديس، وإذ فتح الأخير باب المغارة سجد كل منهما للآخر، وقبل بعضهما البعض.

– سلام يا أبا صرابيون.

- سلام يا أبي أنطونيوس.

وإذ روى الراهب صرابيون قصة توبة تائيس، أخذ الأنبا أنطونيوس يشكر الله.

بدأ الأنبا أنطونيوس يطمئن الأنبا صرابيون أن تائيس الآن في يد الله محب البشر، الذي يشتهي خلاصنا، ويود ألا ينكر خطايانا ، ثم ختم القديس كلامه، قائلا:

"لكي تطمئن بالأكثر على هذه الابنة، نصلي نحن وبعض الآباء الرهبان حتى يكشف لنا ما آلت إليه هذه الابنة".

وبالفعل نادى الأنبا أنطونيوس بعضا من أولاده الرهبان، وروى لهم عمل الله مع تائيس، وطلب أن يصلي الكل من أجلها هذه الليلة حتى تستريح قلوبهم نحوها.

في الليل صلى الرهبان من أجل هذا الأمر. ومع منتصف الليل رأى أحدهم كأن السموات قد انفتحت، وظهر كرسي عظيم غاية في الجمال، تحمله ثلاث ملائكة. تطلع الراهب إلى الكرسي، وكان يتأمله في دهشة.

سأل أحد الملائكة الراهب: "لماذا أنت مندهش؟ أتعرف لمن هذا الكرسي؟"

أجاب الراهب: إنه بلاشك لأبينا العظيم الأنبا أنطونيوس.

أما الملاك فقال: إنه كرسي تائيس!

ففرح الراهب بهذه الرؤيا، وفي الصباح روى ما قد رآه للأنبا أنطونيوس والأنبا صرابيون وأخوته الرهبان. فكانوا يمجدون الله ويشكرونه. عندئذ استأذن الأنبا صرابيون وترك الصحراء الشرقية متجهًا نحو دير العذارى ليطمئن الأم الرئيسة على تائيس.

التقى الأنبا صرابيون بالرئيسة التي أخبرته أن تايس قد انتقلت، فروى لها ما حدث، وكانا يمجدان الله.

جمعت الرئيسة الراهبات وروى لهن الأنبا صرابيون قصة هذه القديسة التي كسبت بتوبتها الصادقة هذا الكرسي العظيم.

مكتبة للفتيان

قصص قصيرة

مع قصة

حب ودموُع

١٤٤ — ١٥٦

يوحنا الجديد[1]

في قرية صغيرة، في أقصى أطرافها عاش صياد السمك يوحنا. كان سكيرًا، يبدد كل أمواله على الخمور، بينما كانت زوجته وأطفاله يعيشون في حالة ضنك وبؤس شديد. كانت زوجته تبذل كل جهدها لتعمل في بعض المنازل لكي تنفق على الأسرة، وبالكاد تجد القوت اليومي الضروري جدًا.

عبثًا حاولت الزوجة وأيضًا الأحباء أن يثنوا يوحنا عن السُكر، فقد ملكت عليه هذه العادة، غير مبالٍ بصحته ولا باحتياجات أسرته.

تعرَّف عليه مؤمن صار يحدثه عن حب الله الفائق له، وعن الثمن الذي دفعه السيد المسيح لأجل خلاصه ومجده. استطاع المؤمن بهدوء أن يسحب قلب يوحنا إلى السماويات، ليجد فيها شبعه وفرحه وسلامه الداخلي. لم يعد يعاني من الفراغ الداخلي، ولا الشعور بالعزلة، وغير ذلك من المشاعر التي كانت تدفعه إلى السُكر كهروب مما يعاني منه في داخله.

ترك يوحنا شُرب الخمر، وبدأ يعمل بجديه في صيد السمك، مقدمًا ما يفتديه لأسرته واخوته المحتاجين.

لم تعد أسرته تحتاج إلى شيء، بل كان يفضل عنها الكثير، ففتح الكل قلوبهم قبل أبواب بيتهم للمحتاجين كما للنفوس المحطمة.

جاءته زوجته يومًا تسأله عن إمكانية تغيير مكان المسكن، إذ كانت تشعر بأن بيتها غير مناسب لتربية أطفالها. بمحبة قال لها: "لدينا الكثير ببركة الرب، فلنبحث عن مكانٍ لائقٍ بأطفالنا".

---

[1] بتصرف عن *Donald Grey Barnhouse: let Me Illustrate. p. 307-8*

التقى يوحنا بمالك منزل وطلب منه أن يؤجر منزله، فدار بينهما الحوار التالي:

– في صراحة كاملة، لا أستطيع أن أوجر لك منزلي!

– لماذا؟!

– لا أضمن أنك تحافظ على منزلي، وأن تدفع الإيجار الشهري.

– لماذا حكمت عليَّ هكذا؟ هل تعرفني؟

– أعرفك جيدًا!

– هل سبق أن تعاملت معي؟

– لم أتعامل معك، لكنني أعرفك، فأنت تصرف كل أموالك على الخمور.

عندئذ مدّ يوحنا يده إلى جيبه، وأخرج حفنة عملات ذهبية، وهو يقول: "لست سكيرًا! بركة الرب تملأ كل حياتي وبيتي، ولست انفق شيئًا على الخمر، ولن أسمح لها بنعمة إلهي أن تدخل فمي!"

دُهش مالك المنزل وهو يتطلع إلى العملات الذهبية، أما يوحنا فقال له:

"إن يوحنا هذا الذي تتحدث عنه قد مات!

لقد قام **يوحنا الجديد** مع المسيح الحيّ واهب القيامة.

لقد تعجبت لأنك رأيت العملات الذهبية، لكنك لو دخلت إلى أعماقي تجد عجبًا!

في داخلي ملكوت إلهي الذي لا يُقدر بثمن.

أنا خليقة جديدة في المسيح يسوع مخلصي.

وهبني روحه القدوس يعمل في أعماقي.

وجعل من حضن أبيه موضع استقرار لنفسي.

هوذا كل شيء صار جديدًا في حياتي".

فرح به مالك المنزل وقدم له مفاتيح بيته بلا شروط، وهو يقول له: "إني أحسب نفسي سعيدًا أن تسكن في بيتي يا يوحنا الجديد!"

✞ ✞ ✞

✞ لتشرق بنورك في أعماقي،
فتلتهب بحب السماويات.
لا يعود العالم يسكرني بملذاته ولا بضيقاته.
✞ انتزعني من سكري بالعالم،
فأدرك أسرار حبك.
✞ بروحك الناري جدد أعماقي،
هب لي قلبًا جديدًا، وفكرًا جديدًا.
هب لي اسمًا جديدًا ومسكنًا جديدًا
✞ لتمت كل أعمال إنساني القديم،
وليحيا فيّ الإنسان الجديد.

✞ ✞ ✞

حنان دجاجة[٢]

اشتم أحد المزارعين الأمريكيين رائحة دخان قوية، ففتح القناة الخاصة بالأخبار المحلية بالراديو. عرف أن النيران قد اشتعلت على بعد أميال قليلة من مسكنه. اشتعلت في حقول القمح الشاسعة، وذلك قبل تمام نضجه بحوالي أسبوعين.

إنه يعلم أنه متى اشتعلت النيران في مثل هذا الوقت يصعب السيطرة عليها، فتحرق عشرات الأميال المربعة من زراعة القمح.

عرف المزارع أيضًا أن الرياح تتجه بالنيران نحو حقله، فبدأ يفكر هكذا: "ماذا أفعل؟ لا بد للنيران أن تلحق بحقلي وتحطم منزلي وحظيرة الحيوانات، وأفقد كل شيء!"

بدأ يحرق أجزاء من حقله بطريقة هادئة حتى لا يصير بيته وحظيرة حيواناته محاطة بحقول القمح شبه الجافة. استطاع أن يحرق كل حقله تمامًا دون أن يُصاب بيته... فاطمأن أن النيران لا تتسحب إلى بيته... حقًا لقد أحرق بيديه محصوله، لكنه افتدى بيته وحيواناته وطيوره.

إذ اطمأن على بيته بدأ يسير بجوار حقله المحترق وهو منكسر القلب، لأنه فقد محاصيله بيديه.

رأى دجاجة شبه محترقة، وقد بسطت جناحيها. تطلع بحزن إليها، فقد طارت بعض اللهب إليها لتحرقها. تسللت الدموع من عينيه وهو يرى طيرًا قد مات بلا ذنب.

بحركة لا إرادية حرك الدجاجة بقدمه، فإذا بمجموعة من الكتاكيت الصغيرة

---

[٢] *Cf. Barnhouse, p. 261.*

تطلع إلى تلك الدجاجة البطلة الحنونة التي أحاطت بجسمها صغارها وسلمته للموت، احترقت دون أن تحرك أحد جناحيها أو تهرب، بل صمدت لتحمي صغارها، بينما يحزن هو على خسائر مادية!

رفع عينيه نحو السماء وهو يقول:

"مخلصي الحبيب... الآن أدركت معنى كلماتك: كم مرة أردت أن أجمع أولادك، كما تجمع الدجاجة فراخها. أشكرك لأنك وأنت لم تعرف الخطية، سلمت جسدك للموت بفرح لتحمل نيران الغضب عن خطاياي. ظننت النيران أنها تقدر أن تحطمك، لكن في حبك حملتني بموتك المحيي إلى الحياة".

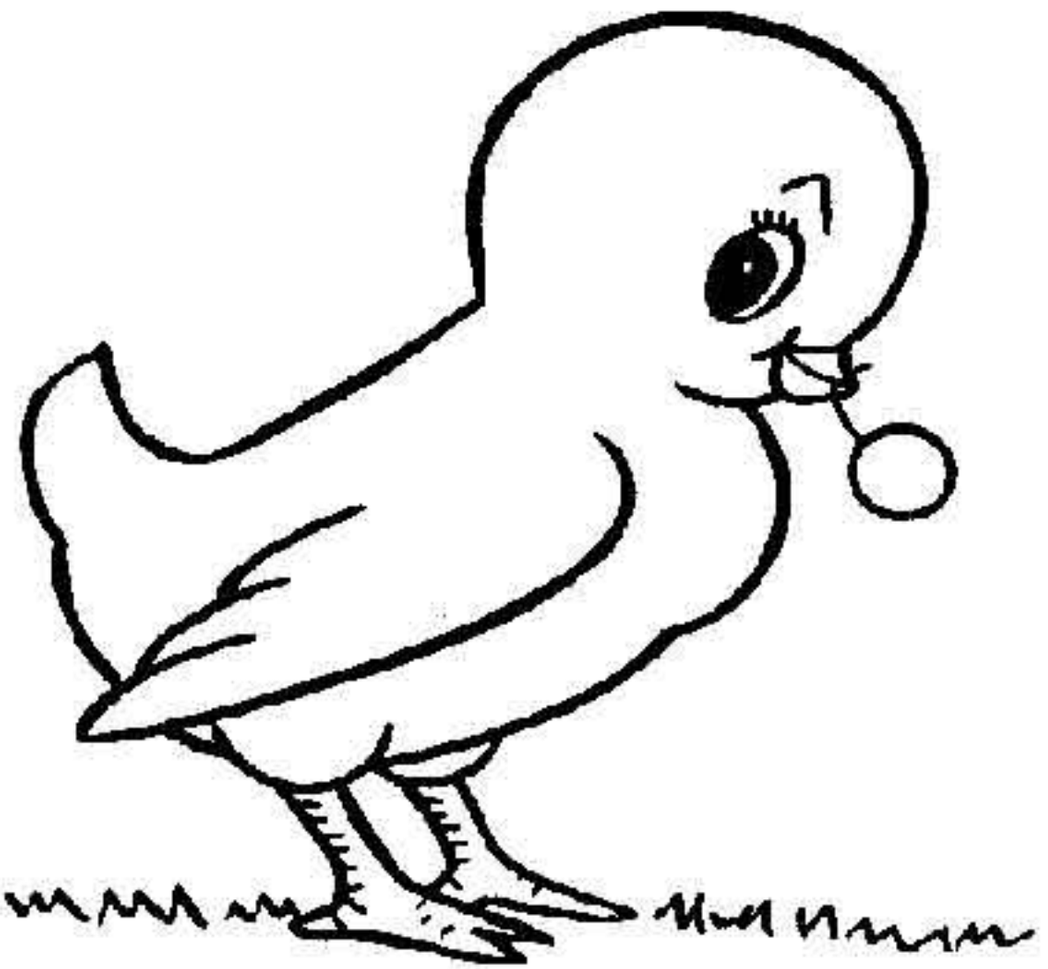

بحُبره شفينا!

بين الحين والآخر، إذ كان رامز يتسلل إلى حجرة الصلاة بهدوء، وجد والده يتطلع إلى أيقونة القيامة والدموع تتسلل من عينيه.

بعد قرابة ساعة جلس رامز مع والده ودار بينهما الحوار التالي.

- أراك يا أبي تتطلع إلى أيقونة القيامة وتمعن فيها... فيمَ تفكر؟
- أفكر في حُبر (أثار جراحات) مسيحي، فقد قام من الأموات، وترك أثار الجراحات في يديه ورجليه وجنبه؟
- هل تبقي جراحات أجسادنا فينا في يوم القيامة؟
- لا، لأنها تمثل تشوهات؛ وفي السماء لا نقوم بأجساد مشوهة أو معيبة.
- فلماذا ترك مسيحنا آثار جراحاته؟
- لأنها جراحات حب لكل البشرية، جُرح لأجل معاصينا... وكما يقول إشعياء النبي: "بحُبره شفينا".
- هل يُمكنك أن تشرح لي هذه العبارة.
- سأروي لك القصة التالية، لعلها تكشف لك عن المعنى.

✠ ✠ ✠

شبت نار في منزلٍ صغيرٍ، وكان بالدور العلوي يوجد طفل صغير يقرب من العاشرة من عمره. وكانت الأم الأرملة في حديقة المنزل، فصرخت، وجرت نحو السلم لتقتحم النيران، وتنقذ طفلها الوحيد. لكنها اختنقت من الدخان وماتت.

إذ شاهد مارك ما حدث، وأدرك أن الطفل قد صار في خطرٍ مميتٍ، ووالدته قد ماتت، تسلق مواسير المجاري من خلف المنزل بالرغم من سخونتها بسبب النيران، وقفز من الشباك، وحمل الطفل على صدره، وعاد به من النافذة لينزل من

ذات المواسير...

جاءت سيارة المطافي وأطفأت النيران...

حزن الكل على وفاة هذه الأم الأرملة، التي فقدت رجلها، وإذ أرادت أن تنقذ ابنها الوحيد اختنقت وماتت.

بدأت الأنظار تتجه نحو هذا الطفل المسكين الذي فقد والديه، لكنه أنقذ من موتٍ محقق بطريقة فائقة.

تساءل الكل: من يكون وصيًا على الطفل الوحيد اليتيم الوالدين؟

أقيم مجلس بالقرية، وجاء أغنى رجلٍ في القرية يقول: "أنا مستعد أن أتكفل بتربية الطفل الوحيد اليتيم مع أولادي والإنفاق عليه.

وقال أحد الأقرباء: "إنها مشاعر جميلة ورقيقة أن يهتم هذا الغني بالطفل، لكنني أنا أحمل نوعًا من القرابة للطفل... ربما بسهولة يمكن أن ينسجم مع أولادي، ويعيش أخًا بينهم!"

قال راعي الكنيسة: "إنني أب، وهو ابني... إني أكون سعيدًا جدًا أن يعيش هذا الطفل كأحد أفراد الأسرة".

وقال أحد أراخنة الكنيسة: "كل القرية تحب هذا الطفل وتهتم به، أينما وُجد، نحن جميعًا آباء له، نرعاه ونهتم به... أنا شخصيًا أفرح جدًا وأحسب ذلك بركة لي أن يعيش معي..."

فجأة تقدم رجل يضع يديه في جيبه، واقترب من الطفل، وأخرج يديه ليري الطفل كفيه. للحال عانق الطفل الرجل، وصار يقبّله... وأصرّ أن يخرج معه.

دُهش كل الحاضرين، فسألوا الرجل: ماذا حدث؟

بسط الرجل كفيه لهم، فرأوا علامات الحرق حين تسلق مواسير المجاري الساخنة لينقذ الطفل من النار.

فصرخ الكل: "هذا هو الرجل الذي يستحق أن يتبنى الطفل! لقد بقيت علامات الحرق تعلن عن الحب العملي الباذل... التي أنقذت الطفل من الموت، وقدمت له الحياة الجديدة.

إذ ختم الأب القصة علق عليها قائلاً:

"هكذا دخل مسيحنا إلى دارنا، واحتمل نار خطايانا،

سُمر على الصليب لإتقاننا،

طُعن بالحربة ليحيينا.

تبقى حُبره سرّ شفائنا الأبدي!

✞ ✞ ✞

هب لي أيها القائم من الأموات،

أن أتأمل جراحات حبك!

احملني إلى جنبك المطعون،

أدخل إلى أحشائك الملتهبة حبًا.

أرى نيران حبك عوض نيران خطاياي.

أراك تهبني الحياة الجديدة يا أيها القيامة.

من يقتلني غيرك؟!

✞ ✞ ✞

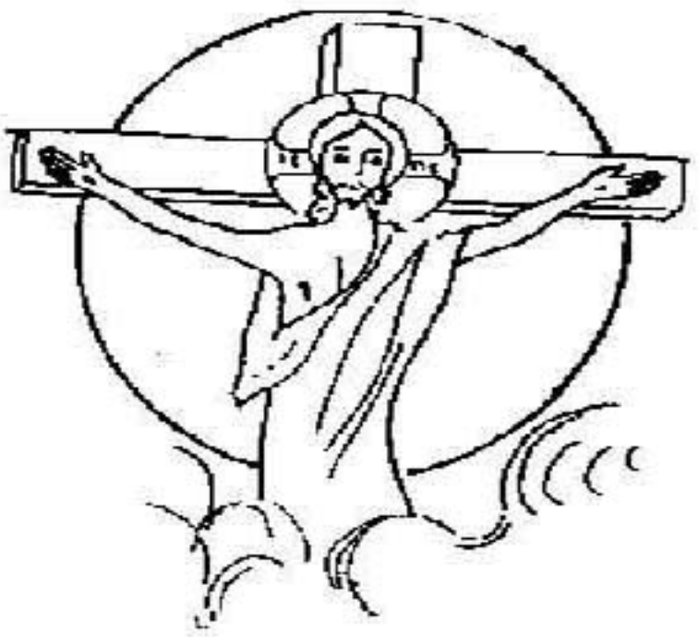

اهرب مما أنت فيه!

لتعم القديس صرابيون الكبير بروح الطهارة والعفة، وكان موضع تقدير واحترام الرهبان والراهبات.

التقى يومًا مع أم راهبة، وصار يسألها عن أمورٍ تخصها، وإذ طال الحديث سألها كلمة منفعة.

قالت الراهبة: "اهرب..."، ثم صمتت.

سألها: "مما أهرب؟"

أجابت: "اهرب مما أنت فيه!"

سألها ثانية: "وماذا أنا فيه؟"

قالت: "من أن تنسى خطاياك، وتسأل عن أمور لا تخصك". فصمت الأب العظيم منتفعًا!

لقد تحلى آباؤنا وأمهاتنا باهتمامهم الشديد بخلاص أنفسهم، وخلاص الغير، بلطفٍ وبدون خجلٍ، وبغير مداهنة.

حقًا إنه قديس عظيم، لكنه يحتاج إلى كلمة منفعة من راهبة لكي تضع حدًا لحديثه معها أو مع غيرها، حتى يهتم بالانشغال بنموه الروحي الداخلي.

✝ ✝ ✝

✝ افتح عن عيني، فأراك قادمًا على السحاب،

تحمل مؤمنيك إلى أمجاد لا يُعبَّر عنها.

فأهتم بأبنيتي وأبدية اخوتي.

ولا انشغل بكلمة بطّالة،

حتى وإن كانت ليست بشريرة،

ولا بفكرٍ باطلٍ يشغلني عنك.

✞ هب لي يا مخلصي أن انشغل بك،

في كلماتي، كما في صمتي.

في يقظتي كما في أحلامي.

✞ أنت حبي،

أنت فرحي ومجدي،

أنت شبعي، والكل لي!

✞ ✞ ✞

من يسندني؟

روى لي راهب القصة التالية:

التحقت بالدير بعد تخرجي من الجامعة وعملي في مركز مرموق. عشت كل حياتي مدللاً من عائلتي وأصدقائي وفي عملي. طُلب مني في الدير، وأنا طالب الرهبنة، أن أقوم بعمل "الخبيز". وضعت الدقيق وسكبت الماء... وكانت هذه هي أول مرة في حياتي أن أخبز. لم تمر إلا دقائق وشعرت بالإرهاق، إذ لا خبرة لي في هذا العمل. سألت نفسي:

"من يسندني؟ إني أخجل أن أطلب من السيد المسيح أن يُساعدني في هذا العمل الأرضي!

هل يليق بي أن أطلب من السيدة العذراء، الملكة، أن تُساعدني في هذا العمل؟!

بلاشك القديسة دميانة صاحبة خبرة في "الخبيز"، خاصة وأنها كانت أمًا لأربعين عذراء".

طلبت مساندتها، وبالفعل شعرتُ بفرحٍ وأنا أقوم بالخبيز!

انتهيت من العمل وتعجب الرهبان كيف تم بسرعة، فصارت القديسة دميانة شفيعة لي في هذا العمل، الذي ببركة إلهي تحوّل من عمل يدوي إلى فرح مُبهج للنفس.

✠ ✠ ✠

أشكرك يا محب البشر، جعلت لي سحابة شهود تُحيط بي.

تسندني في خلاص نفسي، تعينني في الشركة معك. بها تتحول حياتي إلى سماء.

قصة قصيرة ١٤٦

هل يُمكن أن تنتظرني؟

اعتاد أحد الرهبان أن يدخل إلى كنيسة الدير قبل البدء في أي عمل؛ يسير في هدوء وبخشوع نحو الهيكل، ويسجد ثلاث مرات ممجدًا الله.

إذ كانت مسئوليته إعداد المائدة لاخوته الرهبان، دخل إلى الكنيسة كعادته وسجد ثلاث مرات، وإذ تطلّع نحو الهيكل وجد السيد المسيح يتراءى له بمجد عظيم.

تطلع لمدة ثوانٍ، ثم قال للسيد المسيح:

'إني لست مُستحقًا أن أراك!

حقًا كم اشتاق ألا أفارقك.

الآن، أنا ملتزم أن أعد المائدة لاخوتي.

هم أولادك... إذ أخدمهم من أجلك.

هل تسمح لي أن أذهب لخدمتهم؟

هل يمكن أن تنتظرني؟

إني مشتاق أن أراك يا مُحب البشر'.

ترك الراهب الكنيسة وذهب يخدم اخوته في محبة وهو يسبح الله. وإذ أنهى عمله عاد إلى الكنيسة فرأى السيد المسيح يظهر له فرحًا!

✠ ✠ ✠

ليتني أراك في اخوتي.

أخدمهم، فأخدمك يا من تخدم الجميع!

أفرح بخدمتهم، فأتهلل برؤيتك!

لأحبك فيهم بالعمل لا بالكلام!

✠ ✠ ✠

بطيخة مسمومة[٣]

عاد سمير من المدرسة فوجد والده يكتب بخط كبير على قطعة خشبية: "تحذير! توجد بطيخة واحدة مسمومة لا يعرفها إلا المزارع!"

اندهش سمير مما يكتبه والده، فقال له:

- ما هذا يا أبي؟

- إذ بدأ ثمر البطيخ يكبر، يأتي اللصوص ليلاً ويسرقونه، متسترين بالظلام. كيف تضع سمًا يا أبي في البطيخة، فربما تموت عائلة أو عائلات بلا ذنب؟!

- إني لم أحقن أية بطيخة بالسم!

- إذن آسف، ما قد كتبته ليس صدقًا!

- أنا أعلم أنه كذب. لا أريد أن أكذب، لكن لم أجد وسيلة لمنع اللصوص من السرقة سوى بالكذب.

- هل تخسر يا أبي أبديتك بالكذب من أجل البطيخ؟ ألم يقل الكتاب: "وأما الخائفون وغير المؤمنين... وجميع الكذبة فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذي هو الموت الثاني" رؤ ٢١:٨؟

- ماذا أفعل يا ابني؟

- لا تكذب يا أبي مهما كلفنا الأمر.

صمم المزارع على تثبيت هذه اللوحة في مدخل حقل البطيخ حتى لا يقترب إليه اللصوص.

جاء اللصوص بالليل ووجدوا اللوحة. وبدأوا يتساءلون: "هل بالحق حقن

---

[٣] Cf. Michael P. Green: Illustrations for Biblical Preaching, p. 229.

بطيخة بالسم؟" واختلفوا فيما بينهم في معرفة ما إذا كان قد حقن المزارع بطيخة بالسم أم لا... وأخيرًا قرروا أن يتركوا الحقل لئلا يتسمم أحد منهم.

حزن سمير إذ وجد والده قد ثبت اللوحة الكاذبة في مدخل حقل البطيخ، وإذ عاتب والده، قال له الوالد: "نحن الآن لنا ثلاثة أيام لم يقترب اللصوص إلى الحقل... ألم تنجح خطتي؟"

قال سمير: "ربما تظن أنها نجحت، لكنك أغضبت الله، مما يحرمنا من بركاته".

علق الوالد على ذلك بقوله: "الله يعلم ما في قلبي، وأنه لا طريق للخلاص من هؤلاء اللصوص إلا بالكذب".

إذ عبر أسبوع عاد سمير ليجد والده حزينًا جدًا. سأله عن سبب حزنه، فأجابه الوالد:

لقد نزع اللصوص لوحتي،

ووضعوا لوحة جديدة كتبوا عليها:

"يوجد بالحقل بطيختان مسمومتان".

ها أنا في حيرة،

إن كانوا بالفعل قد حقنوا بطيخة بالسم، أم يكذبون مثلي.

لست أدري ماذا أفعل؟

لا أستطيع أن أقوم ببيع البطيخ أو أكله.

لقد خسرت الحقل كله!"

علق سمير على كلمات أبيه:

"يا أبي بالكذب خسرت ما هو زمني وما هو أبدي.

إذ كِلْت للناس كذبًا،

هم كيلوا لك بذات الكيل بزيادة!"

✠ ✠ ✠

لأقتنيك أيها الحق الأبدي،

فلا أستطيع أن أكذب قط!
هب لي أن أنطق بالحق، مهما كانت تكلفته،
ولا أنطق بكذبٍ، مهما بدت مكاسبه.
أنطق بالحق فأفتتيك أيها الحق!

نحلة بلا إبرة ماصة!

كان إيساك يعاني من حساسية شديدة من إبرة النحلة الماصة، وقد طلب الأطباء من والده ألا يسمح له بالذهاب إلى أي موضع به نحل.

إذ كان ايساك مع والده في رحلة، فجأة دخلت نحلة من نافذة السيارة وهي مسرعة، فاضطرب إيساك ووالده جدًا، وصارت حياتهما في خطر. وإذ كان لزامًا أن يحمي الوالد ابنه من خطر النحلة، أمسك الوالد النحلة، وأطبق بيده عليها، ثم قطع بأظافره إبرتها الماصة وتركها...

إذ عادت النحلة تطير داخل السيارة ارتبك الإبن جدًا، لكن الأب بابتسامة مدّ يده ليحتضنه وهو يقول له:

"لا تخف يا إيساك، لقد نزعت عنها إبرتها الماصة... إنها لن تؤذيك، دعها تطير كما تريد".

✞ ✞ ✞

لقد حلّ مسيحنا بيننا وسار معنا في رحلة حياتنا. حاول الموت الذي يقتلنا أن يقتله، لكنه لم يستطع أن يمسك بواهب الحياة... لقد أمسك مسيحنا بالموت، ونزع عنه شوكته (إبرته الماصة).

الآن بكل يقين نترنم بهذه التسبحة:

"أين شوكتك يا موت؟!

أين غلبتك يا هاوية؟!"

شكرًا لمسيحنا الذي في أبوته قدّم لنا روح الغلبة على آخر عدو: الموت!

✞ ✞ ✞

لتكن إرادتك!

بعد تناول طعام الغذاء ذهب ستيفن إلى مكتبه ليقرأ ويدرس كعادته. دخل ابنه الفتى مارك المكتب، وبدأ يسأل والده: "هل يمكن أن أفتح التليفزيون لمشاهدة التمثيلية؟

أجاب ستيفن:

"لقد اتفقنا معًا على البرامج التي تشاهدها لكي تُعطي لكل شيء وقته.

أريدك ناجحًا في كل شيء، وأن تكون معلوماتك نامية على الدوام، ملمًا بأخبار العالم الذي تعيش فيه، وتنتفع بالبرامج العلمية...

وتُعطي وقتًا لحياتك الروحية كما لدراستك الخ."

صمت مارك قليلاً ثم قال: "لقد التزمت بكل ما اتفقنا عليه، لكن هل لديك مانع من مشاهدة التمثيلية؟"

بلطف وهدوء أكمل ستيفن حواره مع ابنه مارك.

عاد مارك يُكرر التساؤل للمرة الثالثة فالرابعة... فجأة ارتفع صوت مارك وهو يقول لأبيه: "لكن ما رأيك؟!"

سمعت الأم صوت ابنها المرتفع، فجاءت إلى المكتب تسأل عن السبب، إذ تعلم أن زوجها ستيفن إنسان وديع يتعامل مع ابنه كند مع ند بروح الحب واتساع الفكر.

قال مارك لوالدته: "إنني أسأل والدي لكي أعرف إرادته!"

علق ستيفن على كلمات ابنه، قائلاً: "كن صريحًا مع نفسك، فإنك لا تريد أن تعرف إرادتي أو إرادة والدتك، بل تريدنا أن نطوّع إرادتنا لتتمم أنت إرادتك. إنك تريد موافقتي تحت الإلحاح المستمر. اذهب افعل ما تريد!"

✞ ✞ ✞

كثيرًا ما نصرخ في صلواتنا قائلين: "لتكن إرادتك لا إرادتنا"، بينما نلح على الله ليتمم إرادتنا لا إرادته. إنه إذ يرشدنا مرة ومرات، أخيرًا يسمح لنا أن نتمم إرادتنا الذاتية لنختبر بأنفسنا خطأنا.

✞ ✞ ✞

لتنطق أعماقي في داخلي مع لساني:
لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض.
لتنطق حياتي مع سلوكي العملي بلغة الصلاة.
هب لي حياة التسليم.
أشرق بنورك عليّ، فأحمل إرادتك في داخلي،
أفرح وأتهلل بها أيها الحكمة السماوي.

✞ ✞ ✞

أخطأت في العنوان

مرّ بلوسي فكر شرير، فصمتت قليلاً لتُدرك ماذا حلّ بها، كيف يعبر هذا الفكر؟ إنما هو إحدى قرعات الشيطان على قلبها لكي تفتح له فيدخل ويستقر هناك ويمسك بعجلة القيادة.

ركعت لوسي، وفي حديث ودّي مع السيد المسيح قالت له:

"يا سيدي يسوع المسيح إني أخشى أن أفتح الباب فيقتحمه العدو،

ويتربع على عرشك في أعماقي.

لسمح أن تفتح يا رب الباب بنفسك".

فتح السيد المسيح الباب فوجد عدو الخير قد ولى هاربًا، وهو يقول: "لقد أخطأت في العنوان!" أغلق السيد المسيح باب قلب لوسي بنفسه، ودخل يُعلن ملكوته المُفرح في داخلها.

✞ ✞ ✞

ضع يا رب حافظًا لأبواب قلبي، ولتحرسها بنفسك،

فيهرب العدو ولا يجسر على العودة.

أنت مفتاح داود، تفتح أبواب قلبي ليدخل فيها أبرارك،

وتُغلق أبواب قلبي فلا يجسر عدو أن يقرع بعد عليها.

أنت نُصرتي وبهجة قلبي!

منْ علّم ابنتي الكذب؟

دخل ساهر بيته فوجد زوجته في حالة كآبة شديدة، وإذ سألتها عن سبب ضيقها الشديد، فأجابت: "لست أدري ماذا أفعل... من علّم ابنتي الكذب؟ لقد استخدمت معها كل الوسائل: تارة باللطف، وأخرى بالحزم الشديد، ومع هذا لم تستجب قط... لقد تأصلت فيها عادة الكذب".

صمت ساهر، ثم حاول أن يُهدئ من نفسية زوجته.

بعد يومين إذ كان ساهر يلاطف زوجته، قال لها: "أريد أن أسألك؛ ترى من علّم ابنتك الكذب؟"

أجابت الزوجة: "ربما زميلاتها... أو لعلّه بسبب الخوف؛ فكثيرًا ما تخفي الحقيقة خشية عقابنا لها... أليس كذلك؟"

ابتسم ساهر، وبلطف قال:

- هل تذكرين منذ أسبوع حين اتصلتْ بك سلوى تليفونيًا، ماذا قلتي لها؟

- رحّبت بها.

- لقد رحبتي بها، لكن بعد الانتهاء من الاتصال التليفوني ألم تقولي: إنني لست أريدها تدخل منزلنا؟!

- قلت هذا!

- وعندما جاءت، ألم تقابليها بكل بشاشة؟ وكنت تقولين لها: "إننا مشتاقون إليكِ، لقد باركتِ بيتنا!"

- هل كنت تتوقع أنني أطردها من البيت، وأقول لها: "لسنا نريدك هنا؟"

- لست أتوقع هذا، لكن ابنتك تعلّمت درسًا خطيرًا في الكذب والنفاق. فقد عرفت أنكِ لا تُريدينها في المنزل، وفي نفس الوقت كنت تُرحّبين بها كأنكِ مشتاقة إليها جدًا.

صمتت الزوجة قليلاً، ثم همست قائلة: "حقًا أنا السبب... أنا علّمت ابنتي الكذب".

✞ ✞ ✞

✞ تريدني ان أكون أيقونة السماء،
أحمل الحق وأشهد به،
لكنني في غباوتي أتملق الناس وأكذب عليهم، مُقدمًا الأعذار الكثيرة!
ويلي، فبسببي يتعثر الكثيرون!
✞ لتسكن فيّ أيها الحق،
فيُطرد الكذب والنفاق من أعماقي!

✞ ✞ ✞

مؤتمر بين أدوات النجارة[٤]

التقت أدوات النجارة معًا في مؤتمر، وإذ أرادت السيدة/ مطرقة أن ترأس المؤتمر، اجتمعت بعض الأدوات الأخرى واحتجت، كيف يمكن للسيدة مطرقة أن تحتل مركز الرئاسة وهي مزعجة بصوت طرقاتها، انه يجب عليها أن تنسحب من المؤتمر.

قالت السيدة مطرقة: "إن كان يجب عليَّ أن انسحب بسبب إزعاج طرقاتي، فإنه يجب على السيدة "قارة النجار" أن تنسحب أيضًا، لأن كل ما تفعله هو على السطح، أعمالها بلا عمق!"

إذ سمعت السيدة/ قارة احتجت قائلة: "إن كنتم تريدون مني أن انسحب، فإنه يلزم على السيدة/ مسطرة أن تترك المؤتمر، لأنها لا تُستخدم إلا في القياس، وبكبرياء تدعي أنها دون غيرها دقيقة تمامًا في عملها.

وقفت السيدة/ مسطرة تشتكي قائلة: "إن كنت انسحب بدعوى كبريائي، فإن السيدة/ سنفرة لا تستحق المشاركة في المؤتمر، لأنها خشنة وصوتها مفزز.

هكذا ظنت كل أداة أن غيرها لا يستحق المشاركة في المؤتمر، وإذ دخل نجار الناصرة أمسك بالخشب وبدأ في صمت يعمل، مستخدمًا المطرقة والقارة والمسطرة والسنفرة والمسامير... فصنع صليبًا رائعًا...

التقت الأدوات معًا لتسبحه، إذ اشترك الكل في العمل، وشعر الكل باحتياجهم لبعضهم البعض، خلال يديّ المخلص العجيب.

✠ ✠ ✠

---

[٤] T.Cf. M.P. Green: Illustrations for Bibliical preaching, p353.

✞ نفسي تعاني من الكبرياء،
فاحتقر أعمال الآخرين وأفكارهم!
وأعاني أحيانًا من الإحباط،
فأظن إني بلا مواهب، ليس لي عمل ذو قيمة!

✞ لتمسكني بيمينك، ولتعمل بي كما باخوتي.
وتجعل مني ومنهم سفراء لك.

✞ عجيب أنت في أعمالك يا إلهي.
تقيمنا جميعًا من المزبلة،
وتدخل بنا إلى حضن أبيك.
نفتخر بك وبكل أدوات العاملين بك ومعك.

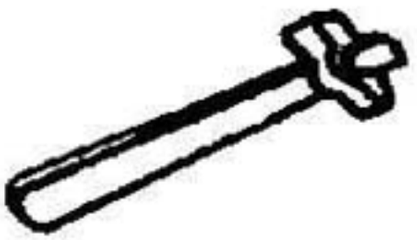

حب ودموع

عرض: القديس مارافرآم السرياني
ترجمة: القمص تادرس يعقوب ملطي

إمرأة خاطئة

دُعي يسوع إلى وليمة ليأكل خبزًا، وإذ سمعت امرأة خاطئة أنه دُعي في وليمة فرحت. جمعت أفكارها مع بعضهما البعض مثل البحر، وكان حُبها يعج في داخلها كالأمواج. تطلعت فرأت أن (يسوع) بحر النعمة قد جمع نفسه في مكان واحد، فعزمت أن تدخل اليه، وتُلقي بكل شرورها في أمواجه.

(لقد أدركت) إنها ربطت نفسها بقيود الألم بعصيانها، لهذا بدأت تبكي نفسها قائلة:

"ماذا انتفعت من هذا الزنا الذي ارتكبته؟ وماذا أفادني فجوري؟ لقد وصمت الأبرياء بالعار. لقد أهلكت الأيتام. وبوقاحة سلبت أموال التجار، ومع هذا لم أرو جشعي. إنني كقوس في حرب، كنت أصيب الصالح مع الطالح. إنني أشبه عاصفة في البحر، أغرقت سفن كثيرين.

الآن، لماذا لا أربح لي إنسانًا واحدًا قادرًا على إصلاح فجوري، لأنه واحد هو الله (الذي يُصلح الفجار) وكثيرون هم الشياطين".

نطقت المرأة في داخلها ثم بدأت تعمل. اغتسلت ومسحت أصباغ عينيها التي أعمتهما بها، وعندئذ تدفقت الدموع من عينيها.

سحبت سوار صباها الجذاب من معصمها وألقت به من يديها.

نزعت ثوب زناها الكتاني عن جسدها وطرحته، وعزمت أن تكتسي بالثوب

الذي هو "ثوب الصلاح".

خلعت حذاء الفجور المزيّن من قدميها وألقته. ووجهت خطواتها في طريق البرج السماوي.

ثم أخذت في كفّها ذهبًا، أمسكت بالذهب، وتطلعت نحو السماء، وبدأت تصرخ في سرّها إلى ذاك الذي يصغى إليها باهتمام. لقد صرخت قائلة: "أيها الرب هذا ما ربحته من الشر، وها أنا اشتري به خلاصي. هذا ما قد جمعته على مر الأيام، وها أنا أربح به رب الأيتام".

مع بائع الطيب

نطقت المرأة سرًا ثم خرجت لتنفذ عملاً. أخذت الذهب في كفها، وحملت الصندوق المرمري في يديها، وبسرعة ذهبت في ندامة إلى بائع الطيب... رآها التاجر فتعجب، وبدأ يسألها. ابتدأ يقول للزانية:

"أما يكفيك أيتها الزانية أنك قد أفسدتِ كل مدينتنا؟ ماذا يكشف مظهرك هذا الذي تخدعين به أحبائك، إذ خلعتي عنك فجورك (وتظاهرتِ) باللباس المحتشم؟ لقد كنت تأتين إليّ قبلا بمظهر يختلف تمامًا عما أنت عليه اليوم. إذ كنت تكتسين بثوب فاخر وتحضرين معك ذهبًا قليلاً، وتطلبين طيبًا ثمينًا حتى تجعلي به فجورك مُبهجًا. وأما اليوم فإنني أرى ثوبك معتدلاً وأتيت بذهب كثير.

لست أدري كيف أُعلن هذا التغيُّر الذي حدث... فإما أن تلبسي ثوبًا يتناسب مع قدرتك، أو تشتري طيبًا يتناسب مع ثوبك المعتدل. لأن الطيب الذي تطلبينه لا يتناسب مع قيمة ثوبك.

ألعله يوجد تاجر يقابلك، تغتني منه الكثير، وأنت تعلمين عنه إنه لا يحب مظهر الفجور، لهذا نزعتي عنك مظهر فجورك حتى تأسرين بطرق متعددة غنى كثيرًا؟ لكن لو كان هذا الرجل يحب مظهر الاحتشام بسبب طهارته حقًا، فالويل لها! في أي شيء ما هو يسقط؟ إنه سيبتلع في دوامة تجرف بضائعه.

إنني كإنسان يريد لك الخير، أقدم لك نصيحة، وهي أن تطردي عنك كل محبوبيك الذين لم يساعدونك منذ صباك، واطلبي لك عريسًا واحدًا يُصلح فجورك".

بحكمة تكلم تاجر الطيب مع المرأة الزانية بهذه الأقوال. وإذ انتهى الرجل من حديثه أجابته المرأة الزانية وقالت:

"لا تعوقني يا إنسان، ولا توقفني بتساؤلاتك. فإنني لم أسألك الطيب مجانًا، إنما سأدفع لك قيمته برضى. خذ ذهبًا ما شئت واعطني الطيب الثمين. خذ ما لا يدوم، وهب لي ما يدوم، فإنني سأذهب (به) إلى ذاك الذي يدوم، واشتري له ما يدوم. وكما قلت لي فإنه تاجر غني جدًا سيقابلني، إنه يسلبني، وأنا أيضًا أسلبه. هو يسلبني خطاياي ومعاصي، وأنا أيضًا أسلب غناه.

وكما تكلمت عن الزواج، فإنني قد ربحتُ لي عريسًا في السماء، ذاك الذي سلطانه يدوم إلى الأبد، وملكوته لا يزول".

ثم أخذت الطيب وانصرفت.

حديث مع الشيطان

انصرفت المرأة بسرعة، وإذ رآها الشيطان ثار غاضبًا، وحزن في داخله حزنًا عظيمًا. كان فرحًا من جهة، وحزينًا من جهة أخرى. كان فرحًا لأنها تحمل معها الطيب، لكنه كان خائفًا بسبب اكتسائها بثوب مُحتشم. لقد التصق بها، وتتبع خطواتها كلص يتبع تاجرًا. أنصت إلى نمدمة شفتيها وأصغى إلى كلماتها. لاحظ عينيها بتدقيق إلى أين كانت توجه نظراتها. وإذ انصرفت تحرك مع حركات جسمها ليعرف إلى أين هي متوجهة.

الشيطان المملوء مكرًا يعرف هدفنا عن طريق كلماتنا. وهكذا إذ رأى عجزه عن أن يُغير فكرها، ظهر لها في شكل رجل، ومعه مجموعة من الشبان الصغار يُشبهون أحبابها القدامى، وعندئذ بدأ يوجه إليها الحديث قائلاً:

"أستحلفك بحياتك أن تُخبريني أيتها المرأة إلى أين أنت تتوجهين؟ لأنك على غير عادتك تُسرعين. اخبريني ماذا تعني وداعتك هذه، لأن نفسك منكسرة[1] كنفس الأمة؟ هوذا بدلاً من ثياب الكتان الفاخرة، تكتسين بثوب حقير. وبدلاً من أساور

---

[1] في الأصل "وديعة".

الذهب والفضة لا يوجد حتى خاتم واحد في إصبعك. لا تلبسين حتى حذاءًا عاديًا بدلاً من الصنادل الفاخرة. اكشفي لي عن نيتك، فإنني لا أفهم معنى تغيرك. هل مات لك أحد أحبابك، وأنت ذاهبة لكي تكفنينه؟ فإنني أذهب معك إلى القبر وأشاركك حزنك".

أجابت المرأة الخاطئة وقالت للشيطان: "حسنًا قلت إنني أذهب لكي أدفن الميت. فإنه قد مات لي واحد، هو خطية أفكاري. وها أنا أذهب لأدفنه".

أجاب الشيطان وقال: "انصرفي أيتها المرأة (عما أنت قادمة عليه) فإنني أول أحبابك. وأنا لست مثلك، فإنني لا أضع يديّ عليك، بل اقدم لك ذهنًا اكثر من قبل".

أجابت المرأة الخاطئة وقالت: "إنني غاضبة يا هذا. فإنك لستَ بمحب لي. إنني اقتني لي زوجًا في السماء، للذي هو اللّه، الذي هو فوق الكل، سلطانه يبقى إلى الأبد وملكوته لا يزول. إنني هوذا أقول في حضرتك، بل وأعود فأكرر ولا أكذب، إنني كنت عبدة للشيطان منذ طفولتي إلى اليوم. وكان يطأ بأقدامه عليّ، وأنا بدوري أهلكت كثيرين. أصباغ العيون أعمت عيني. لقد كنت عمياء، ولم أكن أعرف أن هناك واحد هو الذي يقدر أن يهب النور للعميان. وها أنا أذهب لأنال نورًا لعينيّ، وبهذا النور أضيء لكثيرين. لقد كنت من قبل مُقيدة برُبط وثيقة، ولم أكن أعرف إنه يوجد واحد يُحطم الأوثان. وها أنا أذهب إليه ليبيد أوثاني، وأنزع غباوة الكثيرين. لقد كنت مجروحة ولم أعرف أن هناك واحد هو الذي يقدر أن يُضمد جراحاتي. وها أنا أذهب إليه لكي يُضمدها".

تكلّمت المرأة الزانية بهذه الأمور بحكمة مع الشيطان. فتنهد وحزن ثم بكى. صرخ صرخة مدوّية وقال: "لقد انهزمت منك يا امرأة، ولستُ أدري ماذا أفعل؟"

الشيطان في حيرة

ما أن أدرك الشيطان عجزه عن تغيير ذهنها، حتى بدأ يتنحب نفسه قائلاً:

"هوذا منذ الآن تشامخي يهلك، وكبرياء كل أيامي يبيد. كيف ألقي الشباك لتلك التي ارتفعت إلى الأعالي؟ كيف أصوّب ضدّها السهام هذه التي حُصونها لا تهتز؟ لذلك فإنني أذهب إلى حضرة يسوع... هوذا قد أوشكت أن تمثل في حضرته.

لأذهب وأقول له: هذه المرأة زانية، لعلّه يحتقرها ولا يقبلها. لأقول له: هذه المرأة التي جاءت إلى حضرتك هي زانية. لقد أسرت رجالاً بفجورها، وأفسدت الشبان. ولكن أنت أيها الرب بار والكل يحتشد لكي يراك. فإن رأتك البشرية تتحدث مع زانية، يهربون من حضرتك، ولا يُسلم عليك أحد.

ولكن كيف أدخل في حضرة يسوع، هذا الذي يعرف كل المكنونات الخفية؟ إنه يعلم من أنا؟ إنه يعرف إنني لا أقوم بعمل ما بقصد حسن. فربما ينتهرني فأهلك وتفسد كل حيلي. إنني أذهب إلى سمعان، لأن سمعان لا يُدرك الخفيات. وأضع في قلبه هذا الأمر، فربما اصطاده بهذه الصنارة. وهكذا أقول له: "استحلفك بحياتك يا سمعان أن تُخبرني عن ذلك الرجل الذي استضفته في بيتك: هل هو بار أم صديق للأشرار؟ فإنني إنسان غني ولي ممتلكات كثيرة، ولرغب أن أستضيفه مثلك حتى يبارك ممتلكاتي"...

أجاب سمعان قائلاً: "منذ رأيته لم أرَ فيه جنسًا، بل بالأحرى أرى فيه هدوءًا وسلامًا وخيرًا. الضعفاء شفاهم بغير مكافأة، والمرضى بغير أجر. في البرية رأى الجياع يخورون جوعًا، فأجلسهم على العشب وأشبعهم برحمته. الأرملة التي ليس لها أحد، تبعت ابنها [الوحيد] لتدفنه في القبر، فعزّاها، وردّه إليها. وأبهج قلبها. وهب البكم والعمي بصوته شفاء. البرص شفاهم بكلمته. الأعمى الحزين المتضايق فتح عينيه ليُعاين النور. أما من جهتي أنا فإنني قد سمعت عن شهرة هذا الرجل من بعيد فدعوته لكي يبارك ممتلكاتي ولطعامي ومواشي".

بعد ما نطق سمعان بهذا الكلام، أجابه الشيطان: "لا تُسجد إنسانًا منذ البداية، لكن انتظر حتى النهاية. فالرجل تبدو عليه سمات الوقار ههنا، ونفسه لا تُسر بالخمر. فإن ترك بيتك دون أن يتحدث مع زانية فهو إذًا بار وليس بصديق لأناس يرتكبون الشر".

بمكر نطق الشيطان بهذا مع سمعان، ثم اقترب، لكنه وقف بعيدًا ليرى ماذا يحدث؟

المرأة الزانية عند الباب

وقفت المرأة المملوءة معاصيًا ملتصقة بالباب. لقد ضمّت يديها للصلاة، وهكذا توسّلت [سرًا]:

"مبارك أيها الابن الذي نزل إلى الأرض من أجل خلاص الإنسان. لا تُغلق الباب في وجهي، فأنت دعوتني وها أنا قد أتيت. إنني أعرف أنك لا تحتقرني. افتح لي باب رحمتك، لكي أدخل يا ربي، وأجد لي فيك ملجأ من ذلك الشرير [الشيطان] وجنوده. لقد كنت كعصفور والصقر يلاحقني. لقد هربت والتجأت إلى عُشك. لقد كنت كبقرة، والنير هيّجني. ها أنا أرتد إليك من ضلالي، فضع على كتفي نيرك الذي أحمله".

هذا ما نطقت به المرأة الزانية عند الباب وهي تبكي بدموع غزيرة.

تطلّع رب البيت فرآها، وللحال تغيّر لون وجهه، وبدأ يوجه حديثه للزانية قائلاً: "أُخرُجي من هنا يا زانية، فإن الذي دخل ها هنا هو بار، وأتباعه هم بلا لوم. أما يكفيك يا زانية أنكِ قد أفسدتِ المدينة كلها؟ لقد أفسدتِ الطاهرين بغير خجل. لقد سلبت الأيتام بغير حياء. لقد نهبت ربح التجار وملامح وجهك لم تخز. إن شباكك لن تُفسد هذا الرجل، لأنه بالحق هو بار، وأصحابه بلا لوم".

إذ انتهى سمعان من حديثه، أجابته المرأة الخاطئة وقالت له: "بالتأكيد أنت هو حارس الباب لكنك لا تعرف الأسرار الخفية. إنني سأعرض أمري في الوليمة، وأنت سوف لا يكون عليك لوم [إذ تتركني أدخل]، لأن إن كان أحد يرغب في دخولي، فسيأمرني بالدخول، فأدخل".

أسرع سمعان وأغلق الباب [في وجهها] وابتعد. وتأخر كثيرًا دون أن يعرض أمرها في الوليمة. وأما هو [السيد المسيح] العارف بالأسرار، فإنه أومأ إلى سمعان وقال له: "تعال يا سمعان. إنني آمرك، هل يوجد على الباب أحد؟ أيا كان هذا الإنسان افتح له لكي يدخل ليأخذ ما يحتاج إليه وينصرف. فإن كان جائعًا ومحتاجًا إلى طعام، فها هوذا في بيتك يوجد مائدة الحياة. وإن كان ظمآنًا ومحتاجًا إلى ماء، فها هنا في مسكنك يوجد الينبوع المبارك. وإن كان مريضًا ويطلب الشفاء، ففي

منزلك الطبيب العظيم. دع الخطاة يتطلعون إليّ، فإنني من أجلهم قد نزلت، وإنني أصعد إلى السماء، حاملاً على كتفي القطعان التي ضلت من بيت أبي، وارتفع بها إلى السماء".

لقاء مع يسوع

اقترب سمعان وفتح الباب قائلاً: "ادخلي واصنعي ما شئت لذاك الذي هو مثلك".

دخلت المرأة الخاطئة المملوءة عصبانًا. عبرت ثم وقفت عند قدميه. ضمت يديها مصلية [سرًا] قائلة:

"عيناي قد صارتا ينابيع دموع، لا تكف عن أن تُروي الحقول، وها هي اليوم تغسل قدمي ذاك الذي يبحث عن الخطاة. هذا الشعر عزيز منذ طفولتي حتى اليوم، لبته لا يحزنك أن أمسح به جسدك الطاهر. الفم الذي قبّل الفجار، لا تمنعه عن أن يُقبّل الجسد الذي يغفر المعاصي والفجور."

بهذا تكلّمت المرأة الخاطئة مع يسوع ببكاءٍ كثير. أما سمعان فوقف من بعيد يترقب ماذا يفعل الرب معها[٦].

تركزت أنظار سمعان على المرأة يرقب كل حركة من حركاتها، وإذا به يسمح لأفكاره قائلاً في نفسه:

"ما هذا؟ امرأة زانية تدخل بيتي! بيتي أنا الفريسي الطاهر الذي لم يتجنس قط! آه لو علمت هذا ما كنت قد دعوتك يا يسوع! لقد خدعتني يا يسوع! هل هذا معلّم، ويترك الزانية تغسل رجليه بدموعها دون أن يطردها؟ هل هذا نبي، ويترك النجسة تمسك بيديها النستين رجليه لتمسحهما بشعر رأسها؟ لقد صدّق ذاك الذي نصحني إنه ما كان لي أن أحكم عليه من السماع أو من بداية أمره.

إنه ليس نبي! إنه صديق للزناة والخطاة! إنه ليس بار كما ظننته. لو كان هذا نبيًا لعلم من هذه المرأة التي لمسته إنها خاطئة".

---

[٦] الحديث التالي كله من وضع المترجم مستعينًا بأقوال الكتاب المقدس [لو٧] وبعض عبارات مارفرآم الواردة في مقالة عن "ربنا" Our Lord .

وإذ هو غارق في أفكاره إذ بيسوع - عارف الأسرار- يومئ إليه قائلاً بلطف: "يا سمعان عندي شيء أقوله لك".

خجل سمعان، إذ بينما هو يُجدف على المعلّم، إذ بالمعلّم يحدثه في لُطف ورقة، يحدثه كصديق يستشيره في أمر خاص. عندئذ بدء يُفكر قائلاً في نفسه:

"من يكون هذا؟ أنا حكمت عليه ليس بنبي، وأمّا هو فيريد أن يستشيرني في أمر ما. وبلطف زائد يُحدثني حديث الصديق مع صديقه. يا سمعان عندي شيء أقوله لك. إنه بالحق مُعلّم".

عندئذ أجاب سمعان في خجل من نفسه: "قل يا معلّم".

قال له يسوع: "كان لدائن مديونين. على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيانه سامحهما كليهما، فقل أيهما يكون أكثر حبًا له؟"

أجاب سمعان للحال قائلاً: "أظن الذي سامحه بالأكثر".

فقال له يسوع "بالصواب حكمت".

عندئذ تطلع يسوع إلى المرأة وتحدث مع سمعان معاتبًا إياه، لأن ما كان يلزم أن يصنعه ولم يفعله قامت به تلك التي كانت زانية وممقوتة. "أنظر هذه المرأة. إنني دخلت بيتك وماء لرجلي لم تُعط ها أنت يا سمعان قد أحجمت حتى عن واجب الضيافة العادي. وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع. أنظر أيّ ثمن تستحقه؟ بزيت لم تدهن رأسي، تأمل علامة إهمالك. وأما هي فقد دهنت بالطيب رجلي، تأمل علامة غيرتها. قُبلة لم تُقبلني، تأمل شهادة عدلوتك. وأمّا هي فلم تكف عن تقبيل رجلي، تأمل علامة حبها. من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة، لأنها أحبت كثيرًا. والذي يُغفر له قليل يُحب قليلاً".

ثم التفت يسوع إلى المرأة وقال لها: "مغفورة لك خطاياك".

عندئذ أحنى سمعان رأسه وبدأ يُفكر في نفسه قائلاً:

"مغفورة لكِ خطاياك... مغفورة لكِ خطاياك... من يغفر الخطايا إلا الله وحده.

آه. لقد حسبته نبيًا فدعوته ليُبارك بيتي، ولغبلوتي حكمت عليه أنه ليس بنبي

لأنه غير عارف لسر المرأة.

والآن من يكون هذا؟!.

إنه يعرف المرأة تمامًا... يعرف إنها خاطئة جدًا، ولكنها تُحب كثيرًا.

لقد تعجّلتُ وتسرّعتُ وحكمتُ عليه إنه لا يعرف سرها. وها هو يعلم أفكاري الخفية.

ظننته لم يعرف خطاياها، وحكمت عليه أنه ليس نبي، مع أن الأنبياء لا يعرفون كل الأمور، بل ما يُكشف لهم.

تسرّعت في الحكم عليه، وهو استشارني بلطف.

جذفت عليه في داخلي، وها هو يعلن ذاته لي.

إنه المُحب...

ساتر الخطايا...

عارف أفكاري وأسراري...

غافر للخطايا...

هو هو رب الأنبياء بعينه..."

اثنان ماتا في الثالثة والثلاثين[٧]

مات الإسكندر الأكبر ويسوع المسيح في الثالثة والثلاثين من عمرهما.

- مات واحد من أجل ذاته، والآخر لأجلك ولأجلي.
- مات واحد على الفراش، والآخر مات على الصليب.
- مات واحد كأكبر غالب، ومات الآخر كمن فشل.
- مات واحد يتقدمه موكب عسكري، والآخر اجتاز الموت وحده.
- واحد سفك دماء العالم، والآخر قدم دمه عن العالم.
- واحد ربح العالم في حياته وفقده بموته، والآخر رفضه العالم في حياته وبموته ربح حب العالم.
- واحد مات في بابل والثاني خارج أورشليم.
- واحد اقتنى كل شيء لنفسه، والآخر قدم نفسه للجميع.
- واحد عاش يرعب الغير، والآخر عاش يبارك الغير.
- واحد مات فسقط العرش عنه، والآخر مات ليحمل الكل إلى عرشه.
- واحد أقام عرشه على سفك الدماء، والآخر أقامه على حبه وبذل دمه.
- واحد ولد من الأرض، والآخر جاء من فوق.
- واحد غلب كل الأرض ليفقد الأرض والسماء، والآخر أخلى نفسه عن كل شيء فربح الكل.
- اليوناني مات إلى الأبد، ويسوع يحيا إلى الأبد.
- واحد فقد كل من اقتناه، والآخر ربح كل ما قدمه للآخرين. (يو٥: ٢٥-٢٦)

✞ ✞ ✞

---

[٧] *Cf. Archibald Nuismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes..., vol.2, p. 57-58.*

مكتبة للفتيان

قصص قصيرة

مع قصة

العبد الناسك

١٥٧ — ١٧٠

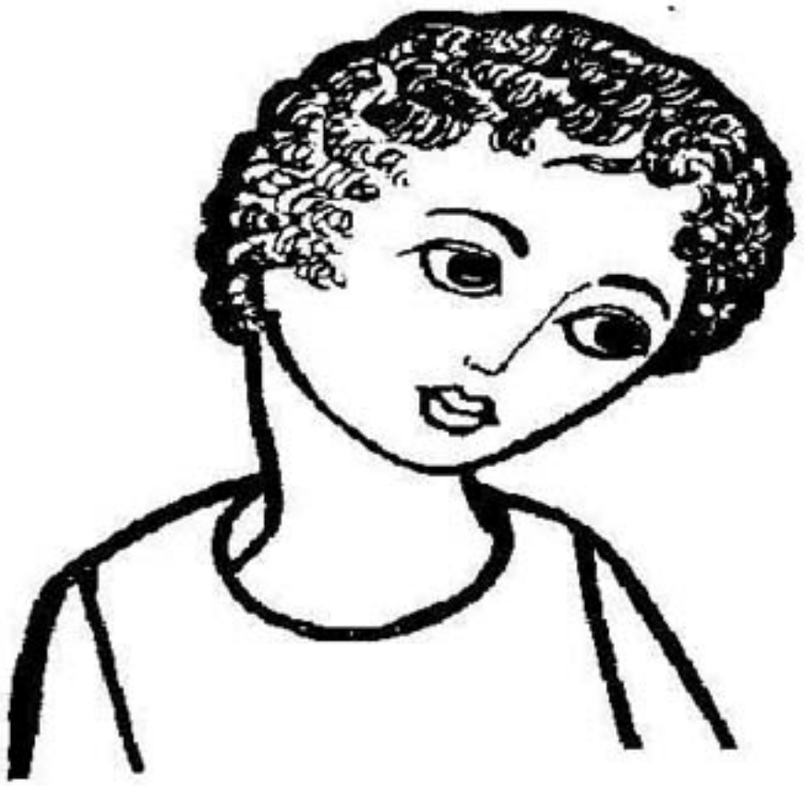

الخياط الطوباوي

جلس شنودة مع ابنه يروى له حياة القديس أنطونيوس، كيف باع كل شيء ووزع نصيبه على المحتاجين، وبدأ حياته النسكية في كوخ على شاطئ النهر، ثم انتقل إلى البرية الشرقية حيث عاش في مغارة، لا عمل له إلا العبادة الدائمة مع ضفر السعف وعمل الحلال والحُصر يعيش منها، ويرسل ما يفيض للمحتاجين.

كان الابن يتابع سيرة القديس أنطونيوس الذي كانت الشياطين تحاربه ولا تقوى عليه.

قال الابن: "هل كان القديس أنطونيوس يهرب من الناس؟

– كان يهرب من لقائهم أحيانًا، لكنه كان يحب الكل، ويصلي لأجلهم.

– لماذا لم يخدم في الكنيسة؟

– لم يخدم كقسيس أو كاهن، لكنه كان يسند البابا أثناسيوس، بزيارة الإسكندرية كان كثير من الهراطقة يرجعون إليه.

بسيرته كسب كثيرين للسيد المسيح مثل القديس أغسطينوس الذي تاب بمجرد سماعه عنه.

جاءه فلاسفة ملحدون وآمنوا على يديه أو خلال سيرته.

– هل لا بد لي أن أصير راهبًا لأبلغ درجته لدى الله؟

– لا؛ سأروى لك كيف بلغ خياط بسيط بالإسكندرية مرتبة القديس أنطونيوس.

– كيف.

أخذ شنودة يروي لابنه قصة الخياط الطوباوي، قائلاً:

بينما كان القديس يصلي في قلايته يبدو أن فكرًا عبر به: هل يوجد من بلغ مرتبتي لدى الله؟

فجأة سمع القديس صوتًا يقول له: "يا أنطونيوس. إنك لم تبلغ بعد ما بلغه خياط بالإسكندرية".

دُهش القديس، فقام للحال وأخذ عصاه، وهي قطعة "جريد"، وسار إلى الإسكندرية.

اهتز قلب الخياط البسيط أمام القديس الشيخ، واستقبله بحبٍ شديد، وحاول أن يقدم له طعامًا بكرمٍ شديدٍ، أما القديس فقال له: "ما هو عملك؟ وما هو تدبيرك الروحي؟"

أجاب الخياط: "لست أظن إني أعمل شيئًا من الصلاح".

قال القديس: "أخبرني كيف تقضي يومك؟"

قال الخياط: "إني استيقظ مبكرًا أصلي، وقبل أن أبدأ أشكر الله وأباركه، وأضع خطاياي أمام عيني، وأقول لنفسي: إن كل الناس الذين في المدينة سيذهبون إلى ملكوت السموات لأعمالهم الصالحة، أما أنا فصارت لي العقوبة الأبدية لخطاياي. إنني أكرر هذا الكلام عينه في المساء قبل أن أنام.

إذ سمع القديس أنطونيوس هذا الكلام قال:

"حقًا كمن يشتغل في الذهب، ويصنع أشياءَ جميلة ونقية في هدوءٍ وسلامٍ، هكذا أنت أيضًا، فبواسطة أفكارك الطاهرة سترث ملكوت الله، بينما أنا الذي قضيت حياتي بعيدًا عن الناس منعزلاً في الصحراء لم أبلغ بعد ما بلغته أنت".

هل يمكن يا أبي أن أصير قديسًا؟

- لقد دعاك السيد المسيح لتصير قديسًا.

- ماذا أفعل؟

- تذكر مع هذا الخياط البسيط ضعفك،

ولتملئ رجاءً وفرحًا بمخلصك،

فتشكر الله، وتباركه،

طول النهار قبل كل عملٍ.

✞ خطيتي أمامي في كل حين يا مخلصي الصالح.

حبك يغمرني فلا أيأس قط.

✠ أنا أول الخطاة،

بك أصير متهللاً مع قديسيك!

هب لي حياة الشكر الدائم،

فلا يتوقف كل كياني عن التسبيح لك!

المتوحد الهارب!

إذ ظهرت علامات الحمل على فتاة غير متزوجة أرادت أن تبرر موقفها، فادعت أن المتوحد مقاريوس هو الذي اغتصبها.

هاجت القرية جدًا على المتوحد، واجتمعت الجماهير حوله التي علقت في عنقه قدورًا قذرة جدًا وآذان جرارٍ مكسورة، وكانوا يسحبونه في الشوارع، ويضربونه، ويسخرون به.

جاء شيخ إليهم محاولاً أن يهدئ من الموقف، فصار أقرباء الفتاة يشتمونه، قائلين: "ها هو المتوحد الذي شهدت له بالفضل؛ انظر ماذا فعل".

أخيرًا قال والدها: "لن نطلقه حتى يأتينا بضامنٍ يتعهد لنا بالقيام بدفع نفقة ولادتها والإنفاق عليها وعلى طفلها.

دعا المتوحد الأخ الذي كان يخدمه وطلب منه أن يضمنه.

عاد المتوحد إلى قلايته بين حيٍّ وميتٍ، وكان يقول لنفسه: "كدّ يا مقارة، فها قد صارت لك امرأة، الآن يا مقارة لك امرأة وبنون. فينبغي عليك أن تعمل ليلاً ونهارًا لأجل احتياجاتك واحتياجاتهم".

وبالفعل كان يعمل بكل طاقته سلالاً، يبيعها له الأخ الخادم، ويدفع للفتاة الحامل كل ما تطلبه.

وإذ جاءت ساعة ولادتها تعسرت أيامًا كثيرة، فقالوا لها: "ما هذا؟ ما هو ذنبك؟ فإنكِ بعد قليل تموتين!"

اضطرت أن تعترف قائلة: "إن كل ما أصابني بسبب اتهامي للمتوحد ظلمًا؛ إنه بريء! لكن (فلان) الشاب هو الذي أغواني فسقطت معه في الخطية..."

شعر أهل الفتاة بحزنٍ شديدٍ، وانطلقوا نحو المتوحد، وسارت وراءهم

الجماهير تعتذر للمتوحد الذي لم يدافع عن نفسه، وتطلب الصفح عنهم، والصلاة لأجلهم.

إذ سمع تلميذه الذي يخدمه تهلل جذاء، وأسرع يخبر المتوحد بالخبر!

ما أن سمع المتوحد بذلك حتى خرج يجرى بسرعة هاربًا من المجد الباطل إلى الإسقيط، إلى وادي النطرون.

لم يهرب القديس مقاريوس من متهميه ظلمًا، لكنه هرب من مديحهم، فإنه ليس شيء يحطم حياة الإنسان مثل انحنائه لمديح الغير!

❁ ❁ ❁

ربما تسأل: كيف أستطيع أن احتمل كلمات الذم ظلمًا؟

يجيب القديس يوحنا ذهبي الفم:

"إن اتهمك أحد بقوله لك: يا زانٍ، قل لنفسك؛ حقًا لم أزنِ، لكنه كم مرت عليَّ أفكار شهوة في شبابي. لأحسب هذا الاتهام تأديبًا لي عن هذه الأفكار!

❁ ❁ ❁

✠ اسندني يا رب على احتمال كلمات المديح،

فبسببها سقط كثيرون!

فرّح قلبي بتعييرات الناس،

فأشاركك احتمالك لها!

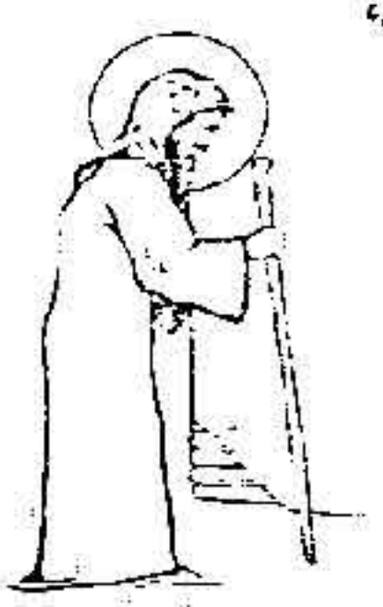

اقبل هذا القليل

جاء أحد أمراء الإسكندرية إلى منطقة القلالي لينال بركة آباء البرية، وكان معه مالاً ليقدمه للاخوة الرهبان.

ابتدأ يزور قلالي الرهبان، وبعد كل زيارة كان يقدم للراهب تقدمة، سائلاً منه أن يذكره في صلاته. فكان الراهب يجاوبه انه سيذكره في صلاته ويرفض تمامًا قبول أي مبلغ، لأن لديه ما يكفيه...

حاول الأمير مع كل الرهبان فلم يجد بينهم أحدًا يقبل شيئًا على الإطلاق، وأخيرًا جاء إلى القديس مقاريوس وسجد بين يديه، قائلاً: "لأجل محبة المسيح اقبل مني هذا القليل من المال لخدمة الآباء".

أجابه القديس: **"نحن جميعًا بنعمة الله مكتفون، وليس لنا احتياج إلى شيء، وكل الاخوة يعملون بأكثر مما يحتاجون".**

حزن الأمير جدًا حاسبًا كأن الله قد رفض تقدمته، وقال: "يا أبتي، من أجل الله لا تخيب تعبي، واقبل مني هذا القليل الذي أحضرته".

قال له القديس: "امضِ يا ولدي وأعطه للاخوة". أما الأمير فقال: "لقد حاولت ذلك، طفت على جميع الأخوة، ولم يأخذ أحد منه شيئًا، بل كان بعضهم لا ينظر إليه البتة".

فرح القديس بذلك وطلب من الأمير أن يأخذ معه ماله إلى العالم ويقدمه للمحتاجين في العالم، **أما الذين في الرهبنة فهم أموات، لا حاجة لهم إلى شيء مما في العالم.**

لم يسترح قلب الأمير، إذ حسب كأن الله قد رفض تقدمته. فترفق به القديس وطلب منه أن ينتظر قليلاً. ثم أخذ منه المال وأفرغه على الأرض أمام باب الدير،

وأمر بضرب الناقوس، فجاء الاخوة وكان عددهم حوالي ٢٤٠٠ راهبًا.

وقف بينهم القديس وقال: "يا اخوة من أجل محبة المسيح، إن كان أحدكم محتاجًا إلى شيء فليأخذ من هذا المال بمحبة".

عبر جميعهم على المال، ولم تمتد يدّ أحدهم إليه.

لم يحتمل الأمير المنظر، فألقى بنفسه بين يديّ القديس صارخًا: "من أجل الله رهبني".

أوضح القديس للأمير تعب الرهبنة الكثير... فأصر على الرهبنة، أما من جهة المال فبنى به موضعًا بالدير.

✞ ✞ ✞

لم يوجد بين ٢٤٠٠ راهبًا إنسان يمد يده ليأخذ شيئًا من أموال مقدمة بحب لهم، وكان كل منهم يحسب نفسه قد مات مع المسيح وقام، فلا حاجة له إلى شيء. من أجل الرب يعمل ويجاهد لكي يقتات بالكفاف وما تبقى يقدمه للمحتاجين في العالم.

هذا ليس حال الراهب فحسب، بل كل مسيحي حقيقي يدخل السيد المسيح القائم من الأموات قلبه، فلا يشعر بالعوز. يجد مسرته في العطاء والبذل، لا في الأخذ والاقتناء! يعيش كل حياته كينبوع يفيض على الغير بالعطاء في سخاء!

✠ ✠ ✠

✞ لأمت معك، وأقوم معك،

فأتنعم بحياتك المقامة المجيدة!

✞ لا تعوزني شيء من هذا العالم،

إذ أجد فيك كفايتي ومجدي!

✞ لأقتنيك فلا اشتهي شيئًا!

لأنعم بك، فتفيض حياتي بالعطاء الدائم!

وأجد مسرتي في العطاء لا الأخذ!

✠ ✠ ✠

الكلمة الطيبة

إذ كان القديس مقاريوس ذاهبًا من الإسقيط إلى جبل نتريا طلب من تلميذه أن يتقدمه. في الطريق التقى بكاهنٍ وثني يحمل بعض الحطب في الظهيرة حيث كان الحرّ شديدًا، وكان يركض بسرعة.

حزن التلميذ على الكاهن الذي يبذل كل جهده هباءً، فقال له: "يا خادم الشيطان؛ إلى أين أنت تجري؟"

اغتاظ الكاهن فألقى بالحطب على الأرض، وصار يضرب الراهب بكل قوته حتى تركه بين حيّ وميت. ثم حمل الحطب وسار في طريقه.

التقى في الطريق بالقديس مقاريوس، فتأثر بالكاهن الذي كان يحمل حطبًا ثقيلاً ويركض في الحر الشديد، فقال له: "لتصحبك المعونة يا رجل النشاط!"

تأثر الكاهن بكلمات القديس الرقيقة الصادرة على قلبٍ محب ووجهٍ باشٍ، فأقبل إليه وهو يقول: "أي شيء صالح رأيته فيّ حتى حييتني هكذا؟"

أجابه القديس: أراك تكد وتتعب، وإن كنت لا تدري لماذا".

إذ شعر الكاهن الوثني بملامح القديس المملوءة لطفًا ورقة نحوه، ألقى بالحطب على الأرض وقال للقديس: "لقد تأثرت بتحيتك، وعرفت أنك تنتمي إلى الإله العظيم، ولكن التقي بي راهب شرير لعنني فضربته ضرب الموت".

عرف القديس أنه يتحدث عن تلميذه...

بكلمات المحبة انجذب الوثني إلى السيد المسيح واشتهى أن يكرس حياته للعبادة ويصير راهبًا، قائلاً له: "لن أدعك تمضي حتى تجعلني راهبًا".

غيّر الوثني اتجاه سيره، وسار مع القديس حتى التقيا بالأخ المطروح أرضًا، فحملاه إلى الكنيسة جبل نتريا.

اهتم الرهبان بالأخ المُصاب، لكنهم تعجبوا كيف اهتدى الكاهن إلى الإيمان واشتهى الرهبنة في جلسة واحدة مع أبيهم الروحي.

كان القديس يقول لهم:

"إن الكلمات الشريرة المملوءة كبرياء تحول الأخيار إلى أشرار، ولكن الكلام الطيب المتواضع فيحول الأشرار إلى أبرار".

✞ ✞ ✞

✞ لتسكن فيّ أيها البار الوديع،
فأحمل سمات الوداعة،
ولا تخرج من شفتي كلمة جارحة!

✞ لأشهد لإتجيلك وسكناك فيّ،
يا من لا تصيح ولا يسمع أحد صوتك!
يا محب الخطاة والمترفق بالجميع!

✞ أنت عذب في حديثك معي،
هب لي العذوبة في حديثي مع اخوتي.
لكن من أين لي أن أقدم هذه العذوبة،
ما لم أتحد بك يا أيها الحب الحق؟!

صاحب الذراع المكسور

إذ كان مجدي عائدًا إلى منزله في ساعة متأخرة بالليل، تزلقت قدمه فسقط على الأرض. انكسر ذراعه الأيسر، وجاءت الإسعاف وحملته إلى المستشفى.

في الصباح بالكاد استطاع أن يحلق ذقنه، بعد أن أصيب بجراحات خفيفة في وجهه.

بالليل إذ كان متألمًا لم يستطيع أن ينام. لقد تخيّل الحوار التالي.

قال ذراعه الأيمن لذراعه الأيسر: "إننا لا نفتقدك أيها الذراع الأيسر، فإن كل الأعضاء مسرورة أن الكسر قد لحق بك وليس بي، فبدوني يعجز الجسد كله عن أداء مهمته، أما أنت فلست هامًا بالنسبة لهم".

أجاب الذراع الأيسر في اتضاع: "أنا أعلم أنك هام جدًا، وأنت أعظم مني!"

علق الذراع الأيمن: "حقًا أعظم منك، فبدوني لا يستطيع صاحبي أن يكتب خطابًا".

قال الذراع الأيسر: "ولكن من الذي يمسك بالورقة حين يكتب الخطاب؟"

قال الذراع الأيمن: "يستخدمني صاحبي عندما يحتاج أن يطرق شيئًا بمطرقة".

علق الأيسر: "ومن يمسك له المسمار؟"

قال الأيمن: "من يحرك الفأرة عندما يريد النجار أن يجعل قطعة خشبية ملساء؟"

علق الأيسر: "ومن الذي يمسك له الخشبة لتثبيتها؟"

قال الذراع الأيمن: "عندما يسير صاحبي في الطريق، مَنْ منا يمسك قبعته ليحيّ بها أصدقاءه وجيرانه؟"

علق الأيسر: "ولكي يمسك بالقبعة، من يحمل له حقيبته الصغيرة؟!"

أخيرًا قال الذراع الأيسر للأيمن:

"عندما انكسرت اليوم، ألم يجد صاحبي صعوبة في حلاقة ذقنه، بالرغم من حرصه الشديد، إذ كان يمسك بك "أدوات الحلاقة"، لكنه لم يجدني اسنده بتهيئة جلد وجهه أثناء الحلاقة؟!

بدوني لم يستطع أن يمارس الكثير من أعماله...

إنه محتاج إليك كما هو محتاج إليّ...

هلم نعمل معًا، وإن كان لكل منا دوره!"

- هب لي يا رب ألا أحتقر عمل أخي،

بل أعمل معه لحساب ملكوتك!

أعتز به وبمواهبه!

- بدونه لا قيمة لي!

بدونه لا اختبر اتحادي معك!

ضُمنا جميعًا فيك يا رأس الجميع!

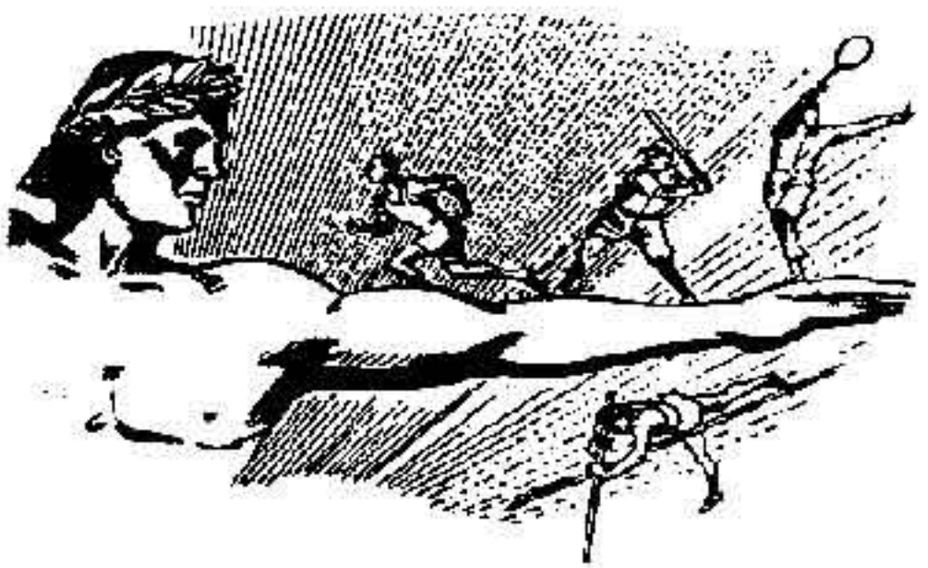

شلالات نياجرا وقشرة البرتقال

جاء الشاب ديفِد إلى أب اعترافه وهو في حالة إحباط شديد، يقول له: "منذ سنوات طويلة لم أسقط في خطية... وفجأة إذ استسلمت للفكر سقط فيها بعد دقائق!"

حاول الأب الكاهن أن يُهدئ من نفسية ابنه الروحي ديفِد، مؤكدًا له كلمات الرسول بولس: "من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (١كو١٠:١٢) وأن نصرتنا على خطيةٍ معينةٍ ولو إلى سنواتٍ لا يعني غلبتنا الحتمية، بل تتطلب حذرنا المستمر، متكلين على نعمة الله الفائقة.

روى الكاهن له هذه القصة الشهيرة التالية:

استطاع الرجل الإنجليزي بوبي ليتش Bobby Leach أن يسحب أنظار العالم كله منذ سنوات حين عبر شلالات نياجرا بكندا وهو في برميل دون أن يُصاب بخدشٍ واحدٍ. في بطولة وبجسارة اجتاز دوّاماتها.

لم تمضِ فترة طويلة إذ كان يسير في الطريق انزلق بسبب قشرة برتقال صغيرة، وحُمل إلى المستشفى بكسرٍ خطيرٍ في قدمه!

ذاك الذي لم تستطع دوّامات شلالات نياجرا أن تصيبه بخدشٍ بسيطٍ، كسرت قشرة برتقال صغيرة قدمه، وصار في خطرا

✞ بك يا مُخلصي أستطيع أن أتحدى!

وهبتني سلطاناً أن أدوس على الحيات والعقارب وكل قوة العدو!

✞ بك أتحدى إبليس وكل قواته،

العالم بكل شروره،

الجسد بكل شهواته.

✞ بدونك أسقط في تهاون،

وأسقط أمام أتفه خطية.

قد تهزمني فكرة مجردة،

قد يُحطمني ثعلب صغير يفسد كروم قلبي!

✞ كن سندًا لي،

هب لي روح اليقظة والسهر!

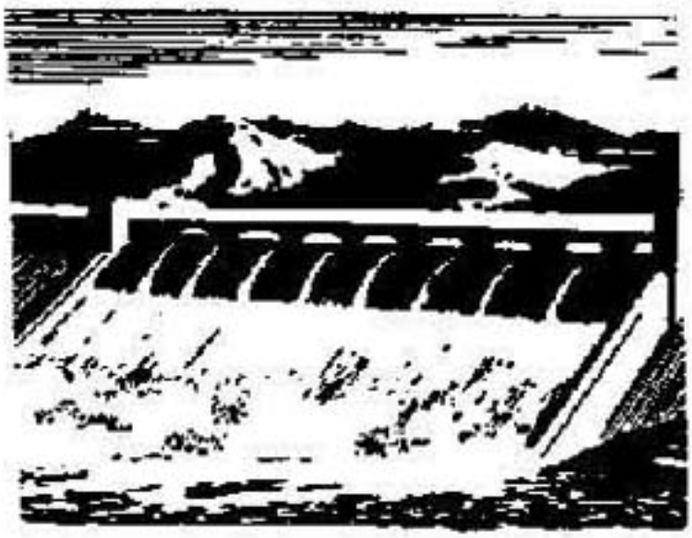

خادمة للبشرية

عند ذهابي للخدمة بمدينة لوس أنجيلوس عام ١٩٧٠ طلب مني المتنيح القمص بيشوي كامل أن نزور أحد أحبائنا الإثيوبيين كنوع من المصالحة. سألته عن سبب غضبه، فقال لي أبونا الحبيب: "لقد غضب جدًا لأنني قلت في إحدى العظات إن السيدة العذراء أمنا أرادت أن تصير خادمة للبشر. لقد غضب قائلاً لي: كيف تقول عن الملكة أم ملك الملوك خادمة؟!"

بالفعل قمنا بزيارته، ولم يتركه أبونا حتى تصالح معه، موضحًا له أنه يحب السيدة العذراء، أم كل المؤمنين، الملكة السماوية، التي تفوق الشاروبيم والسيرافيم، وأنها شفيعته المحبوبة لديه جدًا.

تذكرت هذه القصة في ليلة خميس العهد هذا العام وأنا أتحدث عن يهوذا الذي تشاور مع القيادات اليهودية لتسليم سيده مطالبًا بثلاثين من الفضة ثمن عبد. هذا ليس بالأمر العجيب إذ يصدر عن قلب محب للمال، ولكن ما يشدّ كل أعماقي أن سيد الكل وخالق الجميع احتل مركز آخر العبيد بإرادته.

كل عبد ينحني ليغسل أقدام الأسرة، سادته، يشعر بشيء من الذل والعار، حاسبًا في أعماقه أنها إهانة لإنسانيته، أما السيد المسيح فينحني بإرادته طالبًا من كل خاطئ أن يسمح له أن يمد قدميه المتسخين ليغسلهما. إنه يترجى كل إنسان أن يقبل ذلك. هكذا يجد سيد الكل مسرته في عمل العبيد؛ لكنه وهو يغسل الأقدام بالمياه، يغسل القلوب بدمه الثمين!

أخذ شكل العبد وأطاع حتى الموت موت الصليب. قبل العبودية الباذلة التي تفدي الغير بحياتها.

✠ قبلت أن تصير عبدًا،

يا من تنحنى أمامك كل الخليقة السماوية!

تسألني أن أسلمك قدمي المتسختين،
تغسلهما بيديك أيها القدوس!

✞ اسمح لي أن أشاركك حبك.
اشتهي أن أستعبد نفسي معك للكل،
فأربح الكثيرين.
هب لي أن أدخل في سباق،
أركض نحوك، لعلي أصير معك عبدًا.

الباب ضيق[1]

إذ سمع جرس الباب فتح جون فوجد مندوب شركة أثاثات يسلمه طردًا ضخمًا، عبارة عن سرير أطفال كان قد اشتراه من الشركة.

فرح جون بالطرد، لأن سرير طفله الوحيد صار صغيرًا عليه. فتح الطرد وبدأ تركيب السرير، وإذ كان الجو باردًا طلبت منه زوجته أن يدخل المطبخ ويقوم بتركيبه هناك. وبالفعل قام بتركيبه و"تغريبته".

كان الطفل متهللاً بسريره الجديد، يحاول أن ينام فيه، لكن والديه طلبا منه أن ينتظر إلى دقائق حتى تتم تغريبته. وإذ صار السرير معدًا تمامًا، ارتمى الطفل عليه. سأله والده أن يقوم، فإنه سيحمل السرير مع والدته إلى حجرته الخاصة.

كانت المفاجأة أن باب المطبخ ضيق بالنسبة للسرير. حاولا بكل الطرق فلم يفلحا، إذ كان الأمر يحتاج إلى بوصة واحدة حتى يمكن إخراج السرير والدخول به إلى حجرة الطفل لينام عليه.

لم يكن هناك أي حل سوى تحطيم السرير الذي كان قد التصقت أجزاؤه تمامًا بمادة لاصقة وليس بمسامير، كان لابد من شراء سرير جديد!

لا تعجب مما فعله هذان الوالدان، فإنك كثيرًا ما نفعل نحن نفس الأمر. فإن نفسك أشبه بالابن الوحيد الذي يريد أن يُقام له سرير لراحته. تبذل كل جهدك بحسابات بشرية تختلف عن الحسابات الإلهية، وإذ تعبر بالسرير لكي تستريح تجد مسيحك، الباب الضيق، الذي وحده يدخل بك إلى حضن أبيه السماوي!

إن أردت لنفسك طهارة وعفة وراحة حقيقية يلزمك أن تحسب حساب النفقة، تقبل السيد المسيح المصلوب عاملاً فيك.

---

[1] *cf. D.G Barnhouse: Let Me Illustrate, p. 359-60.*

✞ كيف تستريح نفسي؟
قدمتُ لها كل راحة زمنية،
لكنها صارت كما في تيه!
✞ أنت هو الباب الضيق،
لكنك تدخل بنفسي إلى حضن أبيك،
بك أتمتع بشركة أمجادك!
✞ ما ظننته لبهجة نفسي أهلكها،
أنت وحدك أيها المصلوب سرّ تعزيتي وسلامي!

كتلة من الطين

أعلن الفنان الإيطالي الشهير بنفنيتو كيليني *Benvenuto Cellini* عن وصول قطعة رخام ضخمة بها عيب، وضعها في ميدان فلورانس. سمع عنها كثير من الفنانين، فجاءوا إليها، وكانوا ينظرون إليها ويتركونها، فإنها لا تصلح لشيء.

كان المارة من الإيطاليين ينظرون إلى قطعة الرخام باشمئزاز، وطالب البعض بسحبها من الميدان، لأنها تشوه جمال الميدان.

فجأة جاء رجل وصنع سورًا حول هذه القطعة، كما أقام مظلة، وبقي هذا المنظر لمدة عامين، والكل لا يعرف ما وراء السور.

بعد عامين نُزع السور ومعه المظلة، وكانت المفاجأة هي ظهور تمثال داود النبي للفنان العظيم مايكل أنجلو! إنه الشخص الوحيد الذي استطاع أن يُخرج من قطعة الرخام هذه تمثالاً يُعتبر قطعة فنية عالمية نادرة!

كثيرًا ما تنظر إلى نفسك ككتلةٍ من الطين، فتقول مع الرسول بولس: "ليس فيّ، أي في جسدي شيء صالح".

إن كنت كتلة طين، فإن الله يحيطك بسور الجسد، ويظلل عليك بمظلة مؤقتة، لكنه حتمًا تمتد يد الخالق لتُخرج من هذه الكُتلة لا تمثالاً لداود النبي بل أيقونة حية لابن داود، السيد المسيح، يشتهي الملائكة أن يتطلعوا إليك. إنهم يرون مجد ابنة الملك في داخلك.

✞ ✞ ✞

✞ لتمتد يدك أيها الفنان الأعظم،

تحول كتلة الطين إلى قطعة فنية سماوية،

تُخرج من التراب سماء، وتُقيم من قبري ملكوتك المُفرح!

لمسات يد خلاّقة!

في زيارة لإحدى فصول ابتدائي إلى مصنع فخّار بقنا في صعيد مصر، وقف الطلبة ومعهم المدرسون المشرفون عليهم في دهشة أمام الفخاري، الذي كان يمسك بيده قطعة طين ويضعها على الدولاب، وبسرعة يحرك عجلة الدولاب، ويُشكّل قطعة الطين على شكل إناءٍ جميلٍ.

أمسك أحد الطلبة قطعة طين، واستأذن الفخّاري لكي يضعها على الدولاب، ويحرك العجلة بنفسه. وإذ سمح له الفخاري، صارت قطعة الطين إناءًا جميلاً. أمسك به الطالب وحاول أن يُعدّل شيئًا فيه، فانكسرت رقبة الإناء.

حزن الطالب جدًا، وصار اخوته الطلبة يضحكون عليه، بينما انتهره أحد المشرفين. أما الفخّاري فبابتسامة لطيفة أمسك بالإناء المكسور، وبلمسات يده الخلاّقة صار الإناء أكثر جمالاً مما كان عليه عند خروجه من الدولاب. ففرح الطالب جدًا وأيضًا زملاؤه.

إن كانت حياتنا أشبه بقطعة طين فإننا إن حاولنا بأيدينا أن نُشكلها تتكسر وتفقد حياتها. إنها في حاجة إلى لمسات يد اللّه، عمل السيد المسيح، الذي بقدرته الفائقة يقيم منها أيقونة حيّة له، تصلح أن يكون لها موضع في السموات!

✝ تطلع إليّ يا جابلي أنا حفنة التراب!
من يقدر أن يُشكّلني على مثالك إلا أنت!
بذلت كل الجهد،
لكن كلما أريد أن أصنع الخير،

أجد الشر ماثلاً بين يديّ!

يداي تفسداني،

أما يداك فتُقدّساني،

نعمتك تحملني إلى سمواتك!

كثيرون يسخرون بعجزي على تقديس نفسي،

أما أنت فبحبك تملأني رجاء... كمن يبتسم لي.

تمسك بيدك حياتي، لتُعيد خلقتها في بهاء عجيب!

الخيط الخفي

احتفلت الأسرة بعيد عماد الطفل ستيفن، الذي فرح عندما دخل صالة احتفالات استأجرتها الأسرة لهذا الغرض.

وجد الطفل "بالونة" ضخمة كُتب عليها اسمه وتاريخ عماده، وكانت البالونة مربوطة بعدة خيوط ملونة. أمسك الطفل بمقصٍ وقطع الخيط الأول فلم تتحرك البالونة، ثم الخيط الثاني فالتالي، وهكذا حتى كل الخيوط الملونة، ومع هذا لم تتحرك البالونة. ذهب الطفل إلى والده يسأله عن السبب.

أمسك الوالد بالمقص وذهب نحو البالونة حيث وجد خيطًا شفافًا، ما أن قطعه حتى ارتفعت البالونة في ثوانٍ وبلغت إلى سقف الصالة. ورأى الكل اسم الطفل مكتوبًا عليها، وأيضًا تاريخ عماده. فرح ستيفن بصعود البالونة إلى سقف الصالة.

وأنت أيضًا كثيرًا ما تمسك معي مقص الإرادة الجادة لتقطع رباطات نفسك من الرذائل، لكن تبقى أعماقك ملتصقة بالتراب، وكأن السماء بالنسبة لها إما أمرًا مستحيلاً أو خياليًا. لكنك تحتاج أن تُقدم ذاتك للسيد المسيح كأبٍ يمسك بمقص صليبه ليقطع رباطات نفسك الخفية بالتراب، فترتفع كما بجناحيّ الروح نحو السماء.

✝ تشتهي نفسي أن ترتفع إليك،
لكن جسدي بشهواته يسحبها إلى أسفل.
لتمتد يدك بالصليب،
ولتقطع بحبك كل فسادٍ فيّ!
✝ نعم أعدك إنني أهرب من كل عثرة ما استطعت،

لكننى لا أستطيع أن أعدك أن أعيش مقدسًا.
من يقدر أن يقدس أعماقي إلا أنت؟!
أهرب من الأماكن القريبة،
والقراءات المعثرة، والصداقات المفسدة،
لكن من يقدس عينيّ... هل أغمضهما؟
من يقدس أذنيّ؟
من يوجه أفكاري؟
من يشبع أحاسيسي؟
لتمتد يداك المملوءتان حنانًا،
وتختن أعماقي بصليبك المقدس!

بين المؤدبين

مع بداية الاحتفال بأسبوع الآلام أحسست عند دخولي إلى صحن الكنيسة، وقد وُضعت أيقونة السيد المسيح المتألم في صدر الكنيسة، كأنني في قاعة محكمة وقد وقفنا جميعًا أمام ديّان فريد، هو ديّان البشرية كلها والشفيع عن المؤمنين التائبين.

جئنا كجماعة من المؤدبين يعترف كل منّا:

"إنني مخطئ ومستحق لا للتأديب فحسب، بل وللموت.

ليس لي ما أعدك به سوى أنني أحملك في داخلي ليعمل روحك القدوس، ويُحولني من مُجرم إلى بارٍ، ومن مستحق للموت إلى مستحق للمجد".

حقًا أنك ديّان عجيب،

لا تستغل اعترافنا بخطايانا،

بل تُريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.

هذا المنظر يُذكرني بما رُوى عن مستر نيف Neff حاكم ولاية تكساس، إذ جاء عنه:

التقى الحاكم بالذين وُضعوا تحت التأديب بسبب أخطاء ارتكبوها. تحدث معهم حديثًا طويلاً ليبعث فيهم روح الالتزام والإخلاص، وأخيرًا أعلن لهم أنه مستعد لمقابلة أيّ شخص منهم. لقد وعدهم أن كل ما ينطقون به يحسبه حديثًا شخصيًا لن يستخدمه ضدهم مهما كانت الظروف.

وجد كثيرين يُريدون الحديث معه، فكان كل منهم يَلقي باللوم على ظروفه الأسرية أو ظروف العمل أو المرضية. وكثيرون قالوا له إنهم مظلومون، وأنه لا توجد عدالة في المجتمع، وأن ما يُعانونه من تأديب إنما هو ظلم.

جاءه رجل يقول له: "إني أعترف لك إني مخطئ أو مجرم I am guilty.

إني مستحق كل تأديب. لهذا فإن ما قد حكموا به عليّ قد نفذته عن طيب خاطر، وبكل أمانة... إني تائب، وسترى بعد نوالي الحرية كيف أعيش كمواطنٍ صالحٍ، وسأكون أهلاً للثقة، وسأثبت لك إنني مستحق لرحمتك".

تأثر الحاكم جدًا، وأصدر أمره بالإفراج الفوري عنه.

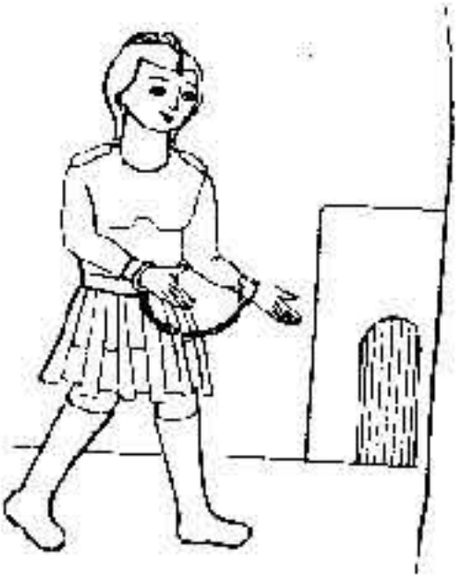

سراديب صغيرة!

في قلعة كارلسيل Castle Carlisle على حدود إسكتلنده يلاحظ الإنسان شبه سراديب صغيرة جدًا محفورة بالأصابع في الحجارة التي بجوار النوافذ المطلة على تلال إسكتلندة[1].

إذ ألقى القبض على بعض الإسكتلنديين بسبب مظاهرات ومشاجرات في إستكلنده، كان المسجونون يتطلعون من هذه النوافذ من بين القضبان الحديدية. يرون تلال بلادهم فيشتاقون أن ينطلقوا من القلعة إلى التلال، حتى يعبروا إلى بلادهم.

يبدو أن بعضهم كانوا يقضون ساعات طويلة كل يوم ينظرون إلى تلال بلادهم، وكانوا يشعرون كأنهم قد هربوا من السجن وهم يسيرون على التلال. كانت أصابعهم تعمل بعنف في الحجارة لاشعوريًا، حتى صنعوا شبه سراديب صغيرة تكشف عما في قلوبهم.

إن كانت خطايانا قد حبستنا كما في سجن الزمنيات، فإننا إذ ننطلع من خلال الوعود الإلهية في الكتاب المقدس، ينسحب قلبنا نحو التلال لنصعد بإنساننا الداخلي إلى وطننا السماوي. تمتد أيدينا لاشعوريًا لتعمل، لا بذاتها، وإنما بنعمة الله الغنية، لتقيم لنفسها ممرًا تهرب منه إلى السماء!

✞ ✞ ✞

✞ أراك يا سيدي كأنك محبوس في داخلي.
لتحملني على منكبيك،
ولتنر بصيرتي،

---

[1] *cf. D.G Barnhouse: Let Me Illustrate, p. 344.*

فأرى أبواب السماء مفتوحة.

✞ تطلقني كما من السجن إلى كمال الحرية.

أود أن استقر معك في بيتي الأبدي.

أقم يا رب قلبي كما من القبر،

انطلق بنفسي من سجن الموت،

لتعيش معك في الحرية.

تتمتع دومًا ببهجة قيامتك،

وعربون مجدك السمائي.

العبد الناسك

العبد الغريب

زار أحد الأثرياء الرومان الإسكندرية، واشترى منها عبدًا أخذه معه إلى بلده. كان العبد غريبًا في تصرفاته، يعمل بجدٍ واجتهاد، لا يكل من العمل، ولا يتذمر من كثرته. كان يعمل في الخفاء، ويساعد زملاءه في أعمالهم. لم تفارقه ابتسامته قط، بل كان دائم البشاشة، لكنه لم يكن مهزارًا ولا يعرف الضحك. تبدو عليه الرقة واللطف، في وقار وجدية.

حينما وُجد بمفرده كان يترنم ويتغنى بالمزامير والتسابيح. أحبه سيده جدًا، حتى جعله رئيسًا للعبيد. بل وكان يتوق كثيرًا إلى مجالسته، ويستمع إلى حديثه، مع أنه كان قليل الكلام، محبًا للصمت.

أما العبيد زملاؤه، فكانوا يحبونه جدًا. كان كأبٍ حنونٍ يأتيه الكبير والصغير. يشكي له الكبير آلامه، فيجد فيه القلب المفتوح المملوء هدوءًا، الذي يفيض عليه بالسلام. ويأتيه الصغير إذ يرى فيه أبوة وحنانًا عجيبًا.

تعلقت نفوسهم به، أما هو فكان حديثه يدور حول شخص ربنا يسوع. يفتح لهم الكتاب المقدس، ليحدثهم عن ربنا يسوع الخادم المحب، والسيد الذي يقدم ذاته مذبوحًا لأجل عبيده. يجمعهم ليصلي الكل معًا بروح واحدة. وهكذا تغيرت ملامح وجوههم، من كآبة العبودية إلى البشاشة، ومن حياة التذمر إلى حياة الشكر، ومن التراخي والإهمال إلى العمل والاجتهاد.

حلت بركة الرب في القصر، وصار السيد يحب عبيده، إذ كان يراهم اخوة له، يجالسهم ويصغي إلى آرائهم. كان يعتز بهم كأحباء أكثر منهم عبيدًا وخدمًا، خاصة ذاك العبد السكندري. فقد كان موضع اعتزازه، يفخر به ويقدمه لضيوفه ليروا بأعينهم ما لم يسمعوه قط بين العبيد أو السادة. يرونه إنسانًا هو بركة لصاحب البيت

ولكل العاملين في القصر!

في أحد الأيام جاء أحد السكندريين لزيارة هذا الرجل. دخل الرجل القصر وتقابل مع صديقه الغني. أخذ الصديق يروى لصديقه عن عمل العبد السكندري في البيت، كيف حول حياته وحياة أفراد عائلته وحياة العاملين في القصر إلى حياة سعيدة، وكيف جذب الكثيرين إلى التعرف على شخص ربنا يسوع.

اشتاق الصديق أن يرى ذاك العبد، فأرسل صاحب البيت يستدعيه. دخل العبد في حضرة الصديقين، وبدأ صاحب البيت يقدم العبد لصديقه، لكن الصديق لم ينصت إلى كلماته، بل تسمرت عيناه في وجه العبد. بدأ يحملق في ملامح وجهه. وصار يفكر في نفسه قائلاً: "ترى هل هو؟! كيف حدث هذا؟! وما الذي أتى به إلى هنا؟!"

صار الرجل كمن هو في غيبوبة. تذكر ما قد حدث منذ سنوات طويلة في إحدى الأحياء الفقيرة بالإسكندرية، يوم اجتمع مع أقربائه الفقراء في ليلة قارصة البرد، وعندئذ بدأ يقول في نفسه:

"لقد كنا حول النار المتقدة نستدفئ، حينما قال أحد اخوتي الفقراء، لقد أخطأت اليوم إذ قابلت بطرس البخيل وسألته صدقة، فطردني وأخذ يلعنني ويسبني كثيراً".

عقّب عليّ آخر: "لعلك مجنون، لأن المدينة كلها تعرف بخله، لماذا ذهبت إليه؟"

قال ثالث: "لست أظن أننا نرى يوماً ما بخيلاً يضارع هذا الرجل".

فأجبتهم قائلاً: "يا اخوتي، لماذا نكثر الحديث عن هذا الرجل؟ لماذا ندينه على بخله؟ من يدرى، ربما يتحول قلب هذا الرجل، ويصير سخياً؟ ألم يغيّر الرب قلب زكا العشار ولاوي وغيرهما كثيرين؟"

ضحك الكل عليّ مستهزئين. قال أحدهم: "أنت طيب القلب. لو أنك اختبرت معاملته لما قلت هذا. ما أظن أن أحداً في العالم بلغت به قسوة القلب ومحبة المال مثل بطرس هذا؟" قال آخر: "إن كنت تقدر أن تأتي منه بصدقة، فإنني أعطيك مثلها". وقال ثالث: "كل واحدٍ منا يعطيك مثلها".

عندئذ أحسست بالخجل من كلماتهم، لكنني تشجعت وقلت لهم: "لا أقدر يا اخوتي أن أعدكم إنني قادر بأن آخذ منه صدقة، لكنني أعرف شيئًا واحدًا. أعرف أن سيدي يسوع قادر أن يغيِّر من طبعنا وصفاتنا، إذ ينزع ضعفنا ويهبنا به حياة! آزروه بصلواتكم... هو أخونا... إنه مسكين! صلوا من أجل نفسه، فهو محتاج ونحن أيضًا محتاجون! الله يرحمنا ويرحمه!"

بعد ما انتهت السهرة مع اخوتي الشحاذين، ذهبت إلى كوخي، وجلست مع زوجتي وأولادي للصلاة كعادتنا. طلبت منهم أن تكون الصلاة مخصصة من أجل نفس أخينا بطرس ومن أجل نفوسنا. رفع الكل قلوبهم من أجل نفسه التي أسرتها محبة العالم، وأذلتها شهوة الغنى الباطل. وفي الصباح خرجت. وفيما أنا سائر بجوار مكان الجباية رأيت بطرس الذي كان الكل يدعونه بالبخيل، وإذ هو واقف هناك. طلبت منه صدقة، وللحال اكدرَّ وجهه، وتغيرت ملامح وجهه، وأخذ يسبني ويشتمني. وقفت لا أدري ماذا أفعل. رفعت قلبي لإلهي يسوع قائلاً: أيها الرب يسوع أعنْ هذا الرجل وضعفي. وفيما أنا على هذا الحال اتفق أن غلامه كان آتيًا إليه ومعه طعام الإفطار، فأخذ الرجل رغيفًا، وكسر منه جزءًا، وقذفني بها على رأسي.

أخذتُ كسرة الخبز من الأرض وقبّلتها، ثم شكرته. بينما كان هو غارق في سبّه لي. وأخيرًا تركته ومشيت. وفي الطريق دخلت فناء الكنيسة، ووقفت بجوار السور من الداخل حيث رفعت عينيّ قلبي وصليت. لا أذكر ماذا قلت، لكنني أذكر أنني كنت أردد: "يا سيدي أذكر عبدك بطرس فأنت أبوه؛ أنت وحدك الذي تحبه".

وفي اليوم التالي، لم أدرِ ماذا حدث، إنما أذكر أنه صار يعطيني بسخاء أنا واخوتي الشحاذين. صار يحبنا جدًا، ويجمعنا كثيرًا في بيته! صار سخيًا بغير حدود! وفي يوم ما لم نجده. لم نعرف أين ذهب؟!

إنه هو هو بطرس... كيف صار عبدًا؟! إنني غير مصدق عينيّ! ما الذي أتى به إلى هنا؟

أفاق الرجل من تفكيره ثم قام من كرسيه لاشعوريًا، وسار نحو العبد، وهمس في أذنيه: "ألست أنت هو سيدي بطرس السكندري؟!" وأجابه العبد بكلمات لم

يسمعها صاحب البيت.

ارتمى الرجل على عنق العبد وأخذ يقبّله. أما صاحب البيت فصار مذهولاً، لا يعرف كيف يفسر ما يدور حوله.

استأذن العبد منهما. وإذ أدرك أن خبره سيعرفه صاحب البيت وسينتشر في القصر، هرب للحال. أخذ مركبًا وغادر البلدة إلى الإسكندرية، ومن هناك ذهب إلى البرية.

العبد في البرية

في البرية التقى العبد الهارب بأحد الآباء الرهبان. قبّل العبد يدي الأب قائلاً: "السلام لك يا أبي".

- السلام يا ابني. ما الذي أتى بك إلى هنا يا ابني؟
- لقد سمعت يا أبي عن أخباركم، فاشتاقت نفسي إلى ترك العالم لأحيا متعبدًا لذاك الذي أحبني، وأردت أن أكون بينكم لأتعلم منكم وأكون خادمًا لكم.
- يا ابني هذا الطريق ليس سهلاً. إننا نعيش في أرضٍ قاحلة، نعمل بأيدينا لأجل قوت يومنا. نأكل الخبز الجاف والقليل من البقول وبعض الخضراوات. حرب البرية صعبة يا ابني. الطريق ضيق، والصليب ثقيل. كثيرون يا ابني جاءوا وبدءوا، لكن سرعان ما اكتشفوا ثقل الحرب والجهاد. وإذ كانوا هاربين من آلام العالم لم يستطيعوا أن يبقوا هناء بل عادوا إليه مرة أخرى".
- يا أبي... إن لي رجاء عظيم في محبه يسوع، إنه يعينني أنني أريد أن أحبه! يا أبي، أرجو ألا تحرمني... فإنني أود أن أعشق يسوع... أعشقه من كل قلبي. جرّبني يا أبي... وأنا واثق من نعمة سيدي وتعضيد صلواتك لأجل ضعفي. أرجوك ألا تردني.

إذ رأى الأب عزيمته ومثابرته، بدأ يسأله عن بلده وعمله وحياته.

وافق العبد أن يكشف كل أسراره للأب الراهب بعد أن تعهد ألا يبوح بسره لأحد إلى يوم انتقاله من هذه الحياة. بدأ العبد يسرد قصة حياته فقال:

"إنني يا أبي كنت عشّارًا أجبي الجزية في الإسكندرية. كنت بخيلاً جدًا، محبًا

للمال إلى الغاية. نعم كنت أتعبد له. كنت قاسي القلب، لا أعرف الرحمة، ولا أستجيب لدموع شيخ أو توسلات امرأة أو صراخ طفل!

كم من بيوت هدمتها؟!

كم من شيوخ أهنتهم؟!

كم من رجال ونساء باعوا أولادهم عبيدًا من أجل قسوة قلبي ليدفعوا لي الجزية؟!

كنت أسهر الليالي، أراجع حسابات الجزية، وأكتب قوائم بأسماء الذين أطالبهم بالمال. كان الناس يرهبونني، ويتشاءمون من النظر إليّ. أما أنا فكنت دائم القلق، مضطرب البال، أفكر فيما سأجمعه، وأخاف لئلا يُسرق ما جمعته. وبقدر ما كان القلق يسلورني، كنت أسعى بكل قوة في تكديس المال لعل نفسي تشبع... لكن بلا جدوى!

كنت إنسانًا بائسًا، أعذب الآخرين، وأعذب نفسي أكثر منهم!

وفي ليلة... لا أنساها قط! أطفأت النور، وحاولت النوم. لكن كانت الأرقام تتراءى أمام عيني. مرت ساعة وساعتان وثلاث... أحاول النوم حتى أستطيع القيام في الغد للعمل ولم أستطع. حاولت إغماض عيني، وقطع أفكاري. ولكن عبثًا كانت كل محاولاتي.

أخيرًا في ألم شديد تنهدت من أعماق نفسي صارخًا: "يا رب لا تحرم نفسي من النوم الذي تتمتع به الحيوانات غير العاقلة؟!

بعد قليل، لم أدر إن كنت قد نعست أم في يقظة، وإذ بي أجد نفسي جائعًا جدًا، ولم أكن قادرًا على احتمال الجوع. نظرت وإذ بي أمام مائدة عظيمة جدًا، فأسرعت لأكل، وإذ بحارس المائدة يمنعني بشدة. وبعد إلحاح شديد قال لي: إن لك طبق واحد. أخذت الطبق فرحًا ورفعت الغطاء عنه، وإذا به نفس كسرة الخبز التي ضربت بها الفقير في ذلك اليوم.

قمت من نومي وأخذت أبكي... وبدأت أصلي. لأول مرة في حياتي كنت أصلي، ومن غير أن يعلمني أحد الصلاة، كنت أردد في صلاتي قائلاً: "يا رب علمني

كيف أحبك، يا رب هب لي قلبًا رحيمًا".

جاء الصباح وكنت قد عزمت في نفسي ألا يكون عملي إلا الرحمة. خرجت من البيت وأسرعت إلى الكنيسة، وهناك التقيت بأحد الكهنة الذي تعجب لما رآني والدموع تسيل من عيني. سألني أبي الكاهن: "ما لك يا ابني؟" سجدت وبكيت وأمسكت بيديه وقلت له: "أخطأت يا أبي في حق إلهي. أهلكت الكثيرين وأفسدت حياتهم. أحببت العالم من كل قلبي. والآن صلِ من أجلي... أريد ربي يسوع. أريد يسوع وحده".

بدأ الكاهن يشجعني ويطمئن قلبي، وبعدما أعطاني بعض الإرشادات النافعة لنفسي، رفع الصليب وبدأ يصلي عليَّ بقلبٍ منسحقٍ، وكنت أبكي بغزارة.

خرجت من الكنيسة لأنفذ ما قد تعهدته مع أبي. ذهبت إلى الحبس، ودفعت عن كل من حبسوا من أجل ظلمي، دفعت ثمن الكثيرين من الأطفال الذين بيعوا أرقاء إلى أهلهم متأسفًا. بحثت عن الفقراء، وبدأت أقدم لهم عونًا بصفة دائمة منتظمة.

ذهبت إلى عملي، لأعمل باجتهاد وأمانة، لكن في سلام وطمأنينة. لم أكن أطلب من إنسانٍ جزية أكثر مما يتناسب مع إيراده، ولا أجمع شيئًا ظلمًا! وضعت في قلبي ألا أترك في يدي شيئًا مما جمعته ظلمًا!

أقول الحق يا أبي، لقد شعرت بسعادة حرمت منها نفسي سنوات طويلة. صرت أجمع الفقراء والشحاذين، وأستضيفهم كاخوة لي. اسمع لأنينهم، وأقدم لهم قدر ما يعطني الرب لإشباع احتياجاتهم. كان الفرح يملأ قلبي. كنت كمن ارتفع إلى السماويات. لا أستطيع يا أبي أن أعبر لك عن فرحي في تلك الفترة.

وللحال اغرورقت عينا العبد بدموع الفرح والبهجة ولم يستطيع الكلام مع الأب الراهب.

اغرورقت عينا الأب الراهب أيضًا بدموع الفرح، ورسم نفسه بعلامة الصليب وهو يقول: "المجد لراعي نفوسنا الرحيم، لأنه يبحث عن كل ابن له".

عندئذ بدأ العبد يكمل حديثه.

لقد حدث أيضًا في أحد الأيام وأنا سائر في السوق رأيت إنسانًا يرتعش من

البرد، فخلعت ردائي وقدمته له. وبالليل إذ بي أرى رب المجد يسوع يسير في جوٍ باردٍ وقد ارتدى ثوبي. أسرعت وسجدت له فرحًا، ثم قلت له: "كيف تقبل يا سيدي أن تلبس ثوب إنسانٍ خاطئٍ مثلي؟ ومن أعطاه لك؟" قال لي: 'ما تفعله يا ابني بأحد اخوتي الأصاغر فبي تصنعه". قمت من نومي والفرح يملأ قلبي، ولساني يهلل قائلاً: "يسوع يلبس ثوبي! لأعطيه كل شيء!"

وإذ كنت قد وزعت كل أموال الظلم التي جمعتها بقسوةٍ من اخوتي، لم أعرف ماذا أقدم لهم. وبعد تفكير تقدمت إلى أحد عبيدي الذين أعتقتهم من العبودية، ووهبته مالاً يعمل به ليأكل هو وأولاده. قلت له: 'يا صاحبي، أريد منك خدمة... فهل تنفذ ما أطلبه منك؟" أجابني الرجل والابتسامة على شفتيه: "قل يا سيدي، إنني خادمك. فإنني لم أعرف كيف أرد لك إحسانك علي أنا وأولادي'. قلت له: 'هل تعاهدني أن تنفذ ما أطلبه ولا تقول لأحدٍ عما صنعته". وبعدما عاهدني بذلك وتأكدت أنه سينفذ وعده، أخبرته عما رأيته بالليل، وعرفته ما أشتاق إليه، قائلاً له: "يا أخي، إني أريد أن أقدم جسدي للرب كما قدمت له ثوبي. أرجوك من أجل المحبة، ومن أجل وعدك لي أن تأخذني إلى السوق وتبيعني هناك كعبدٍ، وتوزع الثمن على اخوتي الفقراء.

بكى الرجل كثيرًا، وحاول أن يتخلص من وعده وأمام إلحاحي عليه، تخفيت في زي آخر وباعني كعبدٍ.

سافرت مع سيدي، وأعطاني الرب نعمة عظيمة في عينيه، حتى جعلني كصديقٍ له. ولكن جاء أحد أصدقائي القدامى من الإسكندرية. وعندما رآني وقع على عنقي وهو يسألني عن سبب مجيئي إلى هناك. لم أخبره بشيء، لكنني هربت خوفًا لئلا يهلكني العدو بالمجد الباطل.

ها أنا يا أبي بين يديك. اقبلني عبدًا خادمًا لكم. أرجوك أن تحفظ قولي هذا في قلبك إلى يوم انتقالي.

يا أبي من أجل المحبة اقبلني ودربني... فإني محتاج إلى أب اعتراف يعينني بصلواته وإرشاداته".

قصص قصيرة

مع قصة

في قبضة الحب

١٧١ — ١٨٥

اتسحب من الجلسة

في بداية الستينات اشترك أبونا الحبيب القمص بيشوي كامل في مؤتمر خاص بخدمة الشباب في سويسرا. ولما رجع سألته: "ما رأيك في هذه المؤتمرات؟" أجابني: "انتفعت الكثير من العلاقات الشخصية مع أعضاء المؤتمر، اقتبس من كل واحدٍ منهم ما أنتفع به في حياتي الروحية وفي الخدمة".

وفي أثناء حديثي معه قال:

[في فترات الراحة بين أعمال المؤتمر، إذ كنا نتحدث معًا كمجموعة في حديثٍ ودي، ومنهمكين في بعض الأمور الرعوية، استأذن عضو. تركنا وعاد بعد حوالي نصف ساعة.

التقيت معه على انفراد وسألته: "لماذا تركتنا فجأة ونحن منهمكين في وسط الحوار الودي؟"

أجاب: "لقد جاء موعد الصلاة، فاضطررت أن أترككم بالرغم من شوقي للاستماع إلى هذا الحوار".]

ختم أبونا بيشوي حديثه معي، قائلاً: "لقد تعلمت من هذا العضو الشعور بالالتزام، خاصة نحو الصلاة. فإننا كثيرًا ما نخجل من الناس، خاصة إن وُجد أقرباء في المنزل، ونهمل في صلواتنا الخاصة!"

أخذنا تدريبًا التزمنا به نحن الاثنان لفترة طويلة، وهو إذا ما كنا نفتقد في منطقة الكنيسة ننسحب ولو إلى ربع ساعة لنصلي في الكنيسة، لأنه متى عاد كل منا إلى منزله بالليل مرهقًا لا يستطيع الصلاة بتركيز!

✞ هب لي يا رب الجدية والالتزام،
فتكون أنت الأول في حياتي.
لتسحبني حتى من مشاغل الخدمة للالتقاء بك.
لأكن ملتزمًا بساعات الصلوات،
وبجلساتي معك حول كلمتك!
انزع عني الخجل من الناس، لأتمتع بك.
✞ انزع عني الحرفية القاتلة،
لكن ليس في تهاون بالروحيات.
✞ هب لي الروح الناري الملتهب في أعماقي،
لكن ليس بغير تدبيرٍ والتزامٍ.

اعمل هذا، وأنت تستريح!

باع الشاب أنطونيوس كل ما يملكه ووزع نصيبه على الفقراء، مشتاقًا أن يتفرغ تمامًا للعبادة لله. كان سعيدًا بحياته الجديدة التي ظنها أنها بلا هم. ظن أنه يعيش كما في السماء مع الملائكة، لكنه سرعان ما بدأ يُحارب بالملل والضجر، وصارت الأفكار تهاجمه من جهة أمور كثيرة.

صرخ الشاب إلى الله:

"يا رب إني أحب أن أخلص.

لكن الأفكار لا تتركني،

فماذا أصنع؟"

صار ينتقل من موضعٍ إلى آخر، وهو في صغر نفسٍ وحيرةٍ عظيمة، لا يعرف ماذا يفعل.

فجأة رأى رجلاً يجلس أمامه، وكان يضفر سعف نخلٍ لعمل سلالٍ أو حصرٍ وهو يردد اسم الله. ثم توقف عن العمل ليقف ليصلي. وكان يكرر الأمر بين الحين وآخر.

عرف الشاب أن الرجل هو ملاك الرب، وأدرك أن العمل جزء لا يتجزأ من العبادة، وأن عقل الكسلان معمل للشيطان.

صار هذا مبدأ الرهبنة المصرية الأولى، العمل ضروري لا لاحتياجات الرهبان والفقراء فحسب، بل ولخلاص نفوسهم وأبديتهم.

المؤمن الحقيقي لا يعرف الفراغ، فكل ثانية من حياته لها تقديرها. لا يتوقف عن العمل حتى النفس الأخير مادام له القدرة على ذلك.

كثيرًا ما يهرب الشاب من الدراسة، خاصة في فترة الامتحانات بالمغالاة في

العبادة، غير مدرك أن الاتزان والاعتدال هما الطريق الملوكي الآمن. الطالب الروحي يهتم بدراسته بكل جدية، حاسبًا دراسته وزنة تسلمها من يد الله، يعمل بأمانة من أجل الله!

عمل عدو الخير هو بث روح التذمر، ففي أثناء الدراسة يظن الشاب أنه غير أمين في عبادته، فيشتهي الصلاة ودراسة الكتاب المقدس الخ.، وفي أثناء صلاته أو ممارسته العبادة يظن انه غير أمين في دراسته، فيشتهي أن يترك العبادة لأجل الدراسة.

كن أمينًا في العمل الذي بين يديك أيا كان، وبحكمة تعطي ما لقيصر لقيصر وما لله لله!

تداريب عملية

- ليكن كتابك المقدس مفتوحًا على مكتبك، ليذكرك أنك في حضرة الله.
- بين كل مادة وأخرى، أو من حين إلى آخر صلِّ مزمورًا أو جزء من مزمور وأنت جالس على كرسيك.
- إذا ما هاجمتك أفكار يأس أو ملل، صلِّ إلى ثوانٍ بصوت تكاد أنت وحدك أن تسمعه، مثل: "هب لي الأمانة في هذا العمل"، "اسندني فأخلص".
- إن هوجمت بأفكار خاصة بالدراسة أثناء صلواتك الخاصة أو العامة، أصرخ إلى الله وأطلب عونه ليحرر فكرك من القلق.

- هب لي روح الأمانة في كل الأمور،
  من يهبني الأمانة إلا أنت أيها الأمين الحق!
- لأكن أمينًا في عملي كما في عبادتي، أمينًا مع الناس كما معك.
- هب لي الشعور بحضورك في لحظات انهماكي في العمل.
  فتطمئن نفسي بك، وأعمل بقوتك!
- لأسمع صوتك العذب: كنت أمينًا على القليل، فأقيمك على الكثير!

أزمة ثقة

التقى أحد الخدام بشاب جامعي يُدعى موريس، وكانت علامات الضيق والمرارة تظهر على ملامح موريس. بدأ الخادم يتحدث معه عن محبة الله الفائقة واهتمام السيد المسيح بحياته من كل جوانب.

سأل موريس: "كيف أضع كل حياتي اليومية في يديّ السيد المسيح، وأنا قد اعتدت ألا أثق في أحدٍ قط؟ إني أعاني من متاعب يومية بسبب أزمة الثقة. لا أثق في أقرب من لي، مهما أظهر لي من حب واهتمام."

سأله الخادم: متى تعود إلى الإسكندرية؟

- الجمعة مساءً، حيث أبدأ دراستي السبت صباحًا.

- هل حجزت في القطار؟

- نعم.

- هل تعرف الموظف الذي حجز لك تذكرة القطار؟

- لا.

- كيف تثق أنه بالفعل قد حجز لك بمجرد مكالمة تليفون؟!

- في كل مرة أحجز بالتليفون أذهب في موعد القطار وأجد الحجز مُعد فعلاً!

هل تعرف سائق القطار؟

- لا!

- كيف تأتمن حياتك في يد سائق قطار لا تعرف اسمه، وغالبًا لا تراه؟!

- لقد اعتدت أن أركب القطار ولا أسأل عن السائق واسمه.

قال الخادم: "إن كنت تثق في موظف لا تعرف اسمه ولا شخصيته يحجز لك في القطار وأنت مطمئن؛ وهكذا في سائق القطار... ألا تأتمن السيد المسيح، خالق

السماء والأرض على حياتك؟!

●●●

من هو أمين على حياتي منك؟!
في ثقةٍ ويقينٍ أسلمك كل حياتي.
أنت الطريق والحق،
أنت سرّ نجاحي وفرحي،
أنت مجدي يا قائد نفسي!

■■■

درع البارون فريتاس[1]

صنع البارون فريتاس Baron Veritas درعًا ضخمًا وثبته في الطريق أمام قلعته. وكان من حين إلى آخر يقف وراء أحد النوافذ ليشاهد المسافرين القادمين من الجنوب والقادمين من الشمال يقفون ويتأملون جمال الدرع، ويعلقون عليه. كان المسافرون غالبًا ما يحملون أسلحة لمواجهة مخاطر الطريق كما يميلون إلى الحوار في أي شيء.

جاء مسافر من الجنوب ووقف يتأمل الدرع في دهشة وهو ممتطي فرسه، وسرعان ما جاء من الاتجاه المضاد مسافر آخر يمتطي فرسه.

قال القادم من الجنوب: "يا لجمال الدرع وعظمته، حقًا إن البارون فريتاس إنسان غني يصنع هذا الدرع كله من الذهب!"

علق الرجل الآخر: "حقًا يا لغنى البارون وعظمته، لقد صنع هذا الدرع الجميل والثمين، لكنه ليس من الذهب بل من الفضة".

في لهجة قاسية قال رجل الجنوب: "إنه من الذهب، ليس من الفضة. أما تستطيع أن تميز الذهب من الفضة؟"

قال رجل الشمال: "ألا ترى؟ إنه من الفضة!"

رجل الجنوب: "لعل الضباب قد حجب عنك الرؤية، إنه من الذهب. تعال وانظر!

رجل الشمال: "إنني متأكد مما أقول، إنه من الفضة!"

تشاجر الاثنان معًا وهما راكبان فرسيهما وفي تحركهما تحول اتجاه كل

---

[1] *Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes..., vol. 2, p. 49.*

واحد ليقف في موضع الآخر.

إذ كان رجل الجنوب قد أصيب بتعب شديد قال لزميله: "إني آسف إنك على حق، إنه من الفضة لا من الذهب!"

تطلع الآخر إلى الدرع ثم قال: "لا، بل أنت كنت على حق، فإنه ليس من الفضة بل من الذهب!"

بدأ الاثنان يتحاوران بعنف، فنزل إليهما البارون وقال لهما: " فيمَ تتخاصمان؟ "

وإذ سمع لهما أخذهما معًا كأنهما قادمان من الجنوب فنظراه من الذهب، ثم سار بهما إلى الاتجاه الآخر فنظراه من الفضة، ثم قال لهما: "إن الدرع من جانب معين من الفضة، ومن الجانب الآخر من الذهب، لكن كل منكما قد رآه من جانب واحد فقط. ليتنا عوض أن نتخاصم ننظر إلى الحقيقة من كل جوانبها!"

✞ لماذا تتخاصمين يا نفسي مع الآخرين؟!

لماذا تعتدين برأيك، كأنه ليس من يفهم الأمور غيرك؟!

✞ لترفعني يا إلهي معك إلى سمواتك، فأتشبه بك!

هب لي يا رب البصيرة اللائقة يا ناظر كل الأمور!

هب لي يا رب القلب المتسع يا محب الجميع!

فأرى الأمور من كل جوانبها!

وأحترم بالحب رؤية الآخرين وأفكارهم!

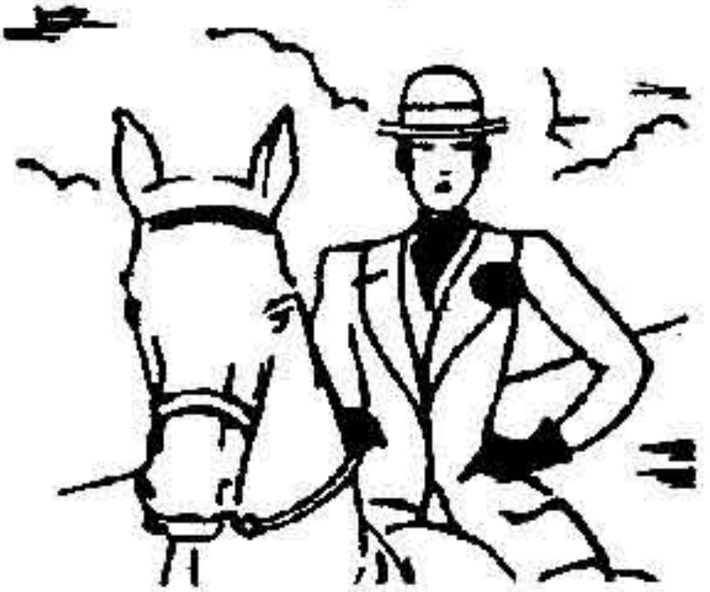

الدين قد وُفي!

كتب اللورد كونجليتون Congleton إعلاناً جاء فيه أنه قرر إعفاء كل السكان الذين يلتقون معه في مكتبه في صباح يومٍ ما من كل الالتزامات السابقة. دُهش السكان ولم يصدقوا، إذ كانوا يتوقعون أنه سيقدم الذين لم يدفعوا الإيجار أمام محكمة العقارات ليلزمهم بالدفع أو الطرد. ظن الكثيرون أنه حتمًا يقوم بعمل خدعة خفية، فلم يذهب أحد في الميعاد المحدد إلى مكتبه للقائه.

في اللحظات الأخيرة دخل أحدهم المكتب فوجد اللورد ينتظر القادمين. سأله اللورد: "هل تتوقع أنني أعفو عنك بخصوص الدين الذي عليك؟"

الساكن: حقًا أتوقع هذا يا سيدي!

اللورد: ولماذا تتوقع هذا؟

الساكن: لأنك لورد، وقد وعدت!

اللورد: هل تثق في وعدي؟

الساكن: قطعًا يا سيدي.

اللورد: لماذا؟

الساكن: لأنك لورد، لن تخدع إنسانًا فقيرًا مثلي.

وقّع اللورد إيصالاً يؤكد فيه إيفاء كل الدين عن هذا الساكن وسلمه له. فأمسك الساكن الورقة، وصار يلوّح بها وهو يقول: "لقد علمت يا سيدي أنك لا تخدعنا، ليباركك الله يا سيدي اللورد!"

خرج الساكن فرحًا، فوجد كثيرين ينتظرونه، ليسألوه عما حدث، أما هو فصار يلوّح بورقة الإيفاء قائلاً: "لقد أعفاني من كل ديوني!"

---

[1] *Cf. Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes..., vol. 2, p. 59.*

اندفع الكثيرون نحو مكتب اللورد لكن الوقت المحدد كان قد انتهى والباب أغلق!

هكذا قدم هذا اللورد درسًا حيًا فى الإيمان العامل. لقد آمن الساكن بوعد اللورد، وانطلق إلى مكتبه في يقين ليتمتع بالحوار معه، وينال وفاء دينه!

❁ ❁ ❁

✠ لأدخل بالإيمان إلى حضرتك،
واثق في وعدك الإلهي،
بدمك الثمين تغسل كل دنس نفسي،
وتفي عني كل ديني!

✠ كم أنت حلو ورحوم يا مخلص نفسي!
لماذا أتباطأ في الالتقاء بك!

✠ لأدخل مادامت أبواب مراحمك مفتوحة!

❁ ❁ ❁

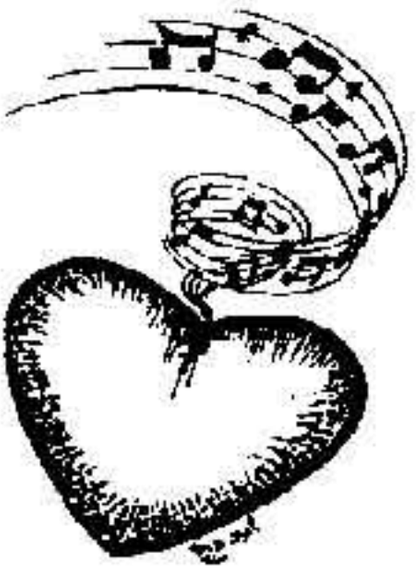

الأم مدينة لجون

طلبت أم من ابنها جون أن يشتري لها بعض الطلبات البسيطة عند عودته من المدرسة. وبالفعل اشترى ما طلبته، وإذ خجل أن يطالبها بالمبلغ الصغير ثمن المشتريات، كتب لها ورقة جاء فيها:

أم مدينة لجون

عدد	مليم جنيه
٥ أرغفة خبز	٢٥٠ ,-
١ باكو ملح	٦٠٠ ,-
١ علبة كبريت	١٥٠ ,-
الإجمالي	-- ,١ جنيهًا مصريًا واحدًا.

وضع جون هذه الورقة على المائدة بجوار الأطباق، وانتظر أن تقدم له والدته الجنيه. رأت الأم الورقة ولم تعلق. وإذ جاء موعد الغذاء وجد جون جنيهًا موضوعًا في طبق، فأخذه ووضعه في جيبه. لكنه لاحظ وجود ورقة تحت الجنيه جاء فيها:

جون مدين للأم

ثمن الملابس	لا شيء
ثمن الطعام	لا شيء
الحب والرعاية	لا شيء
الإجمالي	لا شيء

قرأ جون الفاتورة التي كتبتها والدته فتأثر جدًا، وتسللت الدموع من عينيه. فقام من المائدة، والتقى مع والدته في المطبخ واحتضنها وقبلها وهو يقول لها: "إني

مدين لك بكل حياتي!" قدم لها الجنيه، فلم تقبل أن تأخذه. أما جون فأصرّ أن يضع الجنيه في جيب والدته.

في المساء قبّلت الأم ابنها وقدمت له ورقة من فئة الخمسة جنيهات وهي تقول: "إن حبنا يا جون فوق كل شيء!"

✞ أشكرك يا رب لأنك وهبتنا الحب الأسري!

✞ أنت أب الكل!

✞ كنيستك أمنا جميعنا!

✞ ماذا نرد لك لأجل هذا الحب الأسري السماوي؟!

ضربات أكثر!

أُلقي القبض على شابين جامعيين يسرقان من محطة تقدم خدمات عامة. كان أحدهما من أبناء الأثرياء، والآخر فقيرًا.

قُدم الاثنان للمحاكمة، ووقف أربعة من كبار المحامين بأمريكا يدافعون عن الشاب الغني، بينما ترافع عن الفقير محاميًا عينته المحكمة مجانًا. بعد المرافعة صدر الحكم على الفقير بثلاث سنوات سجن، وتوقع المحامون براءة الغني أو الحكم عليه بسنوات أقل. لكن المفاجأة التي أذهلت كل الحاضرين أن الحكم صدر بسجنه عشر سنوات.

إذ شعر القاضي بأن الكل يتعجب قال: "إن هذا الشاب (الفقير) ابن لرجل مكافح، وقد أساء إلى مدرسته التي نشأ فيها منذ الابتدائية وأيضًا إلى الجامعة. أما ذاك (الغني) فهو ابن إنسان غني، أساء إلى مدرسته الابتدائية والجامعة كما أساء إلى سمعة أبيه، وإلى المجتمع الأمريكي المثالي كله. إنه يستحق عقابًا أشد!"

⇧ ⇧ ⇧

⇧ علمتني أن من يعرف أكثر ويخطئ يستحق ضربات أكثر!

كشفت لي يا رب عن سرّ حبك،

وقدمت لي إمكانيات الخلاص،

ولم تدعني معوزًا مُبينًا من فيض نعمتك.

أيّ عذر لي إن استهنت بخلاصك، وأهنت دمك الثمين!

⇧ اسندني فأخلص،

لئلا يكون عقابي أشر من غير المؤمنين!

---

* *Cf. D.G. Barnhouse: Let Me Illustrate, p. 265.*

الأصابع المتسخة!

عادت سالومي من المدرسة وبدأت تتمم واجباتها الدراسية فاتسخت أصابعها بالحبر. إذ طلب والدها أن تغسل يديها من الحبر قالت له: "إنني سأستحم قبل النوم، فلماذا أغسل يديّ الآن؟!"

أجابها والدها: "نحن نستحم في كل صباح ومساء لأجل النظافة العامة؛ لكن يلزمنا أن نغسل أيدينا أو أرجلنا متى اتسخت! هذه نظافة خاصة. ألا تلاحظي أن والدتك من حين إلى آخر تغسل يديها وهي تعمل في المطبخ حين تشعر بأن يديها قد اتسختا؟!"

إننا نحتاج إلى توبة يومية مع كل صلاة، إذ نصلي: "واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا". هذه التوبة لا تعفينا عن التوبة حين تتسخ نفوسنا بخطية ما. التوبة اليومية لا تمنع الخاصة، ولا الخاصة تمنع اليومية.

✞ مع كل صباح ومساء اهتم بنظافة جسدي،
وحين تتسخ يداي أسرع لأغسلهما.
هب لي أن تغتسل نفسي بدمك،
واستمتع بعمله فيّ بالتوبة اليومية.
وليعمل روحك القدوس ويبكتني على خطية،
يحملني إلى صليبك، فأتمتع ببرك أيها القدوس يا غافر الخطايا.

قصة قصيرة ١٧٨

والنْجِتُن (Wallington) هزم[4]

كان في الكاتدرائية التي بمدينة ونشستر Winchester بإنجلترا شخص يهتم بالكنيسة، اعتاد أن يروي للزائرين القصة التالية:

عندما قامت معركة وترلو Waterloo، جاءت أخبار المعركة عن طريق "سيمافور" يدوي بحركة إنسان من سفينة. كانت كل إنجلترا تنتظر الأنباء عن المعركة الدائرة بين والنجتن ونابليون بونابرت بشغف شديد... لم يكن قد أكتشف بعد التلجرام، إنما قام الرجل بتقديم الإشارات اليدوية من السفينة، فيراها شخص قريب على قمة كاتدرائية ونشستر. وذاك يقدم الإشارات إلى رقيب يقف على قمة تل، ومنه تنتشر الأنباء إلى لندن، ثم إلى كل إنجلترا.

كانت الإشارة الأولى هي كلمة "والنجتن"، وجاءت الكلمة التالية "هزم"... ثم حلّ الضباب فمنع الرؤيا تمامًا. بلغت الكلمتان إلى الكاتدرائية ومنها إلى التل ثم إلى لندن ثم كل إنجلترا، فساد الحزن على جميع الإنجليز حاسبين أن ولنجتن هُزم...

بعد حوالي ساعتين أو ثلاث ساعات انقشع الضباب وجاءت تكملة الإشارة "العدو"، فصارت الإشارة كاملة: "والنجتن هزم العدو".

سرعان ما انتشر الخبر بنفس الطريقة وتحول الحزن إلى فرح لا يعبر عنه.

هذا ما حدث عندما أسلم السيد المسيح روحه على الصليب، وأُنزل جسده ليُوضع في القبر، فقد ظن الكل أن رسالته قد انتهت، وأن عمله قد باء بالفشل. لكن ما أن تحققت القيامة حتى ساد الفرح تلاميذ الرب!

حتى دفن السيد المسيح كانت الإشارة غير كاملة، لكن بالقيامة جاءت الإشارة تكشف عن عمل السيد المسيح الخلاصي.

✞ ✞ ✞

[4] *Cf. D.G. Barnhouse: Let Me Illustrate, p. 266-267.*

✞ عند الصليب أقف مع المريمات أبكي إلى حين!
عند القيامة أقف معهن متهللاً،
أدرك سرّ الصليب،
قوة الله لخلاصي الأبدي!
أرى خلالها بابًا مفتوحًا!
أتمتع بالشركة مع السمائيين!

✞ ✞ ✞

عهد النعمة

كان لأرملٍ طفلان، اضطر أن يستأجر مربية تهتم بهما. التقى الرجل بالمربية، وأعطاها تعليماته بخصوص الطعام، ونظافة البيت، والاهتمام بملابس الطفلين، ودراستهما الخ.

كان الأب بين الحين والآخر يتصل من مكتبه يسأل المربية عن أمورٍ كثيرة، ويطمئن أن الطفلين لا ينقصهما شيء. كانت تعليماته يومية وكثيرة. فكثيرًا ما كان يوجه المربية في تصرفاتها مع الطفلين.

إذ عبر عام تزوج الرجل المربية، فلم يعد يأمرها ماذا تطبخ أو كيف تتصرف، فقد دخلا في علاقة حب. صارت تجد مسرتها في إسعاده بتحقيق إرادته دون أن يأمر أو يطلب. بل هي تسأله عما يريد أن يأكله كل يوم. إنها ليست تحت عهد الناموس. كانت تبذل كل جهدها أن تحقق كل طلباته.

هذا هو إحساس المؤمن الحقيقي في علاقته مع إلهه، إنه لا ينتظر صدور أوامرٍ ليتممها من أجل جزاءٍ زمني أو أبدي، لكنه ابن يُسر بتحقيق إرادة أبيه، أو عروس تشتاق أن تحقق إرادة عريسها السماوي.

✞ ✞ ✞

✞ ماذا تريد يا رب أن أفعل؟

قلبي وفكري وكل حواسي بين يديك!

أنت لي وأنا لك يا عريس نفسي!

✞ لا أعود أرى في وصاياك ثقلاً، بل اشتهي تنفيذها حبًا.

نيرك حلو، صليبك مفرح.

لأمت فأحيا معك إلى الأبد.

الملحد والصلاة المستجابة!

إذ كان أحد الخدام في رحلة بحرية عبر المحيط الأطلنطي تحدث في السفينة في إحدى الاجتماعات الصباحية عن الصلاة المستجابة. وإذ سُئل ملحد حضر العظة عن رأيه فيما قيل، قال: "إني لا أصدق كلمة واحدة مما يقوله هذا الخادم".

عاد الملحد إلى حجرته هو يفكر: "هل حقيقة يوجد الله؟ هل يسمع صوتنا؟ ويستجيب لطلباتنا؟ هل ما أورده الخادم من قصص هي من وحي خياله؟" وإذ كان غارقًا في مثل هذه الأسئلة صارت نفسه تصرخ في داخله تطلب أن تعرف الحقيقة. وبقيَ في صراع داخلي حتى جاء وقت الحديث التالي بعد الظهر. ترك الرجل حجرته وانطلق إلى مكان الاجتماع يستمع إلى الخادم.

وفي طريقه إلى الاجتماع لاحظ سيدة نائمة لكن علامات التعب واضحة على ملامحها. وفي طيبة قلب لم يعرف ماذا يفعل معها. وضع يديه في جيوبه وأخرج برتقالتين وضعهما في كفتيها المفتوحتين وانطلق إلى الاجتماع.

عاد الملحد من الاجتماع إلى حجرته، وفي طريقه وجد السيدة تأكل إحدى البرتقالتين. في ابتسامة قال لها "يبدو أنك تتمتعين ببرتقالتك".

أجابت السيدة: "نعم، فإن أبي السماوي صالح وكريم!"

---

*cf. Archibalad Naismith: 2400 Outlines Notes Quotes, and Anecdotes for sermons, vol. 2, p. 9.

قال الملحد: "إنه ليس حيًا".

قالت السيدة: "لا تقل هذا، فإن لي خمسة أيام أعاني من دوار البحر، وكنت أرى البرتقال يُقدم للمسافرين في الدرجة الأولى. اشتقت إلى برتقالة، وخجلت أن أطلب ذلك من أحد. واليوم أرسل لي سيدي برتقالتين وأنا نائمة وليس برتقالة واحدة. أعطاني فوق ما أطلب وأكثر مما احتاج إني أؤمن بوعده: لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل تسألوه (مت٦:٨)".

سألها الملحد: "هل تعنين ما تقولينه؟"

أجابت: "ولماذا أكذب؟

صمت الملحد قليلاً، وصار يقول في نفسه: "لعلّ الله الحيّ يهتم بها، فيستجيب لصلاتها، ويقدم طلبتها عن طريقي أنا الملحد الذي لا أؤمن به، بل وأظن إني قادر أن أقاومه؟!"

✞ افتح عن أعين كل البشرية فيروك أبًا،
تبسط يديك، فتشبع كل حيّ من رضاك.
تشتاق أن تعطي، تهب بلا حدود يا محب البشر.
✞ علمني أن تصرخ أعماقي إليك،
نصيبي هو أنت، قالت نفسي!

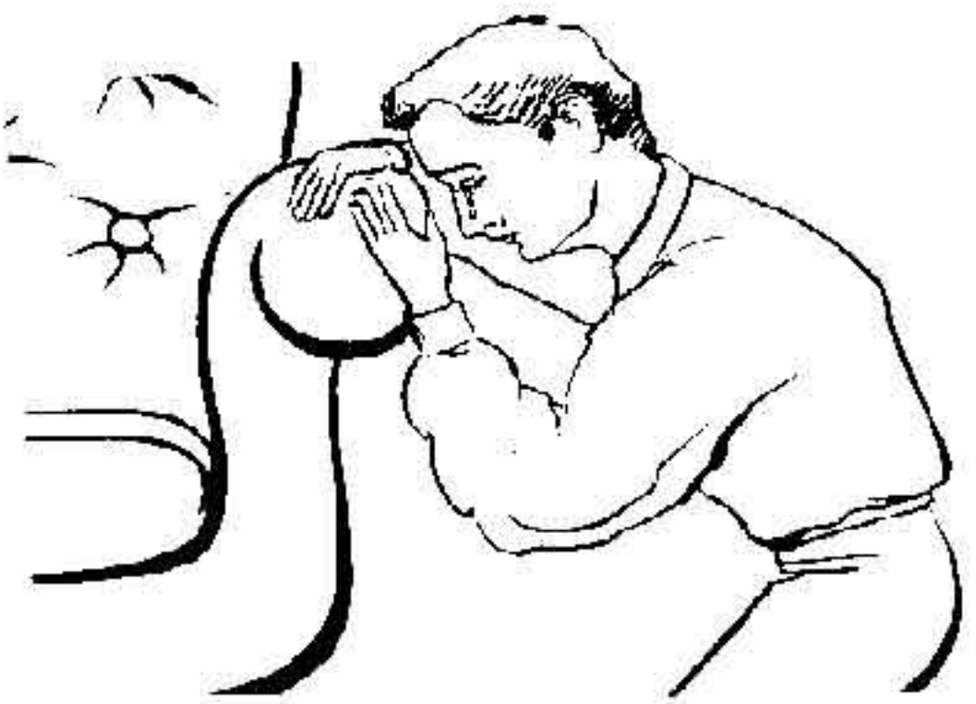

قصة قصيرة ١٨٢[1]

وحدي أنا،
لكنني لست وحدي!

حوالي عام ١٧٥٤ إذ اشتعلت نيران الحرب بين الإنجليز والفرنسيين في كندا، انحاز الهنود إلى جانب الفرنسيين. وفي إحدى الليالي هاجم مجموعة من الهنود أسرة فقيرة قادمة من ألمانيا، ولم تكن الأم ولا الابن الأكبر في البيت. قتل الهنود الرجل، وسبوا طفلتيه بربارا البالغة العاشرة من عمرها وروجينا البالغة التاسعة من عمرها مع مجموعة من الأطفال. ولم يُعرف أين انطلقوا ببربارا، لكنهم سلموا روجينا لأرملة عجوز كانت قاسية للغاية أساءت معاملتها جدًا وأذلتها.

كانت روجينا تردد ترنيمة تعلمتها من والدتها:

"وحدي أنا، لكنني لست وحدي،
بقربي أنت في عزلتي هذه،
مخلصي دائمًا بقربي،
في لحظات الضيق يهبني الفرح.
إني معه، وهو معي!
حتى هنا لا أستطيع أن أبقى وحدي بدونه!"

كانت روجينا تصلي صباحًا ومساءً، وتحاول ترديد ما حفظته عن ظهر قلب من آيات من الكتاب المقدس، ووجدت تعزيتها في عبارات الكتاب المقدس ووعود الله

---

[1] *cf. Archibalad Naismith: 2400 Outlines Notes Quotes, and Anecdotes for sermons, vol. 2, p. 9,10.*

الصادقة وفي الترنيمة التي تعلمتها من أمها.

لم يفارقها منظر كنيستها وبيتها وأصدقائها، وكانت بإيمان تترجى أن تعود. رجاؤها لم ينقطع قط عنها.

وفي عام ١٧٦٤ حيث كانت روجينا قد بلغت التاسعة عشرة من عمرها اكتشف أحد القادة العسكريين الإنجليز معسكر الهنود، وانقض عليه، وحرر أكثر من ٤٠٠ شخصًا كان قد سباهم الهنود، وجاء بهم إلى مدينة Carlisle.

انتشر الخبر وجاءت الأمهات إلى المدينة، يترجين أن يجدن أطفالهن المسبيين. ولم يكن الأمر سهلاً على كثيرات منهن أن يتعرفن على أطفالهن، فقد نسى الأطفال لغتهم، وتغير شكلهم.

كانت أم روجينا تسير بين المسبيين المتحررين لعلها تلمح بربارا وروجينا، وإذ لم تستطع صارت تبكي بمرارة. عبثًا حاول المسئولون أن يعزوها. وأخيرًا قال لها أحدهم: "هل تذكرين شيئًا به تكتشفين ابنتيك؟" أجابت كل ما أذكره إننا كنا نرنم معًا ترنيمة: **"وحدي أنا، لكنني لست وحدي"**.

طلب منها المسئول أن تقف وسط المتحررين وتغني ذات الترنيمة. وبالفعل وقفت الأم ترنم، وإذا بها تجد فتاة تجري نحوها وتشاركها ذات الترنيمة. ارتمت الأم على عنق روجينا، وصارت تقبلها. لقد التقيا معًا بالحب وروح الوحدة خلال وعود الله الصادقة والإيمان الحيّ الصادر عن قلبيهما معًا!

عادت الأم إلى بيتها ومعها ابنتها المفقودة منذ عشرة سنوات، وكانت تردد في قلبها كلمات الرسول بولس: "وإنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع" (٢تي٣: ١٥).

إني مدين لكِ
بكل شيء يا أمّاه

في ولاية جورجيا إذ تخرج ابن أرملة وحيد، وكان الأول على كليته، ترقب يوم الاحتفال بالتخرج ليتسلم من رئيس الجامعة نيشانًا خاصًا، كما ينال مدالية ذهبية لأنه أظهر نبوغًا خاصًا في دراسة معينة.

جاء يوم الاحتفال وإذ لاحظ الابن أن والدته لم تستعد للحفل، سألها: "اليوم هو يوم الاحتفال بتخرجي وأراكِ لا تستعدين للذهاب معي إلى الحفل، لماذا؟"

بصوتٍ مملوءٍ اتضاعًا قالت له الأم: "أنت تعلم يا ابني إني فقيرة جدًا، وأقوم بغسل ملابس الناس لأجد ما نعيش به، أنت وأنا. وسيأتي إلى الحفل أغنياء المدينة وعظماؤها بملابسهم الفاخرة، فلا أريد أن أسبب لك حرجًا، إذ ليس لديَّ ملابس لائقة بالحفل. إني أخشى أن تخجل مني!"

تطلع الابن إلى أمه، وتسللت الدموع من عينيه، وهو يقول:

"ماذا تقولين يا أماه؟!

أنا أخجل منكِ؟!

إني مدين لكِ بكل شيء يا أمّاه!

كل ما لي في الحياة هو بفضل محبتك وتعبكِ.

---

cf. Archibalad Naismith: 2400 Outlines Notes Quotes, and Anecdotes for sermons, vol. 2, p.15.

إني لن أذهب إلى الحفل بدونك".

أصر الابن ألا يذهب إلى الحفل بدونها، واقتنعت الأم التي بذلت كل الجهد لإرضائه. سارا معًا يمسكان أيديهما بعضهما البعض حتى دخلا قاعة الاحتفال. وجلست الأم بملابسها الرخيصة بين الأغنياء.

أخذ الابن موقعه على المنصة كأول الدفعة، وقدم له رئيس الجامعة نيشانًا ومدالية ذهبية بعد أن امتدحه كثيرًا. وإذ كان الكل يصفق له حمل المدالية بين يديه ونزل من المنصة، وذهب إلى والدته وثبتها في ملابسها. ووقف يقول أمام الجميع: **"هذه المدالية من حقك يا أماه، أنتِ تستحقينها! إني مدين لكِ بكل حياتي ونجاحي ونبوغي!"**

هكذا لم يخجل الابن الوحيد من أمه الفقيرة التي بذلت كل جهدها ليحيا إنسانًا ناجحًا. فهل تخجل أيها العزيز من مسيحك الذي افتقر ليغنيك؟! وصُلب لكي يدفع عنك دينك؟! وجُرب لكي يهبك حياة الغلبة والنصرة؟! لتقل مع الرسول: "أما أنا فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح!" حقًا لقد وعدنا: "كل من يعترف بي قدام الناس أعترف أنا أيضًا قدام أبي الذي في السموات" (مت١٠: ٣٢).

✝ صرت أيها الإله القدوس عبدًا،
لكي ترفعني أنا العبد إلى رتبة البنين.
صرت آخر الكل،
لكي تشركني في مجدك!
كيف أخجل منك يا سرّ مجدي؟!

ليلة الاستعداد

دعي أحد الخدام إلى وليمة في يوم سبت مساءً فاعتذر، ولما حاول البعض الضغط عليه ليعطي سببًا لاعتذاره قال:

"عندما يلتزم طبيب بالقيام بعملية جراحية خطيرة يستعد لها قبل دخول حجرة العمليات بالتعقيم. فلا يلمس شيئًا غريبًا، ولا شيئًا سامًا.

وإنني إذ أحضر يوم الأحد لاشترك في الذبيحة المقدسة، وانطق بكلمة الله أحسب نفسي طبيبًا يمارس عمليات جراحية للنفوس، لذا أحاول أن أحفظ نفسي ليلة الأحد أن أكون في حالة تعقيم تام. فلا أحمل معي شيئًا ضارًا للشعب أو سامًا.

إني أكرس ليلة الأحد لأجلس مع سيدي كما في حجرة التعقيم، استعد لخدمة شعبه في يوم الأحد".

✞ ✞ ✞

✞ اجعلني طبيبًا للنفوس،
أيها الطبيب الأعظم.
أخدم النفوس، فتتقدس لك،
انطق معك أيها القدوس قائلاً:
من أجلهم أقدس ذاتي.

✞ لأحملك أيها القدوس إلى نفوس أحبائي المجروحة،
ولا أحمل لهم سموم خطاياي الخفية.

✞ اجذبني فنجري جميعًا نحوك!

في قبضة الحب!

في قبضة رجال الشرطة

دخل عادل حجرة النوم في خطوات هادئة لم يعتدها من قبل، وأغلق الباب، لكنه عوض أن يُلقي بجسده المُنهك على السرير، ارتمى على الأرض، وأسند برأسه على الكرسي، وهنا سبحت أفكاره يمينًا ويسارًا. تجلّى أمامه الماضي البعيد والماضي القريب كما الحاضر أيضًا. كان يناجي نفسه تارة بصوت مسموع، وأخرى إذ يدرك أنه في بيتٍ غريبٍ يصمت ليناجي نفسه سرًا:

[لقد عشت يا عادل كل حياتك محرومًا من الحب، لا تذكر حتى في طفولتك أن أمك قد احتضنتك يومًا ما، ولا أباك كان يترفق بك، ولا اخوتك يهتمون بك. عشت لا تعرف العاطفة، ولا تذوقت الدفء العائلي.

بدأت حياتك الدراسية طفلاً مشاكسًا، لا تعرف الرقة في التعامل ولا احترام الآخرين، تريد أن تنتقم من كل إنسان وتشاغب مع كل أحد. وكان نصيبك النبذ من المدرسين والطلبة. لم يعرف أحد أن يدخل قلبك ويروي عطشك أو يُضمد جراحاتك الخفية، أما أنت فلا تعرف لغة القلب.

كان نصيبك الفشل المستمر، فصرت من جماعة المشاغبين، وانتهى أمرك بالطرد من المدرسة. قسا الزمان عليك، فقسوت على الناس، وصار العنف يسري في دمك. تعلمت أن تغتصب كل ما تقدر أن تمتد إليه يديك، فصرت مُحترفا السرقة. وأخيرًا انتهت حياتك بالسجن لتعيش منبوذًا من الجميع، محرومًا من أثمن ما في الوجود: الحرية!

والآن ها أنت في "فيلا" جميلة، أصحابها أغنياء، أغنياء بالأكثر في الحب!

لعلّها أول مرة ترى فيها أناسًا يبتسمون في وجهك ويهتمون بك ولا

يحتقرونك. لماذا يُحبونك؟ وماذا يرجون فيك أو منك؟!]

هكذا لم يدرِ كم من الوقت قد قضاه سابحًا في أفكاره، يذكر لمسات الحنان التي قدمتها له السيدة العجوز والملابس الجديدة التي قدمها له ابناها. لكنه تحت ضغط الإرهاق الجسدي الشديد أغمض عادل عينيه ليغطَ في نومٍ عميق وهو ملقى على الأرض بلا حراك.

فجأة، فتح عادل عينيه على قرعات الباب الهادئة، وبدأ يفكر بسرعة خاطفة أين هو؟ وما الذي جاء به إلى هذه الحجرة الجميلة بأثاثها الفاخر. لكنه تدارك الأمر أنه في استضافة عائلة مُحبة تلقفته بعد أن قضى زمانًا في السجن.

فتح عادل الباب ليجد أحد الشابين يعتذر له إن كان قد أيقظه من النوم بقرعات الباب:

- آسف جدًا يا أخ عادل. فإني ما كنت أحسبك نائمًا.

خشيت أن تكون في خجل من أن تأتي وتجلس معنا.

- شكرًا يا أخي على محبتك، فقد كنت مُحتاجا فعلاً أن أنام كل هذه الفترة الطويلة.

- إذن، فلتتفضل معنا العشاء لتعود وتُكمل راحتك.

ذهب عادل إلى "الحمام" وغسل وجهه بسرعة، ثم جلس مع الأم العجوز وابنيها على المائدة. بعد صلاة قصيرة بدأوا يأكلون وهم يتجانبون أطراف الحديث.

- نرجو أن تكون قد أخذت قسطًا وافرًا من الراحة.

- أشكر الله، فإني أشعر براحة، خاصة وأنا في وسطكم.

- يسرنا جدًا أن تعيش معنا، فالمكان مُتسع، وبركات الرب كثيرة!

- أنا لا استحق هذه المحبة، ولا استحق أن أعيش بين قديسين مثلكم، فإني إنسان شرير. قضيت عمري في الخطية والشر.

- لا تقل هذا يا عزيزي، فنحن جميعًا تحت الضعف. ولكل منا خطاياه، لكن الرب يستر علينا برحمته.

- لا... لا تقل هذا. لعلَّك لا تعرف ما أنا عليه... فقد امتزجت طبيعتي بالشر،

وكأني والشر صرنا واحدًا.

- لا تخف، فإن اللّه الذي خلقنا قدّم حياته من أجلنا. إنه يحبنا، نزل إلينا، وصار مثلنا كواحد منّا، ودفع حياته ثمنًا لخلاصنا.
- لعلّه يُخلص آخرين غيري...
- لا... بل يريدك أنت. إنه يحب كل إنسان، ويشتهي خلاص كل أحد.
- ألم أقل لكم أنتم لا تعرفونني. لقد قضيت حياتي كلها في الشر. لقد امتزجت حياتي بكل أصناف الخطية، وما أظن إني أقدر أن أتخلص منها!
- اللّه الذي يحب الخطاة هو يقدر أن يُعين الجميع. لقد غيَّر حياة الزناة والعشّارين ودخل بهم إلى الفردوس.

إذ انتهوا من العشاء غسلوا أيديهم، ونزلوا معًا إلى الحديقة يُكملون الحديث عن محبة اللّه اللانهائية. حتى انسابت دموع عادل بغزارة ووقف الكل يصلون.

بعد فترة ليست بطويلة أرادت العائلة أن تُرحب بالضيف أكثر فأكثر، فسألوه إن كان يأخذ فكرة عن الفيلا ومحتوياتها. فأجاب بالإيجاب وبدءوا يسيرون معه من حجرة إلى حجرة، يكشفون له عن أسرار البيت كله. وأخيرًا استقرت وقفتهم أمام قطعة أثرية جميلة وُضعت على البيانو.

- إنها قطعة جميلة.
- نعم، وأثرية أيضًا (أجابت العجوز).
- وما ثمنها.
- إنها تساوي خمسة آلاف جنيهًا مصريًا. لكنها في نظرنا أثمن من ذلك بكثير، إنها لا تقدر بثمن. فهي تحمل ذكرى والدي وأجدادي الذين توارثناها عنهم.

بعد أن أخذ عادل فكرة عن البيت ومحتوياته، دخل الجميع الحجرة المخصصة للصلاة العائلية، وأمام أيقونة السيد المسيح صلى الكل، وذهب كل منهم إلى حجرة نومه.

وضع عادل رأسه على الوسادة وحاول أن ينام لكنه لم يستطع إذ بدأت الأفكار تتراقص في ذهنه.

[كيف تفلت هذه القطعة الأثرية من يدي؟

لكن كيف أخون الذين أحبوني من كل القلب؟

وهل أعيش عالة عليهم كل أيام حياتي؟

لأعيش عالة ولا أسرق، فقد وعدتهم ألا أعود إلى الخطية مرة أخرى.

ما قيمة قطعة أثرية في أيدي أناس أغنياء، هم ليسوا في حاجة إليها. لأسرقها وأبيعها كي أجد عملاً تجاريًا شريفًا، فلا أعود أنحرف بعد!]

في وسط هذا الصراع العنيف قام عادل وتسلل وسط الظلام على أطراف أصابعه حتى بلغ إلى الصالة، وهناك وقف أمام القطعة مترددًا. مدّ يده ليمسكها، ثم عاد فتراجع، وتكرر الأمر مرة ومرات، وأخيرًا تشدد وأمسك بالقطعة وتسلل نحو الحديقة ليجد الباب الحديدي مُغلقًا. لكن هذا لا يشكل مشكلة، فبسرعة البرق قفز من السور إلى الشارع ليجد نفسه أمام رجلين من الشرطة، أمسكا به. ارتبك عادل جدًا، ولم يعرف ماذا يفعل. لقد فتشه الرجلان ووجدا معه القطعة الأثرية فأخذاها منه واقتاداه إلى دار الشرطة.

في دار الشرطة

أيقظت العجوز أحد ولديها على أثر قرعات غريبة على الباب بعد منتصف الليل، وكانت المفاجأة أن فتح الشاب ليجد أمامه رجلين من الشرطة:

- لا تقلق، فقد أمسكنا رجلاً يقفز من سور حديقتكم ومعه بعض المسروقات، فأتينا نخبركم.
- أشكركما تفضلا.
- ضابط البوليس ينتظرنا، ويطلب رب البيت أنْ يحضر ليتعرف على المسروقات.
- حالاً أحضر معكما.

سمعت الأم العجوز الحديث، فأدركت أن عادل هو المقصود. للحال أسرعت نحو حجرته لتجد الباب مفتوحًا، وإذ دخلت لم تجده. عندئذ خرجت وأصرّت أن تذهب مع ابنها إلى دار الشرطة. وعبثًا حاول ابنها أن يثنيها عن عزمها.

انطلق الشاب بعربته ومعه والدته العجوز ورجليّ الشرطة، وهناك إذ دخل الكل حجرة الضابط، سلّمت الأم على عادل سلامًا حارًا، أما هو فقد نكس رأسه ولم يقدر أن يرفع عينيه ويتطلع إليها.

تعجب الضابط من المنظر.

– أتعرفينه يا سيدتي؟

– نعم! أعرفه جيدًا، إنه صديقنا الحميم!

– لقد وجدناه يقفز من سور حديقتكم.

– إنه صديقنا والبيت هو بيته.

– وجدنا معه قطعة أثرية ثمينة.

– أنا أعطيته إيّاها لكي يعالج عيبًا فيها.

– ألا تتهميه بالسرقة.

– مستحيل.

– إذن، نتركه على مسئوليتكم!

– لا، بل سنأخذه معنا ببيت الليلة عندنا.

لم يحتمل عادل هذه المحاورة فقد شعر كأنه وقد أفلت من يد الشرطة صار أسير حب فريد لم يذقه من قبل. وهنا تسلّلت الدموع من عينيه وهو جامد الحركة لا يعرف ماذا يقول ولا كيف يتصرف. عندئذ تقدم الشاب في محبة، وأمسك بيده، واقتاده إلى السيارة ليذهب معهما إلى الفيلا.

عند باب السيارة ثقلت قدمي عادل جدًا وانهمرت دموعه بكثرة وهو يقبل يدي الأم العجوز، قائلاً: "سامحيني فقد أسأت لليد التي أحسنت إليّ".

– لا تقل هذا يا عادل، فإن الله يغفر لنا كل يوم.

- أشكرك، لكنني لا أقدر أن أعيش أسير هذا الحب. إني لا أستحق حبكم، ولا

أستطيع حتى أن أقف وسطكم.

- إن كنتَ قد حكمت علينا أننا نحبك فاسمح أن تقضي بقية الليلة معنا.

- لا أحتمل يا أمي، فإن نارًا تلتهب داخلي!

- لا تقل هكذا يا عادل، اسمح أن نعود جميعنا فرحين.

تحت لجاجة الأم العجوز ركب عادل معهما حتى وصلا الفيلا. وهناك نزل من السيارة ليقف على الرصيف وعيناه قد تسمّرتا متجهتين نحو المكان الذي قفز منه.

ربتت الأم على كتف عادل ودخل الكل إلى الفيلا، حيث تسلّل عادل إلى حجرته ليقضي بقية الليلة يجهش في البكاء، وفي الصباح المبكر بعد أن صلى مع العائلة وأخذ إفطاره استأذنهم وخرج بلا عودة!

مع الراهب دانيال

مرت السنوات وأصيبت الأم بمرض الفالج (الشلل) الذي أفقدها قدرتها على الحركة، فصارت حبيسة بيتها مع ابنيها الرجلين اللذين يبذلان كل الجهد في خدمة الكنيسة.

كان الابنان يلتقيان كل مساء مع أمهما ليشترك الكل معًا في الصلاة العائلية، وبعد دراسة في الكتاب المقدس يسير الولدان بأمهما إلى إحدى الشرفات على "عجلة" خاصة بها، يقضون وقتًا ليس بقليل يتحدثون في سير القديسين السابقين، وما يدور حول شخص الراهب دانيال. فقد فاحت سيرته المقدسة في كل أنحاء القطر، وتحول الدير إلى مزار يفد إليه الناس من كل صوب يلتمسون بركة القديس، الأمر الذي دفع بالراهب دانيال أن يترك الدير ويهرب إلى مغارة على بعد عدة أميال من الدير.

في إحدى الليالي، قالت الأم لولديها: "اذهبا إلى أبينا دانيال ليباركما، واطلبا منه أن يصلي عني".

- ولماذا لا تأتي معنا يا أماه؟

- أنت تعلم يا ابني إني عاجزة عن الحركة، ولا أريد أن أثقل عليكما. يكفيني أن تنالا أنتما البركة.

– لا... بل إن أردتِ فلتذهبي معنا ليصلي عنك فيهبك الرب الشفاء.

– أنا لا أطلب شفاءً للجسد، بل أشتاق أن أكمل أيامي في رضى الرب وأعبر سريعًا.

– لا تقولي هذا يا أمي، فنحن محتاجون إلى بركتك معنا.

– لقد أكملت رسالتي يا ابني... إني اشتهي أن انطلق وأكون مع السيد المسيح، ذاك أفضل جدًا.

أصر الابنان أن يأخذا أمهما معهما، وقرر الكل أن تكون الرحلة في اليوم التالي. وبالفعل في الصباح المبكر جدًا سار الابنان بأمهما إلى السيارة، وحملاها إلى المقعد الخلفي لتستريح، وانطلق الكل نحو البرية إلى الدير.

لم يكن من السهل أن ينزلا بأمهما من السيارة ويحملانها على العجلة ليدخلا بها إلى كنيسة الدير. في الطريق إلى الكنيسة قالت الأم في ألم: "أرجو أن تتركاني في الدير هنا وتذهبان أنتما إلى المغارة، فإن السيارة لا تقدر أن تصل إلى المغارة، وأظن أن العجلة لا تقدر أن تسير في الرمال. يكفيني أن تذهبا وتطلبان منه أن يصلي عني. وأنا أنتظركما هنا حتى آخر اليوم.

– لا تخافي يا أمي، فإن الله سيدبر الأمر، نحن قد أتينا من أجلك وسنسأل إن كان بالدير سيارة "جيب" تقدر أن تصل بنا إلى المغارة .

– لا تتعبان، ولا تحرجا أنفسكما مع الآباء الرهبان.

– لقد علمتنا أننا بالإيمان لا يوجد مستحيل.

هنا بلغ الكل باب الكنيسة، حيث خلع الكل أحذيتهم ودخلوا في مخافة وهدوء إلى الهيكل حيث سجد الابنان إلى الأرض وصلّيا. أما الأم فقد انذرفت دموعها وهي تصلي بكلمات غير مسموعة. وبعد أن قبّل الكل أجساد القديسين خرجوا يسألون عن الراهب دانيال.

سأل أحد الابنين راهبًا: كيف يمكننا الذهاب إلى مغارة أبينا دانيال؟

– هل تريدون أبانا دانيال؟

– لو سمحت، فإننا مشتاقون أن ننال بركته؛ وأمي كما تراها مريضة بالفالج.

- على أي الأحوال، إن تدبير الله حسن، فإن الأب دانيال حاليًا في الدير.

أشار الراهب إلى الموضع الذي يجلس فيه أبونا دانيال، الذي تفرس فيهم كثيرًا وهم قادمين إليه. وإذ وصلوا إليه مع الراهب سألوا: أبانا دانيال؟

أجاب الراهب في هدوء: نعم أنا... أنت بولس؟

- كيف عرفتني؟

- وأنت بطرس؟

- نعم... أتعرفني؟

- هل هذه أمكما؟

- نعم!

وفي لحظات ضرب الراهب دانيال مطانية أمامهم ثم أخذ الابنين بالأحضان وصار يقبلهما، ثم تقدم إلى الأم وصار يقبل يديها وهو يبكي.

وقف الكل في دهشة، بل وتجمع عدد ليس بقليل من الرهبان يرون هذا المنظر الغريب. أخذ الراهب يقول للأم العجوز: ألا تعرفيني؟! أنا ابنك عادل، الذي احتملتم ضعفه وأسرتموه بالحب حين سرق القطعة الأثرية... أنا عادل الذي كنت لصًا، وعلى أيديكم عرفت مسيحي! إلى مدين لكم بكل حياتي في المسيح يسوع!

ثم ركع الراهب دانيال بجوار العجلة وصلى في اتضاع وانسحاق بدموع غزيرة ورشم الأم بالزيت باسم الله القدوس الأب والابن والروح القدس، فتحركت الأعضاء اليابسة، وقامت العجوز عن العجلة لتمسك بيديها الأب دانيال وهي تسبح الله وتمجده.

هذه القصة رواها لي قداسة القس أثناسيوس بطرس وطلب مني تسجيلها في أسلوب قصصي...وإن كنت قد قمت بتغيير بعض أحداثها.

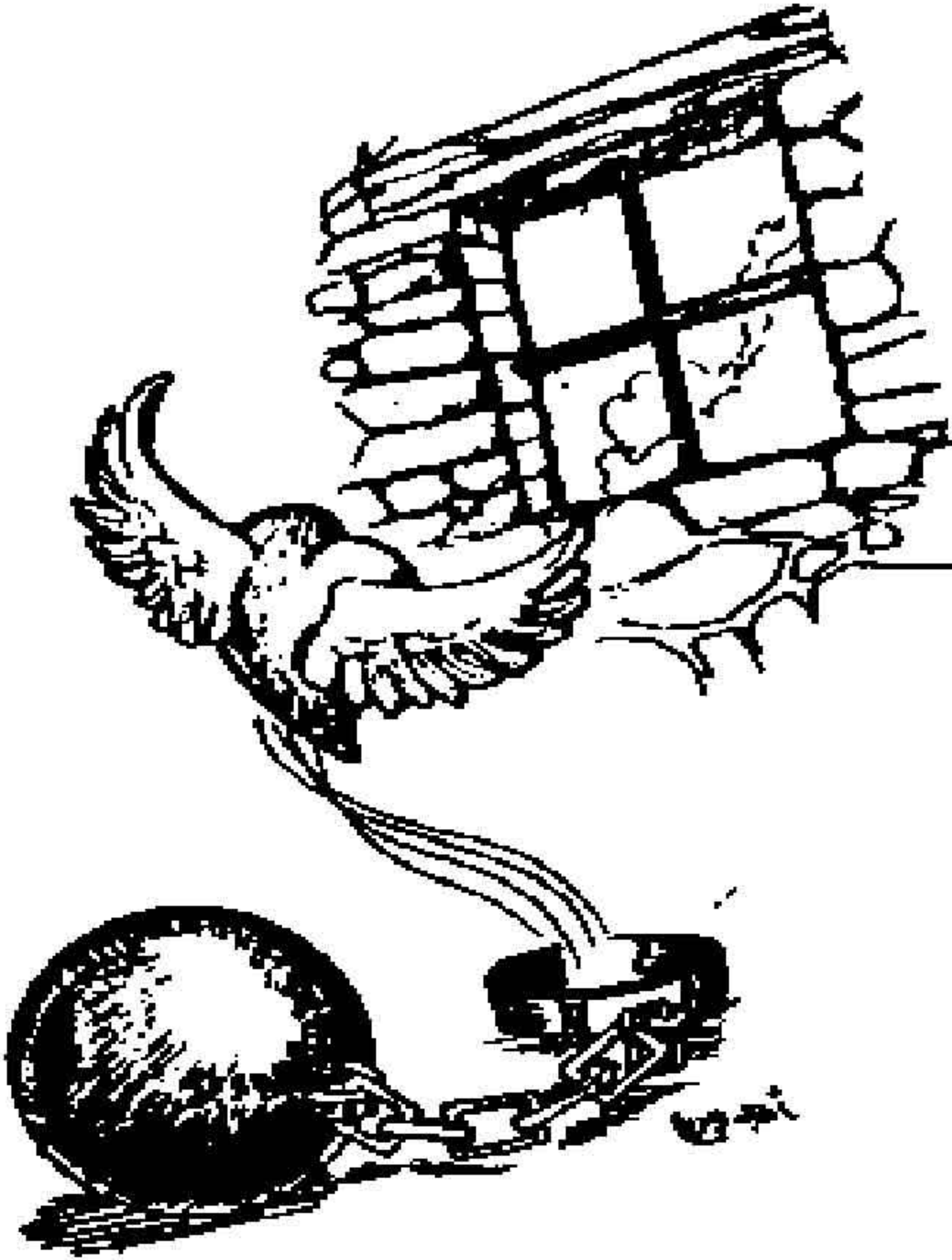

قصص قصيرة

مع قصة

الإشبين الغريب

١٨٦ — ١٩٩

استضافة حمار وبغل

بلغ الأخوان موسى وبولس مدينة بلبيس، وكانا يسيران معًا في شوارعها وسط ظلام الليل يتحدثان عن صديق العائلة الصراف إقلاديوس وزوجته وأولاده الثلاثة، وكان قلباهما يلتهبان شوقًا لرؤية هذه العائلة التي ارتبطا بها بروح الحب وقد عُرفت بالتقوى وحياة الصلاة.

لم يشعر الأخوان بالوقت خلال ذكرياتهما اللطيفة وحديثهما الطويل بخصوص عائلة الصراف إقلاديوس، حتى وجدا نفسيهما أمام باب عم إقلاديوس يقرعانه. فتح الرجل لهما الباب، ولم يصدق نفسه إذ رأى الشابين أمامه، فمنذ وفاة والديهما لم يلتقِ بهما قط. أخذهما بالأحضان وكان يقبلهما والدموع تجري من أعين الكل.

أسرعت زوجته إليهما تسلم عليهما في شوقٍ كما إلى ابنيها العزيزين جدًا عليها، وصارت تسألهما عن والدتهما وأحوالها بعد وفاة أبيهما. أما أولاد عم إقلاديوس الثلاثة ففرحوا جدًا برؤيتهما. جلس الكل معًا، وتحول ظلام الليل إلى بهجة عيد مفرح. وكان الكل يتجاذب الحديث. وفي هدوء تسللت الزوجة إلى خارج الحجرة حيث قامت بذبح "إوزة" وإعداد العشاء.

انقضت قرابة ساعة بعدها أخذ العم إقلاديوس موسى في حجرة مستقلة وكان يسأله عن حياته الروحية وسلوكه وتجارة المرحوم والده. أجاب موسى: "أشكر الله، فالتجارة تسير على ما يرام، وبركات الله لا تُحد، لكن ما يقلق نفسي هو أخي بولس، فإنه لا يعرف المرونة، لا يصلح في العمل التجاري، إنه "حمار" يمثل ثقلاً عليّ في أعمال التجارة. عندئذ تنهد العم إقلاديوس في مرارة، وتساقطت الدموع من عينيه،

---

[1] القصص الثلاث الأولى رواها المتنيح القمص يوسف أسعد.

وهو يقول: كيف تدعو أخاك حمارًا يا ابني؟ إنه أخوك، يلزمك أن تحبه لا أن تدينه وتسيء إليه، تنظر إلى حسناته وفضائله ومواهبه لا إلى سقطاته وضعفاته. لكن موسى لم يبالِ بالكلام!

جلس العم إقلاديوس مع بولس أيضًا على انفراد، وإذا سأله عن أحواله وأمور تجارة والده، أجاب كأخيه أن كل شيء يسير حسنًا لكن أخاه "كالبغل" يثور ويهيج عليه بلا سبب، لا يتصرف بحبٍ وحكمةٍ، عندئذ بدأ العم ينصحه باحتمال أخيه وعدم إدانته، فلم يهتم بولس بكلماته.

إذ مضت أكثر من ساعة دخل العم إقلاديوس المطبخ، وعاد يحمل صينية عليها طبقان بغطاء، وإذ خرج أولاده الثلاثة وتركوه مع الضيفين قدم لهما الصينية للعشاء.

غسل الشابان أيديهما وجلسا حول المائدة، وإذ كشفا الطبقين كانت المفاجأة أنهما وجدا قليلاً من العدس والفول غير مطبوخين. تراجع الشابان إلى الوراء، كل منهما ينظر إلى الآخر في دهشة، كأنهما يتساءلان: ما هذا الذي يفعله العم إقلاديوس؟ ألعله أخطأ في الصينية، أم أنه تصرف عن عمد لعلةٍ بينه وبين والدهما؟!

ساد الحجرة جو من الصمت، قطعه الرجل الوقور، بقوله في هدوء: "لماذا تندهشان يا ولدي؟! أليس هذا هو طعام الحمار والبغل؟! فقد دعوت يا موسى أخاك حمارًا، وأنت يا بولس دعوت أخاك بغلاً... فلتأكلا إذن فهذا هو الطعام المناسب لكما!"

✞ ✞ ✞

✞ هب لي عينيك يا محب البشر، أرى بهما كل إنسانٍ كما تراه أنت!
أستر على ضعفاته كما تستر أنت عليّ!

✞ هب لي ألا تخرج كلمة جارحة من فمي، بل أنطق بلسانك يا كليّ العذوبة!

✞ هب لي فكرك فلا أدين أحدًا!

الحلواني العجيب

كان العم بشاي الحلواني رجلاً أمينًا وبسيطًا للغاية، يسير بعربته التي ملأها بالحلوى في شوارع شبرا يبيع للأطفال، خاصة بجوار إحدى مدارس شبرا.

كان العم بشاي محبًا للإنجيل، يأتيه بعض أصدقائه ليجالسوه فيقدم لهم إنجيله الذي لا يعرف القراءة فيه، ويسألهم أن يقرءوا له منه بعض الفصول أو حتى بعض الفقرات.

وفي أحد الأيام لاحظ العم بشاي أحد جيرانه قادمًا إليه من بعيد وقد ظهرت عليه علامات الارتباك الشديد، وفي هدوء شديد قال له العم بشاي:

- سلام يا أخي.

- سلام يا عم بشاي.

- خيرًا!!

- كل الأمور تسير في خير، إنما السيدة أم مجدي تشعر بألم وتطلب منك إن أمكن أن تترك العربة لأحد أصدقائك وتذهب إليها.

ارتبك العم بشاي قليلاً فقد ترك زوجته، أم مجدي، في الصباح حيث كانت تشعر بقليل من الألم، لكن لم يكن يظن أن الأمر فيه خطورة، فقد أخفت الكثير من آلامها وراء ابتسامتها الرقيقة وكلماتها العذبة معه ومع أولادهما الثمانية.

رشم العم بشاي نفسه بعلامة الصليب، ورفع قلبه نحو السماء يصلي لأجل زوجته، ثم سار نحو بيته حيث وجد باب حجرته - في الدور الأرضي - مفتوحًا وقد التفت النساء الفقيرات حول زوجته المسكينة في الحجرة الوحيدة التي تعيش فيها كل العائلة. لقد اعتادت هؤلاء النسوة أن يزرن البيت ويأخذن معونة بسيطة من السيدة أم مجدي.

إذ رأى الرجل هذا المنظر، خلصة وقد بدأت النسوة يعزينه في زوجته التي ماتت، تمالك نفسه قليلاً وفي هدوء طلب منهن أن يتركن الحجرة إلى حين ومعهن أولاده، ودخل الرجل حجرته ليقترب من زوجته الممتدة على السرير بلا نفس، جثة هامدة. في ايمان عجيب ركع العم بشاي، وهو يصرخ في بساطة قلب، قائلاً: "أنت أعطيتني يا رب ثمانية أولاد وأعطيتني هذه الزوجة عمودًا للبيت تربي أولادي... فكيف تأخذها منا؟ من يستطيع أن يربي هؤلاء الأولاد؟"

انزرفت الدموع من عينيه بلا حساب وهو يعاتب الله متمتمًا بكلمات غير مسموعة، وإذ هو غارق في دموعه سمع كلمات واضحة: "لقد وهبت زوجتك خمسة عشرة عامًا كما فعلت قبلاً مع حزقيا الملك". هنا استرد الرجل أنفاسه ليشكر الله على عطيته ورعايته، ثم نادى النسوة أن يدخلن الحجرة وطلب منهن أن يقدمن لها طعامًا.

في بساطة مملوءة إيمانًا، قال الرجل لزوجته: "يا أم مجدي قومي لتأكلي..." وإذا بالسيدة تفتح عينيها وبعد دقائق صارت تأكل.

خرج العم بشاي من بيته وهو يشكر الله على عظيم رعايته، وإذ وجد أحد معارفه سأله أن يكتب له تاريخ اليوم في ورقة صغيرة ليضعها في محفظته.

مرت الأيام والسنين وإذا بالعم بشاي يشيخ وقد ربى أولاده الثمانية خلال عمله كبائع حلويات. وفي أحد الأيام جاءه رجل يقول له بأن أم مجدي مريضة جدًا. أخرج الرجل الورقة من محفظته وسأله أن يقرأ له التاريخ المكتوب عليها، وإذ عرف أنه قد مرت خمسة عشرة عامًا تمامًا أدرك أن وقت نياحتها قد حان، وعندئذ نزلت الدموع من عينيه وهو يسرع نحو بيته يقود عربة الحلوى.

دخل الرجل حجرته حيث ارتمى بجوار السرير وهو يقول لزوجته:

"وداعًا يا أم مجدي! وداعًا!

أشكرك يا رب لأنك تركتها لي كل هذا الزمان لتربي أولادها وتعينني.

الآن أستريحي يا أم مجدي في الرب.

اذكريني عند ربي يسوع المسيح!"

✞ ما أعذبك يا خالقي،

تهيلي عذوبة وتهليلاً في حياتي اليومية.

✞ وتمنحني سلامًا وبهجة في رحيلي.

إن عشت فلك أعيش،

وإن مت فلك أموت.

أنت هو حياتي ومجدي الأبدي!

لم أسمع شيئاً

عند باب مبنى أسقفية الفيوم القديم سأل الأب الكاهن عن أبيه الأسقف نيافة الأنبا أبرآم، فقيل له أنه جالس على الأريكة (الدكة) كعادته فدخل إليه.

إذ رآه الأب الأسقف همّ عليه مسرعًا في بشاشة ليحتضنه ويقبله، ثم سأله عن أخباره، فتنهد الأب الكاهن بمرارة وهو يقول:

– لم أنم الليل كله يا أبي الأسقف.

– لماذا؟

– بسبب زميلي الكاهن.

هنا صمت الأب الأسقف دون أن تظهر على وجهه أية ملامح، لكن الكاهن استرسل في الحديث عن زميله الكاهن. وإذ طال الحديث جدًا والكاهن يشكو زميله استدعى الأنبا أبرآم أحد العاملين في الأسقفية يدعى رزق، وسأله أن يهيئ له فنجان قهوة.

شرب الكاهن الفنجان واسترسل أيضًا في الحديث، وإذ أطال عاد نيافته فطلب للكاهن فنجانًا آخر.

عاد الأب الكاهن يتحدث في مرارة، والأسقف لا ينطق ببنت شفة ولا ظهرت أيّة علامة تعبر عن شيء كانعكاس لما يسمعه. وأخيرًا ختم الكاهن حديثه هكذا: "لقد أطلت الحديث عليك يا أبي الأسقف لكنك لم تجبني بكلمة ولا أرشدتني ماذا أفعل". عندئذ تطلع إليه الأب الأسقف وهو يقول: "سأطلب لك فنجان قهوة يزن عقلك... صدقني إني لم أسمع شيئًا من كل ما قلته".

خجل الكاهن جدًا من نفسه واعتذر عما صدر منه من شكوى ضد الكاهن زميله، طالبًا منه أن يصلي من أجله حتى يقدر أن يضبط لسانه بل وفكره فلا يدين

أحدًا، انحنى برأسه يعتذر عما قاله، سائلاً الأب الأسقف أن يصلي من أجله لكي يعطيه الرب حلاً عن خطاياه.

خرج الأب الكاهن من حضرة أبيه الأسقف ليجد أمامه زميله الكاهن فاحتضنه وقبّله ناسيًا كل ما صدر منه.

عاد الكاهن إلى الأب الأسقف وأسرع بعد فترة ليست بطويلة فسأله الأسقف عن حال زميله، فأجاب الكاهن أن كل الأمور تسير بخير وأنه يشعر بأن زميله الذي كان قبلاً يراه كمُضايق له قد صار لطيفًا معه للغاية، بل ويشعر أنه غير مستحق لزمالته ونوال بركته، وكان الكاهن يمتدح زميله جدًا، ففرح به الأسقف، وتطلع إليه ببشاشة وهو يقول له: "أسرع إلى الكنيسة واشترك في صلاة القداس الإلهي".

خرج الأب الكاهن من حضرة أبيه الأسقف وأسرع إلى الكنيسة حيث اشترك مع الآباء الحاضرين في القداس، وكان متهللاً جدًا، يشعر بلذة روحية فائقة، وكانت نفسه كأنها منطلقة في السموات عينها.

انتهى القداس الإلهي بسرعة عجيبة، وانطلق الكاهن يحمل "قربانة حمل" نحو الباب الخارجي، ففوجئ به مغلقًا. أخذ الكاهن يقرع باب الكنيسة حتى فتح له الفراش وهو مندهش.

- كيف دخلت يا أبي الكنيسة؟

- كان الباب مفتوحًا.

- أنا لم أفتحه بعد.

- كيف هذا؟ فإنني اشتركت مع بعض الآباء في خدمة القداس الإلهي.

- أي قداس؟

- القداس الإلهي.

- لم يقم اليوم قداس إلهي.

- أقول لك أنني اشتركت في الصلاة بنفسي، وها هي "قربانة الحمل".

عندئذ أدرك الأب أنه إنما كان يصلي القداس الإلهي مشتركًا مع جماعة من الآباء السواح مكافأة له عن تركه إدانة أخيه الكاهن واتساع قلبه بالحب.

✞ ليصمت لساني عن الإدانة،

فيرفع قلبي وفكري إلى سمواتك،

✞ ليتني لا انشغل بضعفات الآخرين،

فأتمتع بشركة السمائيين!

✞ هب لي ألا أدين أحدًا،

فأهرب من الدينونة الأبدية!

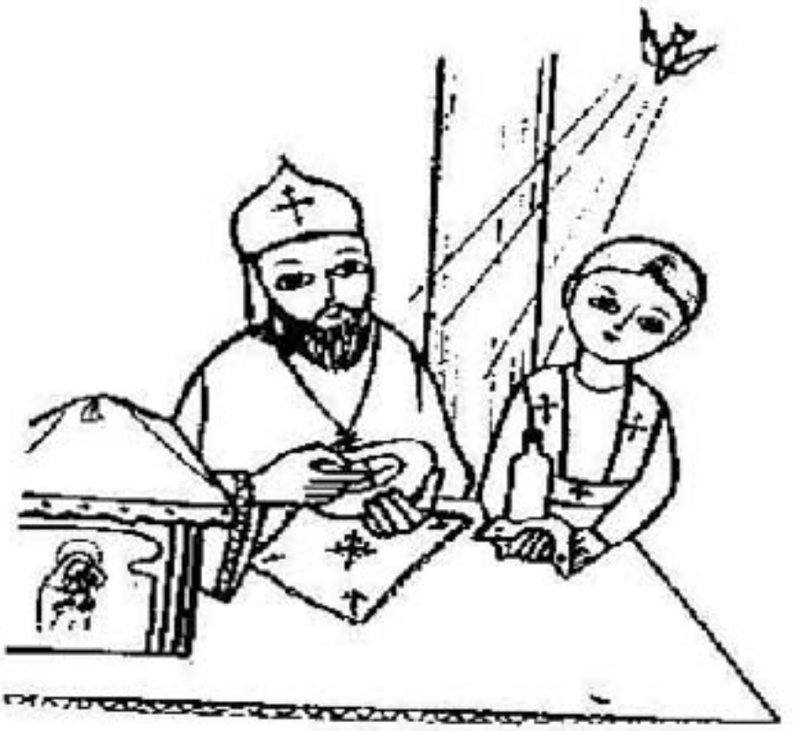

انتقل

من الموت إلى الحياة

لاحظ الصبي مارك على وجه والدته ابتسامة عريضة فسألها: "لماذا أراك متهللة يا أماه!" أجابت الأم: "لقد سمعت عظة على وعد السيد المسيح لنا: "الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة" (يو٥: ٢٤). صارت الأم تشرح لابنها هذا الوعد الإلهي، وكيف أدركت يقين عمل السيد المسيح الخلاصي، الذي في استحقاقات دمه ننتقل دومًا من موت الخطية إلى الحياة الجديدة التي لنا فيه.

فتح الاثنان الكتاب المقدس ووضع الصبي خطًا تحت الوعد الإلهي، وحفظ الوعد عن ظهر قلبه. صار يردده طول النهار... وكانت نفسه تمتلئ فرحًا.

إذ عبرت أيام قليلة دخل الصبي البيت فوجد والدته في كآبة، فقد فقدت فرحها الداخلي. تطلع مارك إلى والدته بدهشة وهو يقول: "ماذا حدث يا أماه؟ ألعلّ الآية قد تغيرت؟! سأذهب وأرى!" ثم أسرع إلى حجرتها وأحضر الكتاب المقدس، ثم فتحه وهو يقول لها: "إنها لم تتغير إنها ذات الآية التي كنا نقرأها... الوعد الإلهي لم يتغير".

✞ لأحفظ مواعيدك الإلهية الصادقة،

فتحفظني دائمًا متهللاً وناميًا!

✞ لتنقشها في قلبي،

ولترسمها أمام عيني،

فلا أعود أنساها!

✞ هذا هو وعدك الحيّ:

أن تهبني ذاتك يا أيها القيامة!

بك أحيا ومعك أتمجد يا بهجة قلبي.

✞

مُلحد وسيدة فلاحة

منذ سنوات تطوع أحد الأشخاص المتعلمين أن يجول من مدينة إلى أخرى يبث أفكاره الإلحادية على الجماهير، وكان ببلاغته يشكك الحاضرين في الإيمان بالله، حاسبًا ذلك تخلفًا، ودراسة الكتاب المقدس جهلاً، والخلاص بدم المسيح جهالة.

التقى بعددٍ كبيرٍ من الجمهور في قاعة ضخمة بمدينة ما وصار يتحدث معهم ببلاغة فائقة، وإذ شعر أنه قد سيطر على عقول الحاضرين ومشاعرهم، في اعتزاز صرخ أمام الجميع: "إن كان الله القدير موجودًا فليُعلن ذاته بأن يضربني بالموت حالاً". وفي سخرية قال: "انظروا إنه لا يوجد الله".

فجأة سارت نحوه سيدة فلاحة صغيرة وبأدب قالت له: "سيدي، إنني لا أتستطيع أن أقف أمام حججك، فأنت متعلم وأنا فلاحة بسيطة غير متعلمة. لكنني أطلب منك وأنت إنسان كلك حكمة وعقل وعلم أنت تجيبني على سؤال يحيرني".

في اعتزاز قال لها: "تسألي..."

سألت السيدة: "أنا إنسانة بسيطة، آمنت بسيدي يسوع المسيح الذي يحبني وقد مات لأجلي. إيماني به يملأ كياني فرحًا، انتظر الموت في رجاء حيّ أن أكون معه. أسألك يا سيدي: ما هي خسارتي إن فوجئت أنه لا يوجد إله ولا خلاص ولا حياة أبدية عندما أموت؟"

حدث صمت رهيب في القاعة، أما المحاضر الملحد ففي شيء من السخرية قال لها: "لن تخسري شيئًا لأنك بعد الموت لا تقفين أمام أحد، ولا يكون لك وجود!"

قالت السيدة الفلاحة: "أشكرك يا سيدي لأنك أجبت على سؤالي. هل تسمح لي بسؤال آخر فقط؟"

---

[٢] *Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes..., vol. 2. p. 16.*

في كبرياء قال لها: "اسألي..."

سألته: "عندما يأتي دورك فتموت، ماذا يكون موقفك أن اكتشفت، أنك تقف أمام اللّه الذي تُهينه، وأن الكتاب المقدس حق، والخلاص الذي ازدريت به حقيقة واقعية؟!"

. صمت المحاضر بينما ارتبكت كل الجماهير فيما بينها... وتشكك الكل في أحاديث المُلحد الكاذبة.

❁❁❁

✞ وهبتني عقلاً وحكمة لأتعرف عليك،

لتقدس بصيرتي فأراك!

ليراك الكل فيفرحوا بك،

لينتظر الكل اللقاء معك!

علم السماء

لاحظ كريستيان ملك الدانمرك في أثناء تجوله في كوبنهاجن أن علامة الصليب المعكوف ترفرف على مبنى عام، في انتهاك للاتفاقية بين هتلر والمدينة.

أمر الملك: "انزلوا هذا عن المبنى".

رفض الضابط الألماني تنفيذ الأمر قائلاً: "لقد رُفع هذا العلم حديثًا بناء على أوامر صادرة من برلين".

قال الملك: "لقد قلت أن ينزل هذا العلم قبل الساعة الثانية عشرة، وإلا سأرسل جنديًا إلى أعلى المبنى لينزله".

قال الضابط: "أي جندي يقوم بهذا يُضرب بالرصاص".

عندئذ قال الملك: "أنا هو الجندي الذي ينزع هذا العلم!"

وصعد الملك إلى المبنى وأنزل العلم، ولم يستطع الضابط النازي أن يقتل ملك الدانمرك.

هكذا نزل ملك الملوك، ربنا يسوع المسيح من السماء، ليمزق علم العدو ويحطم الشيطان رئيس هذا العالم، ليحل محله علم السماء.

وكما يقول الرسول بولس: "فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت، أي إبليس" (عب٢: ١٤)، كما يقول يوحنا الحبيب: "لأجل هذا أُظهر ابن الله لكي يبطل أعمال إبليس" (١يو ٣: ٨).

---

[٣] *cf. Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes, vol.2, p. 1.*

✞ لتعبر يا ملكي في شوارع قلبي المحتل!
لتنزع من داخلي علم إبليس!
ولتقم علمك فوقي محبة (نش٢: ٤)!
✞ من يستطيع أن يطرد المستعمر من قلبي؟
من يحرر أعماقي غيرك؟
لترفع علم حبك فيّ،
فتصير أعماقي سمواتك!

الجمال الفائق

التقى فايق بخادم التربية الكنسية مقار وفي صراحة مع مرارة نفس قال الفتى لخادمه:

"لا أعرف لماذا خلقني اللّه؟

ليس فيّ شيء صالح.

إني إنسان غضوب.

كثيرًا ما أُحزن قلب والديّ، بل وقلوب أصدقائي.

بذلت كل الجهد لأحيا بروح الوداعة والبشاشة ووعدت اللّه كثيرًا ألا أغضب لكنني لم استطع.

ماذا أفعل؟"

أجاب الخادم:

[لا تحزن يا فايق، بالأمس وقفت أنا وزوجتي أمام شجرة تفاح في حديقتي وكانت مملوءة بالثمار. قطفنا تفاحة شهية الطعم وجميلة المنظر. وإذ كنا نأكلها معًا، قلت للشجرة: "ما أجملك وما أشهاكِ أيتها الشجرة، شكلك جميل، وفروعك مملوءة بالثمار!"

ابتسمت زوجتي وقالت لي: "ألا تتذكر كيف كانت ثمار هذه الشجرة غير صالحة للأكل، لكنك أنت طعمتها بفروع شجرة أفضل. يداك هما اللّتان جعلتا منها شجرة جميلة ومثمرة! لو لم تطعمها بالفروع الصالحة لبقيت شجرة بلا نفع، تستحق أن تُقطع وتُحرق في النار. فشكرًا لك يا زوجي العزيز."

ما فعلته أنا بالشجرة المستحقة للقطع يفعله معي سيدي يسوع المسيح، فقد

---

[٤] *cf. Archibald Naismith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes, vol.2, p. 19.*

قدم لي حياته وطعّمني فيه، جعل مني شجرة جميلة المنظر ومملوءة من ثمر الروح. بدونه لا استحق سوى القطع وأن ألقى خارجًا في نارٍ أبديةٍ. إنه يحقق معي وعده: "الذي يثبت فيّ وأنا فيه يأتي بثمر كثير، لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا"(يو ١٥:٥).]

صمت فايق قليلاً ثم قال لخادمه مقار: "لكني غضوب، هل ينزع الله عني روح الغضب؟"

أجاب مقار: "إنه يحوله إلى غضب مقدس ونافع؟"

سأل فايق: "كيف؟ هل يوجد غضب مقدس ونافع؟"

أجاب مقار:

[قطعًا نعم. فبدون الغضب لا أستطيع أن أقدم توبة صادقة. لأغضب، لا على الآخرين بل على نفسي. لأثور، لا ضد الناس بل ضد الخطية التي تقتحم نفسي! هذا هو عمل الروح القدس يأخذ ما هو معيب فينا ويهبه بلمسات نعمته جمالاً فائقًا.]

سأروي لك يا فايق قصة واقعية:

في لقاء للفنان جون راسكن John Ruskin مع إحدى قريباته وجدها تبكي بمرارة؛ وإذ سألها عن السبب قالت له: "لدي منديل حريري جديد اعتز به، لأن له ذكريات خاصة، وقد سقط عليه حبر فشوهه... قدمته لأكثر من شركة تنظيف، فقالوا لي أنه يستحيل نزع الحبر عنه... إني لن استريح!"

ابتسم الفنان، وأخذ منها المنديل، وقال لها: "لا تضطربي، سأعالج هذه المشكلة. انطلق الفنان إلى مرسمه وفي لحظات أمسك بفرشاته ورسم وردة جميلة على البقعة، ثم عاد إلى قريبته يقدم لها منديلها. أما هي فقالت في دهشة: "إنه ليس منديلي!" أجابها "لا، بل هو منديلك، لكني حولت البقعة القبيحة إلى صورة جميلة!"

فرحت السيدة بالمنديل وشكرت الفنان الذي حوّل ما هو قبيح إلى جمالٍ فائقٍ، وردّ لها فرحها وبهجتها!"

هذا ما يفعله بنا الفنان الأعظم، حين يمسك روحه القدوس بنفوسنا ليجعل منها أيقونة حيّة للسيد المسيح الفائق الجمال... فنجد أن نفوسنا قد تغيرت تمامًا

وتجددت...لقد ولدنا من جديد في مياه المعمودية، وعمل فيها الروح بلا توقف.

✠ ✠ ✠

✠ نفسي بين يديك أيها الفنان الأعظم!
روحك القدوس يحول قُبحي إلى جمال فائق!
يُخرج من قبري مقْدسًا مباركًا!
يحول ترابي إلى سماء!
يقيم من أعماقي أيقونة حيّة لك!
لك الشكر والمجد،
لأن كل ما بين يديّ هو من عملك أيها القدوس.

✠ ✠ ✠

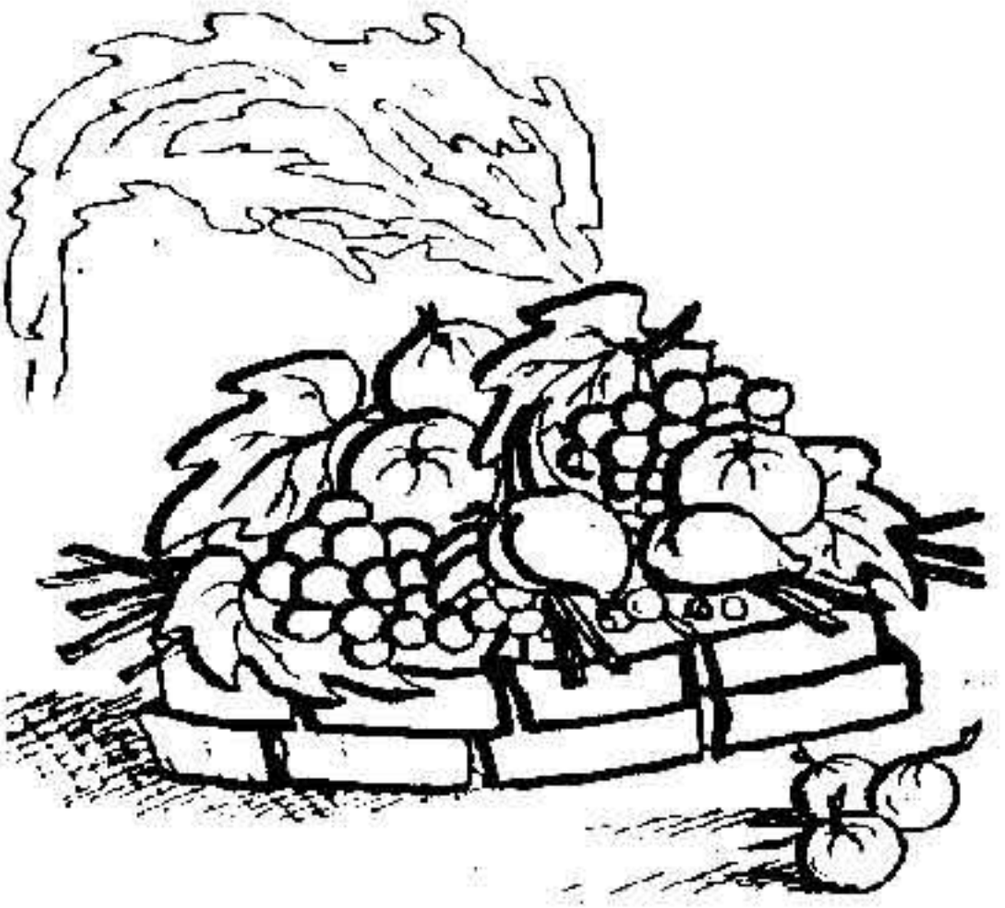

دبوس إبرة أم لسعة عقرب؟[٥]

قيل إن إنسانًا مُحبًا للقراءة، دخل يومًا إلى مكتبته الخاصة، وتطلَّع إلى إحدى زواياها التي لم يسحب منها كتابًا منذ شهور.

تطلَّع إلى الكتب، ثم سحب كتابًا يقرأ فيه، فشعر كأن دبومًا قد وخز إصبعه. لم يُعطِ الرجل اهتمامًا لذلك، ظانًا أن إنسانًا مهملاً استعار منه كتابًا وترك فيه دبوس إبرة مُلتصقًا بإحدى الصفحات.

في اليوم التالي بدأت علامات الورم تظهر على إصبعه، وإذ لم يُبالِ أُصيب ذراعه بورم، ثم جسمه كله... وبعد أيام قليلة مات الرجل.

لم تكن إصابته بسبب دبوس إبرة، وإنما بلسعة عقرب قاتلة مختفية وراء الكتب... وقد أهمل الرجل في العلاج.

حقًا، تحمل كثير من الكتب سمومًا قاتلة، أكثر خطورة من سموم العقرب، متى لدغت فكر إنسانٍ تصيبه بأمراضٍ خفيَّةٍ، وقد تقضي لا على حياته الزمنية فحسب، بل وعلى أبديته. من بين هذه الكتب ما ورد عنها في سفر الأعمال: "وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع، وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفًا من الفضة. هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة" (أع ١٩:١٩،٢٠).

---

[٥] *cf. Archibald Natsmith: 2400 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes, vol.2, no.795.*

✞ تريدني ألا أكف عن القراءة أيها المُعلم الفائق.
تهبني الفهم الحق أيها الحكمة الإلهي.
لأقرأ بلا رخاوة، ولأسهر بلا كسل!

✞ هب لي روح التمييز فلا تستهويني الفلسفات الخادعة،
ولا تلدغ الحيّات والعقارب ذهني.
بل أتمتع بكلمتك وأحيا إلى الأبد!

✞ لتُشرق عليّ يا شمس البر،
فأتمتع بالمعرفة الحقة،
ولا تستطيع الحيّة القديمة أن تلدغني،
كما لدغت أمي حواء بالمعرفة الباطلة!

✞ لأقتنيك فأجد فيك كل الحق!
أنت هو كتاب قلبي المفتوح.
بك أتنعم بالمعرفة والحق!

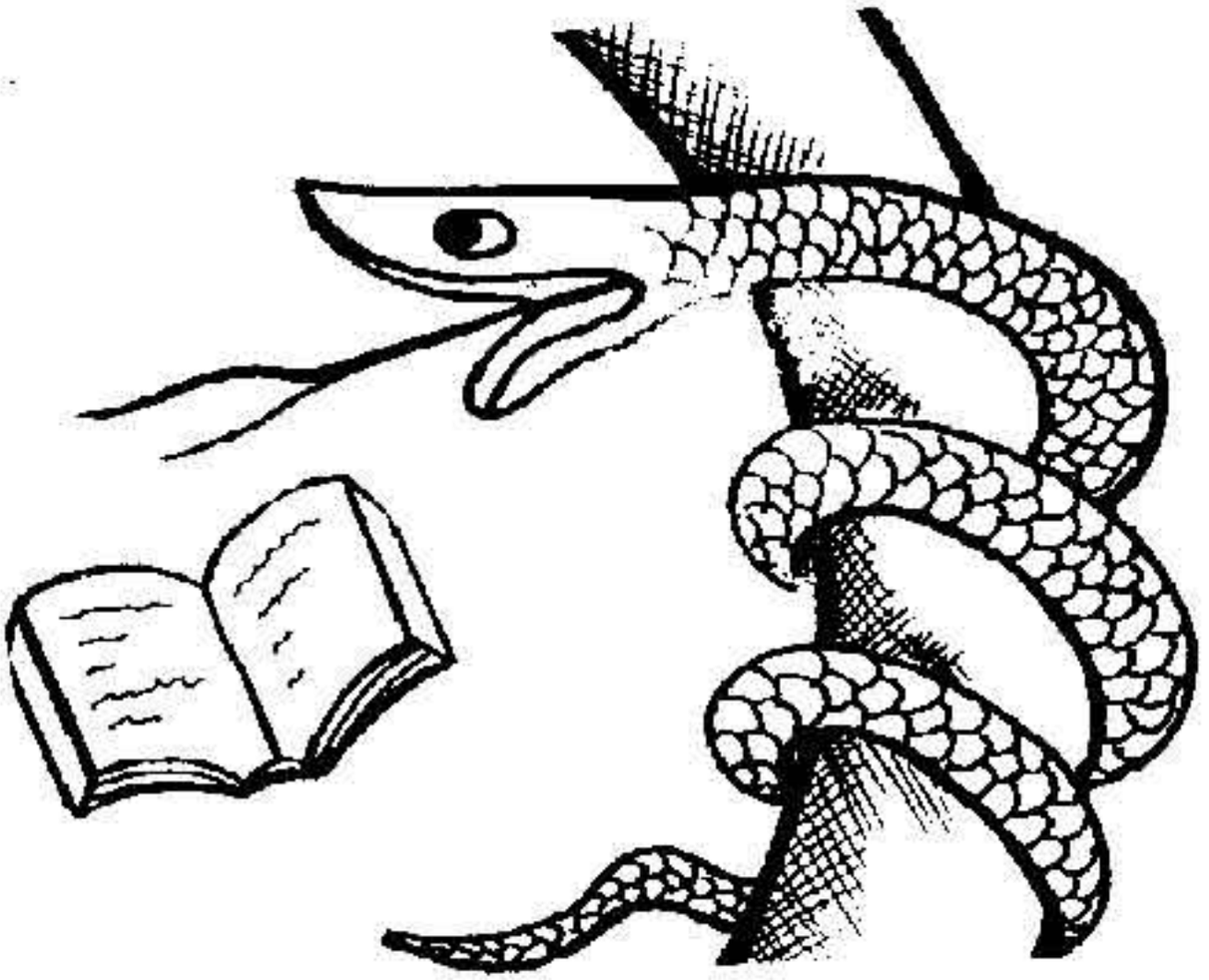

المسلة المرذولة

وقف تِدّ Ted بين الشباب يتطلع إلى المسلّة التي تحمل جمالاً فائقًا في جوانبها الثلاثة وبقي الجانب الرابع لم تمسه يد الفنان... لقد رقدت هذه المسلّة على الأرض عدة آلاف من السنوات في محجر بأسوان لم يقم أحد بتكملتها، ولا بوضعها في مدخل مدينة، أو أمام هيكل.

استمع الشباب إلى كلمات المرشد السياحي وهو يقول:

[أراد أحد الفراعنة، غالبًا تُحتمس الثالث، أن يُقيم أكبر مسلّة في العالم، فاختار قطعة الجرانيت الضخمة التي تبلغ قاعدتها ١٤×١٤ قدمًا، ويُقدر وزنها بحوالي ١١٧٠ طنًا. قام الفنانون المصريون بنحت النقوش التي على جوانبها الثلاثة ثم اكتشفوا أن بها عيب فتوقفوا عن العمل بعد هذا الجهد الضخم. وها هي ملقية أمامكم. إنه لا يليق بمدينة مصرية أن توضع في مدخلها مسلّة بها عيب، وهكذا لا تُوضع أمام أي هيكل.

حقًا إنها قطعة نادرة من الجرانيت كلفت الكثير من المال والجهد ولم يتم تكملتها كمسلّة بسبب العيب!]

عاد تِدّ إلى الفندق مع زملائه ولم يستطع أن يأكل، بل ترك زملاءه ليسير بمفرده خارج الفندق، ومنظر المسلّة لا يُفارقه.

رفع عينيه إلى السماء وهو يقول:

✞ الآن قد فهمت،

ليس دنسٌ يقدر أن يدخل ملكوت السموات!

✞ لقد أبى فرعون أن يدخل بمسلة بها عيب،

إلى مدخل مدينة من مدن مصر،

أو أمام هيكل من هياكلها،

كيف يسمح الله لدنسٍ ما أن يقترب من سمواته؟!

✞ "الجميع زاغوا وفسدوا،

ليس من يعمل صلاحًا ليس ولا واحد" (رو٣:١٢).

لكن شكرًا لغِنى حُبك أيها الفادي،

غسلتنا بدمك حتى ندخل إلى أحضان أبيك؟!

✞ أُلقيت المسلَّة آلاف السنين على الأرض،

من أجل عيب بسيطٍ فيها،

ليتني لا أُلقَى خارجًا بسبب دنسٍ في حياتي!

✞ هب لي يارب ألا أستهين بالخطية،

ولا أتهاون مع فكر بطَّال، لئلا أُلقَى مع المسلَّة خارجًا!

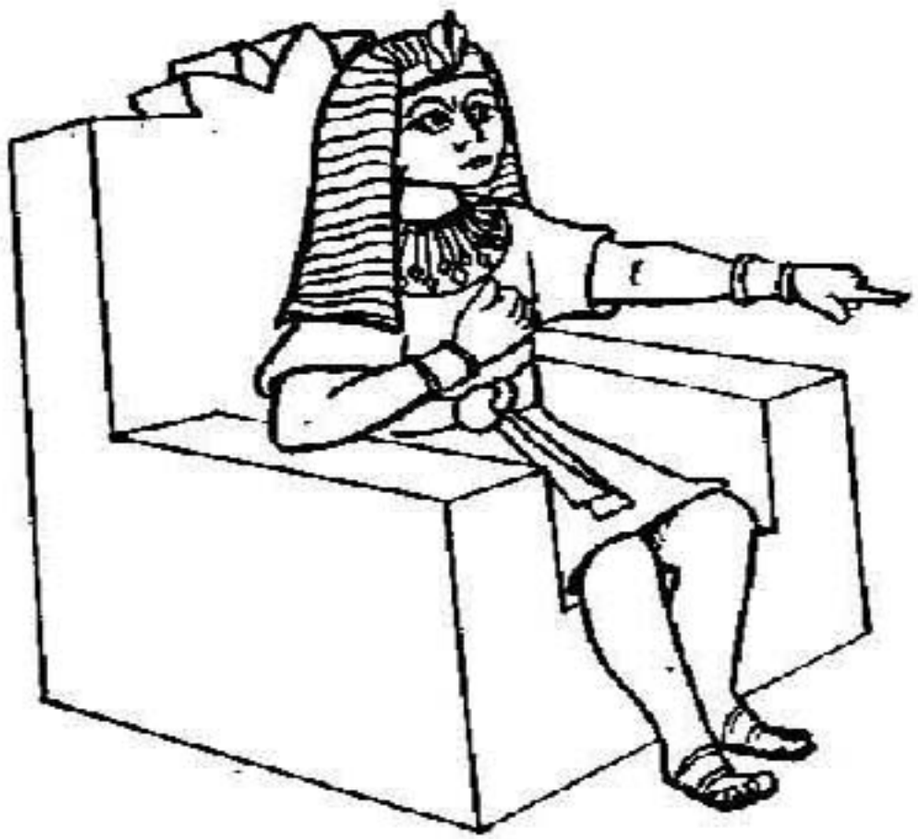

لقاء مفاجئ

إذ كان جورج وماجد يتحدثان معًا، ينتقدان بعض الأصدقاء، فجأة قطع جورج حديثه وقال لماجد: "ألم نتفق معًا أنه إن تحدث أحد منَّا بكلمة بطّالة لا نفع فيها، أو أدان لحدنا غيره، يقول له الآخر: "لا أريد أن أسمع؟"

- أرجو ألا تكون متزمتًا يا جورج؟

- لا، يلزمنا أن نكون مستعدين، ماذا نقول لو جاءنا رب المجد يسوع الآن؛ أو استدعى أحدنا عنده إلى الفردوس؟

صمت الاثنان قليلاً، ثم قطع جورج هذا الصمت قائلاً:

"كلما تذكرت زيارة الرئيس الأمريكي راويت ديفد أيزنهاور (١٨٩٠-١٩٦٩م) لبول دونالد هالي Paul Donald Haley يوخزني ضميري، مترقبًا مجيء ملك الملوك حسب وعده الإلهي".

سأل ماجد: "ما هي قصة هذه الزيارة؟"

أجاب جورج:

إذ صار الجنرال الأمريكي رئيسًا للولايات المتحدة الأمريكية (١٩٥٣-١٩٦١) قام في إحدى سنوات رئاسته بزيارة إلى دنفر للاستجمام.

عرف الطفل الصغير بول دونالد هالي، البالغ من العمر السادسة، والذي كان يُعاني من مرض السرطان في مرحلته الأخيرة بزيارة الرئيس. قال الطفل لأبيه دونالد هالي:

"إني أحب الرئيس جدًا، ومشتاق أن أراه.

كيف يُمكنني أن أراه ولو من بُعد".

أخذ الوالد ابنه في حضنه وقبّله بابتسامة تخفي من ورائها دموع حزنه على ابنه إذ يعلم أنه في أيامه الأخيرة. وفي شيء من الدعابة قال لابنه: "اكتب للرئيس أنك مشتاق أن تراه".

كتب بول للرئيس خطابًا يشرح له ظروفه ومرضه وأنه مشتاق أن يراه. تأثر الرئيس بالخطاب. وفي صباح الأحد طلب من سائق الليموزين أن يذهب به إلى عنوان الطفل.

قرع الرئيس الباب، وفوجئ دونالد هالي بالرئيس أمامه يطلب أن يرى ابنه بول الذي كان يسير خلفه.

ارتبك الرجل إذ لم يكن يتوقع زيارة رئيس الجمهورية له، لكن الرئيس في ابتسامة لطيفة قال له: "آسف، لم اتصل بك لأحدد موعدًا للزيارة، لكنني أتيت لالتقي بالطفل العزيز بول".

التقى الرئيس بالطفل وحيّاه وهو يقول له: "لقد عرفت أنك تشتاق أن تراني، أنا أيضًا مشتاق أن أراك، لقد جئت إليك لألتقي بك!"

أمسك الرئيس بيد الطفل وسار معه إلى عربة الليموزين ليرى عربة الرئيس، وبعد حديث ودي استأذن الرئيس، وعاد بالطفل إلى مسكنه.

عاد الطفل ليجد والده مضطربًا.

قال الطفل لوالده: لماذا أنت مضطرب يا أبي؟

أجاب الوالد: "كيف استقبل الرئيس بملابسي هذه، بالبنطلون الجينس والقميص بلا أكمام...؟ أهكذا يُستقبل الرئيس؟!"

بابتسامة عريضة تكشف عن اعتزاز الطفل بزيارة الرئيس له، قال: "إنه قد جاء من أجلي وليس من أجلك يا أبي... إنه يحبني ويشتاق أن يراني".

قال الوالد: "إني مسرور أنه صديقك الشخصي، وقد ذهب بك إلى سيارته لكي يريك إياها، وتحدث معك على انفراد. لكن كان يجب عليّ ألا التقي به بهذه الملابس".

قال الطفل: "لكنك لم تعرف أنه قادم".

أجاب الوالد: "مادمنا أرسلنا له خطاب كان يجب أن نتوقع حضوره... إني متألم لأني لم أكن مستعدًا لمجيئه!"

ختم جورج القصة معلقًا:

"مع كل نسمة من نسمات حياتي أقول لسيدي: "نعم، تعال أيها الرب يسوع... فكيف لا أسهر مترقبًا مجيئه؟"

إني طفله المريض المشتاق إليه، بل هو أحبني أولاً، ووعدني أنه قادم ليمسك بيدي، يخرج بي من مسكن غربتي إلى حضن أبيه، لكنه لا يتحدث معي حديثًا وديًا مؤقتًا، بل أبقى معه في ميراثه، شريكًا معه في أمجاده. يعبر بي إلى سمواته ويكشف لي عن أمجادها، ويتحدث معي حديث الصداقة الأبدية.

✞ ✞ ✞

✞ أعماقي تئن في داخلي: تعال أيها الرب يسوع!

من يُعد نفسي لمجيئك، إلاّ روحك القدوس الناري؟!

ألهب أعماقي بنار حبك،

فازداد حنينًا نحو اللقاء معك أبديًا!

✞ لتأتِ إليّ، أو لتأخذني إليك.

إني مشتاق إلى رؤياك.

مشتاق أن تستقر نفسي مع جسدي،

وأوجد معك إلى الأبد.

✞ لتأتِ، فإني لن أكُف عن الشهادة لمجيئك،

أود أن أرى كل البشر معي على السحاب،

أتهلل بك حين يتهلل الكل بك،

وأكلل حين أرى الجميع يُكللون!

لن أكُف عن النداء:

مسيحنا قادم، هلم ننتظره بفرح ساهرين.

✞ ✞ ✞

الفرس المسكين

كان الفارس أمجد موضع إعجاب أهل المدينة، فقد كان بارعًا في قيادته لفرسه المتمرن. وقد كسب مداليات كثيرة في سباق الخيل.

أحب الفارس فرسه جدًا، حتى حسبه كصديقٍ له؛ يعتز به. قرر أمجد أن يُسلم حديقته لفرسه ليحرسه من الطيور التي كانت تأكل الثمار وهي بعد على الأشجار.

بالفعل كان الفرس يقظًا، لم يسمح لطيرٍ ما أن يقترب إلى ثمرة ما. كان كثير الحركة؛ يجري في الحديقة المُتسعة لحفظ ثمار الشجر.

إذ حلّ الغروب جاء الفارس صاحب الكرم، فلاحظ أن الفرس قد أفسد كل الورود الجميلة والخضروات خلال قفزه المُستمر بين جوانب الحديقة لطرد الطيور، فصار يضرب فرسه الأمين بالسياط بشدة.

لاحظ أحد الجيران ذلك، فأسرع إلى أمجد وأمسك بيده وهو يقول له:

- ماذا تفعل؟
- إني أعاقب الفرس، لأنه أفسد جمال الحديقة، وبسببه خسرت أحواض الورود والخضروات التي أنفقت عليها الكثير.
- هل تظنه فعل ذلك لأذيتك؟
- لا، لكنه لم يُراعِ أحواض الورود والخضروات.

تُرى مَن المُخطئ الفرس أم صاحبه الذي لم يعرف أن يضع كل شيء في موضعه؟ فإن الحصان ليس عمله حراسة الحدائق من الطيور.

أدرك أمجد أنه هو المستحق للسياط لا فرسه، لأنه غير حكيم.

✞ لأعتز بعطاياك لي،

لا أحسد آخر على مواهبه،

ولا احتقر غيري لحرمانه مما وهبتني.

ليبق كل منا أمينًا فيما قدمت له!

✞ هب لي الحكمة لأعرف أن أعمل فيما يناسب مواهبي.

أكون أمينًا فيما خلقتني لأجله.

✞ هب لي حكمتك فأضع كل شيء في مكانه السليم.

صنبور مفتوح!

يروي لنا M. P. Green أن إحدى مستشفيات الأمراض العقلية كانت تُجري اختبارًا غير عادي قبل السماح لمريض أن يخرج منها، وذلك للتأكد من تمام شفائه. كان الطبيب يأتي بالمريض إلى حجرة بها حوض مملوء ماءً، ويترك صنبور الماء مفتوحًا بدرجة صغيرة ويطلب من المريض أن يمسك بيد المنشفة لكي يُجفف أرضية الحجرة المبللة.

لاحظ الطبيب أن المريض يمسح الأرض دون أن يغلق الصنبور، وبالتالي تتساقط المياه من الحوض على أرضية الحجرة. وهكذا بقي المريض يعمل بلا جدوى، إذ لم تجف الأرض. عندئذ طلب الطبيب من المستشفى عدم خروجه، لأن شفاءه لم يتحقق بعد.

كثيرًا ما نفعل ما فعله هذا المريض، حيث نترك صنبور حواسنا مفتوحًا، وتبقى أرضية قلبنا مبللة بمياه العثرات التي تتسلل من العين أو الأذن او اللسان أو الأنف أو اللمس... وباطلاً نحاول أن نُجفف قلبنا من هذا الدنس! إننا محتاجون إلى مسيحنا، طبيب النفوس، الذي معه مفتاح داود، يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح. هو وحده قادر أن يقدس حواسنا فلا تتسلل خلالها مياه الدنس.

✞ ضع يا رب حارسًا لفمي، وبابًا حصينًا لكل أبواب قلبي!

لتكن أنت حارسًا لأعماقي، فلا تتسلل خطية ما ولا شبه خطية.

✞ من يشفي أفكاري؟! من يقدس أعماقي؟!

من يُجفف آثار خطاياي؟!

أنت هو برّي وسرّ قداستي!

أنا الربان[6]

تربى شاب في أحد أحياء نيويورك، وكان يعمل في جو المسارح، اشتهر بكتاباته الأدبية للمسارح.

اشترى "يختًا"، واستأجر شخصًا يقوم بقيادته، لكنه كان يلقب نفسه "الربان". اشترى لنفسه بدلة خاصة بالربان بزرائر نحاسية ونياشين ذهبية.

إذ أخذ والدته في رحلة بحرية، جاء إلى الميناء. بعد قليل إذ ركبت اليخت، دخل الإبن حجرته في اليخت، وارتدى بدلة القيادة، ثم جاء إلى والدته يقول لها: "أماه، إنني ربان السفينة!"

تطلعت الأم إلى ابنها الشاب المدلل، وقالت له: "نعم أنت ربان السفينة يا ابني..." ثم صمتت قليلاً، وعادت تقول له: "أنت ربان السفينة في عيني نفسك، وربان السفينة في عيني أمك، لكنك لست ربان السفينة في أعين القادة"!

✞ كثيرًا ما أظن نفسي بارًا،

بارًا في أعين الناس،

لكن هل أتبرر أمامك أيها البار وحدك!

ماذا انتفع إن تبررت في أعين كل الناس، وليس في عينيك؟!

الإشبين الغريب[7]

التقى الأب البطريرك بجماعة من أولاده الذين يعرفهم بأسمائهم، وبعد أن أظهر لهم كل حب أبوي، قال أحدهم:

- سامحنا يا أبانا البطريرك فقد جئنا إلى قداستكم في أمر أقلق نفوسنا.

- خير يا أبنائي.

- تسكن بجوارنا سيدة اسمها... وهي معروفة في كل المدينة بسيرتها الشريرة، تفتح بيتها للرجال، وتفسد أخلاق الشباب في جسارة...

والأمر العجيب أنها منذ عدة أسابيع جاعت وهي منهكة القُوى جدًا، يبدو أنها قد مرضت مرضًا شديدًا. قرعت باب بيتنا، ولأول مرة التقت بزوجتي، وكانت المفاجأة أنها روت كل ماضيها لزوجتي، طالبة منها أن تأخذها إلى الكنيسة، وتكون ضامنة لها، وأشبينتها أمام الكاهن. لكن زوجتي إذ تعرف أنها حتى وقت قريب تصنع شرورًا كثيرة وتُعثر الآخرين، خشيت أن تكون توبتها مؤقتة بسبب المرض، تعود بعده إلى ماضيها .

باختصار لم تقبل زوجتي أن تكون اشبينة لها، وخافت على أولادنا منها. فكلمتها بجفاف لكي لا تعود تدخل بيتنا.

- ربما قدمت توبة صادقة.

- اللّه يعلم.

- على أي الأحوال، أنا سمعت من بعض الإخوة أنها ذهبت إليهم في هذه الأيام القليلة وتصرفوا معها كما تصرفتم أنتم... لأن الكل يخافها ويخشى على أولاده منها.

---

[7] نقل القصة عن مخطوط ٩٢ تاريخ بدير القديس العظيم الأنبا أنطونيوس.

وإن كان في رأيي مادامت هي جادة في توبتها، ينبغي أن نسندها بحكمة لخلاصها، حتى وإن كانت المدينة كلها تسمع عن سيرتها الرديئة.

- سامحني يا أبانا، وهل يمكن أن تتعمد سريعًا؟

- لا بل يجب أن يُعطى لها زمان لاختبار صدق توبتها.

- العجيب يا أبانا البطريرك، أن زوجتي رأتها بالأمس ترتدى ثوبًا أبيض، فتشككت في الأمر، وذهبت إليها لتسألها: لماذا ترتدين هذا الثوب؟ أجابت السيدة: أنها قد تعمدت وستبقى أسبوعًا كاملا تلبس الثياب البيضاء.

- هل أنت متأكد من هذا الأمر؟

- ها زوجتي أمامك اسألها.

- ماذا قالت لكِ هذه السيدة؟

- لقد قالت يا أبانا أنها قد اعتمدت وأنها ستبقى هكذا تلبس الثياب البيضاء أسبوعًا كاملاً. والحق يقال يا أبانا أنها كانت فرحة جدًا ومتهللة، وإن كنت أنا لم أنم طول الليل إذ أخشى من عودتها إلى ماضيها، خاصة وأنها لم تترك الشر على ما أظن إلا بعد مرضها، أن كانت قد تركته. أما قبل المرض فكان بيتها سرّ تعبنا كلنا بسبب الداخلين والخارجين في شارعنا.

- هل أخبرتكِ من الذي قام بتعميدها؟

- قالت لي: أبونا (فلان).

- لا تقلقوا يا أولادي، أنا أعرف أن أبانا فلان إنسان حكيم ورزين، ولست أظن أنه يعمد إنسانًا دون أن يتحقق الأمر ويكون له إشبين مسئول عن حياته؛ ولم اسمع قط أنه تسرع في عماد أحد...

إنني سأرسل إليه وأتحقق الأمر بنفسي.

وانصرف الكل بثقة كاملة أن الأب البطريرك سيهتم بالأمر بنفسه.

إذ دخل الأب الكاهن عند الأب البطريرك، استقبله قداسة البطريرك كعادته بحب ولطف، ثم سأله:

- لقد سمعت أن (فلانة) قد تعمدت.

- نعم يا أبي البطريرك، أنا الذي عمدتها.
- متى قمت بتعميدها؟
- منذ يومين.
- هل تعرفها قبلاً؟
- مطلقاً لا، لكنني سمعت عنها، لأن سيرتها معروفة في المدينة كلها.
- وكيف تعمدها هكذا سريعاً؟
- لقد جاءتني منذ يومين ومعها ثلاثة من أشراف المدينة... تعرف قداستكم أنهم أناس مملوءين وقارًا واتزانًا، أكدوا لي توبتها وتعهدوا أمام اللّه وأمامي وفي حجرة الشماس... أنها قد تابت وتحتاج إلى المعمودية سريعًا.
- ولماذا لم تطلب منهم تأجيلها؟
- لقد حاولت كثيرًا لكن ثقتي فيهم جعلتني أقوم بالعماد على مسئوليتهم أمام اللّه، إذ صاروا كُفلاء وأشابين لها.
- على أي الأحوال، سأستوضح الأمر منهم، هل لديك مانع؟
- أبدًا، أنا مستعد أن أواجههم.

بالفعل أرسل قداسة البطريرك إلى الثلاثة، الذين سمعوا أن قداسته يطلب حضورهم فورًا...

سأل الأب البطريرك أحدهم:

- هل تعرف السيدة...؟
- أسمع عنها، لكنني لم ألتقِ بها يا أبانا البطريرك؟

هنا دهش الأب الكاهن للإجابة، واحمر وجهه خجلاً، وهو يقول:

- كيف لم تلتقِ بها؟
- أنا لم ألتقِ بها قط يا أبي!
- ألم تحضرها لي منذ يومين أنت والأخَوين الحاضرين؟
- أنا شخصيًا لم أرها ولا حضرت بها إليك.

أجاب الأخوان الآخران بذات الكلمات قائلين أنهما لا يعرفانها ولا حضرا بها

إلى الأب .

دُهش قداسة البطريرك لهذه الإجابات وصار في حيرة غير أنه يثق في كاهنه الوقور كما يثق في هؤلاء الاخوة الثلاثة...

حاول الكاهن أن يضبط انفعالاته، وفي هدوء قال للحاضرين: "ألم تحضروا منذ يومين مع السيدة وطلبتم مني أن أعمدها وأنا رفضت، وتحت ضغط اللجاجة وإصراركم أنها قد تابت قمتُ بتعميدها وكنتم أنتم أشابينها؟"

أجاب أحدهم: "هذا لأمر عجيب يا أبي، فإنني لم أقابلك في هذا اليوم، ولأول مرة أسمع أن هذه السيدة قد نالت سرّ المعمودية. كلنا يعرف سمعتها الرديئة، فكيف نقدمها للعماد؟ وكيف نكون نحن أشابين لها؟... هل أنت متأكد مما تقول يا أبانا؟"

أجاب الكاهن: "نعم" وكان الشماس (فلان) حاضرًا. هاهو خارجًا فلنسأله.

شعر قداسة البابا بخطورة الموقف، لكن تحت إصرار الكاهن استدعى الشماس الذي قبّل يديّ الأب البطريرك والأب الكاهن وسلم على الإخوة الثلاث، عندئذ سأله الأب البطريرك: ماذا تعرف عن السيدة (فلانه)؟

أجاب الشماس: أنا أسمع عن سيرتها البطّالة، لكنني منذ يومين حضرت جزءًا من طقس عمادها، وكنت مندهشًا تمامًا كيف تعمد هذه السيدة، وكيف يضمنها أناس شرفاء مثل هؤلاء؟

عندئذ بدأت الدهشة تملأ قلوب الرجال، وأخذوا يسألون: "هل رأيتنا بعينيك؟"

أجاب : "نعم وكنتم أشابين السيدة".

تنفس الكاهن الصعداء. واضطرب الرجال جدًا وأصروا أن تحضر السيدة ويسألونها... وأمام إصرارهم استدعوا السيدة.

دخلت السيدة الدار البطريركية بثيابها البيضاء وقد علت الابتسامة وجهها، والتقت بهؤلاء الحاضرين جميعًا... وهنا سألها الأب البطريرك في هدوء: أود أن أعرف كيف تعمدتي؟

أجابت السيدة:

[كنت يا أبي مُرّة النفس جدًا، مشتاقة إلى التمتع بسرّ المعمودية، وقد حاولت

مع كثيرين وكثيرات أن يضمنوني لدى أبي الكاهن، ولكن سيرتي القديمة قد أغلقت قلوبهم عني وأنا لا ألومهم في شيء.

منذ يومين كنت أبكي بمرارة لساعات طويلة حتى فتح الله قلوب سادتي الحاضرين، إذ بهم يقرعون باب منزلي، وطلبوا مني أن أقوم معهم إلى أبي الكاهن، وكان هذا الأخ الشماس حاضرًا، ونلت ما كنت أشتهيه بكل قلبي...

لقد أعطاني إلهي سؤل قلبي، وأنار بصيرتي، وتحوّلت حياتي من الظلمة إلى النور، وتمتعت بالقيامة بعد أن كنت في موت الخطية...

أقول الحق يا أبي البطريرك... إني مدينة بكل حياتي لهؤلاء الرجال الأحباء ولأبي الكاهن!

الله الذي أعطاهم بركة الستر على خطاياي يعوضهم هم وكل أولادهم".

وإذ انسكبت دموع الفرح من عينيها صمت الجميع، لقد حاول أحد الرجال أن يسألها، لكن الأب البطريرك أشار إليه بالصمت. عندئذ طلب من السيدة أن تستأذن إلى لحظات. وإذ خرجت قال قداسة البطريرك: أشكركم جميعًا على تعب محبتكم. لكنني أريد أن أقول لكم سرًا، إنكم جميعًا صادقون، وقصة هذه السيدة فيها سرّ عجيب لابد أن نعرفه، فسأجلس معها على انفراد لأعرف حقيقة سرّ عمادها".

استأذن الأب البطريرك منهم وخرج إلى السيدة يسألها: "هل هؤلاء الرجال الثلاثة هم الذين كانوا أشابين لك؟"

في دهشة أجابت السيدة: "اسألهم يا أبانا البطريرك... أنا لم أطلب منهم بل هم الذين حضروا وطلبوا مني ذلك".

- وهل تعرفينهم من قبل؟

- أبدًا.

- ولماذا حضروا؟

- لا أعرف.

عندئذ أغمض الأب البطريرك عينيه ورفع قلبه لله يطلب منه أن يكشف له سرّ هؤلاء الرجال. فأعلن الله له في قلبه أنهم ثلاثة ملائكة قد حضروا لمساندتها حين

رفض الناس جميعًا أن يُعينوها.

هنا سألها الأب البطريرك: ألم تصنعي أعمال محبة؟

– وهل إنسانة زانية مثلي تفعل خيرًا؟

– ألا تذكرين قط أنك فعلت عمل محبة لإنسان؟

– هل لإناء فاسد مثلي يستطيع أن يخرج صلاحًا يا أبي؟

– وقبل حياتك الشريرة ،ألم تفعلي عمل محبة في صباك؟

صمتت السيدة قليلاً ثم قالت:

[أذكر مرة واحدة إني تألمت لآلام إنسان. ففي صباي إذ كنت أسير بجوار حقل، وجدت إنسانًا ربط حبلاً على شجرة، ووقف على كرسي ليشنق نفسه، فتألمت جدًا.

ذهبت إليه أسأله: ماذا تفعل؟

أجابني أنه قد استدان أموالاً كثيرة، وليس له ما يوفي به دينه، والدائنون يشتكونه، لذا فكر في الانتحار.

بكيت أمامه بمرارة، وقلت له: "وهل تضيع حياتك كلها من أجل الأموال؟".

أجابني: "ماذا أفعل وأنا عاجز عن الوفاء بالديون؟"

قلت له: "سأعطيك كل ما أملك، ولا تفعل بنفسك شيئًا..."

بالفعل ترك الشجرة، وجاء معي إلى بيتي وقدمت له كل ما أملك من حُليّ وأموال. وافتقرت حتى مرّت عليّ ضيقة شديدة، فاضطررت أن أبيع جسدي للخطية مرة ومرات.

إذ فقدت طهارتي تحوّلت حياتي إلى النجاسة حتى أعلن الله محبته لي وسمح لي بمرض شديد كاد يدفعني إلى الموت دفعًا. صرخت إليه أن يُعطني فرصة للتوبة. وبالفعل قدمت توبة، لكنني لم أجد إنسانًا يضمنني للعماد... حتى أرسل لي إلهي هؤلاء الرجال المباركين...

حينئذ تنهد الأب البطريرك وقال: "الله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة. لقد أنقذتي إنسان من موت الجسد، والرب أرسل لكِ ملائكته لتتمتعي بالخلاص من

موت للروح. الله يحبك حتى وإن أغلق الناس قلبهم عنك!'

خرج الأب البطريرك إلى الأب الكاهن وشماسه والثلاث اخوة يروي لهم أعمال الله العجيبة ومحبته اللانهائية، فاستراح قلب الجميع وخرجوا يشكرون الله الذي لا ينسى أتعاب محبتنا البسيطة حتى وإن نسيناها نحن.

مكتبة للفتيان

قصص قصيرة

مع قصة

ملاك الرأفة

٢٠٠ — ٢١٤

المسيح مُفرِّح الأسرة

في مرارة كانت سارة تسير بخطوات هستيرية، تخرج من حجرة إلى أخرى وهي تقول: "لا يمكن أن تكون جهنم أقسى مما أنا فيه. لأمُت، فالموت مهما كانت عواقبه فيه راحة لي! لقد كرهت حياتي ، وكرهت زوجي، حتى أولادي. لا أريد أن أكون زوجة، ولا أمًا. لست خادمة، أقضي أغلب النهار في تجهيز الطعام وغسل الأطباق ونظافة البيت. لستُ عبدة! لا مفرّ لي إلا الانتحار!"

أمسكت سارة بموسى لكي تضرب به بكل عُنف معصم يدها اليسرى لتقطع الشرايين، ولا يوجد من يُنقذها!

رنّ جرس التليفون، فتطلّعت إليه وهي تقول: "لن أجيب، فإنه لا يوجد من يُحبني. ليس من يشاركني مشاعري، ويُدرك ما في أعماقي. ليس من يُجيب أسئلتي".

لم يتوقف التليفون، فتسمّرت عيناها على التليفون وهي تُفكر:

"تُرى من يكون هذا؟!

أبي أو أمي اللذان فرحا بميلادي، فأتيا بي إلى حياة التعب والمرارة؟! زوجي الذي أفقدني كل حيويّة، فلا حفلات ولا رحلات، كما كنّا في بدء زواجنا؟! إني لا أعود أطيق لمسة يده، ولا أريد أن أسمع صوته! أصدقائي؟! لم يعُد لي صديق ولا صديقة!"

جالت أفكارها هنا وهناك، كلها تدفع بها إلى اليأس. وأخيرًا أمسكت بالتليفون وهي تقول: "لأسمع آخر مكالمة قبل موتي!"

– ألو... سارة.

– نعم... من أنت؟

– أنا إنسانة تُحبك!

- لا يوجد من يُحبني... من أنتِ؟

- أنا أُحبك، ويوجد شخص يُحبك جدًا!

- من أنتِ؟

- لا تعرفيني بالاسم، لكنني جارتك، رأيتكِ في الصباح وأنتِ في "الشرفة" في حالة اكتئاب شديد. أحسست بالمرارة التي في أعماقك، فسألت عن تليفونكِ. لا أستطيع أن أستريح وأنت مُرّة النفس هكذا. فأردت أن أتحدث معكِ.

- ماذا تطلبين؟

- أريد أن أؤكد أن لكِ عريسًا حقيقيًا يُحبك.

- من هو هذا العريس؟

- إنه رب المجد يسوع المسيح الذي مات لأجلك وقام وصعد... وها هو يُعدّ لكِ مكانًا!

- لستُ أظن أنه يُحبني، لقد قرّرت الانتحار، فجهنم أرحم لي من حياتي.

- تذكري حب السيد المسيح لكِ، ووعوده الصادقة لكِ.

بدأت الصديقة تحدثها عن الوعود الإلهية الممتعة، وعمل السيد المسيح الذي يملأ القلب كما الأسرة بالفرح. أما سارة فرفعت قلبها نحو مسيحها ليحتلّ مكانه في قلبها كما في وسط بيتها. سقط الموسى من يدها بعد أن أغلقت التليفون، ووعدت الصديقة أنها ستتصل بها، وركعت لتصلي لأول مرة بعد سنوات:

"تُعلن ذاتك في قلبي وفي بيتي، يا ربي يسوع!

لو اشتدت التجارب أضعافًا مضاعفة لن أتركك. لتسكن فيّ ولتستلم قيادة أسرتنا، فنفرح بك وسط الآلام."

شعرت سارة أن كل شيء قد تغيّر في حياتها. تغيّرت نظرتها إلى الله الذي يُعدّ لها موضعًا في الأحضان الإلهية، ونظرتها إلى الحياة، كما إلى والديها وزوجها وأبنائها.

جاء طفلاها من المدرسة فاستقبلتهما بفرحٍ شديد، كأنها لأول مرة تلتقي بهما بعد غيبة طويلة. صار جو المنزل مملوءًا بهجة. كانت الدموع تنهمر من عينيها،

وهي تقول في نفسها: "ماذا كان الأمر لو دخل الطفلان ووجداني جثةً هامدةً والدماء حولي... إنهما يُصرَعان ويفقدا حنان الأمومة!"

سمعت صوت مفتاح الباب وأدركت أنه زوجها، فانطلقت بسرعة تفتح الباب. وفوجئ الزوج بها متهللة، تستقبله بشوقٍ شديدٍ على غير عادتها.

"لا تتعجب... فإن السيد المسيح قد ملأ قلبي وبيتي بالفرح.

سأعوّضك أنت والطفلين السنوات التي فيه أسأتُ فيها إليكم".

روت سارة لزوجها ما حدث معها، وكانت دموعه تجري من عينيه. صلّيا معًا... ثم قال لها:

" لا تنزعجي، غدًا سيصلك خطاب مني كتبته أثناء عملي!

لقد قرّرت اليوم الانتحار، وجئت لأودّعك أنتِ والطفلين!

لكن شكرًا لله الذي ردّ لي سلامي وفرحي...

ليس لي ما أقوله سوى أنني مخطئ في حق الله وفي حقكِ أنتِ والطفلين!

الآن ليستلم مسيحنا قيادة بيتنا!

نعم تعال أيها الرب يسوع، ولتتجلى في كنيستنا الصغيرة!"

أول عمل قدمه السيد المسيح في خدمته هو حضوره في عرس قانا الجليل، وتحويله الماء إلى خمرٍ. هذا يكشف عن مدى اهتمام السيد المسيح نفسه بالأسرة. إنه يريد أن يؤسسها بنفسه، ويهبها من خمر حبه. فهو يقدم لنا مفهومًا جديدًا للزواج، حيث يملأ الأسرة بالفرح والحب، بحضرته الدائمة في وسطها.

الأسرة ليست ارتباطًا مجرّدًا بين رجل وامرأة لينجبا أطفالاً، لكنها هي **أيقونة** حيّة للحياة السماوية، **فأنونها** شركة الحب الباذل، **ولغتها** العطاء بلا ترقب لمكافأة ماء، **وموقعها** جنب السيد المسيح، حيث تُولد مُغتسلة بالدم الثمين، ومُحتمية في صخر الدهور. إنها تستريح فيه، وهو يستريح فيها. يجدها مملكة الحب، السماء الثانية، وهناك يضع رأسه متكئًا ليستريح.

✠ كيف يمكننا أن نُعبّر عن السعادة الزوجية التي تعقدها الكنيسة ويُثبتها القربان وتختمها البركة؟! **العلاّمة ترتليان**

بهذا تغلبني!

إذ كان القديس مقاريوس يقطع بعض الحشائش لعمل الحلال مع تلاميذه، حمل كل واحدٍ نصيبًا. وحمل القديس نصيبه، وانطلق نحو قلايته متهللاً بالرب مخلصه. لم يكن يميز نفسه عن تلاميذه، بل يشترك معهم في كل أعمالهم بروح الاتضاع.

فجأة ظهر له الشيطان في شكل شخصٍ عنيف للغاية يمسك منجلاً، وأراد أن يضرب به القديس ليقتله. لم يهتز قلب القديس ولا اضطرب.

شعر الشيطان بضعفه الشديد أمام هذا القديس المؤمن، فقال له:

"لقد طرحتني أرضًا بقوة عظيمة يا مقاريوس.

إني لا أستطيع أن أغلبك.

أنظر، هوذا كل ما تعمله أنت أستطيع أنا أن أعمله.

أنت تصوم، وأنا لا آكل قط.

أنت تسهر، وأنا لا أنام مطلقًا.

لكنك تغلبني بأمرٍ واحد".

قال له القديس مقاريوس: "وما هذا الأمر؟"

أجاب الشيطان: "إنه اتضاعك... بهذا لا أقدر أن أغلبك!"

بسط القديس ليصلي باتضاع فاختفى الشيطان.

✝ نزلت باتضاعك إلى عالمي،

أي اتضاع أمارسه أنا التراب؟!

✝ اكشف لي عن ذاتي،

فأدرك إني أول الخطاة،

من يخلصني من خطيتي إلا أنت؟
أعترف لك بخطاياي،
واثقًا في غنى نعمتك الفائقة!

✞ كيف أقيم مبنى يرتفع إلى سموائك،
ما لم بالاتضاع احفر أساسات هذه أعماقها؟!

✞ لأتحد بك يا من أخليت ذاتك لأجلي،
فاحمل اتضاعك في حياتي.
استعذب كل انسحاق قلب تهبني إياه!

✞ ✞ ✞

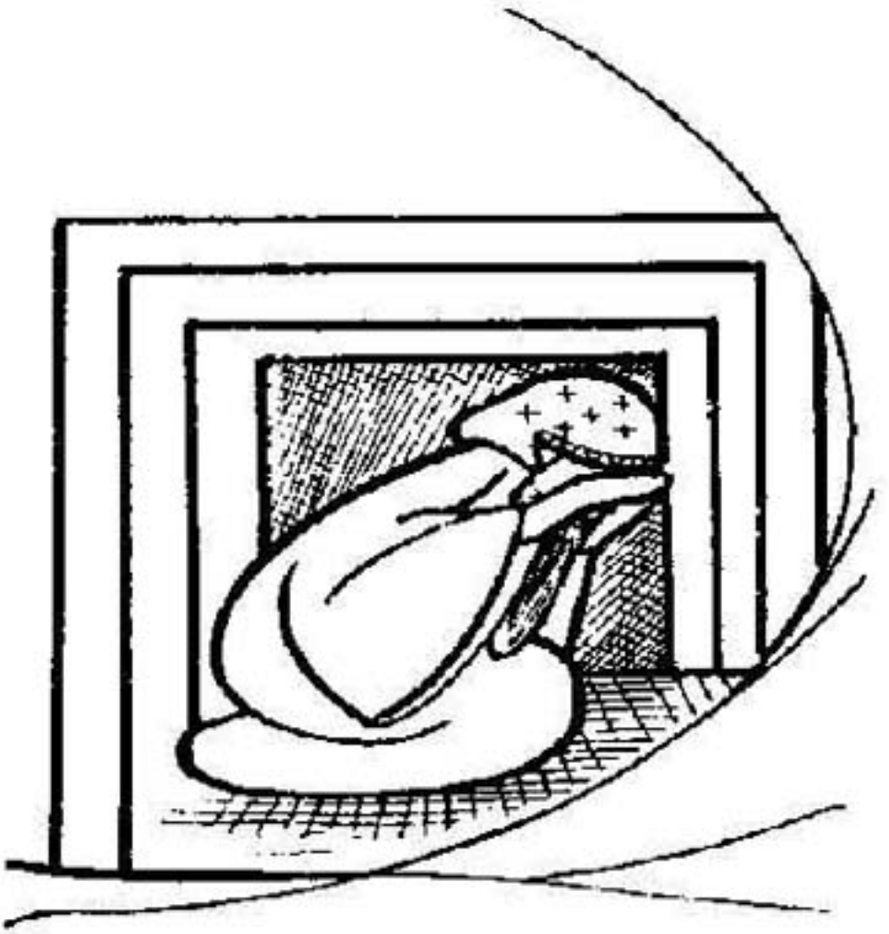

عنقود العنب

إذ رأى كرام كرمه قد أثمر عنقودًا قبل الأوان قدمه للقديس مقاريوس الكبير هدية. استلمه القديس بفرح، أرسله إلى أخٍ مريضٍ بالدير قائلاً في نفسه "ربما يكون هذا الراهب اكثر الرهبان احتياجًا إليه".

فرح الراهب المريض إذ شعر باهتمام القديس به، وإذ أراد أن يأكل حبه منه قال لحامل العنقود: "(فلان) مريض أكثر مني، إنه أولى مني بالعنقود!"

تكرر الأمر مع كل راهب... فعبر العنقود على عددٍ كبير من الرهبان، ولأخيرًا عاد إلى القديس دون أن يأكل أحد منه حبة واحدة.

رفع القديس عينيه نحو الله وشكره لما اتسم به الرهبان من حبٍ لبعضهم البعض ونسكٍ وزهدٍ ، كما فضل كل راهبٍ اخوته عن نفسه.

ومما أفرحه أن الرهبان جميعًا حملوا فكرًا واحدًا.

سبحَ الله الذي حول جماعة الرهبان إلى بستانٍ يحمل ثمر الحب الحقيقي!

ليعمل روحك القدوس فينا،

هب لنا ثمر الروح، فنحمل الحب.

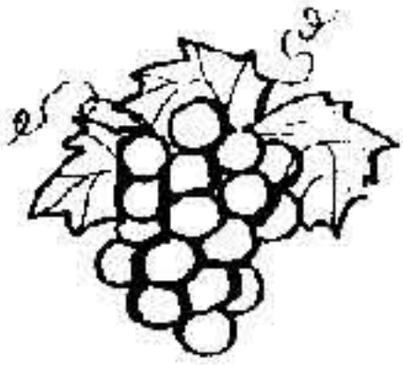

قصة قصيرة ٢٠٣[1]

في اللحظة الحاسمة

دخل جندي سابق إلى بنك شيس مانهاتن Chase Manhatten Bank يطلب قرضًا بـ ٦٠٠ دولارًا، حيث يحتوى البنك على قسم خاص بالقروض الضخمة للشركات والمصانع، وقسم آخر بالقروض الصغيرة لصغار العمال والموظفين.

قُدمت الأوراق والاستمارات الخاصة بالقرض للجندي وبدأ يملأها. وإذ كانت تحتاج إلى توقيعات من جهات حكومية بكونه جنديًا سابقًا في الجيش، أخذ الإستمارات معه ثم عاد بها إلى البنك في اليوم التالي. قدم الأوراق، وطلب منه مدير البنك أن يقف أمام عدسة آلة التصوير، وفعلاً أُخذت له صورة لتُرفق بالإستمارات.

إذ سُجلت الصورة، وسُجل اسمه والمبلغ الذي طلب اقتراضه، بقرضه هذا صارت قيمة القروض الصغيرة التي دفعها البنك بليونًا من الدولارات تمامًا.

وقف المدير يهنئه وبعض موظفي البنك، وسجلت كاميرات الصحف المحلية صورته... فإنه المقترض سعيد الحظ، إن صح التعبير، الذي بقرضه صار مجموع القروض الصغيرة للبنك بليونًا. فقد قرر البنك أن من يبلغ عند هذا الرقم يأخذ القرض هبة مجانية من البنك ولا يلتزم بدفع دولارٍ واحد.

لقد جاء الجندي في اللحظة الحاسمة التي تمتع فيها بهذه الهبة!

✞ ✞ ✞

✞ نعم أيها الآب إنك تترقب دخولي،
إلى حضرتك في اللحظة الحاسمة.

---

[1] *cf. Archibald Naismith: 2406 Outlines, Notes, Quotes, and Anecdotes, vol.2.*

إني مدين بقرض... من يقدر أن يفيه؟!
لكن وعدك الإلهي يعفيني!

✞ نزل ابنك وحيد الجنس إليّ،
ووهبني إعفاءً من كل دينٍ عليّ!
هوذا عدسات الكاميرات تُصوب نحوي،
بل كل أنظار السمائيين تحوّط بي،
كل أفواه الطغمات السمائية تُطوبني!
أيّ فضل لي يا واهب كل العطايا المجانية؟!

✞ ✞ ✞

اتفقا ألا يتفقا!

صوّب الصياد بندقيته نحو الدّب ليقتله، فرفع الدّب رجليه الأماميتان مستسلمًا، وهو يقول:

– لماذا تقتلني؟ ماذا فعلت لك؟

– أريد الفراء لأبيعه!

– وأنا أيضًا أريد أن أتمتع بوجبة إفطار... هل أهجم عليك؟

– إذن لا بد أن أقتلك.

– لا، هلم نناقش الأمر كشخصين ناضجين لنصل إلى اتفاقية.

عندئذ حوّل الصياد بندقيته عن الدّب، وأحنى الدّب رأسه أمام الصياد، وجلس الاثنان كما في مؤتمر سلام لعلّهما يصلان إلى اتفاقية. طال الحوار بينهما، وأخيرًا قال الصياد: "إنني لن أتنازل عن الفراء... إني محتاج إلى ثمنه". أجابه الدّب: "وأنا لن أتنازل عن وجبة الفطار، فإني جائع".

إذ شعر الاثنان أنهما لن يتفقا هرب كل منهما من وجه الآخر!

✞ ✞ ✞

✞ كم مرة اشتهي أن أقيم معاهدة بين شهوات جسدي وشهوات روحي.

هذا أمر مستحيل!

ليجلسا معًا، لكنهما لن يتفقا قط!

ليعمل روحك القدوس فيّ!

فيتقدس جسدي وأيضًا روحي،

أما شهوات الجسد فلا تتفق مع شهوات روحي فيك.

الجندي الشجاع

سأل الصبي أرساني والده: "لماذا يسمح الله بالتجارب؟ هل يُريدنا الله متألمين؟ ألا يَود أن نفرح ونتهلل؟"

أجاب الوالد: "خلقنا الله لكي نُسر ونفرح، مقدمًا لنا كل شيء. لكننا إذ نُسيء استخدام الحياة السهلة المملوءة بالبركات الزمنية والخالية من الضيق، يسمح لنا بالألم إلى حين، لكي يرفع قلبنا إلى حياة أبدية مجيدة مملوءة فرحًا وتهليلاً".

سأل أرساني: "كيف هذا؟"

أجاب الوالد: "سأروي لك قصة يونانية قديمة مشهورة".

لاحظ أنتيجونس Antigonus أن جنديًا مملوء غيرة وشجاعة، في كل معركة يختار أكثر المناطق خطورة ليذهب بكل شجاعة ويُحارب بكل قوة. كانت تصرفاته تُلهب زملاءه ورؤساءه بالجهاد الجاد بلا رخاوة، وراء كل نصرة يحققونها.

أعجب أنتيجونس بالجندي فاستدعاه وشكره على شجاعته، وكشف له عن إعجابه بأمانته لوطنه. أما هو فقال له: "إني أحب وطني واشتهي الموت من أجله". سأله انتيجونس إن كان يطلب منه شيئًا، فشكره الجندي دون أن يسأل شيئًا. وفي نهاية الحديث قال له الجندي إنه مُصاب بمرضٍ خطير، وأنه يترقب موته بين يوم وآخر. إنه يُعاني من الآم شديدة.

كانت آلامه تدفعه للعمل في المعارك فلا يهاب الموت، الذي حتمًا قادم بسرعة، إن لم يكن بسبب المعركة فبسبب المرض.

قدّم أنتيجونس الجندي لأحد أطبائه الماهرين جدًا. وبعد شهورٍ قليلة إذ قامت معركة لاحظ أنتيجونس اختفاء الجندي من المعركة... وبعد أن تمت النصرة سأل عن الجندي لعلّه قد مات.

قيل له: إنه لم يمت، لكنه قد شُفي تمامًا على يديّ طبيبك الماهر. وبعد شفائه صار حريصًا على صحته وعائلته وراحته، فصار يتهرب من المعارك.

حزن أنتيجونس على الجندي الذي كانت الآلام تملأه شجاعة فلم يكن يخاف، وعندما شُفي فقد شجاعته وأمانته في عمله معه.

✞ ✞ ✞

✞ مرحبًا بالآلام التي تسمح بها لي يداك،
إني أُسر بالضعفات.
إنها رصيد حُبي لك.
هي سند لي في غربتي.

✞ آلامي هي مجد لي،
مادمتَ تحملها معي.
خلالها يلذ لي الحديث معك!

✞ مرحبًا بالآلام التي تفتح لي بابًا في السماء.
خلالها أتمتع بشركة آلامك،
واختبر قوة صليبك،
وأنعم بمجد قيامتك.

لم أرَ أحدًا!

استدعي أب الدير راهبًا وطلب منه الذهاب إلى الإسكندرية ليلتقي بالبابا أثناسيوس الرسولي ويبلغه رسالة معينة.

في عودته التقى براهبٍ في البرية سأله:

- هل التقيت بالبابا أثناسيوس؟
- التقيت به وأبلغته الرسالة؟
- ماذا رأيت بالإسكندرية؟
- لم أرَ أحدًا أو شيئًا؟
- هل كانت الشوارع خالية تمامًا من الناس؟
- لا ، لكن كان كل فكري مع نظراتي تتجه نحو مسيحي. لم يشغلني شيئًا قط سوى الحوار معه!

هذه القصة الواقعية تذكرني بما حدث مع أحد الأمراء، وإن كان الدافع مختلفًا تمامًا.

كان الأمير متضايقًا من شابٍ ضيف يميل نحو الثورة والتمرد. أعطاه الأمير فرصًا كثيرة للرجوع عن عنفه، وأخيرًا قرر قطع رأسه.

نادى الأمير الشاب وأعطاه إناءً يحمله بين يديه مملوء زيتًا، وسلّمه بين سيّافين، واحد عن يمينه والآخر عن يساره. طلب منه أن يسير في طرق المدينة ثم يعود، وأمر السيّافين أنه إن سقطت قطرة زيت واحدة في الطريق تُقطع رقبته في الحال.

كان الأمير يترقب بين الدقيقة والأخرى أن يأتيه النبأ بقطع رقبة الشاب... مرّت الدقائق ثم ساعات وأخيرًا جاء الشاب وحوله السيّافان.

سأل الأمير الشاب: "ماذا رأيت في الطريق؟"

- لم أرَ أحدًا ولا شيئًا.

- ماذا سمعت في الطريق.

- لم أسمع شيئًا قط!

- كيف هذا واليوم هو "سوق" المدينة كلها؟

- لأن عينيّ وكل حواسي كانت متركزة على إناء الزيت لئلا تسقط نقطة واحدة منه.

✞ ✞ ✞

✞ هب لي يا رب ألا أرى ولا أسمع شيئًا!

ليس خوفًا من هلاكي، بل حبًا فيك!

أراك واسمع صوتك، فتشبع أعماقي بك!

✞ ✞ ✞

من العيادة

إلى حديقة الحيوانات[2]

في مدينة نيويورك أُصيب طالب بالثانوي بكسرٍ في أنفه، فانطلق من المدرسة إلى العيادة الطبية، حيث قام الطبيب بمعالجته. كان الطالب متألمًا، وفيما هو يفكر في نفسه لماذا سمح الله له بكسر أنفه وجد نفسه أمام حديقة حيوانات برونكس Bronx Zoo. فكر أن يدخلها كنوعٍ من الاسترخاء حيث لا يوجد أحد في منزله في الصباح.

دفع الطالب ثمن التذكرة وبعد دقائق فوجئ بكبار موظفي الحديقة يقدمون له هدية، والصحفيون يلتقطون له الصور. إذ سأل عن السبب عرف أنه كان الإنسان رقم بليون الذي دخل الحديقة منذ نشأتها!

إنه حدث بسيط لكنه يومي في حياة المؤمن الذي يردد مع الرسول بولس: "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعون حسب قصده" رو٨: ٢٨.

✠ أبوتك حانية وعجيبة، تحول كل أمور حياتي للخير!
خطتك فائقة، تخرج من المُرّ عذوبة، ومن الأكل أكلاً!
فيك وبك تطمئن نفسي يا قائد حياتي!

---

[2] Cf. Barnhouse, P. 242.

لا تقذف قاربي بالحجارة!

بينما كان سامح يلعب بقاربه الصغير في بركة ماء، ابتعد بعيدًا عن متناول يده. وإذ خاف أن ينزل في البركة نادى أخاه الأكبر ليحضره له.

توقع سامح أن أخاه ينزل إلى البركة، ويذهب إلى قاربه ليحضره له، لكنه فوجئ بأخيه يُلقي بحجارة في البركة بجوار قاربه. صار يصرخ قائلاً: **"لا تقذف قاربي بالحجارة".**

لم يبالِ الأخ الأكبر بصرخات أخيه، بل صار يلقي بالحجارة التي سببت أمواجًا حركت القارب حتى صار في متناول يدّ سامح!

✠ ✠ ✠

✠ ما أبعد أحكامك عن فهمي يا رب.
تبدو كمن يلقي حجارة على حياتي،
لكن بحكمتك وبحبك تشبع كل احتياجاتي.

✠ نتلقِ بالحجارة كما تريد،
ولتحدث أمواجًا في حياتي،
فإني مطمئن ما دامت من صنع يديك!

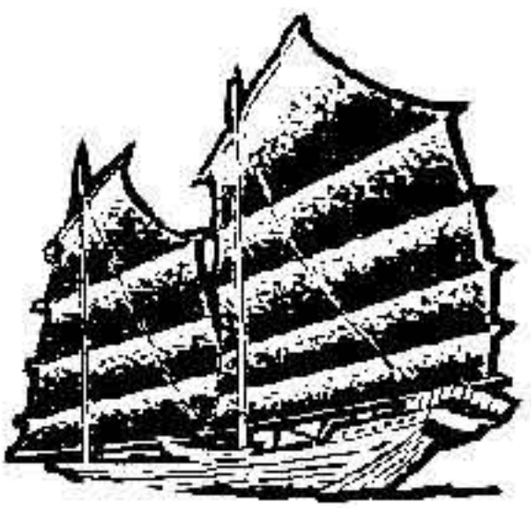

من الباب لا الشباك[٣]

تحدثت مونيكا مع ابنتها عن السيد المسيح بكونه الباب، منه ندخل إلى السماء. سألتها الابنة: "ماذا تعني أنه الباب؟"

أجابتها مونيكا:

"لو أننا ذهبنا إلى زيارة صديقتك ساندي، ووجدنا على الباب ورقة مكتوب عليها: "لا تطرق الجرس، أُدخل من الباب الجانبي... ماذا نفعل؟"

أجابت الابنة: ننفذ ما كتبه والد ساندي، وندخل من الباب الجانبي".

قالت مونيكا: لقد أعلن لنا السيد المسيح أنه هو الباب، فمن أراد الدخول إلى السماء لا بد أن يدخل خلاله!"

استرسلت مونيكا في الحديث مع ابنتها لتوضح لها كيف أن السيد المسيح هو الباب، ثم قالت لها:

"لو أننا فوجئنا في نصف الليل بشخص جاء بسلم في الطريق ووضعه تحت شباك البيت في الدور العلوي، وصار يتسلق السلم. إن سألناه: ماذا تفعل؟ فأجاب: "أريد أن أزوركم؟ تُرى ماذا تفعل؟"

أجابت الابنة: "نتصل برجال الشرطة تليفونيًا لنجدتنا! لا يمكن أن يكون هدفه الزيارة، لأن الزائر يأتي من الباب لا الشباك!"

إن أردنا الدخول إلى السماء يلزمنا أن ندخل من الباب، من السيد المسيح، لا من شباك!"

---

[٣] Barnhouse, P.228.

✞ من يعبر بي إلى حضن أبيكَ إلا أنت،
أنت هو الباب،
بك ندخل لنتمتع بالسماء،
وبدونك ليس لنا نصيب فيها.

✞ ✞ ✞

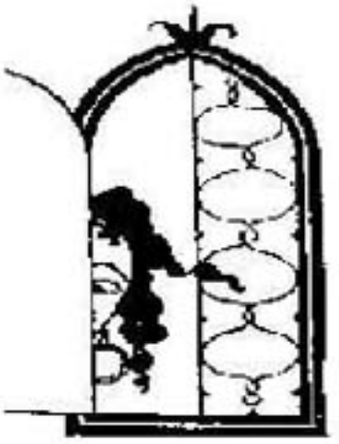

خطابان

في أسبوع واحد

كانت ماجي الطالبة بالجامعة صريحة مع والدتها، لا تخفي عنها شيئًا. اتسمت بالرقة واللطف مع الشركة الحيَّة مع الله، والفرح الدائم به.

أرسلت ماجي لوالدتها خطابين في خلال أسبوع واحد، تطلب في كل منهما ثلاثين جنيهًا.

جاء الخطاب الأول من ماجي طويلاً جدًا يبلغ ست صفحات فولسكاب، فيه تتحدث عن رغبتها في حضور حفل عيد ميلاد إحدى صديقاتها التي تسكن على بعد حوالي ٥٠ ميلاً من الكلية، وأنها ستقضي معها فترة أجازة نهاية الأسبوع، إن أرادت الأم ذلك. كتبت عن صديقاتها اللواتي سيحضرن الحفل وبيقين معًا بعد الحفل... وكانت تمدح فيهن وفي سلوكهن، وبين الحين والآخر تردد عبارة، "إن إردتي يا أماه لن أذهب معهم..."

أرسلت الأم ردًا على خطابها بالرفض، لا من أجل الثلاثين جنيهًا التي طلبتها، بل لأجل ذهابها إلى مكانٍ بعيد، وبياتها لدى أسرة لا تعرف الأم عنها شيئًا.

ما أن وضعت الأم خطابها في صندوق البريد حتى تسلمت الخطاب الآخر، جاء قصيرًا للغاية، لا يزيد عن خمسة أسطر فيها تقول ماجي إن زميلتها سميرة أصيبت بمرض مفاجيء فدفعت كل ما لديها لها، وأنها في حاجة إلى ثلاثين جنيهًا. فأرسلت لها والدتها خمسون جنيهًا تلغرافيًا.

لقد حوى الخطاب الأول تعبير تسليم الإرادة بين يدي الأم، لكن روحه لا

يحمل ذلك، بينما لم توجد هذه العبارة في الخطاب القصير الثاني، لكن الفتاة تدرك أنها تتمم ما تشتهيه الأم.

كثيرًا ما نطيل صلواتنا، ونحن بلساننا دون قلبنا تسليم الإرادة بين يديّ الله. ونحن نعلم أن ما نشتهيه يخالف إرادته الإلهية، وتأتي الإجابة بالرفض، بينما نصرخ إليه بالقلب إلى لحظات دون أن نردد "لتكن إرادتك لا إرادتنا"... لكن ما نصرخ به يفرح قلب الله.

✞ ✞ ✞

✞ علمني يا رب كيف أُصلي!
لتكن صلاتي حسب مشيئتك، لا بالكلمات، وإنما بالقلب!

✞ ليشكلني روحك القدوس، فتتشكل إرادتي حسب إرادتك،
وتكون مسرتي في مسرتك!

✞ لأحمل فكرك فيّ، وأتمتع بالاتحاد معك،
فأتمم مسرتك فيّ.

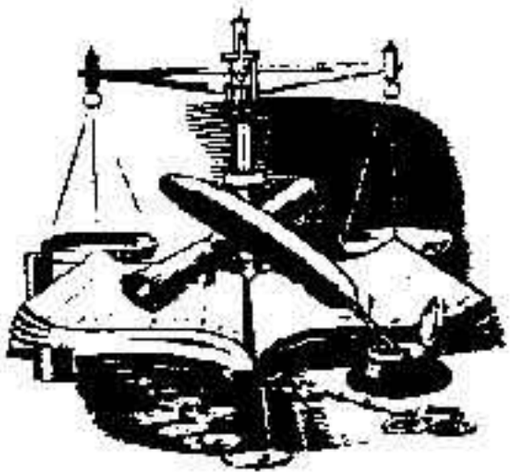

هل سبق أن سُجنت؟

تقدم إنسان لوظيفة، فبدأ يملأ استمارة خاصة بها، جاء فيها السؤال التالي: "هل سبق لك أن سُجنت؟" فأجاب: "لا".

جاء السؤال التالي لمن سبق فأجاب بالإيجاب: "لماذا (سُجنت)؟" أجاب: "لأنه لم يلقِ أحد القبض عليّ".

لقد كان مستحقًا أن يُسجن لكن رجال الشرطة لم يروه وهو يرتكب الجريمة، فلم يُلقَ القبض عليه!

✞ ✞ ✞

✞ أعترف لك إلهي مخطئ،
مستحق للموت!
لكن دمك ستر عليّ فلم يُلقَ القبض عليّ!

✞ خطيتي أمامي في كل حين،
لكن أنت حملتها عني يا حامل خطايا العالم!
سقطتُ في الخطية، لكنني لست تحتها،
لقد غفرتَ لي كل آثامي!

أنا عطشان![٤]

بينما كان الفنان النقدي الفرنسي جان فرنسوا رفايللي J.F. Raffaeli يتمشى بجوار قرية باربيزو *Barbizon* رأى جان بابتست كورو Corot يرسم لوحة لحقول خلفها غابات.

تطلع رفايللي في اللوحة فلاحظ أنه قد رسم وسط الحقل بحيرة صغيرة أمامه. دُهش رفايللي لهذا التصرف فسأل كورو: "لماذا ترسم بركة صغيرة بها ماء صالح للشرب حيث لا توجد بركة؟"

أجاب كورو: "أيها الشاب إنها الساعة الحادية عشر الآن، وقد جئت إلى هذا الحقل منذ السادسة صباحًا، فصرت في ظمأ شديد، لهذا رسمت هذه البركة لتنعش نفسي".

✠ مادمتُ في هذا العالم نفسي في ظمأ، من يرويها إلا ينابيع حبك؟
لتكشف لي عنها لا لأصورها على لوحة، بل لأنهل منها وأرتوي!

✠ طالت فترة غربتي،
إني أرسم لوحة السماء في قلبي.
لتفجر في داخلي أنهار مياه حيّة من عندك.
فلا احتاج إلى مياه هذا العالم التي لا تروي.

●●●

[٤] *Cf. D.G. Barnhouse, Let Me, p.301.*

أين ذهب الرسم؟

لاحظت الأم على ابنتها سامية التي عادت في أول يوم من المدرسة صامتة وتفكر في عمق. سألت الأم ابنتها: "فيمَ تفكرين يا سامية؟"

- لقد رسمتُ في المدرسة تفاحة على السبورة، ثم بقطعة من الإسفنج مسحتها، فأين ذهب الرسم؟

- لقد اختفى؟

- وأين اختفى؟

- لقد تلاشت؟

- أين تلاشت؟

- لقد اندثرت تمامًا؟

- أين اندثرت؟

بقي الحديث هكذا... ولم تعرف الأم كيف تفسر مسح الرسم من السبورة!

هكذا إذ تخطيء تُسجل خطاياك في صحيفة حياتك أمام السمائيين، لكن يتدخل السيد المسيح فيمسح بدمه الثمين ما سجلته خطاياك... إنها تختفي، وتتلاشى وتندثر الخ... ولكن كيف؟ هذا ما لا نستطيع إدراكه.

●●●

✞ إلهي... خطاياي قد أفسدت صحيفة حياتي،

صرت دنسًا في عينيّ نفسي.

لتغسلني بدمك فأطهر.

امحِ كل آثامي بحبك الفائق.

أما كيف؟

فهذا ليس في استطاعتي!

ما أعلمه أنني أرى صحيفة حياتي

قد ابيضت كالثلج!

ملاك الرأفة

قصة من واقع التاريخ

اعتادت سارة أن تدخل الكنيسة كل يوم مع زوجها الكاهن "سجاز اب" أي "نعمة الأب" لتشترك مع الشعب في صلاة رفع البخور أو صلوات القداس الإلهي، لكن هذه المرة دخلت الكنيسة بمفردها. ولم يكن في الكنيسة أحد قط، وإذ كانت الأبواب والنوافذ مغلقة كانت أنوار "القناديل" تتلألأ أمام أيقونات الرب يسوع وأحبائنا القديسين. سارت المرأة في هدوء وسكون تجاه الهيكل، حيث انحنت بخشوع ساجدة، وهي تترنم: "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك وأسجد أمام هيكل قدسك بمخافتك".

قامت المرأة ورفعت أنظارها إلى صورة الرب المصلوب التي فوق باب الهيكل، وصارت تهمس بكلمات لم يسمعها أحد. كانت تارة تُحرك شفتيها بصوت غير مسموع، وتارة تترك قلبها ينطق بما يعجز لسانها عن النطق به، وثالثة تُسكت قلبها لتقف في صمت أمام الرب الذي أحبها وأسلم ذاته لأجلها.

لكن العدو حاول أن يحاربها بالانشغال بعدم إنجابها، أما هي ففي حكمة سلّمت الأمر بين يدي خالقها، إذ صرخت في أعماق نفسها قائلة في هدوء:

"ربي يسوع المسيح، أنت ملك الملوك ورب الأرباب.

أنت عون الذين في الشدائد والضيقات، رجاء الخليقة كلها.

فرح الحزانى والمتعبين، لك تسجد أعمدة البرق.

ولك يخضع الرعد والرياح والعواصف، وبقوة لاهوتك يسير الفلك.

اسمعني، وارزقني ولذا يُرضي صلاحك، وإن كان لا يُرضيك فاغلق أحشائي يا إلهي.

لك ينبغي المجد والكرامة والعز والسجود، الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور. آمين".

جففت المرأة عينيها، وخرجت من الكنيسة، وقلبها مملوء هدوءًا. وإذ ذهبت إلى بيتها، بدأت تفكر في الحياة الأبدية كعادتها، لكن هذه المرة تزايد حنينها جدًا إلى ربنا يسوع، وتاقت نفسها لو انطلقت من هذا الجسد وعبرت إلى الفردوس لتحيا مع الرب، منتظرة يوم الدينونة المجيد.

وفيما هي تفكر في هذه الأمور، بدأت تتساءل ولماذا لا تُسلم كل أموالها لربنا يسوع في أيدي اخوته الفقراء، إذ كانت غنية جدًا، ورثت الكثير عن والدها الثري. لقد اعتادت أن تعطي بسخاء، حتى لقّبها الناس من أجل محبتها للفقراء وسخائها وكثرة فضائلها "أكزيهارية" أي "مُختارة الله". وكانت بالأكثر في كل يوم اثني عشر من الشهر تحتفل بعيد رئيس الملائكة ميخائيل بعمل ولائم ضخمة للفقراء بعد صلاة القداس الإلهي. وكان زوجها الكاهن لا يدخل الكنيسة ويديه فارغتين.

وفيما هي تفكر هكذا، إذ برجلها يدخل البيت، ويرى فيها شكلاً جديدًا، كأنه لم ينظرها قط بمثل هذه الصورة البهية التي كانت عليها، مع أنها كانت على الدوام، وهي جميلة المنظر جدًا، لا تنقطع البشاشة عن وجهها، ولا يرتفع صوتها الهادئ مهما كانت الظروف. لكنه في هذا اليوم رآها كملاك الله.

سلّم الأب عليها، وبلطف قالت له:

" أبي الحبيب. لقد خطر بي فكر أود أن أعرضه عليك، إن حسن في عينيك افعله، وإلا فارفضه".

- خير يا أختي.

- خير يا أبي. وهبنا الله مالاً كثيرًا، ونحن الآن ليس لنا ابن يرثنا. ألا ترى معي أنه خير لنا أن نتصدق به على الفقراء والمساكين، ونقدم الباقي للكنيسة؟ أما يلزمنا يا أبي أن نعتق العبيد والجواري، حتى يعتقنا الله من عبودية الخطية ويعيننا؟

- أختي المباركة. إن مشورتك هذه صالحة وعظيمة. لكن لا تتعجلي، لأن الله يريدنا ألا نُنذر شيئًا وتندم عليه.

- كيف نندم يا أبي على صدقة نقدمها؟ هل نستطيع أن نتصدق بعد موتنا؟! فلنعط اليوم، لأن الصدقة هي أعظم من كل شيء.

وإذ سمع الأب جواب زوجته ابتهجت نفسه في داخله وأدرك أن هذه الفكرة ليست مجرد نزعة طارئة، بل علامة حب حقيقي في داخلها. لهذا ركع مع زوجته وهما يتوسلان إلى الله أن يتنازل ويقبل صدقتهما. ثم قاما، وأخذا يوزعان الكثير من ممتلكاتهما على الفقراء، وقسّما نصيبًا للكنيسة دون أن يُخبرا أحدًا من الشمامسة أو الشعب.

وفي المساء إذ جلسا معًا وهما يتجاذبان حديثًا هادئًا انتهى بدعوتهما للعبيد والجواري كالعادة، حيث يجلس الكل معًا، ويفتح الأب الكتاب المقدس ويقرأ لهم فصلاً منه، يعقبه بكلمة ثم يشتركون معًا في صلاة الأجبية. انتهت الصلاة، وإذ بدأوا يُقبّلون يد الكاهن لينصرفوا لأعمالهم، طلب أن يجلسوا مرة أخرى. جلس الكل معًا، وكانت الزوجة مبتهجة جدًا كأنها قد تخلصت من ثقل على كتفها، أو وجدت كنزًا لا ينطق به. أما الأب فصار يُخاطب عبيده وجواريه قائلاً:

"أولادي الأعزاء. لقد رأينا بنعمة الله، أنا وزوجتي أن نخبركم عن أمر يخص حياتكم. إننا يا أبنائي نرجو لكم حياة مباركة سعيدة، فقررنا أن نُحرّركم لتعيشوا في حياة الحرية".

ذُهل العبيد لذلك، ولم يعرفوا بماذا يجيبون، إذ لم يكن الأب وزوجته يعاملانهم قط كسادة نحو العبيد، بل كوالدين تجاه أولادهم وبناتهم.

مرّت دقائق سادها صمتٌ كامل، إلى أن بدأ كبير العبيد يقول:

" أبانا الحبيب... وسيدتنا الحنونة... هل أسأنا إليكما حتى تُريدا طردنا؟ إن كنا قد أخطأنا في شيء، فها نحن بين أيديكما، أدّبانا كيفما شئتما... فإننا نودّ أن نبقى معكما".

ابتسم الأب الكاهن وقال: "لا يا ولدي. لسنا نقصد تأديبكم. إنما نحن نحبكم ونريد تحريركم، حتى يُحررنا الله من خطايانا، ويُعيننا في طريق الخلاص. ونحن يا ولدي سنعطيكم كل احتياجاتكم ونُعينكم في إيجاد عمل لكم".

- أبي. إننا نرجو من محبتك وأبوتك أن تتركانا معكما، فقد تعلّقت قلوبنا بكما.

- الرب يبارك عليكم يا أولادي ببركة آبائي الكهنة[5] إنني أطلقت سبيلكم. ومن يريد البقاء معي فليبقى كحُر وليس عبدًا.

بحث نهم الأب عن أعمال وساعد الكثيرين في التجارة وبعض الصناعات... ووزّع كل بقية أمواله عليهم.

مع الملاك ميخائيل

مرت سنوات والكاهن وزوجته تغمرهما سعادة داخلية، لكن أمرًا ما أقلق نفس الأب، لذلك بعد ما صلى صلاة نصف الليل، بدأ يناجي ربه قائلاً:

"أيها الرب إلهنا المتحنن.

تطلّع يا رب إلى الكرمة التي غرستها يمينك.

أنظر إلى شعبك وكنيستك، فإن نفوسنا مرة من أجل ما نسمعه عن الملك الجديد، الذي أنكر الإيمان علانية، وجدّف على اسمك القدوس، وعبد الحجارة التي لا تنطق!

لقد هدم مذبحك وبنى معابد للأوثان!

قتل كهنتك وأبرارك، وأحاط نفسه بالسحرة والمشعوذين يكهنون للشيطان في معابد الوثن!

أفسد طهارة نساء كثيرات ونزع عفة الفتيات، حتى صارت المدينة كلها في شر عظيم!

لقد سمعنا يا ربي أن جنوده قد اقتربوا من مدينتنا، فماذا نفعل؟!

---

[5] كان هذا الأب من سلالة كهنة، وكان جده يدعى " انريم" رسمه أول أسقف في إثوبيا الأنبا سلامة شماستا ثم قسا، ودعى [أقدس شعبه].

أنت حصننا ومعيننا! أنت رجاؤنا وملجأنا!

يا إله رئيس الملائكة ميخائيل، احفظ طهارة شعبك وعفتهم! ربي. إن نفسي بين يديك، لكن احفظ طهارة بنات شعبك وزوجتي حتى لا يبطش بهم هذا الشرير الوثني".

لم تمضِ ساعات حتى قام الرجل وزوجته على أصوات ضوضاء شديدة، في وسط ظلامٍ قاتم. قام (عطية الله) وزوجته (مختارة الله)، وخرج الأب يرى ماذا جرى بشعبه. رآه الجنود فتركّزت أنظارهم عليه، فهرب، والجنود وراءه يحاولون تصويب حرابهم ضده. ألقى بنفسه في مجرى ماء أمامه، ووقف الجنود ينتظرون خروجه لقتله بالحراب.

صرخ الرجل وهو في عمق المياه قائلاً:

"يا إله رئيس الملائكة ميخائيل أعني وكل شعبك.

أين هي عجائبك يا ميخائيل؟!

لماذا تركتني في ساعة الموت؟!

هوذا اليوم يوم ضيق وشدة!"

هكذا كان يصرخ الرجل في عمق المياه، ولم يكن يدري أن الملاك ميخائيل يظلّل حوله كخيمة تحميه من الغرق.

خرج الكاهن بعد ساعات، ليجد الجند قد تركوه إذ حسبوه قد غرق. سار إلى مدينته، وإذ به يرى مناظر مؤلمة، إذ سلب الجند أموال الكثيرين، لكنهم لم يأسروا أحدًا سوى زوجته. انهار الرجل أمام منظر شعبه وضيقة نفوسهم، واغتمّت نفسه جدًا من أجل زوجته التي كانت جميلة جدًا، فأدرك أن الجند أخذوها للملك المُفسد لعفة الكثيرات.

دخل الرجل إلى الكنيسة وبكى بكاءً مُرًا، مخاطبًا إلهه قائلاً:

"ليتك سمحت بموتي وغرقي، ولا أرى ضيقة أولادي وإفساد عفة زوجتي. هل يا رب قد سمحت أن تأخذ إناءك الطاهر القدوس ليفسده عابد الوثن الشرير؟! ألا تستطيع يدك أن تُخلص وتنقذ؟!

من أجل صلوات قديسيك وملائكتك أذكرها وكل شعبك".

وفيما هو يبكي إذا بشعاع الرجاء يخترق قلبه، فتطمئن نفسه جدًا بالرب ضابط الكل صانع الخيرات. أدرك الأب أن جميع الأمور تعمل معًا للخير للذين يحبونه، فكرّس وقته كله في خدمة المتألمين وتعزية الحزانى وقيادة كل نفس في طريق خلاصها.

وفي أحد الأيام بينما كان يبخر وسط الشعب ويضع صليبه على رأس كل واحد، إذ به يرى ملكة تلبس ثيابًا لم يرَ مثلها، تتحلى بجواهر وحُليّ لا يُقدر ثمنها، فباركها الأب مثل أخواتها وعاد إلى خدمته.

وبعد نهاية الصلاة، إذ كان يتعرف على الغرباء، ذهب إليها يسألها عن اسمها وبلدها.

- من أنت يا سيدتي، فإنني أراك كملكة صاحبة كرامة عظيمة؟

- حقًا إنني ملكة، وقد خلصني ملاك الله من يد الملك الشرير الذي أراد اغتصابي.

- ولماذا أتيتِ إلى هنا؟

- لقد سمعت أن زوجتك سباها الملك، فأتيت لأكون زوجة لك.

رشم الأب نفسه بعلامة الصليب وانتهر المرأة بعنف قائلاً:

- ما هذا الفكر الشيطاني يا ابنتي. هل يتزوج الكاهن مرة أخرى؟ إنني أؤمن أن الله حافظ زوجتي وسيُعيدها لي.

- إن كان هذا إيمانك فسيردها الله القدير.

- قولي لي من أنت؟

أما هي فكشفت قناع وجهها وهي تقول "إنني زوجتك... انظر يا سيدي فإنني جاريتك. أنا مختارة الله زوجتك!"

وللحال قام الأب وقبّل رأسها، وصاح قائلاً: "أين كنتِ يا أختي؟ وما هو حالك؟ وما الذي أتى بك إلى هنا؟"

أجابته بابتسامة لطيفة: "إرادة الله يا أبي قد حفظتني، وبصلاتك أتيت إلى هنا".

وفى سرعة البرق انتشر خبر مجيء المرأة، فاجتمعت المدينة كلها تشكر الله وتمجده من أجل سلامة عودتها. وفى الغروب امتلأت الكنيسة بالشعب كله، حيث رفع الأب صلاة الشكر لله، وبعد صلاة رفع بخور، قُدم تمجيد لرئيس الملائكة ميخائيل كطلب زوجته، ثم عاد إلى بيته.

وفى البيت جلس الاثنان يسبحان الله ويمجدانه، وكان كل منهما يسأل الآخر عما حدث له.

قال الرجل: "لعلك تذكرين ذلك اليوم المشئوم، فقد جريت، ومن غير أن أدري ألقيت بنفسي في مجرى ماء. كنت أصرخ في وسط الماء. ولما خرجت ظهر لي رئيس الملائكة ميخائيل، وقال لي: لقد أتيت إليك وظللت حولك مثل الخيمة من أجل الثمرة التي تخرج منك، وأنا أكون حافظًا لها. من أجل هذا الصبي خلّصتك من الغرق. وحدثني يا أختي حديثًا عجيبًا عن هذا الصبي الذي يهبنا الله إيّاه، ثم أعادني إلى الكنيسة حيث لم أجدكِ وسط الشعب".

أما هي فبدأت تروي له ما جرى لها فقالت: "أما أنا يا أبي فقد حاولت الهروب، لكن بعد ساعات عاد الجنود إلى المدينة، وربما بعدما تأكدوا أنك قد غرقت، وصاروا يضربون وينهبون ويسلبون حتى رأوني، وقالوا: لقد وجدنا أثمن هدية يكافئنا عليها الملك مكافأة جزيلة. لقد رأينا سيدة يُسر بها الملك جدًا. وللحال أمسكوني، ولو أنهم عاملوني بلطفٍ زائدٍ، كأنني ملكة في أعينهم، لكنني لم أدرِ إلا والأرض كلها تدور بي، اشتهيت الموت من عمق قلبي فلم أجده. حاولت التخلص لكن بغير جدوى. طلبت مهلة فلم يمهلونني. حملوني على بغالهم وهم يصيحون بالأغاني الوثنية، هاتفين ومسبحين آلهتهم التي أتت إليهم بحقارتي، لينالوا كرامات وعطايا من الملك بسببي. كانوا يُكثرون السؤال طالبين أن يخدمونني، يخافون عليّ كأني شيء عظيم، يتوسّلون إليّ أن أطلب شيئًا، أما أنا فكنت كطفلٍ تائه في قفرٍ فسيحٍ بلا معين، وفى مرارة نفسي كنت أصلي إلى مخلصي يسوع طالبة شفاعات رئيس الملائكة ميخائيل عني.

ساروا بي حتى اقتربوا إلى مدينة الملك، وكانوا يهنئونني أنني بعد قليل أصير ملكة، فلم أكن أبالي بأقوالهم. وإذ سرى الخبر سريعًا إلى الملك، أراد مقابلتي،

فأدخلوني في القصر، وقدّموا لي ثيابًا فاخرة وحُليّ وجواهر كثيرة، ثم أدخلوني إلى حيث الملك، وكان الكل يُحيّيني، أما أنا فلم تجف دموعي من على خدّي، ولم يصمت قلبي عن الصراخ.

قابلني الملك ببشاشة وابتهاج وسرّت نفسه بي، لكنه لم يلمسني قط بل أمر أن يُكرمني بألا يتزوجني إلا في مدينة الآلهة. أمر الجنود أن يذهبوا بي إليها لأنهيأ هناك وفي اليوم الثالث يأتي الملك ويتزوجني في حفل رسمي عظيم.

أمر الملك بإعداد ولائم لا تُحصى وإعداد أمور لم أكن انشغل بها يا أبي ولا حتى أنصت إليها. أخذوني إلى مدينة الآلهة. وفي حزني لم أكن آكل أو أشرب.

وفي ليلة مجيء الملك نام الكل من كثرة التعب، أما أنا فلم أذق طعم الراحة. خلعتُ ثيابهم (الثمينة)، ولبست ثوبي القديم، ورفعت صوتي باكية. كنت أقول:

"يا ربي يسوع المسيح.

لماذا نظرت إلى جهالاتي، ولم تنظر إلى عبادة عبدك "عطية الله" زوجي الذي يخدمك بقلب طاهر؟!

كيف تُسلمني إلى الأشرار عبدة الأصنام الذين لا يعرفون اسمك؟!

كنت أطلب منك أن تمنحني ثمرة من كاهنٍ طاهرٍ، ابن كهنة، فهل تسمح أن تعطيني ثمرة من وثنيٍ، لا يعرف اسمك القدوس؟

كنتُ يا أبي أصرخ في نفسي كثيرًا وأقول:

"أيها الرب الإله، رب الخليقة، القادر على كل شيء، الكائن في كل مكان.

أنت بعظمة لاهوتك خلّصت دانيال من أفواه الأسود، وخلّصت الثلاثة فتية من أتون النار.

أنت هو الألف والياء، الأول والآخر. اظهر قوتك يا رب وخلاصك. ولا تطرح عبدتك فريسة في أفواه الوحوش.

وأنت يا ملاك ميخائيل لماذا تخليت عني وأنا في هذه الشدة؟!

أين العهد الذي بينك وبيني، إنك لا تتخلى عني وأنا أصنع تذكارك في كل اثني عشر من كل شهر؟!

يا ملاك الرأفة والرحمة لا تغفل عن أمَتك المسكينة. ساعدني وأنقذني".

وإذ انهارت قواي لم أستطع الوقوف فارتميت راكعة وممتدة على كرسي بجواري، وإذا بي أفكر في العَرس السماوي. كنت أعاتب عريسي السماوي، هل سيسمح أن يتركني وسط هذا الشر ويحرمني من أمجاد السماء. كنت انتظر يا أبي إلى القصر كسجنٍ مظلم، واللآلئ كقيود ثقيلة والطعام كسُم مميت. لم أكن أطيق شيئًا من هذا كله.

كلما مرت الدقائق واقترب الصباح يزداد بكائي، وإذا بي أقوم مرة أخرى لأصلي. وفيما أنا أصلي إذا بنورٍ شديدٍ يبرق حولي، فابتهجت نفسي جدًا، ورأيت حبيبي الملاك ميخائيل. فارتدّت نفسي فيَّ، وسمعته يقول لي: "اعلمي أن هذه التجارب لم تأتِ عليكِ لهلاكك، إنما لينظر الله إلى صبرك، ويظهر عجائبه فيكِ. ولا يكون إنقاذك من أجلك وحدك، إنما من أجل الابن الذي يولد منك". واختفى الملاك واطمأنت نفسي جدًا.

وفي الصباح حضر الملك واستدعى كهنة الأوثان والسحرة ليقدموا ذبائح وتقدمات بمناسبة زواج الملك. ولما احتشد المعبد جدًا أُدخلتُ إلى جوار الملك، وإذا بالأغاني ترتفع داوية في المعبد كله. لكن حدث ما لم يكن في الحسبان. حدث برق شديد ورعد من السماء، فذُهل الكل، وصار اضطراب شديد. وإذا برئيس الملائكة ميخائيل يظهر لي ويأتي بي إلى كنيستنا يا أبي".

ابن مبارك

وفي اليوم التالي من وصولها، بينما كانت المرأة تصلي ليلاً ظهر لها الملاك ميخائيل يبشرها قائلاً: "السلام لكِ يا مختارة الله. اليوم أُبشرك بحمل الولد المبارك، وهو محبوب لدى الله والناس، وعندنا نحن الملائكة. وتكون فضائله كثيرة كنجوم السماء التي لا تُحصى". ثم اختفى الملاك.

وإذ نامت الزوجة رأت في نومها عمودًا من نورٍ في وسط منزلها، ورأسه في السماء، وكل شعب الأرض والملوك ينظرون إليه مندهشين، وفوقه طيور كثيرة تحوم حوله، وبينما هي تتأمل هذا المنظر إذ بها تسمع رجلها يصيح.

فتحت "مختارة الله" عينيها، وأيقظت زوجها وسألته عن سبب صياحه فأجابها: "لقد رأيت يا أختي شمسًا مضيئة جدًا تحت سريرنا الراقدين عليه، وكواكب كثيرة بلا عدد، ونورًا يضيء على الأرض كلها حتى اختفت المدينة كلها من شدة اللمعان".

ولما انتهى من أقواله أخبرته هي أيضًا برؤيتها.

مرت تسعة شهور وولدت الأم ابنها "تكلاهيمانوت" الذي بعد ثلاثة أيام من ميلاده بسط يديه ورفع نظره نحو السماء وقال:

"واحد هو الآب القدوس، واحد هو الابن القدوس، واحد هو الروح القدس".

وبعد أربعين يومًا من ميلاده دخل الكاهن ومعه زوجته التي استعدت للتناول، وعمّد الأب ابنه باسم الثالوث القدوس.

وفي الليل ظهر ملاك الرب للأب يعلن له أن هذا هو الطفل الذي بشره به من قبل.

مرّت أيام قلائل وإذ كان الكاهن وزوجته في ضيق مادي لم يستطيعا أن يستعدا لعمل وليمة الفقراء في عيد الملاك كعادتهما. بكت الأم متوجعة، وصارت تصرخ طالبة من الرب أن يسمح لها أن تقدم أي شيء في هذا العيد المبارك. وفيما هي على هذه الحال وابنها على صدرها، إذ به يمسح دموعها بيديه ويشير إلى طبق به قليل من الدقيق. فأتت بالطبق، وإذ وضع الطفل يده بدأ الدقيق يتدفق حتى بدأ يسقط على الأرض. أحضرت الأم كل ما لديها من مقاطف فامتلأت دقيقًا، ثم أتت إليه بجرار السمن والزيت والعسل، وإذ كان الطفل يضع يديه عليها امتلأت الجرار. وهكذا صنعت السيدة وليمة عظيمة للفقراء تذكارًا لرئيس الملائكة ميخائيل...

حياة تكلاهيمانوت في سطور

- عندما بلغ عمره سبع سنوات علّمه والده قراءة المزامير والكتب المقدسة وكتب الكنيسة، وكان يحفظ ما يقرأه عن ظهر قلب.
- كان محبًا للصلاة والصوم باتضاع ومثابرة عجيبة.
- رسمه الأنبا كيرلس مطران الحبشة شماسًا وهو في الخامسة عشر من عمره، في أيام البابا بنيامين. وكان قد ظهر للمطران ملاك يخبره أنه مختار لملكوت

السموات وهو عظيم أمام الرب... وأنه سيسيمه شمامًا". وقد تحقق ذلك وبقى ٢٠ يوما عند المطران ثم عاد إلى بلده.

- وفى الطريق تعرض له أحد الأشرار وضربه، فاستنجد بالملاك ميخائيل فأصابه ضرر. لكنه في ترفق وحنان صلى من أجله، فأتى الرّجل بسرعة وخرّ أمامه فرفعه القديس.
- زوّجاه والداه لأحد بنات عظماء المدينة جبرًا، لكنه إذ كان قد سلّم نفسه عروسًا للرب، ودّ أن يُبقي بنفسه وجسده بتولاً، فاتفق مع زوجته وبقيا بِكْرين حتى يوم انتقالها.
- رُسم كاهنًا على يد الأنبا كيرلس وبعد مدة يسيرة انتقلت "مختارة الله" في ٢٢ مسرى، وانتقل أبيه بعدها بأربعة أيام أي في ٢٦ مسرى.

المحتويات

١

١ احتفظي بصورة، والقي بالأخرى! صورة أبينا بيشوي. ١٠

٢ هب لي قطعة رنجة! بونابرت والقادة الأربعة. ١٣

٣ الزجاج الشفاف: محبة الغنى. ١٥

٤ والدك مريض بالمستشفى، احضر بعد الامتحانات! ١٧

٥ كلهم دنسون! كلهم أطهار! شاب يتوب. ١٩

٦ الرفيق الأبدي: الحاخام يشوع والجزار نينس Nenes . ٢٢

٧ بقي وحده معي! الشاب الذي ألقى بنفسه من قمة الجبل. ٢٤

٨ حملت معه صليبه! شاب يسقط تحت الدراجة. ٢٦

٩ أنا (زعلان) من ربنا: يعاني من آلام في ظهره. ٢٨

١٠ قتيلة ذرية! طفلة في لبنان. ٣٠

١١ صديق من السماء: الراهب المريض وإرميا النبي. ٣٣

١٢ غني في الفردوس: الغني الذي حرر ٢٠٠ عبدًا. ٣٥

١٣ طفل صاحب شخصية قوية: قلت لا لئلا تصير شخصيتي ضعيفة. ٣٧

١٤ على كتفي مطران: مطران في الجحيم. ٤٠

١٥ خائف على نفسي! مهندس اغتنى لمحبته للعطاء. ٤٢

٢

١٦ غياوة سجين: القديس ذهبي الفم يوضح الصليب. ٤٦

١٧ لدغه عقرب! شاب في الصعيد. ٤٩

١٨ حوار مع نملة! سليمان الحكيم والنملة. ٥١

١٩ لنعشْ كسائر البشر! نعاون الأسود معًا. ٥٥

٢٠ خطية تافهة! سيدة غنية تسرق. ٥٧

٢١ درسٌ من شيخٍ ساقط. الخطية قتلاها أقوياء. ٦٠

٢٢ شيخ فتى يبني الكنيسة! شماس في وست كوفينا. ٦٢

٢٣ كنيسة جديدة! وقلب جديد! إقامة هيكل سليمان، صداقة البابا كيرلس للأطفال. ٦٤

٢٤ دفعا الكثير!! طفلان يدفعان أكثر من الإمبراطور. ٦٦

٢٥ أبونا بيشوى! أبونا بيشوي! محاولة قتل شابة بنيوجيرسي. ٦٩
٢٦ صفعني بالقلم! أبونا بيشوي يوبخ فتاة بعد رحيله. ٧١
٢٧ تحطمت سيارتي وملأني الفرح! شاب في بلد أوربي. ٧٢
٢٨ كن الأكبر! فتى يحتمل آباه الغضوب. ٧٦
اليوبيل الألفي الثاني لميلاد السيد المسيح! ٧٩
٣
٢٩ طفله تنقذ والديها: طفلة بالأقصر. ٨٢
٣٠ صدقوني إني أحبه! يصلي أسبوعين لأجل رئيسه. ٨٥
٣١ أبونا مينا مات! البابا كيرلس ونظمى بطرس. ٨٧
٣٢ محتاج إلى ثلاث ساعات. أبونا بيشوي ومعترف. ٨٩
٣٣ لأستمع إلى الطرفين! خيانة زوجة. ٩١
٣٤ هل هو صوتها؟! أبونا ميخائيل وشكوى الزوج. ٩٣
٣٥ فقيرة غنية! شحاذ بمدينة إسنا. ٩٥
٣٦ تحت المطر الغزير! رئيس أساقفة ملبورن. ٩٧
٣٧ تركت بركة لبناتي! أبونا ميخائيل والمجوهراتي. ٩٩
٣٨ باركني يا ابني! أبونا ميخائيل. ١٠١
٣٩ دموع راهبٍ شيخٍ: راهب يتوب كل عمره. ١٠٣
٤٠ شماس يقرأ بقلبه: فقأ عينيّ شماس. ١٠٥
٤١ ابتسامة عريضة في الهيكل: البابا كيرلس والشماس. ١٠٧
٤٢ شاب يكذب يا بابا! مدام فوزية. ١٠٩
٤٣ تعزيات مقدمًا! مدام فوزية. ١١١
٤٤ قرأته عشرين مرّة! أنبا أنطونيوس يقرأ آيه لسنوات. ١١٣
٤٥ طفلتان تقدسان صومًا! طفلتان بلوس انجيلوس. ١١٥
٤
٤٦ هدية أم إهانة: خادمة شابات. ١١٨
٤٧ لا تسحب صداقتك علي! ملك إيران. ١٢٢
٤٨ الرحمة لمن لا يستحق الرحمة! نابليون والمجرم. ١٢٥

٤٩ أين هو أثاث بيتك؟ السائح الأمريكي. ١٢٧
٥٠ أن أتبعك، هذا ما لست مُقتنعًا به! مدفن هندي. ١٢٨
٥١ عود كبريت! مشروع خادم. ١٢٩
٥٢ الطيور المغردة على أسلاك التليفونات. ١٣٢
٥٣ لن أفلت من بين أصابعه! Child Abuse ١٣٣
٥٤ أعطه مفاتيحك، فيعطيك قلبه! ابن يثق في والديه. ١٣٤
٥٥ هبة الألم: بفرلي سميث. ١٣٦
٥٦ الفنان الحزين: لم يتمم ما وعد نفسه به. ١٣٨
٥٧ تكلفة النضوج! الأسد والشبل، النسر وصغاره. ١٣٩
٥٨ سباق في الحب: بطل أرجنتيني في سباق سيارات. ١٤١
٥٩ صيادون ماهرون! صيد السمك بالطيور. ١٤٢
٦٠ عرض بلا رائحة ولا جمال: عرض الزهور بلوس أنجيلوس. ١٤٣
٦١ كيف تنشأ الحروب؟ خلاف عائلي. ١٤٤
٦٢ لتكتسح النباتات الزوان! بالزراعة يختفي الزوان. ١٤٥
٦٣ يكفيها نظرة من أبيها! شيري والحفنة. ١٤٦
٦٤ على درب أبيه: طفل وراء أبيه. ١٤٧

٥

٦٥ المليونيرة الفقيرة: صاحب أرض بها بترول. ١٥٠
٦٦ أفضل مني ومنك: البابا كيرلس الخامس. ١٥٢
٦٧ عفو لا سلطة: بطرس باشا غالي. ١٥٤
٦٨ زهرة جميلة بين العشب: زهرة في فيلا جديدة. ١٥٧
٦٩ طريق وسط الثلوج: سباق بين شبان. ١٥٩
٧٠ نم مستريحًا! وسادة أبوة الله وقدرته وحكمته. ١٦١
٧١ فن تسلق الجبال: العمل الجماعي. ١٦٣
٧٢ لأرسم ملامح وجه سيدي! الفنان ليوناردو دافينشي. ١٦٥
٧٣ جراحات الغضب: الإسكندر الأكبر يقتل صديقه. ١٦٧
٧٤ لا ترى عقلك! ملحد روسي. ١٦٨

٧٥ **نزاع الحملم:** إبراهيم الجوهري والقمص إبراهيم عصفوري. ١٦٩
٧٦ **لم تترقبي مجيئي! Watch, wait** ١٧١
٧٧ **وداعًا أيها المجهر:** أحب المجهر أكثر من الكواكب. ١٧٣
٧٨ **قناة مستقيمة أم نهر متعرج؟** القنوات والأنهار. ١٧٥
٧٩ **تعلم واشبع!** صيد السمك والفضلات. ١٧٦
٨٠ **لا تدعهم يأخذون يونان منك!** ثناب سافر إلى أوربا. ١٧٧
٨١ **ترجمة أبي:** خدام كلمة أمريكيون. ١٧٩
٨٢ **إمبراطورية فريدة:** نابليون وإمبراطورية المسيح. ١٨١

٦

٨٣ **أنا خائف من الكلاب:** شيخ تقي بنجع حمادي. ١٨٥
٨٤ **مخزن مزامير:** الجدتان وذكرياتهما. ١٨٧
٨٥ **زيارة في نصف الليل:** رئيس المكسيك يزور السجون. ١٨٩
٨٦ **الألف والياء:** الموسوعة. ١٩٠
٨٧ **بنات النجار:** الملحد، أبونا ميخائيل في فناء المرقسية. ١٩١
٨٨ **ماذا تقول الحائط لأختها؟** ١٩٤
٨٩ **إنه لا يهينني!** طفل يحب كلبه. ١٩٦
٩٠ **تجرى القوانين في الطرق التي تشتهيها الملوك.** ١٩٨
٩١ **يخاف من ظله:** الإسكندر الأكبر والفرس الجامح. ١٩٩
٩٢ **جنون واعظ لأنه يتحدث عن الأبدية.** ٢٠١
٩٣ **أريد أن اقتني ما تقتنيه ألت:** الثري والعامل البسيط. ٢٠٣
٩٤ **أغنى رجل في الوادي يموت الليلة.** ٢٠٦
٩٥ **لا حاجة لنا إليه:** الابن الإنجليزي غير الشرعي. ٢٠٩
٩٦ **اهرب لحياتك:** الكلب والأرنب. ٢١١
٩٧ **تنازل عن غطاء مائدة:** عيد الميلاد ١٩٥٨. ٢١٢
٩٨ **توقف عن الحديث معي،** لكي يتحدث مع الجزار. ٢١٥
٩٩ **نار في السفينة:** غزو المكسيك. ٢١٧

٧

١٠٠ لا تغلق بلب سيدنا: الأسقف أمبروسيوس والإمبراطور. ٢٢٠
١٠١ عجلة الزمن: قائد في الحرب العالمية الثانية. ٢٢٣
١٠٢ الميدالية الذهبية تزعزع آلامي: لاعب الجمباز الياباني. ٢٢٤
١٠٣ حرية وراء القضبان: ماذا تفعل خارج السجن. ٢٢٦
١٠٤ طيب كثير الثمن: فارورة بلا طيب. ٢٢٧
١٠٥ استرخاء الجسد! درس من القطمان. ٢٢٩
١٠٦ طاعة لابن خمس سنوات: الحاجة إلى الحزم. ٢٣١
١٠٧ عطية فقد البصر: القديس ديديموس الضرير. ٢٣٣
١٠٨ مربية خاتنة! النفس كاينة الله. ٢٣٥
١٠٩ نبوغ فريد: بالمسيح ننبغ روحيًا. ٢٣٧
١١٠ العزلة: المستعمرون في جبال فيرجينيا. ٢٣٩
١١١ لم أقرأ الإنجيل منذ زمن طويل! شوق سيدة للإنجيل. ٢٤١
١١٢ في خدمة الشعب: مخالفة مرور لراعٍ. ٢٤٣
١١٣ فراشة في أمان: الطائر والفراشة. ٢٤٥
١١٤ إنها لا تحبني: دعية بلا مشاعر. ٢٤٧
١١٥ مأساة في عسل النحل! نحلة في وسط العسل. ٢٤٩

٨

١١٦ صوت محبة أم ضجيج مقلق؟ لا يطيق سماع صوتها في التليفون. ٢٥٢
١١٧ الحمام الطائر: القديس كرياكو. ٢٥٥
١١٨ حمارا الأسقف: الأريوسيون والأسقف الشيخ. ٢٥٩
١١٩ القلاية المتحركة: لا يقدر على حفظ المزامير. ٢٦١
١٢٠ في طريق مظلم: السيارة والوحل. ٢٦٣
١٢١ الاستعداد للعُرس في كنيسة سان بيتر. ٢٦٥
١٢٢ من أكلة لحوم البشر: الكتاب المقدس والكلب. ٢٦٧
١٢٣ باركي يا نفسي الرب: هو يباركنا ونحن نباركه. ٢٦٩
١٢٤ أسعد كائن على الأرض: قاطع الحجارة. ٢٧١

١٢٥ الإمبراطور والفنان: صورة طائر في اليابان. ٢٧٤
١٢٦ بشاشة الحب الخالص: أبونا بيشوي روست كوفينا. ٢٧٦
١٢٧ هو ابني... أنا ممتعد أن أقبل قدميه: أبونا بيشوي. ٢٧٨
١٢٨ اغلق المسجل (الريكوردر) أبونا بيشوى. ٢٨٠
١٢٩ صاحب نفس كبيرة: أبونا بيشوى نسمة ريح هادئة. ٢٨٢
١٣٠ الحب الحازم: أبونا بيشوي ومقاومة الخطية. ٢٨٣

٩

١٣١ ظل الموت: ظل البلدوزر. ٢٨٩
١٣٢ أقبّل ثيابها! اعتراف زوج شيخ. ٢٩١
١٣٣ أين عظام الإمبراطور فيليب؟ ٢٩٣
١٣٤ يد فارغة! وصية الإسكندر الأكبر. ٢٩٥
١٣٥ الأب المفقود: الطفلة ووالدها الراقد. ٢٩٦
١٣٦ لأن الله أخذه! أخنوخ البار. ٢٩٨
١٣٧ اقلب صفحة الكتاب المقدس: شيخ في لحظات رقاده. ٣٠٠
١٣٨ بطلنية كهرباء! إطفاء البطانية الكهرباء. ٣٠٢
١٣٩ سؤال محيّر: ماذا بعد الموت؟ سبت النور. ٣٠٣
١٤٠ سيارة مسرعة: رحلة العالم نحو السماء. ٣٠٥
١٤١ هي ابنتك لا ابنتي: القديسة باولا. ٣٠٧
١٤٢ أقوى من الموت! قصة معاصرة. ٣٠٩
١٤٣ لمن هذا الكرسي؟ القديسة تائيس. ٣١٦

١٠

١٤٤ يوحنا الجديد: السكير التائب. ٣٢٤
١٤٥ حنان دجاجة: دجاجة تحترق. ٣٢٧
١٤٦ يُحبره شفونا: الوصي على الطفل. ٣٢٩
١٤٧ اهرب مما أنت فيه: القديس صرابيون. ٣٣٢
١٤٨ من يسندني؟ القديسة دميانة. ٣٣٤
١٤٩ هل يمكن أن تنتظرني؟ راهب يرى السيد المسيح. ٣٣٥

١٥٠ بطيخة مسمومة: إعلان كاذب في الحقل. ٣٣٦
١٥١ نحلة بلا إبرة ماصة! نحلة في السيارة. ٣٣٩
١٥٢ لتكن إرادتك: إصرار طفل على تحقيق إرادته. ٣٤٠
١٥٣ أخطأت في العنوان: لوسي ترفض فكرًا خاطئًا. ٣٤٢
١٥٤ من علّم ابنتي الكذب: أم تكذب أمام ابنتها. ٣٤٣
١٥٥ مؤتمر بين أدوات التجارة. ٣٤٥
١٥٦ حب ودموع: القديس مار افرام السرياني. ٣٤٧

١١

١٥٧ الخياط الطوباوي: القديس الأنبا انطونيوس والخياط. ٣٥٨
١٥٨ المتوحد الهارب: اتهام القديس مقاريوس ظلمًا. ٣٦١
١٥٩ قبل هذا القليل: القديس مقاريوس والأمير. ٣٦٣
١٦٠ الكلمة الطيبة: القديس مقاريوس والكاهن الوثني. ٣٦٥
١٦١ صاحب الذراع المكسور: أي الذراعين أفضل؟ ٣٦٧
١٦٢ شلالات نياجرا وقشرة البرتقال: بوبي ليتش وعبور الشلالات. ٣٦٩
١٦٣ خادمة البشرية: القديسة مريم. ٣٧١
١٦٤ الباب الضيق: سرير طفل لا يخرج من المطبخ. ٣٧٢
١٦٥ كتلة من الطين: تمثال داود النبي. ٣٧٥
١٦٦ لمسات يدٍ خلاّقة: فخاري بقنا. ٣٧٦
١٦٧ الخيط الخفي: البالون والخيط الخفي. ٣٧٨
١٦٨ بين المؤدبين: حاكم ولاية تكساس. ٣٨٠
١٦٩ سراديب صغيرة: قلعة كارلسين. ٣٨٢
١٧٠ العبد الناسك: القديس بطرس الناسك. ٣٨٤

١٢

١٧١ انسحب من الجلسة: أبونا بيشوي وأول مؤتمر. ٣٩٢
١٧٢ أعمل هذا وأنت تستريح: أنبا أنطونيوس. ٣٩٤
١٧٣ أزمة ثقة: ركوب القطار. ٣٩٦
١٧٤ درع البارون فريتاس. ٣٩٨

١٧٥ الدين قد وفى: اللورد كونجيلتون. ٤٠٠
١٧٦ الأم مدينة لهون: فاتورة المحبة. ٤٠٢
١٧٧ ضربات أكثر: محاكمة فقير وغني. ٤٠٤
١٧٨ الأصابع المتصفة: الغسل المستمر. ٤٠٥
١٧٩ والفجر هزم: معركة وترلو Waterloo. ٤٠٦
١٨٠ عهد النعمة: مربية صارت زوجة. ٤٠٨
١٨١ الملحد والصلاة المستجابة: المريضة والبرقالة. ٤٠٩
١٨٢ وحدي أنا لكنني لست وحدي: الطفلة المسيبة. ٤١١
١٨٣ إني مدين لك بكل شيء يا أماه: وفاء شاب. ٤١٣
١٨٤ ليلة الاستعداد: عشية السبت. ٤١٥
١٨٥ في قبضة الحب. ٤١٦

١٣

١٨٦ استضافة حمار ويغل: إدانة أخين. ٤٢٦
١٨٧ الحلواني العجيب: إطالة عمر زوجته. ٤٢٨
١٨٨ لم أسمع شيئًا: القديس أنبا إبرام. ٤٣١
١٨٩ انتقل من الموت إلى الحياة: وعد إلهي كتابي. ٤٣٥
١٩٠ ملحد وسيدة فلاحة: كيف تقابل الله؟ ٤٣٦
١٩١ علم السماء: ملك الدانمرك. ٤٣٨
١٩٢ الجمال الفائق: تطعيم شجرة. ٤٤٠
١٩٣ دبوس إبرة أم لسعة عقرب: الكتب الرديئة. ٤٤٣
١٩٤ المسلة المرذولة: سماء بلا عيب. ٤٤٥
١٩٥ لقاء مفاجئ: آيزنهور والطفل. ٤٤٧
١٩٦ الفرس المسكين: غباء صاحبه. ٤٥٠
١٩٧ صنبور مفتوح: في مستشفى الأمراض العقلية. ٤٥٢
١٩٨ أنا الربان: كبرياء ابن. ٤٥٣
١٩٩ الإشبين الغريب: ظهور ثلاثة ملائكة. ٤٥٤

٢٠٠ **المسيح مُفرح الأسرة:** محاولة انتحار سارة. ٤٦٢
٢٠١ **بهذا غلبتني!** القديس مقاريوس. ٤٦٥
٢٠٢ **عنقود العنب:** القديس مقاريوس. ٤٦٧
٢٠٣ **في اللحظة الحاسمة:** الجندي والقرص. ٤٦٨
٢٠٤ **اتفقا ألا يتفقا:** الصياد والدب. ٤٧٠
٢٠٥ **الجندي الشجاع:** شجاعة أثناء المرض. ٤٧١
٢٠٦ **لم أر أحدًا:** البابا أثناسيوس الرسولي. ٤٧٣
٢٠٧ **من العيادة إلى حديقة الحيوانات.** ٤٧٥
٢٠٨ **لا تقذف مركبتي بالحجارة.** ٤٧٦
٢٠٩ **من الباب لا الشباك:** المسيح هو الباب. ٤٧٧
٢١٠ **خطايان في أسبوع واحد.** ٤٧٩
٢١١ **هل سبق أن سُجنت؟** سؤال في استمارة تشغيل وظيفة. ٤٨١
٢١٢ **أنا عطشان:** رأفايللي يرسم بحيرة في حقل. ٤٨٢
٢١٣ **أين ذهب الرسم؟** الله يمسح خطايانا. ٤٨٣
٢١٤ **ملاك الرأفة:** قصة القديس أنبا تكلاهيمانوت. ٤٨٥

يطلب من :

مكتبة مارمرقس بالأنبا رويس / العباسية / القاهرة ت ٤٨٨٢٤٥٤ ، ٦٨٢٥٣٧٠

مكتبة مارجرجس سبورتنج / الإبراهيمية / الإسكندرية

مكتبة مارمرقس والأنبا بطرس / سيدى بشر / الإسكندرية

الثمن ٧ جنيهات